

مفتاح شخصية الرسول

بقلم: خالد محمد خالد

١٨ عالماً عربياً على سطح القمر

شاعر أسباني يتغنى بأصالة العربي

وجوه بيكار الخمسة

في ذكرى مولد النبي العربي

مفتاح شخصية الرسول

بقلم: خالد محمد خالد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ها هو ذا الرسول الذى جاء الحياة ، فأعطى ولم يأخذ ..

ها هو ذا من قدّس الوجود ، ورعى قضية الانسان ..

ها هو ذا من زكى سيادة العقل ، ونَهْنَه غريزة القطيع ..

ها هو ذا من هياه تفوقه ليكون سيداً « فوق » الجميع . فعاش واحداً « بين » الجميع ..

ها هو ذا من أعطى القدوة ، وضرب المثل ، وعبّد الطريق ..

ها هو ذا الرسول ، والمعلم،والاب ، والاخ ، والصديق ..

ما مفتاح شخصيته التى جلّت عن النظير .. ؟!

إنى اراه يتمثل فى ثلاث آيات من القران الكريم .

الآية الاولى : « وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم » .

والآية الثانية : « وما ارسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً للعَالَمِين » .

والآية الثالثة : « لستَ عَلَيْهم بِمُسَيْطِر »

هذه الآيات الثلاث تفتح الباب رحبا واسعا على شخصية رسول الله عليه افضل الصلاة وابهى السلام .

الآية الاولى : تحكى راى الله فيـــه ، وتزكيته إياه .. وحسبنا ان نرى بشرا ينعته الاله الكبير المتعال بانه على خلق عظيم !!

اي شرف يطمح إليه طامح اسمى من هـــذا الشرف الرفيع ـ ان يقول الله له : وإنك لعلى خلق عظيم .. ؟!

إن الخلق العظيم والكريم الذي توج الله به رسوله الامين هو اثمن ما كان يمتلك « محمد بن عبد الله » كانسان ، وكرسول . خلقه العظيم والكريم جذب إليه الأعداء

فصاروا اتباعا مخلصين .. وخُلقه العظيم هذا ، جعله فى أسمى درجات القدوة . وكان لابد لهذا ان يكون .

ولقد ادرك عظمته الاصيلة منذ طفولته ، فعاف كل صغار . بل عاف حتى ما يحق لطفل مثله ان يستمتع به من مباهج الحياة .

بحث عنه ذات يوم اترابه ولداته الاطفال ، فوجدوه هناك جالسا فى ظلال النخيل وحده مع تاملاته الباكرة ، ثم دعوه إلى صحبتهم إلى سامر فيه طبل وزمر ولهو .. فابتسم ابتسامته الورعة الحانية وقال : انا لم اخلق لهذا .. !!!

من الذى علم الطفل الصغير انه لم يخلق لهذا ؟ إنها العظمة الكامنة داخل نفسه ، والتى ستنداح رويدا ، رويدا حتى تملا الحياة جمالا ، والانفس روعة .

الخُلُق العظيم كان شيمته ، وكان دعوته .

ها هو ذا فى رجولته ، فى انسانيته ، فى تواضعه ، فى شجاعته ، فى جوده ، فى حلمه ، فى إيثاره ، فى تضحياته ، فى زهده وترفعه .. فى كل هذا ، وفى اكثر من هذا نراه العظيم اصدق ما تكون العظمة .. والفاضل أكثر ما يكون الفضل والخلق القويم .

لم يمد رجله وسط أصحابه قط احتراما لهم .. لم يطلب على رسالته وتضحيته اجرا ولا شكورا .. كان حانيا ارق ما يكون الحنو . عطوفا إلى ابعد حدود العطف .

يقول : « أدبنى ربى ، فاحسن تاديبى » .. وماذا ننتظر من إنسان اصطفاه الله لنفسه ، واصطنعه على عينه ، وتولى تربيته وتاديبه .. ؟! وإذ قد كان قدوة ، فقد حرص على ان ينقل الناس إلى معالم هذه القدوة ، وسماتها فقال لهم : « إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخْلاق » ..

وانظروا قوله « لأُتَمِّمَ » ففيها تحية وعرفان للذين سبقوه من المرسلين والمصلحين الذى بثوا من قبله تعاليمهم الاخلاقية الرفيعة وهياوا للناس طريقها المستقيم .

يقف امامه ـ صاغرين ـ جميع الذين شنوا عليه الحرب والبغضاء ومثلوا بجثمان عمه الشهيد « حمزة » رضى الله عنه ومضغوا كبده فى وحشية ضارية ، فيستعرض وجوههم الذليلة ، وجباههم المنكرة الكابية ، ورايات الفتح تخفق فوق راسه ومصاير اعدائه جميعا تقررها كلمة تنفرج عنها شفتاه ، وإذا هو يقـــول : « اذهبوا فانتم الطلقاء » !!!

فلا محاكم لمجرمى الحرب ، ولا حتى عتاب المنتصر للمهزوم او التشفى فيه بل : اذهبوا ، فانتم الطلقاء .. !!

يحلب شاته ، ويخيط ثوبه ، ويخصف نعله ، ويقف بين أصحابه خطيبا فى اخريات حياته ويقول وقد كشف الثوب عن ظهره « من كنت جلدت له ظهرا ، فهذا ظهرى ، فليَقتد منه » حقا ، لقد ادبه ربه فاحسن تاديبه، وصاغ منه الانسان ابهى واسمى ما يكون الانسان !! .

● ● ●

وإنه لشغوف بدعوة الأمة إلى مكارم الاخلاق .. ها هو ذا يقول : « إن المؤمن ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم » .. ويقول : « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه فضل درجات الآخرة ، وشرف المنازل » ..

ويعلم امته ان المسلم للمســـــلم اخ ـ لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ..

واسمعوه ، وهو ينشىء التعايش الودود بين المرء وجاره فيقول :

« إذا استعان بك اعنته .. وإذا استقرضك اقرضته .. وإذا افتقر عدت عليه .. وإذا مرض عدته .. وإذا أصابه خير هناته .. وإذا اصابته مصيبة عزيته .. وإذا مات اتبعت جنازته .. ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا باذنه .. ولا تؤذه بقتار ريح قِدْرِك إلا ان تغرف له منها .. وإن اشتريت فاكهة فاهد إليه ، فان لم تفعل فادخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده » .

اية إنسانية شحِنت بها هذه التعاليم ، واى قلب كبير وخُلُق عظيم وهب اللــه رسوله ؟!

وحين يقال له : إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها ، وصيامها ، غير انها تؤذى جيرانها بلسانها يقول : هى فى النار ..

ويدعو المسلم إلى ان يتحكم فى غضبه وحين يساله احد اصحابه عن عمل يدخله الجنة يقول : لا تغضب ، ولك الجنة ..

ويقول : « ليس الشديد بالصرعة ـ الذى يصرع الناس بقوته ـ إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » .

ويقول لنا جميعا : « الا اخبركم بمن تحرم عليه النار ؟ تحرم على كل هين ، لين سهل » .

ويقول : « شركم سريع الغضب بطيء الفيء ، وخيركم بطيء الغضب سريع الفيء » .

وينهى عن السباب والشتم ويقـــول : « المستبان شـــــيطانان ، يتهاتـران ويتكاذبان » ..

يطارد القسوة ، ويرفض القطيعة ، ويطارد الغرور والصلَف ، وينهى عن سوء الخلق المتمثل فى الغيبة والنميمة والاشاعة ..

ويقول : « شرار عباد الله المشَّاءون بالنميمة ، المفرقون بين الاحبة ، الملتمسون للبرآء العيب » ..

ويسال أصحابه يوما أتدرون ما الغيبة ؟ الغيبة ذكرك اخاك بما يكره ، فساله سائل : ارأيت ان كان فيه ما اقول ؟ فاجابـــــه الرسول : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته .. وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهَتَّه » !!

وما أروعه وهو يقول : « من رد عن عرض أخيه ، رد الله عن وجهه النـــــار يوم القيامة » ..

والخلُق القويم عنده ليس استكانة ولا ضعفا ، بل هو القوة العادلة .



يقول : « المؤمن القوى خير واحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كلٍّ خير » .

ومن اخلاق الرجولة عنده مقاومة الظلم والوقوف فى وجه كل جبار متسلط .

ها هو ذا يقول : « إذا رايتم الظالم ولم تاخذوا على يديه يوشك ان يعمكم الله بعذاب » :

ويقول : « إذا عجزت امتى عن ان تقول للظالم : يا ظالم ، فقد تُوُدِّعَ منها » !!

● ● ●

وبكلمات موجزة ، فقد كان عليه السلام كما وصفه ربه « على خُلق عظيم » وكان كما تحدث عن نفسه ودوره فى الحياة مبعوثا لِيُتَمِّمَ مكارم الاخلاق .. ومع ان الله تَوَّجَهُ وَعَظَّمَه ، فقد كان يرجو من ربه المزيد ، ويقول : « اللهم آت نفسى تقواها . زكّها انت خير من زكّاها . انت وليُّها ومولاها » ..

ويضرع إليه سبحانه فيقول : « اللهم كما حسنت خَلْقى ، فحسّن خُلُقى » . « اللهم اهدنى لأحسن الاعمال واحسن الاخلاق . لا يهدي لأحسنها إلا انت .. وقنى سيىء الاعمال وسيىء الاخلاق ، لا يقي سيئها إلا انت » .

● ● ●

والآية الثانية في مفتاح شخصيته قول الله سبحانه : « وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين » .

وهنا نرى الرحمة كيف تكون ؟ وكيف تصدر عن مستوى من الانسانية يجل عن النظير ..

ولقد تحدث بنعمة الله عليه فقال : « إنما انا رحمة مُهْداة » .

ولقد كان ذلك حقا . فهو رحمة مُهْداة للناس جميعا ـ احمرهم ، واسودهم ، برهم ، وفاجرهم ..

حتى في الحروب يرسل وَصَاتَه العظيمة : « اجتنبوا الوجوه ، لا تضربوها » ـ « لا تقتلوا امراة ولا وليدا ، ولا شيخا ، ولا تحرقوا نخلا ولا زرعا » ..

إنه رحيم حتى بالعُصاة والخطائين . بل هو اكثر رحمة لهم .. وما نهاهم عن الخطيئة والإثم ، ولا خَوَّفهم بعقاب الله عليهما إلا رحمة بالآثمين وشفقة عليهم .

وإنه ليرتجف حين يبصر دابة تحمل فوق طاقتها ويقول : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء » .

وإن الرحمة لتنتشر لديه حتى يغطى دفئها كل مغرور ، وحتى تشمل الاحياء جميعا من إنسان وحيوان ، بل وحشَرات .

وفي المواطن التى تعظم الحاجة إليها يركّز إلحاحه عليها ـ فهو مثلا إذا حث على الرحمة بالطفل يركز بصورة اشد على الطفل اليتيم او اللقيط .

وإذا حث على الرحمة بالحيوان وهو يعمل ، ركز بصورة اوفى على الرحمة به وهو يذبح !!

ويقول : « إذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة ، وليحد احدكم شفرته ، وليرح ذبيحته .. واخفوا السكين حتى لا تراها » !!!

وإنه ليحصى الكثير من صور الرحمة ثم يقول : « ما من عبد يصيب خصلة من هذه الخصال إلا أَخَذَتْ بيده حتى تُدخله الجنة » ..

ومن رحمته الوارفة يوصي القويَّ بالضعيف ، والغنيَّ بالفقير ، والدائنَ بالمدين .

لنسمعه يقول : « من يَسَّرَ على مُعْسِرٍ فى الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه ، ومن انظر معسرا او وضع عنه ـ اي تنازل عن دينه او عن بعضه ـ اظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله » .

ويرى اما تضم رضيعها فى حنان بالغ ، فيسال اصحابه : اترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ قالوا : لا والله يارسول الله ، فيقول : والذي نفسي بيده لله ارحم بعبده المؤمن من هذه بولدها ..

● ● ●

والآية الثالثة لمفتاح شخصيته هي قوله تعالى : « لستَ عليهم بِمُسَيْطِر » ، وقبل هذه الآية مباشرة يقول الله له : « فذكّرْ ، إنما انت مذكر » اي انه نذير وبشير ليس اقل ولا اكثر .

وهذا من تمام خلقه العظيم وخصاله المتالقة إنه يكره التمايز في كل صوره حتى انه ليرفض أن يقوم له أصحابه حين يقدم عليهم وهم جلوس ، ويقول لهم : « لا تقوموا كما تقوم الاعاجم ، يُعَظِّمُ بعضُهم بعضا » .

وهو يستشيرهم في كل امر يتعلق بالدولة وبالمجتمع ، حتى فى الحروب ، ويلتزم بمشورتهم ، ويقول دوما لأصحابه : « إني اكره ان اتميز عليكم » .

وكيف يكون مسيطرا هذا الذي يبلغ من بساطته وتواضعه أن يجذبه أعرابي من ثوبه ويقول له : اعدل يا محمد ، فليس المال مالك ولا مال ابيك ، فما يزيد على ان يقول له : ويلك ، فمن يعدل إن لم اعدل !! ويهم « عمر » بضرب الاعرابي فيمنعه الرسول قائلا : دعه يا عمر .. إن لصاحب الحق مقالا .

إنه عليه السلام ليكره السيطرة والهيمنة ، ولاسيما حين تجيء من ذى سلطان جائر .

من اجل ذلك قال يعلمنا : « افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » ، وقال : « سيكون بعدى من يظلمون ويكذبون ، فمن صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم ، فليس منى ولا انا منه .. ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يمالئهم على ظلمهم فهو منى وانا منه » .

هو عدو السيطرة ايا ما يكون مصدرها : « إن الله اوحى إليَّ ان تواضعوا حتى لا يفخَرَ احد على احد ، ولا يبغى احدٌ على احد » ... « الا اخبركم بشر عباد الله ؟ الفظ المستكبر » !!

وإنه ليدمدم على المزهوين بقوتهم ، المختالين بسلطانهم فيقول : « بئس العبد عبد تخيّل واختال ، ونسي الكبير المتعال .. بئس العبد عبد تجبَّر واعتدى ، ونسي الجبار الأعلى .. بئس العبد عبد طغى وبغى ، ونسي المبدا والمنتهى » .

● ● ●

هذه كلمات عن شخصيته ..

شخصية رسول اصطفاه الله لنفسه ، ثم جعله هديته الى البشرية ورحمته للعالمين .

شخصية رسول جاء الحياة فاعطى ولم ياخذ ومنح عمره وجهاده لرسالته .. ويوم مات لم تكن الدنيا كما كانت يوم جاءها . فقد نقلها من الظلمات الى النور ، ومن الضلال الى الهدى ، وترك فيها نوره وشذاه .

خالد محمد خالد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com





http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم : دكتور محمد عمارة

فى الحديث عن حقوق المرأة وتحريرها دعوات كثيرة تدعو الى اعادة النظر فى التجربة التى دخلتها بلادنا فى هذا المضمار ...

فليس من شك فى أن المرأة قد ذهبت على هذا الدرب الى ابعد مما طمح اليه الرواد الذين ارتادوا الدعوة الى تحريرها منذ نحو قرن من الزمان ... فالحجاب الشرعى ، الذى دعا اليه قاسم امين فى كتابه (تحرير المرأة) والذى يحررها من ملازمة المنزل ، ويحكم زيها باطار الاسلام ، فلا تكشف إلا الوجه والكفين .. هذا الحجاب قد تجاوزته المرأة المسلمة عندما ذهبت فى تقليد المرأة الغربية الى الحد الذى لم تميز فيه بين « الحرية » وبين « التحلل » من الالتزام بالمواريث والعادات والتقاليد التى لا خلاف على نفعها وعائدها الايجابى فى بناء المجتمع وتاسيسه على الطهر والعفاف ! ..

وعمل المرأة الذى دعا اليه رواد تحريرها ، ليصون عفتها ، ولتسهم به فى تنمية المجتمع مع الرجل ، ولتملأ به حياتها كى لا يقتل الفراغ ادميتها .. هذا العمل قد جار فى احيان كثيرة على تماسك الأسرة وتربية الأجيال الجديدة ، وتحول فى كثير من الأحيان الى تزجية فراغ خارج المنزل ، فى دواوين ومكاتب لا عمل فيها ، الأمر الذى افقد المنزل ربانه والأسرة راعيتها ، دونما عائد فى العمل الاجتماعى او مردود فى تنمية المجتمعات اقتصاديا ! ..

تحرير المرأة
وماذا يعني في الإسلام ؟

ولقد اثارت هذه السلبيات ردود فعل حادة معادية لدعوة تحرير المراة من الاساس .. فظهرت دعوات المبالغة والمغالاة فى الحجاب ، وبرزت المطالبة باعادة المراة الى المنزل لرعاية شئونه والتفرغ لتربية الاولاد .. وهكذا جاء رد الفعل على نفس المستوى من القوة » والتجاوز » للحدود ! .. فذهاب المراة الى ابعد من حدود » الحرية » و » التحرير » ، الى حيث » التحلل » من الالتزام بالشرائع والاعراف والمواريث النافعة والبناءة ، يثير اليوم دعوات الى الغاء المسيرة برمتها والانجاز من الاساس !

واذا كان الافراط مذموما فان التفريط هو الاخر مذموم .. وامام تجاوزات شرائح من قطاع المراة العربية والمسلمة ، غير مستساغ الذهاب فى ردود الفعل الى حيث تلغى مسيرة المراة على درب تحررها من قيود العصور الوسطى برمتها .. وغير مستساغ اكثر واكثر ان تكون الدعوة الى هذا التراجع قائمة باسم الاسلام ... وانما المستساغ والمطلوب هو الاحتكام الى الاسلام فى هذه القضية ، بطرح السؤال : ماذا يعنى الاسلام بالنسبة لتحرر المراة وتحريرها ؟؟ ..

●●

ان الاسلام الذي جاء فحرر الانسان عموما رجلا كان او امراة ، قد اولى تحرير المراة من قيودها القديمة والتقليدية ، عناية خاصة ذلك لان قيودها ومواريثها الخاصة قد دعته الى ابراز ما قرر لها من حقوق وحريات فلم تعد مجرد متاع للرجل واداة للهوه واستمتاعه.

وانما ارتقى الاسلام بنوع العلاقة الانسانية والاجتماعية التى تربطها بالرجل ... فعلاقة المودة والبر بين الأم وولدها يعلو سلطانها على سلطان الاتفاق فى المعتقد الدينى .. وصدق الله العظيم إذ يقول : (وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا، وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وصاحبهما فى الدنيا معروفا) (٢) .

وعلاقة المراة الزوجة بالرجل الزوج هى : المودة والرحمـــة ، بل انهــا هى » السكن » الذى يسكن اليه فى هذه الحياة ! .. (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (٣) .

الشيخ محمد عبده

وفى الحقوق والواجبات تستوى المراة بالرجل فى نظر الاسلام : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (٤) ... حتى ليقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م) فى تفسيره لهذه الآية :

» انها كلمة جليلة جدا ، جمعت ، على ايجازها ، ما لا يؤدى بالتفصيل إلا فى سفر كبير ، فهى قاعدة كلية ناطقة .. بان المراة مساوية للرجل فى جميع الحقوق ، إلا امرا واحدا عبر عنه بقوله : (وللرجال عليهن درجة) .. وقد احال فى معرفة ما لهن وما عليهـن على المعـــروف بين النـاس فى معاشراتهم ومعاملاتهم فى اهليهم ، وما يجرى عليه عرف الناس هو تابع لشرائعهم وعقائدهم وادابهم وعاداتهم . فهذه الجملة - (الآية) - تعطى الرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجه فى جميع الشئون والاحوال فاذا هم بمطالبتها بامر من الأمور يتذكر أنه عليه مثله بازائه . ولهذا قال ابن عباس ، رضى الله تعالى عنهما : » إننى لاتزين لامراتى كما تتزين لى ، لهذه الآية » ! . وليس المراد بالمثل المثل باعيان الاشياء واشخاصها ، وانما المراد ان الحقوق بينهما متبادلة ، وانهما اكفاء ، فما من عمل تعمله المراة للرجل إلا وللرجل عمل يقابله لها ، إن لم يكن مثله فى شخصه فهو مثله فى جنسه فهما متماثلان فى الحقوق والأعمال ، كما انهما متماثلان فى الذات والاحساس والشعور والعقل ..

اما » الدرجة » التى اعطاها الاسلام للرجل على المراة بقول قرانه الكريم فى اية المســـاواة هـــذه : (وللرجـــال عليهـن درجة) فانها تقف عند اعطاء العنصر الاكثر خبرة ووعيا وامكانية وتمكنا حق الفصل فى المشكلات التى تاهل اكثر من سواه للقول الفصل فيها ، وذلك ضمانا للتنسيق فى الأسرة ، بايجاد الربان الذى سوف يقود سفينتها وسط العواصف والانواء ! .. » فالقوامة هى الرياسة التى يتصرف فيها المرؤوس بارادته واختياره .. ذلك ان المراة من الرجل والرجل من المراة بمنزلة الاعضاء من بدن الشخص الواحد ، فالرجل بمنزلة الراس والمراة بمنزلة البدن ! .. اما الرجال الذين يحاولون بظلم النساء ان يكونوا سادة فى بيوتهم فانهم إنما يلدون عبيدا لغيرهم ؟ !! ... »

●●

صحيح ان الاسلام يقرر للانثى ، فى حالات معينة ، نصف ما للذكر من نصيب فى الميراث ، ولكن هذا التمييز المالى لا يعكس انتقاصا من حرية الانثى وحقوقها ، بل لا نغالى إذا قلنا إنه ، هنا ، يزيدها تكريما وامتيازا وتحريرا ؟! .. فهو قد قرر لها الشخصية المالية المستقلة ، فسبق بذلك حضارات الدنيا باسرها من عشرة قرون ، ثم تبنى عرف العصر الذى ظهر فيه ، فالزم الرجل وحده بالتبعات المالية اللازمة للأسرة ذكورا وإناثا .. فكان ما زاد فى نصيبه من الميراث إنما حق لينفق منه على الأنثى التى الزمه الشرع بكل نفقاتها ، ضرورية أو كمالية كانت تلك النفقات ! .. اما نصيبها هى فانه قد تقرر لها دون الزام عليها بالانفاق منه فى شركة الزوجية !..

ثم إن هذه الزيادة للرجل عن المراة فى الميراث ليست موقفا عاما ، ففى حالات كثيرة يزيد نصيب المراة الوارثة - مثل الابنة - عن الرجل - مثل الأب - يشاركها فى الميراث

وعلى كل ، فان الاسلام لم ينظر ، كموقف عام وثابت ، الى التمييز بين الناس فى الأمور المالية كمعيار للتمييز بينهم فى القدر والقيمة ودرجة الحرية .. فالرسول ، عليه الصلاة والسلام ، وأبو بكر الصديق ، رضى الله عنه كانا يلتزمان بمبدأ التسوية بين الناس فى » العطاء » باعتباره » معاشا » لا علاقة له بالاقدار والمراكز والفضـــل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والمفاضلات .. ثم جاء عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، فميز بين الناس فى « العطاء » عندما توفرت الاموال وكثرت بعد الفتوحات .. ثم عاد علي بن ابى طالب كرم الله وجهه ، الى نظام التسوية .. وعلى عهد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، كانت « الحاجة » تحكم ، فى احيان كثيرة ، مقادير الانصبة فى توزيع الغنائم ، دون ان يكون للتمييز والتمايز المالى اية علاقة بالاقدار والمراكز الخاصة بالصحابة الذين تفرض لهم السهام فى هذه الاموال .. ولقد اعطى الرسول المهاجرين الفقراء غنائم هوازن ـ يوم حنين ـ ولم يعط الأنصار ـ إلا رجلين فقيرين منهم ـ .. بل لقد اعطى « المؤلفة قلوبهم » من هذه الأموال ما لم يعطه لاحد من الذين سبقوا الى الإسلام وصنعوا بتضحياتهم دولته وانتصارات دعوته وعقيدته .. فالتمييز المالى للرجال ، احيانا ، فى الميراث ، امر من امور « المعاش » ، لا ينهض دليلا على انتقاص ما قرر الاسلام للمراة من حرية ، وما شرع لها من مساواة بالرجل .

●●

وصحيح ، ايضا ، ان القرآن الكريم يقرر فى إحدى آياته أن شهادة امراتين تعدلان شهادة رجل واحد .. ولكن المتامل والمتدبر لهذه الآية الكريمة يدرك انها قد راعت تلك المرحلة التطورية التى كانت تمر بها المراة يومئذ .. وهى مرحلة كانت محرومة فيها من خبرات المعاملات المالية والتجارية المعقدة ، بسبب حرمانها من الشخصية المالية المستقلة ، فجاء القرآن الكريم ، مراعاة لتخلفها وضعف ذاكرتها فى هذا الميدان ، ليقرر ان شهادتها فى الدَّيْن ، الذى يحتاج إثباته الى دليل كتابى لا تساوى شهادة الرجل .. فليس فى الامر انتقاص من قدرها وحريتها ، وانما فيه موقف واقعى يلائم بين « الحق » وبين « الامكانيات » .. فهو رجل فى باب ربط « الحقوق » بالامكانيات المترتبة على نظام التخصص .. وهى علة وقصد يفتحان باب التطور والتنمية « للحق » بتطور « الامكانيات » ونموها ..

ثم .. هل يستوى الرجال فى الذاكرة والتذكر وفى الامكانيات والقدرات ؟ انهم لا يتساوون ، ومن ثم تتفاوت حقوقهم دون ان يعنى هذا التفاوت انتقاصا من مساواتهم فى الحرية التى قررها لهم الاسلام .

ذلك هو موقف الاسلام من التمييز بين شهادة الرجل وشهادة المراة فى ذلك الموطن المحدد والخاص من مواطن الاشهاد .. ويتاكد هذا الذى نقول إذا نحن تدبرنا آية القرآن الكريم التى تتحدث عن هذه القضية فتقول : « يَا أَيُّهَا الذين آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ الى اجلٍ مسمًّى فاكتبوه ، ولْيَكْتُب بَيْنَكم كاتِبٌ بالعَدْلِ ، ولا يَأْبَ كاتبٌ ان يَكْتُبَ كما علَّمه الله ، فليكتبْ ولْيُمْلِلِ الذى عليْه الحقُّ وليتّقِ اللهَ ربَّه ولا يَبْخَسْ منه شيْئا ، فإنْ كانَ الذى عليْه الحقُّ سفيهاً او ضعيفاً أَوْ لا يسْتَطِيع أن يُمِلَّ هو فليُمْلِلْ وليُّه بالعَدْلِ ، واستشْهِدُوا شَهيدَيْنِ من رِجالِكُمْ ، فإن لَّم يكونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وامْرأتانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ من الشُّهَداءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فتُذكِّرَ إِحداهُما الأُخْرى ، ولا يَأْبَ الشُّهداءُ إذاما دعوا ولا تَسْأَمُوا أن تكْتُبُوهُ صَغيراً أَوْ كبيراً إلى أَجَلِه ، ذَلِكُم أقسَطُ عِنْدَ اللهِ وأقْوَمُ للشَّهادةِ وأَدْنَى ألاَّ ترتَابُوا ، إلاَّ أن تَكُونَ تِجارةً حاضِرةً تديرونَها بينكم فليس عليكم جُناحٌ أَلاَّ تكتبُوها ، وأَشْهِدُوا إذاتبايَعْتُمْ ، ولا يُضارَّ كاتِبٌ ولا شهيد ، وإنْ تَفْعَلُوا فَإنَّه فُسُوقٌ بكُمْ ، واتَّقُوا اللهَ ويُعَلِّمُكُمُ اللهُ ، واللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » (٥) .

فليس فى الامر « تمييز طبيعى » و « دائم » ولا « تمييز مطلق » ، بحكم الجنس والنوع ، ينقص من قدر المراة وما قرر لها الاسلام من حرية ومسئولية وحقوق ..

ويشهد لذلك ويؤكده ما كتبه الامام محمد عبده فى تفسير لهذه الآية ، فقال : « لقد تكلم المفسرون فى هذا (التمييز بين شهادة المراة وشهادة الرجل فى الدين) ، وجعلوا سببه المزاج ، فقالوا : ان مزاج المراة يعتريه البرد فيتبعه النسيان ، وهذا غير متحقق ، والسبب الصحيح : أن المراة ليس من شأنها الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها من المعاوضات ، فلذلك تكون ذاكرتها ضعيفة ، ولا تكون كذلك فى الامور المنزلية ، التى هى شغلها ، فانها اقوى ذاكرة من الرجل ، يعنى أن من طبع البشر ، ذكرانا واناثا ، ان يقوى تذكرهم للامور التى تهمهم ويكثر اشتغالهم بها ، ولا ينافى ذلك اشتغال بعض نساء الاجانب فى هذا العصر بالاعمال المالية ، فانه قليل لا يعول عليه ، والاحكام العامة انما تناط بالاكثر فى الأشياء وبالأصل فيها .. » .

فاذا اشتغلت المراة بالمعاملات المالية وكثرت ممارساتها لها ، وقويت ذاكرتها على وعى قضايا هذه المعاملات ، تطورت الاحكام الشرعية الخاصة بشهادتها فيها ، إعمالا للقاعدة الشرعية القاضية بدوران الأحكام مع عللها وتغيرها بتغير الاسباب والمقتضيات والظروف والملابسات ..

●●

تلك هى نظرة الاسلام للمراة .. وهذه هى المعايير التى يجب الاحتكام اليها عندما تدعو الحاجة الى مراجعة المواقف والانجازات التى حققتها المراة على درب تحررها ، يستوى ما كان ايجابيا منها وما هو داخل فى اطار السلبيات ..

فالتسوية بين الرجل والمراة هو جوهر موقف الاسلام ، لانهما ـ وفق عبارة الامام محمد عبده ـ : « **متماثلان فى الحقوق** والاعمال ، كما انهما متماثلان فى الذات والاحساس والشعور والعقل » .. وما قوامة الرجل على المراة إلا رياسة تقتضيها سنة الكون والفطرة التى فطر الله الناس عليها بان تتم المشاورة فى مجتمع الاسرة ، فالتنسيق ، ثم يكون للسفينة ربان تؤهله خبراته وتجاربه وما يقدم لهذا المجتمع الصغير من عطاء ، فالحقوق ، هنا ، نابعة ومرتبطة بالامكانيات والواجبات ! .. وتجاوز الحدود التى رسمها الاسلام لصلاح الفرد والأسرة والأمة ضار ومنهي عنه ، ليستوى فى ذلك ان يكون التجاوز من الرجال او النساء ! ..

د. محمد عمارة

هوامش

(١) سورة العنكبوت . اية (٨)
(٢) سورة لقمان . اية (١٥)
(٣) سورة الروم . اية (٢١)
(٤) سورة البقرة . اية (٢٢٨)
(٥) سورة البقرة . اية (٢٨٢) .

في تفسير عظمة الأدب

جناحان للعمل الأدبي العظيم.. لا يحلق بدونهما

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

فى غياب الاعمال الادبية والفنية العظيمة عن مسرح الثقافة العربية هذه الايام ، نشعر بشوق كبير الى الحديث عنها، إن لم يكن عن اعمال منجزة ملموسة ، فعن بعض الشروط الجوهرية التى لابد أن تتوفر فى اى عمل ادبى او فنى ليكون ادبا وفنا عظيما .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقد اريق حبر كثير فى النقد الادبى والاجنبى ، قديما وحديثا ، لتحديد مواصفات العمل الادبى الجيد ، وبذلت جهود كبيرة لرسم معالم الطريق .. كما قامت مجابهات ساخنة حول طبيعة هذه المعالم مازالت اصداؤها تتردد .. ولكن ، كما فى التاريخ ، يأتى فجاة عمل ادبى عظيم جديد ليقلب المقاييس ، ويفرض إعادة نظر جديدة ، تماما كما يحدث للمؤرخين وفلاسفة التاريخ عندما يفاجاون بانعطاف تاريخى فذ غير متوقع ـ حسب مواصفات الفكر التاريخى الذى سبقه ـ فيبداون من جديد بدراسة الحدث الانبثاقى المفاجىء ليروا اين يتفق فى جوهره مع قوانين التاريخ العامة ، وما الجديد الذى يضيفه اليها تكميلا او نقصا ، لان كل حدث جديد فى التاريخ والادب والحياة الانسانية بعامة هو تكملة ونقض فى وقت واحد ، تكملة لما هو جوهرى خالد ، ونقض لما تجاوزه تقدم الانسانية . فلو تاملنا على سبيل المثال فى جوهر الانعطاف الاسلامى فى تاريخ البشرية ، لوجدنا ان ظهور الاسلام كان تكملة من ناحية للعناصر الايجابية فى الحياة العربية وفى تراث الديانات التى سبقته ، وكان نقضا فى الوقت ذاته لعناصر التخلف والزيف فى تلك الحياة وتلك الديانات .

وعلى صعيد التاريخ الادبى عند العرب نجد ان عبقرية ابى الطيب المتنبى تمثل استيعابا مكثفا لعبقرية اللغة العربية منناحية ، ونقضا لمدرسة الصنعة التى سادت العصر العباسى قبل المتنبى وحتى زمنه ، من ناحية اخرى .

وعليه ، فيمكننا القول ، ان اى عمل عظيم لا يمكن ان يكون مجرد استمرار لما سبقه ، لانه فى هذه الحالة تقليد غير مبدع ، كما لا يمكنه ان يكون مجرد نقض خالص ، لانه فى هذه الحالة تمرد اعتباطى ينقض الجيد والردىء فى وقت واحد فيصبح من عناصر الهدم دون بناء . ولو تاملنا فى الاعمال الرديئة التى تغرق الثقافة العربية هذه الايام ـ فى المسرح والتلفزيون والادب ـ لوجدناها تتراوح بين هاتين الحالتين : إما تقليد بليد لما سبق ، وإما تمرد اخرق عليه ! ..

ما يهمنا هنا ليس هذا النوع من الاعمال فلدينا منها الكثير ولكن ما يهمنا هو ذلك النوع النادر الذى نفتقد وننتظر .

ومن النظر فى عدد غير قليل من الاعمال الادبية العظيمة والخالدة فى التاريخ ، يبدو لنا ان هناك شرطين جوهريين لابد من توفرهما فى وقت واحد وبشكل عضوى لاى عمل ادبى عظيم .

البناء المادى

الشرط الاول هو سلامة البنـاء المادى الحسى للعمل ، او صورته الحسية التى تتراءى لكل الانظار والتى يستطيع ان



ابو الطيب المتنبي



ابو العلاء المعري

يبصرها ويفهمها ، ويتذوقها الناس العاديون على اختلاف مستوياتهم ، والتى لا يختلف فى النظر اليها ـ فى حدودها الحسية هذه ـ الانسان العادى والناقد المتذوق والفيلسوف المحلل فهى امامهم سواء من حيث هى مادة وصور وشخوص واحداث والوان واضواء واصوات ، وصيرورة متجسدة فى الواقع المحسوس .

وإذا اردنا استخدام قاموس المتصوفة فى الحديث لقلنا إن هذا الجانب يمثل جانب «الظاهر» ـ بعكس «الباطن» ـ اى الجانب الذى يكشف ذاته بجلاء للحواس البشرية لانه هو ذاته مظهر حسى ملموس ومحسوس لا يختلف فى رؤيته وفهمه احد .

إن اقامة هذا البناء الحسى الظاهرى فى العمل الأدبى مسالة اساسية ولا يمكن التقليل من ضرورة العناية بها بحجة عمق الفكرة التى وراء البناء الحسى ، او شرف المعنى الكامن وراء العمل . فالمعنى الجيد بلا مبنى متين صلب،يصبح فكرة رخوة هلامية لا تعمر طويلا فى ذاكرة الاجيال ، مهما كانت هذه الفكرة سامية . وانظر الى معظم شعر ابى العتاهية الوعظي ، وبعض شعر ابى العلاء الحكمى والفلسفى تجد المعانى بلا مبان والباطن بلا ظاهر ، فتتامل الافكار المجردة ببرود ذهنى دون ان تهزك الصورة وتثيرك المشاعر الحية المتجسدة لانه ليس هناك من تصوير وتجسيد حى من عالم التجربة المحسوسة للانسان ، هذا العالم التجريبى الحسى وحده هو الذى يستطيع أن يتشارك فى الاحساس به جميع الناس ، والذى يستطيع الابداع الادبى ان ينفذ من خلاله ـ ومن خلاله وحده ـ الى عالم الناس الواسع ، والى وعي الانسانية ككل فيصبح باقيا وخالدا وواسع الانتشار .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والاديان تمدنا بدليل واضح وحاسم على صدق ذلك .

فالايمان بالله واليوم الآخر ومناقب الأخلاق ـ هذه الافكار السامية المجردة ـ تطلّب إيصالها الى وعي البشر ظهور رجال منهم «ياكلون الطعام ويمشون فى الاسواق» ويحيون كما يحيا الاخرون فى عالم المادة ويتنفسون كما يتنفس الآخرون ويموتون كغيرهم .

أضف الى ذلك ان تعاليم هؤلاء الانبياء البشر على تساميها الميتافيزيقى خاطبت عقول البشر بما تفهمه وما يقرب من تصوراتها فجاءت الكتب الدينية حافلة بالامثال الحية ـ إن الله لا يستحى ان يضرب مثلا .. ـ وبالصور الحسية ، حتى فيما تعلق باوضاع النعيم والجحيم ، وذلك لتستوعب كل نفس بشرية حقيقة الامر بصورة تملا عليها كافة جوانبها ، فتحيا عن بينة وتموت عن بينة .

ويلاحظ علماء الاجتماع بهذا الصدد ان ملايين البشر فى كل الاصقاع ـ من متقدمة ومتخلفة ـ تزداد حرارة تجربتها الدينية من خلال تفاعلها مع السير الحية للانبياء والصالحين والقديسين ومع الاماكن المقدسة ، وكل ما هو محسوس ظاهرى فى معالم الدين ، بينما الصفوة المختارة هى التى تستطيع الارتقاء الى معانى الدين المجردة ، متجاوزة عالم الظاهر والحس .

وهنا نصل الى الجانب الآخر من الصورة ، والى الشرط الجوهرى الثانى من شروط العمل العظيم .

الشرط الثانى

فكما ان المظاهر المحسوسة فى التجربة الدينية تستمد عظمتها وخلودها من «المحتوى» و «الجوهر» الذى ترمز اليه ، فان الصورة الحسية فى العمل الأدبى يجب ان تحمل فى صلبها شيئا من ذلك المحتوى الخالد ، وان تغرف من بحره . ولا اعنى هنا ان تكون بالضرورة ذات مضمون دينى ، وإنما قصدت ان يكون فى جوهرها ما يشبه النار الخالدة المتوقدة التى تتجاوز حدود المصباح او القنديل (الصورة الحسية) لتضيء مسافات ابعد من دائرته المكانية والزمانية المحدودة بحدوده المادية.

وهذا يتطلب ان يكون فى بنائها الحسى ذاته ، مؤشرات وايماءات وايحاءات موضوعة باتقان شديد ضمن حنايا البناء الحسى ، تاخذ بيد القارىء شيئا فشيئا الى الافق الفسيح الرحب الذى يطل عليه ذلك البناء كالنوافذ الموزعة توزيعا محكما بحيث تطل على اجمل واروع ما يحيط

في تفسير عظمة الأدب

جناحان العمل الأدبي العظيم.. لا يحلق بدونهما

بالبناء من عمق وامتداد ورحابة وتستوعب اغزر ما يصله من ضياء .

وهذا «مفصل» مهم ـ ' مفاصل الكائن الادبى وبه يتقرر قدر كبير من نجاحه او اخفاقه .

فهذه المؤشرات والايماءات إن كانت غامضة اكثر مما يجب ، افسدت الصورة الحسية للعمل الأدبى وجعلتها تشويشا سورياليا من ناحية ، كما افسدت امكانية الوصول الى «المعنى الخفى» وراء المبنى ، واضاعت الاثنين : المبنى والمعنى ، او الصورة والمحتوى .

وهذا ما يحدث لأعمال الادباء الشباب فى العالم العربى اليوم . فهم يحملون افكاراً وتجارب جديرة بالاهتمام ، ولكنهم يقدمونها فى «مبنى» شديد التعقيد ، شديد الغموض ، فينفر الناس من صورة العمل الحسية ، ولا يصلون بطبيعة الحال الى الجوهر او المحتوى الذى يراد الايحاء به من ورائها .

اما إذا جاءت المؤشرات والايماءات واضحة اكثر مما ينبغى ، وقع العمل الفنى فى التبسيطية والمباشرة والتسطيح ، وتضاءلت ابعاده الماورائية ، وقصرت اجنحته فلا يستطيع تحليقا الى سماء الكشف الخصب .

من هنا الاهمية البالغة لاقتصاد الاديب فى استخدام الرمز والاشارة ، بحيث يحافظ على المستويين فى عمله ، المستوى الحسى الظاهر والمستوى الخفى الباطن ، منفصلين ومتصلين فى وقت واحد : منفصلين بمعنى ان تبقى الصورة الحسية مستقلة بذاتها ، مكتفية بعناصرها ، يستطيع ان يبصرها الانسان العادى ، فيستمتع بها ويفهمها فى حدودها الظاهرة، وان لم يستطع النفاذ الى كل معانيها الخفية على المستوى الفوقى او الباطنى .

وعلى سبيل المثال فان رواية «الطريق» لنجيب محفوظ يمكن للقارىء العادى ان يقراها ، فى صورتها الظاهرة ، كرواية عاطفية بوليسية ممتعة جدا ، ومفهومة ، دون ان يصل بالضرورة الى مستواها الثانى ، ووجهها الآخر الباطن ، من حيث هى رمز للانسان الباحث عن الله ، او عن الكائن السماوى ، على «طريق» هذه الحياة الوعرة والشاقة والغامضة .

فى هذا العمل الادبى الجيد ، نجد المستويين منفصلين ومتصلين فى الوقت ذاته . ونجد المؤشرات والايحاءات الرمزية مقتصدة وذكية ، بل وماكرة ! بحيث تسمح بالقراءتين ، القراءة الأولى الروائية ، والقراءة الثانية الفلسفية ، كل قراءة منهما متوازية مع الاخرى ، ولكن غير متداخلة معها ، فهما مستقلتان ومتحدتان ـ فى وقت واحد ـ بمفصل فنى مرن ودقيق لا تراه إلا العين المبصرة ، كثنائية الأشياء الملتقية فى وحدة الوجود او كالاقانيم الثلاثة المتحدة فى الواحد بسر خفى ...

هذه الثنائية فى تكوين العمل الادبى ، وهذه العلاقة الدقيقة التوازن بين طرفيها ، هى الشرط الاهم فى رأينا المتواضع لأى عمل أدبى وفنى عظيم .

إن مسرحيات شكسبير يمكن ان تشاهدها الجماهير فى مختلف الازمنة والأمكنة فتستمتع بتكوينها المسرحى الحسى المتقن دون ان تعي بوضوح ابعادها الفلسفية والكونية المتناهية .. وان كانت تدرك بالغريزة الانسانية الفطرية ما يطل من وراء الصورة المسرحية الشائقة من معان خالدة .

اما النقاد والمفكرون فيجدون ، بعد استمتاعهم بصورها الحسية ، تلك المفاتيح التى تؤدى بهم الى فتح الأبواب الموصدة فيطلون على ذلك العالم الشكسبيرى الباطن الذى لا يقل روعة عن عالم كبار الرائين والقديسين والفلاسفة .

وبهذه «الثنائية» تسافر مسرحيات شكسبير من بلد الى اخر ، ومن زمن الى اخر ، ومن جيل الى جيل ، دون أن تفقد جدتها او عظمتها .

من هنا ليس صحيحا على الاطلاق ، ما يتعلل به بعض ادبائنا «البرج ـ عاجيين» من ان العمل الادبى العظيم لا تدركه الجماهير ولا يمكن ان تتذوقه جموع الشعب .

ان الجماهير تدرك بفطرتها الصافية المغزى الخفى وراء العمل العظيم وإن يكن بنوع من الادراك الغريزى المبهم ، شرط ان يكون «مبنى» العمل متقنا ومتوازنا مع معناه الخفى .

الأدب الظاهرى

وهذه الحقيقة تفسر لنا كيف نفذت الكتب الدينية العظيمة الى اعماق الجماهير غير المتعلمة ، وكيف ادركت هذه الجماهير بفطرتها المعانى الماورائية الكبرى الكامنة وراء الرموز والصور فى القصص الدينى والتعاليم الدينية .

وإذا كان الخالق العظيم قد خاطب العباد بهذا الأسلوب الجامع بين الظاهر والباطن ، مراعاة لطبيعتهم وتكوينهم وافهامهم ، افلا يجدر بالفنان ، وهو مبدع صغير يستهدى بعمل خالقه ، ان يتعلم من هذه الأمثولة بتواضع ؟

هذا إذا اراد ان يقدم عملا عظيما بالفعل ...

اما إذا اراد ان يمتهن الفن امتهانا فبامكانه عندئذ ان يحبك من الروايات ما





وليم شكسبير



اجاثا كريستي

يشاء فى حدود الحس الظاهرى كما فعلت «اغاثا كريستى» فى رواياتها البوليسية التى تقف عند الظاهر دون اى ايحاء اخر ..

او ان يتحول واعظا كما فعل ابو العتاهية بمعانيه الملقاة على قارعة الطريق دون تجسيدها فى صور فنية باقية متميزة .

من النوع «الظاهرى» الاول قول الشاعر العربى :

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجَةٍ
وَمَسَّحَ بِالأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنَا
وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيِّ الأَبَاطِحُ

فصورة «سالت باعناق المطيّ الاباطح» هى بلا جدال صورة متحركة حية مثيرة لمنظر الجمال والنوق وهى تمثل سيلا مندفعا باعناقها الطويلة مع سرعة السير ... ولكن !

ولكن هل توحى هذه الصورة بشىء ما وراءها ؟

هذه صورة ظاهرية جميلة جداً ، لكنها تفتقد الغنى الباطنى . ونحن نقبلها من الشاعر فى حدودها الظاهرية التى أبدع فيها ، ونقول له هذا عمل حسن لكنه لا يمثل نواة لعمل عظيم !

لان العمل العظيم يطل بنا على ما هو ابعد من الاباطح السائلة باعناق المطىّ .. على ما فى الصورة من إتقان الريشة .

على الجانب الآخر يقول لنا شاعر المعرة :

بَلَوْتُ أُمُورَ النَّاسِ مِنْ عَهْدِ آدَمٍ
فَلَمْ أَرَ إِلا هَالِكًا إِثْرَ هَالِكِ
إِذَا كَانَ هَذَا التُّرْبُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
فَأَهْلُ الرَّزَايَا مِثْلُ أَهْلِ المَمَالِكِ

هذا هو نقيض النموذج الظاهرى الحسى . إنه نموذج «معنوى» بلا جسد حي ولا تقاطيع حلوة ولا ملامح متميزة .

فعلى عمق الفكرة هنا ـ مقابل جمال الصورة هنك ـ لا نجد ان هذين البيتين خَلَقَا كائنا فنيا حيا متميزاً ، باقيا على مر العصور وكم من حكيم كرر هذا المعنى او ما يقرب منه بشكل اجود او اقل جودة .

وهذا النمط الذهنى التجريدى هو اكثر ما يضر بالشعر العربى فى العصر الحديث لأنه عصر الصورة المتجسدة الناطقة وعصر الوسائل السمعية ـ البصرية المتقنة "Audio-Visuel" . انه عصر تعود فيه الناس على تلمس المعنى ، اى معنى ، من خلال الصورة الناطقة والمحسوسة والملموسة قبل كل شىء ، وهذا ما يجب ان يتذكره اى اديب عربى يطمح اليوم لمخاطبة العالم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطريق الصعب

اما الطريق الوسط الصعب بين الصورة الظاهرة : «وسالت باعناق المطىّ الاباطحُ» وبين المعنى الذهنى المجرد : «فاهل الرزايا مثل اهل الممالك» : الطريق الوسط الصعب ـ طريق الأدب العظيم ـ فيرتسم فى الأبيات التالية للشاعر العربى العظيم ابن الفارض :

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ الحَبِيبِ مُدَامَةً
سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الكَرْمُ
وَلَوْلا شَذَاهَا مَا اهْتَدَيْتُ لِحَانِهَا
وَلَوْلا سَنَاهَا مَا تَصَوَّرَهَا الوَهْمُ
يَقُولُونَ لِي صِفْهَا ، فَأَنْتَ بِوَصْفِهَا
خَبِيرٌ ، أَجَلْ عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا عِلْمُ
وَعِنْدِيَ مِنْهَا نَشْوَةٌ قَبْلَ نَشْأَتِي
مَعِي أَبَداً تَبْقَى وَإِنْ بَلِيَ العَظْمُ
عَلَى نَفْسِهِ فَلْيَبْكِ مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ
وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلا سَهْمُ

هل يحتاج الامر الى شرح ؟!

اليس الافضل ان نبقى مع هذه النشوة فى صمت ابلغ من كل نطق ؟

ولكن ماذا نفعل ونحن فى عصر التحليل والتفسير ؟ بل فى عصر العقم الذى لا يفهم معنى نشوة الإبداع ؟!

هذه الابيات يمكن ان ياخذها الشارب النواسى على انها تعنى خمرته الحسية ، ولن يجد اجمل منها فى كل ما قيل من اشعار الخمريات .. بل سيجد انها خمرة راقية ، إرقى من كل ما تذوق ، بل ربما كانت هى الخمرة التى بحث عنها كل حياته ـ وهو يصبو الى سكرة العمر ـ فلم يجدها فى اية حانة نواسية .

وعلى الطرف الآخر ، ياتى الباحث عن اليقين الوجودى فيرى تلك «المفاتيح» التى يعرفها جيداً : «من قبل ان يخلق الكرم» و «نشوة قبل نشاتى» و «معى ابداً تبقى وإن بليَ العظم» ..

فتكبر الصورة البنائية عن إطار الحانة النواسية وتتجاوزها بافاق وافاق ومعارج الى تلك الحقيقة الكبرى ، تبارك اسمها ، التى لا تسمى ولا تقال ، حيث لا عين رأيت ولا اذن سمعت .. فى عالم المتصوفة الرحيب ..

وان يصعد بك الفن فى إطار حانة نواسية الى شراب طهور يبقيك حياً وان بلي العظم ، فذلك بلاشك من ملامح الادب العظيم . وهذا هو اللقاء السعيد بين الظاهر والباطن فى نسيج واحد ...

ولكن هذا الأدب العظيم لا يكون ولن يكون إلا بهذه الروح الايمانية العميقة التى ورثها ابن الفارض من تراثه العربى الاسلامى ...

فمن يرد لنا هذه الروح ؟

يا إلهى : من يرد لنا هذه الروح ؟!

د. محمد جابر الأنصارى

الحقيقة.. ليست "حرملك"

بقلم: عبد الله الجفري

كان النهار يقظا حتى الارهاق ..

يقظة مرهقة بكل ما فيها من أشياء تهمنا وفى غمرتها .. هناك محاولات الناس . يطارد بعضها البعض ، وهى لا تعدو ان تكون « مجرد » محاولات ! !

والمحاولات نستخدمها فى حياتنـــا .. لتقنين اهتماماتنا ..

مجرد محاولات .. الا اننا نعطيها مكان الصدارة من ثقتنا ، تماما مثلما « نتوسم » فهمـا وخلقا في مخلوق عـرف اسـلوب «الاندراج» بين الناس .. فاذا هو لا يمكن ان يكون سوى « محاولة انسان » ، واذا هو وسط الناس : « مختصر انسان » !!

اننا لا نتمسك أحيانا بصلف الأخلاق فينا .. لكننا « نحاول » فقط ان نكون أصحاب اخلاق تتسم بالصلف .. فاما ان نتمكن من فرضها على الناس ، وإما ان تبدو بها « محاولة » ، وكثير يمتلك القدرة على تحويل محاولاته إلى مزاح !

ونحن لا نثق فى صمود النفس والارادة .. اننا نخجل أن يفشل صمودنا ، لكننا بعد ذلك لا نهتم اذا تحقق الفشل .. فقد اقنعنا ذاتنا انها كانت « مجرد » محاولة .. للثبات على رأي ، او الوقوف بفكرة ، من الذى يحاول ان لا يتعرض للفشل ..

وفى عواطفنا ضباب .. اسبابه هذا الانفلاش الذى أوغر صدر الحقائق ، وشوه خطوط الجمال الانسانى فى النفس ، ومزق ثمن لوحة فى الوجدان .. اسمها : الثقة !

لقـد استمرانا ان نحـاول دائما .. وفي البداية كانت المحاولة تعنى الاجتهـــاد والمغامرة والتوثق .. اما اليوم فان أشياءنا هى مجرد محاولات .. اسرارنا تحكمهـا « محاولة » كتمها ، والابقاء عليها .. الغموض جعلناه « محـــاولة » لقراءة الشخصية .. والتحديق فى زوايا التعامل الإجتماعى ، وحتى فى زوايا النفس تحول إلى « محاولة » لا يهمنا كثيرا فى اعقابها ان نزيد رصيدنا المشرق بين الناس .. او ان نفتح نافذة ضوء فى النفس لنحيا اكثر ! !

إن يقظة النهار فى عين النـــاس « محاولة » للتذكير .. يفيق كل واحد ، ويتذكر ما ينبغى أن ينجزه من عمل ليضمن يوما قادما لا يعرف عنه شيئا ، ويعطى للناس ما عنده من « بزنس !! » .. باعتبار ان هذا انطباع الزمن ، ويفكر : لمـــاذا لا يتخابث مرة ليؤكد إلمامه بشؤون الناس .. فى نهار كله شمس ، والذين يعيشونه «يحاولون» زرع حدقاتهم فى عين الشمس .. مع ضرورة المحافظة على الـــرؤية الكاملة ؟ !

فى يقظة النهار .. يشـــمخ الآدمي بمقدرته على الحركة ، والتنقل ، وقـــرع المصالح ، والاستفادة من نتائج البشر عندما يفكرون ان هذه حياة يلتزم فيهـــا الواحد بنبضه ، وببصره ، وبشرايينه ، ولا باس ان يموت معنويا ، او يموت خلقيا او يموت بالسكتة .. فهو قد حاول ان يحيا للغـــد ! !

وفى هذا الوضوح المرئي .. يزعق الآدمي وهو يسرع الخطى ، وهو يبتسم ، وهو يحقد ، وهو يتعامل .. يصرخ باحثا عن الحقيقة ، وقد ارتكب كل تلك التصرفات ، محاولا .. متناسيا عدة حقائق قذفها فى أعماقه ، وقفل عليها غطاء الشـــعور الباطنى !

ان الحقائق لا تتلاءم مع المحاولات .

اننا لكى نؤكد حقيقة ، او نسعى للفوز بحقيقة .. يتوجب علينا ان نتيقن من خطانا .. من تصرفاتنا .. من افكارنا .. من نوايانا كذلك ، نعطى ما يتفاعل فى النفس ، ونمزجه بما ينعكس علينا من الاخرين .. لنخلص الى حقيقة لا تقبل الجدل ..

غير ان الكثير من النفوس اعيتهـــا المحاولات .. فرضت عليها انطباعا لازمها .. وعليه ملامح الاضطراب .. كما قطعة الصلصال فى يد طفل يريد ان يحولها الى شكل .. الى قسمات .. الى صورة ، لكنه ليس أكثر من طفل « يحاول » .. وهـــو لا يعرف شيئا من فن النحت ، او الرسم .

ان امراضنا الذاتية ليست هى حقائقنا .. بل الحقائق نفسها اصابتها عدوى المرض ذاك .. فطمرت تحته ، وتقلصت ، واصبحنا مرضى ، واصحاب حقائق ضائعة .. لا ندرى انها فى اعماقنا تئن تحت ركام من المرضى !

كل عنعناتنا ، والامنا ، وشهواتنـــا ، ورغائبنا ، وطفرة الفرحة .. كلها حـــالات نحياها .. تلون ذات الحقيقة ، وتعطينا حق الملكية لتلك الحقيقة .

إن الحقيقة دائما بلورية وشفافة ، وصريحة ، وكاميرا اتوماتيك تلتقط حالات الانسان معها ـ امتزاجا ، واتحادا ـ لتكون الصورة بعد ذلك .. صورة حقائقنا .. عليها حالاتنا ومعها كل الاشياء التى ادعيناها ، واختلقناها وتاملنا منها ، وفرحنا بها ! !



جوته





مصطفى صادق الرافعي

وعلة حقائقنا ـ من بذور السوء ، والحقد ، والالتواء فى نفوسنا ـ اننا نُمْرِضُ حقائقنا بعللنا النفسية ، او المسلكية ، او كما قال الرافعي : « فى النفس الانسانية لا تمرض الحقيقة الا من سوء التخيل فيها .. كأن نعمة الخيال انما وهبت للانسان لتخرجه من حدود الحقائق .. فيفسدها ، ويفسد اثارها فيه » ! !

وقبل الرافعي .. تعاطى « جوته » نفسه .. فقال : « اننى اتجرع علقما » ثم استطاع ان يتحرر من عقابيل كثير من « المحاولات » التى مارسها فى حياته قبل ان يصبح صاحب ذهن ناضج .

وجلس ذات ليلة يتامل حياته .. كانت فتاته التى وهبها قلبه قد توارت خلف ستائر زمنية اسدلت قبل فترة قريبة من تلك الليلة ، وفى وجدانه لازال « صدى » قلبه المتهاوى الى القاع .. ولا زال ذلك الصدى يؤرقه الليل ، ويمضّه فى النهار .. كان يبحث فى احضان الليل عن « الحقيقة » .. كان يتساءل :

ـ ما هى « حقيقة » هذا الصدى .. هل هو شعور لم يزل يتقد ، ويتالم ، ويتعذب بحبها ، ورحيلها .. ام انه مجرد صدى .. نعتبره ذكرى لايام كانت ، وغابت كما تغيب الشمس اخر النهار ، وكما يحتجب القمر قبل بزوغ الفجر ؟ !

لقد تعاطى « جوته » نفسه ، فبصق منها كل « المحاولات » التى تراكمت من زمن .. بصق ما قاله الناس من احاديث كانت تلاك فى أفواههم كجلد العنز التى نفقت من أيام .. وبصق « محاولات » الآخرين للنيل من سمعته ، واسمه ، وحياته .. فكان ما بصقه قطعة فحم تسللت الى غــــدّانه فلم يلحظها (!!!) .

وحينما استخلص « جوته » نفسه .. عادته ثانية تساؤلات عن هذا السهوم الذى يجره فى ليل وديع مضت ؟ ..

ان الليل ينتصر للحقائق دائما ..

إننا فى احضان الليل نترك الحرية لتصرفاتنا الخاصة ، وهذه حقائق !

وفى الليل نفكر فى الصور ، والخواطر ، والآراء ، والامانى التى نداريها عن الناس كخبر .. لانها اسرار ، وهذه حقائق !

وفى الليل نمتلك شهواتنا بكل الابعاد .. وقد كنا فى يقظة النهار نخبئها .. وهذه حقائق ! !

لهذا .. وقف « جوته » ـ كما روى فى كتابه « آلام فرتر » ـ امام النافذة وتطلع الى السماء الموشحة بالنجوم ، وفكر كيف يهز هذا الصمت القاتل ؟ .. ان « حقيقة » من حقائقه تصفو هذه اللحظة من كل « المحاولات » التى كانت فى نفسه ، وبصقها ، حقيقة .. تعطى ظلالا لاكمال معانى اللوحة .. وفيها يقف « جوته » يقول بكل ثقة ، واصرار :

● « لا يمكن ان احيا كهذا .. ليست هذه حقيقتى .. اننى اظما .. اننى ابحث عن رواء .. عن عطاء .. عن منهل لروحى ، وفكرى ، ونفسى .. اينك انت يا حب ؟!! » .

ويضيف « جوته » بعد ذلك ، وفى الفصل التالى .. فيروى .. ان ذلك كان تعبيرا عن احدى حقائقه ، وهو لم يستطع ان يؤطر ذلك التعبير ، وتلك الصـــورة بالكلمات والنطق ، الا لحظة صفائه ، وخلوده الى اصالة النفس فيه .. بعيدا عن كل محاولة .. اقترابا من صدق ما نشعر به ومن حقيقة ما صاغنا كانسانيين .. نحس ، ونتالم ونفرح ، ونحب !!

إن البعض من البشر يعتقد انه محافظ جدا .. فيعود إلى حقائقه ، ويدثرها ، ويغطيها ، ويهيل عليها تراكماته النفسية ، ثم يقف بين الناس ويقول :

ـ اننى اخاف على حقائقى .. اننى احافظ عليها ، واحميها من السفور والتعرض لنظرات الناس وكلامهم .. لهذا اخبىء كل حقائقى بعيدا .. بعيـــدا ، وليعتبرنى الناس بلا حقيقة ! !

لكن هذا إجحاف بالنفس البشرية ، وتسلط على ابداع الانسان وهو يتوق ان يكون حضاريا ، وانسانيا ، وخلقيا ، ومدركا لمعانى ضرورة الحياة ..

إن الحقيقة ليست من « الحرملك » .. إنها لا يمكن أن تكون زوجة فى بيت يحافظ على قسماتها ، ويهمل قيمتها ، وفعاليتها ! .

لكى لا تختنق الحقائق فى اعماقنا ، فتموت برائحة الاختناق .. يجب ان تكون حقائقنا عارية .. حتى من « الميكروجوب » !

ان الحقائق ليست انبهارا نقف لنتفرج عليه .. بقدر ما هى « رحم » ، اذا اردناه ان يخصب ، ويلد .. علينا ان لا نكون مرضى بالعقم .. او ان لا نكون مرضى بالضعف النفسى ! !



الأرمني الداهية
كالوستي جولبنكيان

بقلم : أحمد العناني

● رجل أثر فى تاريخ شعوب باسرها ● ● كن كفوا يأتك خصومك ضارعين
● ● المغامرون الدوليون ● ● ● الطريق الى اعظم مجد دنيوى ● ● ● ● ● ●

فى قلب مدينة لشبونة عاصمة البرتغال يواجـــه الزائر عمائر ضخمة تشغلها مؤسسة تدعى « مؤسسة جولبنكيان » قد لاتكون وزارة رئيسية لدولة بارزة اشد منها انشغالا او احفل بالحركة والنشاط .

وتوقفت هناك اسال مرافقى البرتغالى « كل هذه لرجل ارمنى » ؟

« وكيف عرفت انه ارمنى » ؟

« بمقطع يان » فى نهاية الاسم فهذه خصيصة من خصائص اللغة الارمنية واحسبها تعنى ابن ، ومن هنا فهى تتكرر فى السواد الغالب من اسماء ذلك الشعب المشتت ... وعلى كل حال فهذا رجل كان له دور بارز فى قصة البترول ... اليس كذلك ؟

وقال مرافقى متمتما بعبارة لاتبين ... نعم ... نعم ... وعلى كل حال دعنا نستعجل خطانا لموعدنا مع مدير دار الوثائق الوطنية البرتغالية فالوقت الباقى لا يتيح لنا التوقف او الحديث ، واشار بيده لسيارة صغيرة فتوقف السائق وراح يصعد بنا ناحية الدار ايانا .....

لم يكن صعبا على ان ادرك ان الرجل البرتغالى لم يكن مرتاحا للحديث عن اجنبى نصف شرقى له فى عاصمة البرتغال مؤسسة كانها دولة داخل دولة .. ولكنى رحت اعاود استذكار الكتاب الذى كنت اقرا فيه غرائب عن ذلك الرجل الارمنى ، لكن مشاغل السفر وارتباطات العمل قذفت بالموضوع كله الى ارشيف الدماغ اللاشعورى ، وتراكمت بعده الامور فانسيته حتى كان مساء منذ فترة غير بعيدة كنت فيها مع مرجع عن تاريخ اسيا الوسطى فاذا بى مع قصة اذربيجان الغربية وكيف سقطت قطعة قطعة بايدي قياصرة الروس فى النصف الاول من القرن الماضي . فاذا بحر قزوين الذى كان بحيرة إسلامية ، وكان حوضه بالكامل شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ارضا اسلامية ومركزا هاما من مراكز الحياة الاسلامية قد اصبح معظمه ضمن روسيا القيصرية بحدود عام ١٨٣٤ .

ويقرأ المرء حديثا للتاريخ يدمى له القلب عن خلاف بين إمبراطورية الانجليز فى الهند ، وامبراطورية القياصرة الروس ، ولكنه خلاف ينتهى سرا إلى وفاق ناتج عن نهش كل جانب جزءا من ارض الإسلام ، وبتلك الطريقة تغاضى القياصرة عن عدوان الانجليز على املاك طيبو سلطان الاسلامية فى الهند ، فيما تغاضى الانجليز عن الحرب المريرة التى دامت حوالى اربعين سنة بين روسيا وإيران ، وانتهت بسقوط منطقة البترول من اذربيجان رسميا بايدى الروس بموجب معاهدة تركمان شاهى فى ٢١ فبراير من عام ١٨٢٨ م .

ولما كان القياصرة الروس فى حاجـــة مزمنة للمال لتغطية النفقات الباهظة لبذخهم ومغامراتهم فقد لجأوا إلى الاعلان عن بيع امتيازات التنقيب عن البترول فى اذربيجان فى مزادات علنية تداعى لها طائفة من انبغ دهاة المغامرين الدوليين وبخاصة الارمن واليهود .. وهذا كلام لا يطلق جزافا ، فبالاضافة إلى جولبنكيان الارمني نجد اسماء ارمنية اخرى لها مساس مباشر بالموضوعات النفطية كهاغوب باشا فى البلاط العثمانى ، والمليونير الأرمنى الكسندر مانتا شوف الذى يرد ذكره لاحقا ضمن استعراض حياة جولبنكيان ، ومن اليهود على سبيل المثال دون الحصر اللورد ناثانييل روتشيلد واللورد صموئيل وولترليفي ، واسرة نوبل ، الفرد ، وروبرت ، وعمانوئيل ، ولودفيغ وغيرهم كثيرون .

رجل أثر فى تاريخ شـــعوب باسرها

لكن احدا من اولئك المغامرين لم يبلغ من الشان ما بلغه الارمني كالوست سركيس جولبنكيان ذلك الرجل الذى لعب اخطر الادوار العالمية على مسرح السياسات الدولية المتعلقة بالنفط او الناشئة عنه ، والذى استطاع أن يحظى كفرد بحصص من مشاركات النفط على قدم المساواة مع اضخم شركات النفط المدعومة بمداخلات مباشرة من دول بلادها ، والذى وصل قمة

النفوذ فى رسم ما عرف بالخط الاحمر ليقرر به ابعاد المناطق المدعاة كمناطق نفوذ للدول التى تقاسمت فيما بينها النفوذ فى إمبراطورية العثمانيين بعد انهيارها .

كن كفؤاً

من الآباء رجال يمتازون بالاثر الباقى الذى يتركونه فى ابنائهم بترسيخ افكار معينة فى اذهانهم ، مستخدمين اساليب من التحريض اللامباشر الذى يشحن قلوب الأبناء بعواطف تظل متضاغطة إلى ان تهيىء لها الكفاية والارادة العارمة وسيلة الانطلاق فتبهر الدنيا بشدة اندفاعها . ذلك ما حصل للقائد القرطاجني هنيبال الذى شب ومعه فكرة من ابيه تراوده ليل نهار للانتقام من روما ، فما كان منه حين اصبح رجلا إلا انه ركز نفسه فى اسبانيا واستغل إمكاناتها فى الانفاق على جيش احسن إنشاءه واختيار افراده وتدريبهم تدريبا عنيفا متواصلا . فلما حانت ساعة الثار من روما فعل مالم يفعله رجل من قبله وهو اجتياز جبال الألب ذات الثلوج والوعورة وانقطاع الطرق ، ومعه الفيلة وأدوات الحرب والحصار ، ورغم خسائره الكبيرة استطاع ان يقهر جيوش روما حين باغتها من الشمال على غير توقع او استعداد فكان له من الثار ما اراد . كذلك فعل سركيس جولبنكيان والد كالوستي . فلقد كان رجلا ذكيا وطموحا ، ولكنه لم يستطع ان يتسامى بحظه من الحياة إلى شيء يستحق المقارنة بما حققه ارمني اخر يفيض غرورا وسفها وغطرسة وهو المليونير الارمني الكسندر مانتا شوف الذى اصاب حظا هائلا فى بترول باكو عاصمة اذربيجان ، وكان رجلا فظا قاسيا عرف عنه كلمة مشهورة حين سئل فى موضوع إنساني لمساعدة بعض فقراء العمال فقال « إنكم تقولون عنهم إنهم طيبون ـ لكن الضعفاء جميعا طيبون لانه ليس عندهم قوة تكفيهم ليكونوا اشرارا » . وحين تحقق سركيس جولبنكيان من انه لن يستطيع ان ينافس مانتا شوف صمم على أن يهيىء ابنه كالوستى ليحقق له ما عجز هو عن تحقيقه . قال له وهو يناجيه صغيرا فى هذا الامر . « كل شيء ممكن يا بني .. إياك ان تصدق ان شيئا ما يستحيل على الارادة البشرية إذا هى اعدت للأمر اسباب الاستطاعة . عليك اولا وقبل كل شيء ان تتعلم هندسة البترول فى ارقى المؤسسات العلمية ، ثم تدخل إلى عالم رجال الاعمال بارادة حازمة لفهم كل شيء واستكناه ادق التيارات الخفية فى ذلك العالم الخطر .. وعندئذ تستطيع ان تحرك الثروة المعقولة التى اتركها لك ، (وكان يملك كمية من اسهم بترول باكو كما حقق ارباحا من تجارة البرافين فى اسطنبول ، وكانت هذه المادة تستخدم بكثرة قبل توفر البترول) . كن كفؤا يا بني ولسوف يضطر أعدى اعداء ابيك واصدق اصدقائه ضارعين إلى ابتغاء ما عندك من المزايا العالية والكفاية المتفوقة .. إن فاقد الكفاءة هو انسان ميت تعاف جثته حتى الكلاب » .

وانطبعت كلمات الوالد فى ذهن الولد فتخرج بتفوق بارز فى العلوم والهندسة من جامعة لندن ثم انتقل إلى باكو وراح يتردد على الموصل وغيرها من المواقع التى كان يقدر وجود البترول فيها ، وفى عام ١٨٩٢ نشر كتابا مطولا عن البترول وصناعاته ، وبدا يثير اهتمام المحافل المالية فى عواصم الغرب ، خصوصا بعدما تمكن من انتزاع ثقة المليونير مانتا شوف بفضل ضربة حظ رائع اتيحت له ذلك بانه خلال نقمة الاتراك والروس على الارمن ، وقيام المذابح فيهم حدث ان التقى جولبنكيان هو ومانتا شوف وزوجة الاخير على نفس السفينة التى هربوا بها إلى مصر ناجين من هول المذابح .. وكانت السفينة مثقلة بحمولتها من الفارين حين وصل مانتا شوف وزوجته التى كانت فى وضع نفسى سيىء ، ولولا وساطة كالوستي جولبنكيان لما امكن المليونير وزوجته المريضة الصعود إلى السفينة .. غير ان جولبنكيان لم يقتصر على اخذهما وانما استطاع ايضا إخلاء حجرة على السفينة المكتظة للمراة المريضة واظهر لها ولزوجها من العناية والايناس ما جعل مانتا شوف يثق بالشاب الذى كان يعرف اباه ولا يحبه فتفاهم معه على ان يصبح سكرتيرا لمقر شركته بلندن مطلقا يده فى تحريك امكانات ثروته الواسعة بالطريقة التى يراها ..

المغامرون الدوليون

إن طبيعة البحث عن الزيت فى باطن الارض خصوصا فى الايام التى لم تكن التقنية العلمية قد بلغت ما وصلت اليوم من تقدم فى ابحاث التنقيب كانت تقتضى رجالا يستندون إلى شجاعة فذة ودعم مالي عظيم للاقدام على مجاهيل الزيت . صحيح ان مناطق كباكو والموصل كانت تنفث الزيت او لهب الغاز المحترق منذ عصور طويلة مضت فلا يحتاج المرء إلى واسع علم ليدرك نجاعة التنقيب فيها ، ولكن اكثر مناطق التنقيب لم تكن فى مثل ذلك الوضوح .. بل إن المناطق القريبة من اماكن الظهور السطحي للزيت أو الدلائل عليه قد تخيب الظن بعد إنفاق مبالغ ضخمة على التنقيب فيها . من هنا كان اباطرة الزيت من رواد التنقيب رجالا مغامرين فى تكوينهم النفسي تتملكهم روح المقامرة بكل شيء .. والحقيقة انه فى مقابل كل ناجح منهم كدارسى الذى جمع ثروة هائلة من اشغال التنقيب عن الذهب فى استراليا ، ونجح لاحقا فى استخراج الزيت من منطقة مسجد سليمان فى إيران الغربية ، كان هناك كثيرون ضاعت ثروات لهم ضخمة فى مغامرات مفلسة لم تسفر عن شيء .. لكن جولبنكيان لم يكن واحدا من هؤلاء على رغم الثروة التى تحصلت لوالده من تجاراته فى اسطنبول .. فقد كان ذكيا فطنا وحذرا ، وكان يزن التكهنات عن الزيت ، وابحاث الجيولوجيين وزنا دقيقا ، وفى الوقت نفسه كان إذا ما اتجه إلى المغامرة حمل مسئولياتها المالية حكومات قادرة .. ثم خرج ظافرا بنصيب ضخم قلما تيسر مثله لفرد واحد فى صناعة الزيت . ومما لوحظ فى حياة ذلك الرجل ان نجمه ظل فى صعود متواصل وانه لم يواجه إلا خيبة كبرى واحدة مع الحكومة العثمانية ، لكنه صبر وصابر حتى حقق الفوز تحت ظروف كان هو من اكبر العاملين على تحققها ، بعد ان زالت قبضة السلطان عبد الحميد عن أمور الدولة العثمانية .. وعلى عكس ذلك جرت حياة هولمز الذى اغتنى وافلس مرارا .

الطريق للمجد الدنيوى

لقد فرض الاكفاء من الارمن وجودهم فى أعلى مناصب الدولة العثمانية ، وكان طبيعيا أن يجد جولبنكيان تجاوبا من وزيرى البلاط العثماني هاغوب باشا وسليم افندى عندما اثار اهتمامهما بوجود ثروة بترولية فى العراق كافية لاخراج حكومة السلطان من كل مشكلاتها المالية المتازمة ، فوضع جولبنكيان فى فترة وجيزة لا تكاد تصدق تقريرا منسقا غاية فى الاحاطة والشمول والدقة معلنا يقينه الحاسم بتوافر النفط بكميات ضخمة فى شمالى العراق وعلى الاثر اتخذ السلطان عبد الحميد قرارا بنقل سائر الأراضي التى اشار لها جولبنكيان إلى الملكية العامة ، لكن رائحة البترول اجتذبت اهتمام الدول والمؤسسات الغربية وصمت السلطان كان الأمر لا يشغل باله لكي يستطيع الظفر بجو هادىء يصدر فيه قراره على غيبة من أسماع الرقباء ، ولم يظفر جولبنكيان باكثر من عبارة من الباشا الارمني حين قال له « فى أمان الله يا بني .. يكفيك شرفا انك خدمت السلطان » . ولما كان السلطان قد اثار حفيظة الصهاينة باحتقـــــاره كل عروضهم له مقابل السماح لهم بتملك أراض فى فلسطين فقد التام شمل اليهود والارمن فى العمل على اسقاطه متخذين من بريطانيا مقرا لنشاطهم ، وما لبثوا ان افلحوا فى استغلال سخط بعض الضباط المتحمسين فى سالونيك ، وبالتعـــــاون الوثيق مع المدسوسين على تلك الحركة تم خلع السلطان عبد الحميد ، حيث ظهر إلى الوجود من بعده ما عرف باسم البنك الأهلى التركى وبين أعضاء مجلس ادارته جولبنكيان الذى اصبح ايضا المستشـــار الاقتصادي لسفارتي تركيا فى لندن وباريس وعلى الرغم من ان الالمان بنفوذهم القوى فى اسطنبول حصلوا من حكامها الجدد على وعد باخذ امتياز البترول ، ومن ان مذابح الارمن لم يكن مضى عليها اكثر من اثنتي عشرة سنة إلا ان ذلك الارمني الفذ استطاع الجمع بين الماء والنار ، وحل سائر الالغاز ، وطلع على العالم عام ١٩١١ بما عرف « بشركة النفط التركية » ، التى كانت ملكيتها على النحو التالى ، خمسة وثلاثون بالمئة للبنك الأهلى البريطاني المســـمى بالتركى ، وخمسة عشر فى المئة لجولبنكيان. وخمسة وعشرون بالمئة للبنك الالمانى والباقى وهو خمسة وعشرون فى المئة لمجموعة شركات شل. ولاشك فى ان الذى حققه ذلك الفرد الارمنى بعصاميته وذكائه وثقافته العميقة ، وقوة شخصيته فى مجال المفاوضة امر لم يسبق له مثيل .

فرد يواجه دولا

لقد كانت كفاءة جولبنكيان هي التي تلجيء الحكومات لاحترامه إلى حد التهيب منه ، وكان هو ايضا يعرف قدر نفسه فيصونها عن اللهفة الطائشة لتعجل الغنائم ، ويثبت في المفاوضات والمساومات المعقدة التى كانت تدور من وراء الستار ، انه شخصية فذة تقف مع الدول على قدم المساواة .. ولما كانت بريطانيا قد قررت ان تستخدم الطاقة البترولية فى تحريك اسطولها بدلا من الوسائل القديمة فقد تعاظم المسئولون فيها ان ينتزع منهم فرد واحد خمسة عشر بالمائة كمنتج وصاحب شركة - علمـــــا بأنهم هم ايضـــــا سيصبحون المستهلك الرئيسي لمنتوجات الشركة . ولذلك اوعزوا للبنـــــك الأهلى البريطاني ان يتنازل عن حصته فى شركة النفط المسماة بالتركية إلى الشركة التى تملك حكومة بريطانيا نصف اسهمها وهي شركة النفط الانجلو-إيرانية التى اسسها رائد النفط دارسي . وكان من رأي بريطانيا إقصاء ذلك الرجـــل جولبنكيان عن تلك المشاركة الدولية ولكن الرجل سرعان ما اثبت انه كان متنبها لخطط الانجليز ، فلما وجد هؤلاء ان تحركهم ضد الرجل الأرمني قد يتهدد المشروع كله بالخطر ضغطوا على شل والبنك الالمانى فتنازل الطرفان عن خمسة بالمئة من حصصهما لصـــــالح جولبنكيان .. لقد كان ذلك يعني ثروة هائلة جعلت منه اغنى رجل فى العالم .

السيد خمسة فى المئة

الواقع ان النتيجة التى حصل عليها الارمني النابغة لم تات بسهولة خصوصا وان تشرشل كان بين اقوى المتحمسين لحرمانه من كل شيء ، ويحتمل ان يكون لجولبنكيان دور فى تمسك فرنسا بحيازة للموصل غداة المؤامرة السرية المعـــروفة باتفاقية سايكس بيكو لعام ١٩١٦ ، ولكن الانجليز كانوا يضمرون مواجهة فرنســـا بامر واقع، ولذلك سارعوا بمهاجمة العراق وسبقوا الفرنسيين إلى منطقة الزيت فى شماليها . واشتد الخلاف بين الحليفتين بعد أن وضعت الحرب اوزارها عام ١٩١٨ ، وأخرجت ثورة البلاشفة روسيا مما وعدت به فى اتفاقية سايكس بيكو ، فيما عمدت بريطانيا لمصادرة نصيب الالمان من شركة البترول التركية ، وعندما وصل الخلاف أشده بين الانجليز والفرنسيين تمكن جولبنكيان من حل عقدته فى سان ريمو عام ١٩٢٠ حين اقترح ان يذهب ميراث الالمان فى شركة البترول التركية إلى فرنسا فى مقابل تنازل الأخيرة عن مطالبها فى الموصل كما تعهدت بالتعاون التام مع الشركة التى اصبحت شريكا فيها لمد خطوط انابيبها عبر سوريا إلى مصبها على الساحل اللبناني . ولم يعكر صفو ذلك الترتيب ســـــوى احتجاجات شديدة من الولايات المتحدة التى كان لها دورها فى انتصار الحلفاء الغربيين ، كما كانت شركاتها ممثلة فى شركة التنمية العثمانية ـ الامريكيـــــة برياسة كولبي شستر على وشك الظفر بامتياز الموصل من الحكومة العثمانية سابقا للحرب الاولى لولا خطط جولبنكيان الماكرة لصالح الانجليز والهولنديين .

والغريب ان جولبنكيان نفسه هو الذى استطاع حل هذه العقدة ايضا باعادة توزيع الاسهم فى بترول العراق على التساوى بين امريكا وشل وفرنسا وشركة الانجلو ـ ايرانيان البريطانية على ان يتحمل كل نصيبه فى حصة الخمسة فى المئة لجولبنكيان ، الذى اكتسب فى المحافل الدولية لقب السيد خمسة فى المئة ..

لقد كانت المفاوضات والمناورات التى اسفرت عن تلك النتيجة عسيرة إلى ابعد ما يمكن وصفه بالكلمات .. وكان من اشق ما فيها موضوع الأراضى التى تغطيهـــــا الامتيازات البترولية .. وكان راى الامريكان الذى سانده الانجليز فى مرحلة متاخرة ان يترك الباب مفتوحا فى أراضي الدولة العثمانية سابقا أمام الشركات لتتنافس فى الحصول على الامتيازات ، لكن فرنسا التى لم تكن فى موقف مناسب للتنافس مـــع الشركات الانجلو ـ سكسونية اصرت على

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مبدا المشاركة الجماعية فى امتيازات النفط فى أراضي التركة العثمانية ، وبقي ان يتقرر اي الأراضي يجب اعتبارها ملكية سابقة للعثمانيين، تقدم جولبنكيان فرسم بالقلم الاحمر خطا لتلك الحدود بناء على درايته الدقيقة لأحوال تلك الدولة وحقوقها وقد اقر الجميع ذلك الخط واتفقوا على أن يكون الخط قسمة بينهم فى كل الأراضى الداخلة وراء ذلك الخط فلا تنفرد شركة او دولة بامتياز لها بمفردها ..

الخروج من تحت أقدام الفيلة

كانت الرياح تهب رخاء على سفينة جولبنكيان الذى تدرجت ارباحه السنوية من عشرين إلى خمسين مليون جنيه استرلينى فى فترة ما بين الحربين العالميتين فيما كان يعيش فى باريس بعد سبع وثلاثين سنة انفقها فى متاهات السياسات الدولية والاطماع الاحتكارية ، عيشة فيها من الترف والبذخ ما بلغ غاية الغايات .

وحين هزمت فرنسا فى الحرب العالمية الثانية لم يتردد الانجليز والامريكيون فى ان يحاولوا التفاهم على حساب فرنسا وجولبنكيان الذى كان قد سارع إلى الخروج من تحت أقدام الفيلة التى باتت تتصارع فى اخطر حيلة للاطماع الاشعبية على حساب المغلوبين على امرهم من اهل الأرض والبترول لكن الثعلب الارمني كان اشد نباهة من أن لا يتوقع وقوع ظرف دولى تهب فيه الرياح على عكس ما يشتهى ، ولذلك ملا خزائنه فى لشبونه التى ارتحل لها بكل المذكرات والاوراق التى تسجل اخطر المعلومات السرية المحرجة ووسائل الشر التى لجات لها شركات الاحتكار الكبرى لتحقيق اطماعها ، وحين هدد بنشر ذلك على الملا سارع الشركاء القدامى فوقعوا مع نوبار جولبنكيان ـ ابن الرجل الذى استنكف عن مواجهة من حاولوا هضم حقوقه ـ اتفاقية لشبونه لعام ١٩٤٨ التى زادت دخل الرجل ثمانية ملايين دولار سنويا ، لكنها انهت اتفاقية الخط الأحمر لصالح الشركات الامريكية .

أحمد العنانى

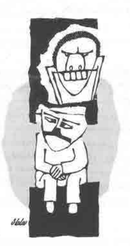
شعر : دكتور كمال نشأت

١ ـ شهيد

ترنَّحَتْ بخَيْمَةٍ فجْرِيَّةٍ وسقَطَتْ
إنغمَسَتْ
فى بركةِ الدِّمَاءْ
وقَبَّلَتْ جبينَه المُعَفَّرَ الشَّامِخَ كِبْرِيَاءْ
ما قيمةُ الأعياد
ما روعةُ الأمجادْ
هذا الفتى المخلد الذى ذَهَبْ
الثُّقْبُ فى جَبينِه دَرْبٌ جَديدٌ لِلْعَرَبْ ..

٢ ـ سميرة

بالأمس كنتِ الصغيرَهْ
تماوجينَ الضَّفيرَهْ
وكم لثَمْتُكِ .. عطْفاً
أبُوَّةً .. يا «سميرة»
واليوم منكِ السلامَةْ
والجسمُ ينْدَى دَسَامَةْ
والله أبدعَ .. صورْ
من قَطْرةٍ .. لغَمَامَه .. !



مبدأ المشاركة الجماعية فى امتيازات النفط فى أراضي التركة العثمانية ، وبقي ان يتقرر أي الأراضي يجب اعتبارها ملكية سابقة للعثمانيين؛ تقدم جولبنكيان فرسم بالقلم الاحمر خطا لتلك الحدود بناء على درايته الدقيقة لاحوال تلك الدولة وحقوقها وقد اقر الجميع ذلك الخط واتفقوا على ان يكون الخط قسمة بينهم فى كل الأراضى الداخلة وراء ذلك الخط فلا تنفرد شركة أو دولة بامتياز لها بمفردها ..

الخروج من تحت أقدام الفيلة

كانت الرياح تهب رخاء على سفينة جولبنكيان الذى تدرجت أرباحه السنوية من عشرين إلى خمسين مليون جنيه استرلينى فى فترة ما بين الحربين العالميتين فيما كان يعيش فى باريس بعد سبع وثلاثين سنة انفقها فى متاهات السياسات الدولية والاطماع الاحتكارية ، عيشة فيها من الترف والبذخ ما بلغ غاية الغايات .

وحين هزمت فرنسا فى الحرب العالمية الثانية لم يتردد الانجليز والامريكيون فى ان يحاولوا التفاهم على حساب فرنسا وجولبنكيان الذى كان قد سارع إلى الخروج من تحت اقدام الفيلة التى باتت تتصارع فى اخطر حيلة للاطماع الاشعبية على حساب المغلوبين على امرهم من اهل الأرض والبترول لكن الثعلب الارمني كان لشد نباهة من أن لا يتوقع وقوع ظرف دولى تهب فيه الرياح على عكس ما يشتهى ، ولذلك ملا خزائنه فى لشبونه التى ارتحل لها بكل المذكرات والاوراق التى تسجل أخطر المعلومات السرية المحرجة ووسائل الشر التى لجات لها شركات الاحتكار الكبرى لتحقيق اطماعها ، وحين هدد بنشر ذلك على الملا سارع الشركاء القدامى فوقعوا مع نوبار جولبنكيان ـ ابن الرجل الذى استنكف عن مواجهة من حاولوا هضم حقوقه ـ اتفاقية لشبونه لعام ١٩٤٨ التى زادت دخل الرجل ثمانية ملايين دولار سنويا ، لكنها انهت اتفاقية الخط الأحمر لصالح الشركات الامريكية .

أحمد العنانى

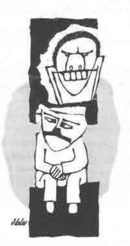
شعر : دكتور كمال نشأت

١ـ شهيد

ترنَّحَتْ بخَيْمَةٍ فجْرِيَّةٍ وسقَطَتْ
إنغمَسَتْ
في بركةِ الدِّمَاءْ
وقَبَّلَتْ جبينَه المُعَفَّرَ الشَّامِخَ كِبْرِيَاءْ
ما قيمةُ الأعياد
ما روعةُ الأمجادْ
هذا الفتى المخلد الذى ذَهَبْ
الثُّقْبُ فى جَبينِه دَرْبٌ جَديدٌ لِلْعَرَبْ ..

٢ـ سميرة

بالأمس كنتِ الصغيرَةْ
تماوجينَ الضَّفيرَةْ
وكم لثَمْتُكِ .. عطْفَا
أبُوَّةً .. يا «سميرة»
واليوم منكِ السلامةْ
والجسمُ ينْدَى دَسَامةْ
والله أبدعَ .. صورْ
من قَطْرةٍ .. لغَمَامَهْ .. !



تأمّلات في حقيقة أمر أبي لهب

يهوذا بني هاشم

بقلم : حسين أحمد أمين

«تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ» .

ـ سُورَةُ المَسَد ـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اثارت فى ذهنى قراءة « سُورَةُ المَسَد » عدداً من الاسئلة :

السؤال الاول : اذا كانت السورة من اوائل السور المكية كما يذهب كل اوجل المفسرين المسلمين واذا صح ما يقوله البعض من انه لما نزلت « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين » ، خرج رسول الله حتى صعد الصفا وهتف حتى اجتمع اليه قومه ، وإذ اخبرهم انه نذير لهم بينَ يدى عذاب شديد ، قال له ابو لهب تباً لك ! الهذا جمعتنا ؟ ثم قام منصرفاً ودعا قومه الى ان ينفضوا من حول النبى فنزلت سورة المسد .

فما علة الإتيان بالفعل بلفظ الماضى فى هذه الآية والآية التى تليها « مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَاكَسَبَ » فى حين كان ابو لهب وقتها ـ كما هو واضح ـ لايزال حياً ممتعاً بما رزق من ثراء ؟

الاجابة سهلة فيما يتعلق بالآية الاولى . فمن سنن العرب ان تاتى بالفعل بلفظ الماضى فى بعض الحالات وهو حاضر او مستقبل ، نحو : « أَتَى أَمْرُ اللّه » اى ياتى ، و « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ » اى انتم ، ونحو استخدامنا لعبارات مثل : « رَحِمَهُ اللّهُ » و « صَحِبَتْكَ السَّلَامَةُ » و « شُفِيتُمْ » و « بَارَكَ اللهُ فيكُم » . فتَبَّ هنا إذن فعل ماض يدل على المستقبل غير ان الاجابة اصعب فيما يتعلق باية : « مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ » .

فالقران الكريم لاترد فيه عبارة « مَا أَغْنَى » ومثيلاتها إلا للدلالة على حدث وقع من قبل : (وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ، قالوا ما اغنى عنكمْ جمعكم وما كنتم تستكبرُون) ـ الاعراف ٤٨ ، (فاخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِين . فما اغنى عنهم ما كانوا يكسِبُونَ) ـ الحجر ٨٣ ، ٨٤ ، (ثم جاءهم ما كانوا يُوعَدُون . وما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون) الشعراء ٢٠٦ ، ٢٠٧ وآيات اخرى غيرها (انظر الزمر ٥٠ ، وغافر ٨٢ ـ والاحقاف ٢٦ ، والتوبة ٢٥) . ولو أن المستقبل كان المقصود هنا لاستعملت ـ والله اعلم ـ كلمة « يُغْنى » ، كما فى اية . « إن الذين كفروا لن تُغْنى عنهم اموالُهم ولا اولادُهُم من الله شَيْئاً » ـ ال عمران ١٠ ، أو « من ورائهم جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا » ـ الجاثية ١٠ . (انظر ايضا الى ال عمران ١١٦ ، والانفال ١٩ والمجادلة ١٧) .

والغالب فى راينا ان السورة إنما نزلت عقب ورود الخبر بوفاة ابى لهب بعد وقعة بدر عام ٢ هـ / ٦٢٤ م بزمن قليل (قيل سبعة ايام كما

يروى ابن هشام) ، ولايصح الاحتجاج هنا بان قصر الآيات فى هذه السورة ـ وهو ما يميز السور المكية من السور المدنية بوجه عام ـ دليل على انها مكية . فمن السور المدنية ما هو قصير الآيات ايضا ، مثل سورة النصر . اما ما ورد فى التفاسير من ان اية « تَبَّتْ يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ » هى من قبيل الاجابة على قول ابى لهب للنبى : تبا لك ! ، فكثير ما يخترع المفسرون القصص ويختلقون المناسبات من اجل تفسير الآيات وبيان اسباب نزولها .

وعندى ان اقوى دليل على صحة ما نذهب اليه هو ما ورد فى الطبقات الكبرى لابن سعد ـ وهو ثقة ـ من انه حين توفى ابو طالب وخلفه اخوه ابو لهب فى زعامة بنى هاشم ، لزم النبى بيته ، واقل الخروج ، ونالت منه قريش مالم تكن تنال ولا تطمع فيه . وإذ بلغ ذلك ابا لهب جاء الى النبى فقال : « يامحمد ، امض لما اردت ، وما كنت صانعا إذ كان ابو طالب حيا فاصنعه . لا واللات لايوصل اليك حتى أموت ! » ، وقيل ان ابن الغيطلة سب النبى ، فاقبل عليه ابو لهب فنال منه (اى من ابن الغيطلة) فولى وهو يصيح : « يامعشر قريش ، صبا ابو لهب ! » ، فاقبلت قريش حتى وقفوا على ابى لهب ، فرد عليهم بقوله : « مافارقت دين عبد المطلب ولكنى امنع ابن اخى ان يضام حتى يمضى لما يريد » . قالوا : « قد احسنت واجملت ووصلت الرحم » . فمكث رسول اللهكذلك اياما يذهب ويأتى لا يعترض له احد من قريش ، وهابوا ابا لهب .

هـــذه القصـــة فى الطبقات لا يمكن تصور حدوثها إن كانت سورة المسد قد نزلت فى مستهل الدعوة . اذ ليس من المعقول ان يصر ابو لهب على حماية النبى بعد وفاة ابى طالب عام ٦١٩ م قبل الهجرة بثلاث سنوات فحسب ولا أن يقبل النبى منه هذه الحماية وقد جاء فى القران بشانه وشان امراته ما جاء .

وعلى اي الاحوال فإن السورة فى راينا قد تكون مدنية ، فتفسر « تَبَّتْ » فى هذه الحالة على انها بيان الواقع او تقرير حال ، ويكون المعنى ان ماله وماكسب من جاه لم يدفعا عنه الموت ولا هما بدافعين عنه عذاب النار . اما إن كانت مكّية ، كما يصر المفسرون ، فَتَبَّتْ إذن هى دعاء او استنزال للعنة .

استخدام الكنية

السؤال الثانى : إذا كان اســـتخدام الكنية هو عند العرب من قبيل الاعظام والتكرمة ، والاجلال عن التصريح بالاسم ، او ، على حد قول السيوطى فى « المزهر » : « لا يؤهل للكنية إلا ذو الشرف من القوم » ، فما علة تكنية القران لهذا الكافر ، واسمه فى الحقيقة عبـــد العـــزى بن عبد المطلب ، وإنما لقبه ابوه بابى لهب لحسنه وماله وإشراق وجهه ؟ .

الاجابة هنا ايضا سهلة ، نجدها فى كشاف « الزمخشرى » وتفسير « القرطبى » وعند غيرهما .

فقد يكون ابو لهب مشتهرا بالكنية دون الاسم ، حتى صارت كنيته اشهر عَلَمَيْه .

وقد يكون انه لما كان مآله إلى نار ذات لهب ، وافقت حاله كنيته ، فكان من المناسب ان يذكر بها .

والثالث ان العُزّى صنم ، ولم يضف الله فى القرآن العبودية إلى صنم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ »

السؤال الثالث : يفسر المفسرون اية « فى لوح محفوظ » من سورة البروج بانه ام الكتاب الذى منه انتسخ القرآن وسائر الكتب السماوية ، وأن فيه بيان امور الخلق وذكر آجالهم واعمالهم ومآل عواقب امورهم .

فهل كانت « سورة المسد » فى اللوح المحفوظ منذ البداية ، وفى كتاب الله من قبل أن يخلق ابو لهب وأبواه ، بحيث لم يكن فى وسع ابى لهب إلا ان يَصْلَى النار ، ولم يكن باستطاعته أن يقبل الاسلام دينا له ؟

غير أن محاولة الاجابة عن هذا السؤال من شانها أن تفضى بنا إلى مناقشة طويلة وجدل مضن حول الموضوع الازلى ، « هل الانسان مخير او مسير ؟ » وهو ما يشـــغل مئات ومئات من الصفحات فى كتب علماء المسلمين ، على اى حال فان القول بانه سَيَصْلَى نارا ذات لهب ، ربما كان فيه دليل اخر على ان السورة مدنية لا مكّية ، وعلى انها نزلت بعد وفاة ابى لهب حين انقضت فرصة اعتناقه الاسلام والتوبة والفرار بنفسه من النار .

« وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَد »

السؤال الرابع : ما المقصود بحمـــالة الحطب ؟

قال البعض ـ كما هو متوقع ومعهود من كثير من المفسرين ـ إن ام جميل ، زوج ابى لهب ، كانت تحمل الحطب على ظهرهـــا لشدة بخلها حتى تكون فى غنى عن الخدم وقيل بل كانت تحمل الحسك والشوك فتطرحهمـــا باللبـــــل على طريق النبى واصحابه .

والمرجح عندنا أن المقصود ليس ما كانت تفعله ام جميل فى حياتها ، وإنما المقصود ان هذه المراة ستجمع فى جهنم الحطب الذى سيوقد تلك النار . وربما صلح دليلا على ما نذهب إليه ، ان كلمة « حمَّالة » منصوبة فى الآية (وفق قراءة عاصم) ولو كانت خبرا او نعتا لامراته لكانت مرفوعة . غير أن البعض يرى انها ربما تكون قد وردت بالنصب على الذم ، فكانها اشتهرت بذلك فجاءت الصفة للذم لا للتخصيص .

كذلك نذهب إلى ان المقصود باية « فى جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَد » انه سيكون فى عنقها فى جهنم حبل مفتول من الليف ، لا ما ذكره الضحاك وغيره من انها كانت فى الدنيا تحتطب وهى فى حبل تجعله فى جيدها ، فخنقها الله به فاهلكها .

ولكن ، لماذ ابو لهب ؟

السؤال الخامس ، وهو اهم هذه الاسئلة

فى رايى : لماذا خص الله ابا لهب بالذات دون سائر المشركين بالاسم ، وتخصيص سورة له ، دون ابى جهل مثلا او امية بن خلف او عقبة بن ابى معيط او النضر بن الحارث ، وكلهم من الد أعداء النبى فى قريش ، واشدهم عليه ؟

إن القرآن لم يورد من اسماء معاصرى النبى عليه الصلاة والسلام غير اسمين اثنين لا غير ، احدهما لمسلم وهو زيد بن حارثة ، والآخر لكافر وهو ابو لهب . فما علة نزول سورة فيه بالذات ؟

صحيح اننا نعلم ان الصحابى عبد الله ابن مسعود ـ وكان يعتبر نفسه احـــد الثقات الكبار فى القران ـ ذهب إلى أن نسخة القران التى اقرها الخليفة عثمان بن عفان غير كاملة ، واتهم زيد بن ثابت واصحابه ممن جمعوا القران باستبعاد آيات تلعن الامويين . غير ان هذا الاتهام غير مقبول . فقد كان على بن ابى طالب والكثيرون غيره من الصحابة احياء وقت قيام زيد بمهمته ، ولم نسمع ان احدهم ايد زعم ابن مسعود واحتج على استبعاد آيات .

لقد كان ابو لهب عم النبى . وكان فى وقت من الاوقات على علاقة طيبة بابن اخيه ، بدليل القصة التى اوردناها من كتاب الطبقات ، وبدليل أن ابنيه عتبة وعتيبة كانا متزوجين ، او مخطوبين ، لابنتى النبى : الاول لرقية ، والثانى لام كلثوم . فما عسى ان يكون قد حدث بعد ذلك حتى اصبح ابو لهب من رءوس الكفر ومن اعدى اعداء الرسول ؟

كلمتان فى السورة هما عندى مفتاح الاجابة : ماله ، وامراته ولأشرح الآن ما اعنى :

تجار قريش

نحن نعلم ان المجتمعات الرعوية من البدو كانت دوما فى حاجة إلى قدر عظيم من التضامن بين افرادها ، كفيل بأن يحمى كيانها . فكان من واجب كل فرد من افراد القبيلة أو العشيرة او الرهط أن ينصر اخاه ظالما او مظلوما ، ومن واجب السيد ان يكفل الحماية لمن هم دونه ، ويســـاعد الفقراء منهم والمستضعفين .

غير ان تحول قريش فى مكة تدريجا من الرعي إلى التجارة ادى إلى ضعف مطرد فى التضامن بين افراد هذه القبيلة ، وبدا سادتها وشيوخها ينزعون إلى تكوين الثروات الضخمة الخاصة بهم . وقد ساعد على ذلك ان التجار كانوا يتعاملون اساسا فى سلع كمالية صغيرة الحجم سهلة الخزن ، مما مكنهم من زيادة ثرواتهم بغير حدود . فى حين كانت الصورة الرئيسية للثراء عند البدو هى وفرة الابل ، وهو أمر يصعب معه حيازة ثروات كبيرة ، إذ يحتاج القطيع إلى عدد من الرجال يعنون به ويحمونه من غارات العدو ، ولابد أن يكون لدى هؤلاء من الولاء لصاحب القطيــــع ما يحفزهم على النهوض بهذه المهمــــة ، والمخاطرة بحياتهم فى سبيله .

وقد اتجه هؤلاء التجار من قريش إلى استغلال المستضعفين خاصة من اليتامى والارامـــل . وكان الرؤســـاء منهم يديرون الأموال الشائعة لعشائرهم فيستثمرونها ثم يحتفظون بالثمرة لانفسهم لا يفيد منها غيرهم . ومع ذلك فانه لم يتمكن من بين تجار قريش غير عدد محدود من ان يجمع لنفسه ثراء واسعا ، وكان الصراع على اشده وقت نهوض النبى بالدعوة (حوالى عام ٦١٠ م) لا بين الاثرياء والفقراء ، بقدر ما كان بين واسعى الثراء ومعتدليه . وقد قلق هؤلاء الاخيرين ما لمسوه من وهن مطرد فى مشاعر التضامن بين افراد القبيلة ونمو المشاعر الفردية الانانية ، وانهيار القيم القبلية التقليدية التى كانت توفـــر للجميع قدرا من الاطمئنان للغد .

وقد ادت المصالح التجارية المشتركة إلى قيام روابط جديدة بين كبار تجار قريش . وسرعان ما ظهرت فى مكة جماعتـــــان رئيسيتان متنافرتا المطامح ، فاما بنو هاشم ـ وهم الاقل ثراء ـ فتراسوا حلفا يعرف بحلف الفضول من تلك الجماعات التى عجزت عن تنظيم قوافل مستقلة للتجارة تعود عليها بالربح الذى حرمت منه ظلما . وكان هذا الحلف على عداء مع ما يعرف بالأحلاف ، وهو تنظيم اقامه اثرياء التجار ممن سعوا إلى فرض نوع من الاحتكار . وربما كان من بين البواعث التى حدت بالنبى عليه الصلاة والسلام إلى أن يوجه اكثر من نصف عدد المسلمين وقتها إلى الهجرة إلى الحبشة (١) (رغم ما قيل من ان الاضطهاد الذى تعرضوا له هو الباعث الوحيد على هذه الهجرة) ، رغبة فى السعى إلى كسر هذا الاحتكار بأن يبحث هؤلاء المسلمون عن طريق اخر للتجارة غير خاضع لسيطرة كبار التجار من قريش . ومما يدعم هذا الافتراض امران : الأول : ان جل مهاجرة الحبشة كانوا من افراد الجماعات الداخلة فى حلف الفضول ، والثانى : أن عددا منهم بقي فى الحبشة حتى بعد هجرة النبى والمسلمين إلى المدينة وانقضاء ذلك الاضطهاد ، فلم يتركها إلى الحجاز حتى العام السابع من الهجرة .

دور أبى لهب

وقد حدث حوالى عام ٦١٦ م (أى بعد حوالى عام من تلك الهجرة إلى الحبشة) ، ان اجتمعت كلمة بطون قريش على مقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب ، ذوى الصلات الوثيقة ببنى هاشم ، وحظرت التعامل التجارى معهم او الزواج منهم . وكان السبب الظاهر لهذه المقاطعة رفض ابى طالب أن يسقط الحماية عن ابن اخيه ، أو ان يقنعه بالعدول عن الدعوة إلى الدين الجديد . وبالرغم من أن العرب كانوا يرون عارا عظيما فى ان تتخلى العشيرة عن حماية أحد افرادها لمجرد ان العشائر الاخرى هددتها بالعقاب إن هى لم تفعل ، فقد كان من السهل على ابى طالب ان ينتحل عذرا او اخر للتخلى عن ابن اخيه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لو انه كان حقا راغبا فى تجنب مقاطعة بطون قريش لبنى هاشم .

والواقع ان استمرار تحدى بنى هاشم لهذه المقاطعة على مدى ثلاث سنوات ، دليل على انه كان لبنى هاشم مصلحة حقيقية فى موضوع الخلاف ، ودليل على انه قد ظل باستطاعتهم النهوض ببعض النشاط التجارى ولو على نطاق اضيق من ذى قبل . وقد انهارت المقاطعة فى النهاية حين انسحب منها بعض البطون . وذلك حين ادركت ان نجاحها إنما سيؤدى إلى تعاظم قوة اغنياء التجار ممن دشنها على نحو يتعدى الحدود التى كانوا يأملون فى الوقوف عندها .

وفى حوالى عام ٦١٩ م (اى بعد انتهاء المقاطعة بمدة قصيرة) ، مات ابو طالب ، وخلفه ابو لهب فى زعامة بنى هاشم . والذى يبدو لنا انه بعد عام او بعض عام من رياسته (وهى مدة سار فيها ابو لهب على نهج اخيه من حماية النبى ، كما نفهم من الفقرة التى اشرنا إليها من كتاب الطبقات) ، ادركت الاحلاف انه لن يكون بوسعها ممارسة الضغط على النبى وعلى بنى هاشم إلا إن جاء هذا الضغط من داخل رهط بنى هاشم انفسهم . وبالتالى فقد سعت – وكلل سعيها بالنجاح – إلى ان تشترى ذمة ابى لهب ، وان تحوله عن انتهاج السياسة التقليدية لبنى هاشم ، بل وعن مراعاة المصالح الاقتصادية لعشيرته إلى خيانة هذه المصالح فى سبيل نفع شخصى محض . فالارجح إذن انها اغرته بحصة من ارباحها ، او بالاشتراك معها فى عملياتها التجارية واحتكارها ، وقد ساهم فى نجاح مسعاها امور ثلاثة .

اولها : خسة طبعه وغرامه بالمال وانيق العيش (مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) .

وثانيها : زواجه من اخت ابى سفيان (حمَّالة الحطب) ، وابو سفيان هذا من سادة بنى امية الاقوياء ، وواحد من اكبر تاجرين او ثلاثة فى قريش . ولابد انه كان لهذه المراة نفوذ عظيم على زوجها ، (وإلا لما قرنت به على هذا النحو الذى نراه فى سورة المسد) ، إما بفضل انتمائها إلى بنى امية ، او بفضل صفات خاصة بهـــــا ، كجمالها او ثرائها .

وثالثها : ان الاحلاف تمكنت من ان توفر لابى لهب عذرا يقبل ضميره ان يتذرع به ، ومبررا يلوح به فى وجوه بنى هاشم إن هم نحوا عليه باللائمة وعيروه . فقد اقنعته – او هو اختار ان يقتنع – بان سب النبى لآلهة عبد المطلب وقوله إن ماله جهنم ، سببان وجيهان وكافيان لان يسقط عن ابن اخيه الحماية دون ان يجلل نفسه بالعار ، ودون ان يسقط فى اعين الناس .

إن قريشا لم تكن – كمـــــا يعتقـد الكثيرون – شديدة التمسك بالهتها ، ولا كانت الوثنية عندها عميقة الجذور ، وإنما استمرت عبادتها للاوثان من قبيل التقليد المحض لسنة اسلافها ، ونتيجة للافتقار – حتى ظهور الاسلام – إلى اية معارضة منظمة لهذه العبادة ، ومما يدلنا على ذلك ما نعلمه من استخفاف الكثيرين منهم فى الجاهلية بهذه الآلهة ، ودعوة الحنفاء إلى عبادة اله واحد ، وتسفيههم لعقيدة قومهم دون ان يلحقهم اذى او اضـــــطهاد ، ثم ما نعلمه عن ذلك التقبل السهل المذهل من جانب قريش بعد فتح مكة لهدم اوثانها دون ان يصيبها شىء من لواعج الاسف او الحيرة او الانزعاج . وإنما كانت معارضة قريش للنبى نابعة اساسا من مخاوف سياسية واقتصادية . فبالرغم من ان النبى لم يكن يهدف على الاطلاق إلى السيطرة على مكة ، فقد كان من شان الاعتراف به رسولا لله ان يؤدى إلى تعاظم نفوذه السياسى ، ما دام هذا الاعتراف يتضمن إقرارا بان ما يبلغهم إياه من احكام واوامر هى من عند الله ولا سبيل إلى مخالفتها ، وهو امر كان سيسفر لا محالة عن تغير اقتصادى جذرى فى اوضاع مكة ، وفى موازين القوى داخل عشائر قريش .

علىٰ ايٍّ فقد تخلى ابو لهب عن حماية النبى ، فاصبح من الخطر كل الخطر ان يواصل الدعوة فى مكة ، او حتى ان يستمر فى الاقامة بها . فإن كان النبى قد دخل فيما بعد فى جوار المطعم بن عدى ، سيد بنى نوفل ، فالغالب ان يكون المطعم قد اشترط على النبى ان يحد بعض الشىء من نطاق الدعوة ، وفرض بعض القيود على حريته فيها . وقد سعى النبى جـــادا قبيل ذلك فى البحث عن مجال لدعوته فى غير مكة . فاتجه فكره اولا إلى الطائف المجاورة ، خاصة ان اهلها من بنى ثقيف كانوا فى الماضى من اكبر منافسى تجار قريش ، وإن صاروا اليوم خاضعين لنفوذهم . وبالرغم من ان اعتناقهم الاسلام كان يمكن ان يؤدى إلى خلاصهم من هذه التبعية المالية لمكة ، فقد ابوا – لسبب او اخر – (ربما لخوفهم هم ايضا من قيام نفوذ سياسى للنبى) ان يقبلوا دعوة النبى ، فعاد إلى مكة دون ان يحقق طائلا . ثم نعلم جميعا كيف لقيت مفاوضاته مع اهل يثرب ما لقيت من نجاح ، وهم الذين كانوا فى حاجة ماسة إلى نفوذ سياسى قوى يضع حدا للصراع الدموى بين الأوس والخزرج ، وكيف هاجر عام ٦٢٢ م إلى تلك المدينة مع نحو سبعين من المسلمين ، وكيف كان احد عوامل انتصاره فى النهاية على مكة تضييق المســلمين الخناق على تجارة قريش حتى اضطرت إلى التسليم والاذعان

خلاصة القول أن مثل هذه الخيانة من جانب ابى لهب للنبى من اجل مصلحة مادية انانية هى على حساب مصلحة عشيرته ، وبتاثير قوى من زوجته ، هو وحده ما يفسر لنا ذلك السخط الشديد عليهما مما نلمسه فى سورة المسد .

والله بعد ذلك اعلم بما اراد .

حسين احمد أمين

(١) بلغ عدد مهاجرة الحبشة ٨٣ مسلما ، اصطحب الكثيرون منهم عائلاتهم معهم ، فى حين بلغ عدد المهاجرين إلى المدينة نحو سبعين مسلما .

إسحاق نافون

رئيس وزراء محتمل لتأخير الانفجار الطائفي في إسرائيل

مع ازدياد عمق الهوة الطائفية في الكيان الصهيوني ، بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين ، اخذ نجم رئيس الكيان الحالي إسحاق نافون بالتالق كخليفة محتمل لرئيس الوزراء الحالي مناحم بيجن ، خاصة وان نافون سياسي صهيوني قديم ، وهو من «حمائم» حزب العمل المعارض منذ عام ١٩٦٨ ، لكن ابرز مؤهلات نافون لشغل منصب رئيس الوزراء القادم في اسرائيل ، هي كونه يهوديا شرقيا ، يحظى برصيد سياسى مؤثر بين الطوائف الشرقية ، على الرغم من صفته الحمائمية وعضويته فى حزب العمل ، الذى أصبح حزب «البيض» من اليهود الغربيين .

وقد اعلن نافون نفسه فى ايلول (سبتمبر) الماضى ، انه لا يستبعد العودة الى خوض غمار الحياة السياسية مجددا فى العام الجديد (١٩٨٣) ، وقال انه سيقرر فى الشهر الحالى كانون الثانى (يناير) او فى الشهر القادم شباط (فبراير) ، فيما اذا كان سيرشح نفسه مرة اخرى «لرئاسة الدولة» لفترة خمسة اعوام قادمة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم : عصام شريح

من المعروف ان «رئيس الدولة» فى اسرائيل هو رئيس فخرى ، وصلاحياته هى مجرد صلاحيات احتفالية ، وهو كملكة (او ملك) بريطانيا ، يملك ولا يحكم ، وليس له من السلطة والتاثير فى صنع القرارات السياسية او غيرها اى شىء ، و «رئيس الدولة» فى المحصلة ليس اكثر من رمز لملوك اسرائيل السابقين فى عهد الاغتصاب الأول لأرض فلسطين العربية ، لكنه الرمز الذى يضفى عليه الاسرائيليون صفات العلم ، والثقافة ، والأدب ، والتادب والفلسفة والتفلسف ، والرصانة والترصن والحصافة والتحصف ، والهدف من وراء إضفاء هذه الصفات هو خداع العالم المتمدن والراى العام العالمى ، ولاعطاء اسرائيل صفة «الدولة» العصرية ، بل وصفة الدولة المستقبلية دوما وابدا . ولوضع صورة حقيقية «لرئيس الدولة» فى



اسحاق نافون

إسرائيل ، وتبيان سلطاته الفخرية ، نشير الى صلاحياته المعلنة فى سبعة بنود ، وهى كما يلى :

- توقيع كافة القوانين باستثناء تلك المتعلقة بصلاحيات رئيس الدولة .
- توقيع المعاهدات بعد إقرارها فى الكنيست .
- تعيين مندوبى الدولة الدبلوماسيين بموجب توصية من وزير الخارجية ، وتسلم اوراق اعتماد المندوبين الدبلوماسيين للدول الأجنبية لدى اسرائيل .
- استلام التقارير عن جلسات الحكومة .
- قبول استقالة الحكومة والعمل على تشكيل حكومة جديدة عن طريق الاستشارات مع قوائم الاحزاب فى الكنيست ، وإلقاء مهمة تشكيل الحكومة على احد اعضاء الكنيست .

● اصدار العفو ، وتخفيف العقوبات عن السجناء بموجب توصية من الجهات الحكومية المختصة .

● تعيين مراقب الدولة وعميد بنك اسرائيل والقضاة المدنيين والقضاة الشرعيين للطوائف المختلفة .

وإذا كانت صلاحيات «رئيس الدولة» تقتصر على الجانب البروتوكولى ، فان الحكومة والكنيست هما اللذان يتقاسمان السلطة السياسية .

وقد درج الرؤساء السابقون فى الكيان الاسرائيلى على الالتزام بالهامش البروتوكولى من السلطة ، فالرؤساء الذين سبقوا الرئيس الحالى إسحق نافون ، وهم حاييم وايزمن ، واسحق بن زفى ، وزلمان شازار ، وافرايم كاتزير ، حاولوا قتل اوقات الفراغ بالتظاهر ببذل نشاطات تتعلق بالثقافة والادب والمجتمع ، فجعلوا مقر الرئاسة ملتقى للادباء والمفكرين والسياسيين والكتاب والفنانين البارزين .

وقد تركز معظم هذا النشاط لرؤساء اسرائيل حول «ملتقى دراسة التوراة» الذى كان يحضره ويشرف عليه رئيس الوزراء الاسبق دافيد بن جوريون ، ثم «ملتقى وضع اليهود فى الدياسبورا» ، وهدف هذا الملتقى هو دراسة اوضاع اليهود فى «بلاد الشتات» ، وقد اضيفت الى هذه المهمة بعد حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، مهمة اخرى هى بحث اثار «حرب يوم الغفران» على إسرائيل . وكان زلمان شازار اكثر الرؤساء الصهاينة نشاطا فى هذا الميدان ، فقد اشرف على عقد عدة مؤتمرات وندوات علمية ، دعا اليها علماء واختصاصيين يهودا واوربيين واميركيين من الخارج ايضا ... والمهم ان رؤساء إسرائيل كانوا يحاولون على الدوام إضفاء الصفة الحضارية والعقلانية والتقدمية على الكيان الصهيونى من خلال نشاطاتهم الثقافية والادبية ورعايتهم للمفكرين والفنانين .

لكن من الملاحظ ان إسحق نافون ــ وهو الرئيس الخامس ــ قد حاول الخروج على تقاليد اسلافه ، والقانون الذى حدد صلاحيات الرئيس ، ونسجل له هنا محاولتين فى هذا المضمار على الاقل هما :

اولا : « خــلال زيارته للقاهرة فى ٢٦ ــ ١٠ ــ ١٩٨٠ ، وفى اعقاب اجتماعين عقدهما مع الرئيس المصرى الراحل انور السادات ، ادلى نافون بتصريحات سياسية تتعارض مع صلاحياته « كرئيس للدولة» ، وتتناقض بصورة جلية مع التقاليد التى سار عليها الرؤساء السابقون . ففى اعقاب الاجتماع الاول صرح نافون انه بحث مع الرئيس السادات فى إيجاد سبل لتوسيع حجم تطبيع العلاقات الثنائية ، وكذلك التطورات فى محادثات الحكم الذاتى . وبعد الاجتماع الثانى ، وخلال مؤتمر صحفى مشترك مع الرئيس السادات ، قال نافون : إنه توصل الى اتفاق مع الرئيس المصرى الراحل حول فتح الحدود البرية ودخول السياح الى دير سانت كاترين ، وشئون تطبيع العلاقات الثنائية .. الخ .

ثانيا : فى إعقاب مجزرة مخيمى صبرا وشاتيلا للفلسطينيين فى القطاع الغربى من بيروت ، خرج اسحق نافون عن «وقار» الرئاسة المزعوم ، وادلى بعدة تصريحات سياسية ، حاول خلالها «تبرئة» الجيش الاسرائيلى الغازى من «المجزرة» ، بالقاء تبعاتها على حزب الكتائب اللبنانى . وكان من عباراته الشهيرة فى هذا المقام ، قوله : «نريد أن نطهر ضمائرنا » ولندع المذنب يدفع الثمن ، وينبغى أن ندين المعتدين ، ونحن نعرفهم : انهم الكتائبيون .. وان من يقتل النفس فكانه قتل العالم كله ؟!!» .

وبالطبع فان « استفاقة الضمير» التى يزعم نافون انها اصابته فى الصميم هى كذبة كبيرة ، لاننا لم نسمع نافون ينبس ببنت شفةايام مجازر دير ياسين وقبية والسموع وبيروت ، واليوم مجازر جبل الشوف التى يقف وراءها الجيش الاسرائيلى الغازى بكل وضوح .. وعلى كل حال فان الكذب والخداع والغش وما شابه من صفات سفلية هى فى صميم الطبع والطبيعة اليهوديتين ، ولعل الفيلسوف الالمانى «شوبنهور» كان دقيقا الى ابعد الحدود عندما رسم صورة للطباع والطبيعة اليهوديتين بطرحه التساؤل التالى : اليس «الشعب المختار» هو اكذب شعب على وجه الارض ؟؟» .



بيجن — بن جوريون — شوبنهور

من هو نافون ؟

ينحدر نافون من أسرة يهودية شرقية ، هاجرت من اسبانيا الى المغرب ، ومن المغرب الى فلسطين قبل ٣٥٠ عاما ، وعندما انتخب «لرئاسة الدولة» فى الكيان الصهيونى فى ايار (مايو) ١٩٧٨ ، قال إن مهمته «هى تعزيز الاحساس بالوحدة فى دولة تتكون من شعب جاء من ١٠٢ دولة ، ويتكلم ٨١ لغة» !! ، واضاف «إن تاريخ اليهود هو ما فعل الاخرون لهم ، وليس ما فعلوه هم كدولة» ، واهم الخطوط فى حياة نافون يمكن تسجيلها فى الشريط التالى :

● ولد فى نيسان (ابريل) ١٩٢١ فى مدينة القدس العربية ، من ابوين يهوديين من أصل مغربى ، وله ولد واحد وبنت واحدة ، وهو خريج الجامعة العبرية فى القدس ، ومتخصص فى الادب العربى والثقافة الاسلامية ، إضافة الى تخصصه فى أصول تدريس الادب العبرى .

● فى الفترة ما بين ١٩٤٦ ــ ١٩٤٩ عمل فى وظيفة سكرتير ثان فى بعثة دبلوماسية اوفدتها عصابة الهاغاناه (حكومة الظل فى عهد الانتداب البريطانى على فلسطين) الى الاوروجواى .

● ١٩٤٩ ــ ١٩٥١ عمل فى بعثة دبلوماسية لدى الارجنتين .

● ١٩٥١ ــ ١٩٥٢ شغل منصب سكرتير سياسى لوزير الخارجية (موشى شاريت) .

● ١٩٥٢ ــ ١٩٦٣ : مدير مكتب رئيس الوزراء (دافيد بن جوريون) .

● ١٩٦٣ ــ ١٩٦٥ : رئيس الدائرة الثقافية بوزارة المعارف والثقافة .

● ١٩٦٥ ــ ١٩٧٨ : نائب فى الكنيست ، وخلال هذه الفترة الطويلة نسبيا ، شغل منصب نائب رئيس الكنيست ، ثم رئيس لجنة الدفاع والخارجية بالكنيست .

● ١٩٧٣ ــ ١٩٧٨ : رئيس «المجلس الصهيونى» .

اما بالنسبة لنشاطه الحزبى فقد تقلب إسحق نافون بين الاحزاب الاسرائيلية الرئيسية ، واستقر اخيرا (وحتى الآن) فى حزب العمل ، ففى الفترة من ١٩٥١ ــ ١٩٦٥ كان عضوا فى حزب الماباى (العمل)

إسحاق نافون

رئيس وزراء محتمل لتأخير الانفجار الطائفي في إسرائيل

وفى الفترة من ١٩٦٥ ـ ١٩٦٨ ، انتقل الى حزب «رافى» الذى شكله بن جوريون بعد خروج هذا الاخير من حزب الماباى . وفى عام ١٩٦٨ عاد نافون الى حزب العمل ثانية .

نافون فى خضم الأزمة الطائفية

سواء رشح نافون نفسه لخلافة مناحيم بيجن فى رئاسة الوزراء ، أو استمر فى منصبه الحالى «كرئيس للدولة» للسنوات الخمس القادمة ، فان انظار اليهود الشرقيين «السفارديم» تتطلع اليه كزعيم منتظر لهم ، حيث ان ثقافته واصله السفارديين ، إضافة كونه الشخصية السفاردية الاكثر شهرة فى الحياة السياسية فى اسرائيل ، خاصة بعد «تقزيم» شخصية وزير الاديان السابق ، ووزير العمل والشئون الاجتماعية واستيعاب المهاجرين حاليا ، اهارون ابو حصيرة الذى كان مرشحا قبل ادانته بارتكاب فضائح مالية فى وزارة الاديان ، لان يصبح زعيما مرموقا لليهود الشرقيين . وفى اطار هذا التوقع المستقبلى فان أهم ما يمكن أن يواجهه نافون فى حال توليه الحكم فى إسرائيل كرئيس للوزراء ، هو مسالة الهوة الطائفية الاخذة بالاتساع بين اليهود الغربيين واليهود الشرقيين ، وهذه المسالة تمثل ازمة تاريخية ، باتت بسبب استفحالها تهدد مستقبل الكيان الصهيونى برمته من الداخل .

جذور الازمة

لكن .. قبل الاسترسال فى وصف مظاهر الأزمة الطائفية فى الكيان الصهيونى ، سنحاول تلمس جذور هذه الأزمة . فالاسرائيليون اليوم ينقسمون الى طائفتين رئيسيتين هما :

● طائفة الاشكنازيم : وهم اليهود الغربيون ، الذين هاجروا الى اسرائيل من روسيا وبولونيا والمانيا بصورة خاصة ، ويعتبرون المؤسسين الحقيقيين للكيان الصهيونى ، وهم حكام هذا الكيان الفعليين ، ومعنى «اشكناز» بالعبرية الحديثة «المانيا» والياء للنسبة والميم للجمع (فى اشكنازيم) ، ويهود هذه الطائفة يشبهون « السلاف » فى صفاتهم الجسدية ، ويطلق على لغتهم اسم «اليديش» ، وهي فى الاصل اللغة الالمانية التى كانت منتشرة ومستخدمة فى العصور الوسطى ، بعد ان دخلتها بعض المفردات العبرية والاجنبية (السلافية خاصة) . وقد نشات « اليديشية » فى المانيا ، لكن اليهود حملوها معهم حينما هاجروا الى بولندا وروسيا وفرنسا والنمسا فى القرنين الخامس والسادس عشر ، ومعظم اليهود الاشكنازيين يتكلمون اليديشية وليس العبرية ، كما ان صيغ الدين اليهودي لديهم تختلف عن الصيغ المعروفة لدى اليهود الشرقيين « السفاريم » ، نظرا لاختلاف المؤثرات الحضارية بين الفريقين ولهذا فان مصطلح « اشكناز » ليس له دلالة جغرافية فحسب ، وإنما له دلالة دينية وحضارية ايضا .

● طائفة السفارديم : وهم فى الاصل يهود اسبانيا وبلدان حوض البحر المتوسط وقد تسموا بهذا الاسم نسبة إلى مكان بشمال فلسطين كان يعرف باسم « سفارد » فى الحقبة التى اعقبت السبي البابلي لليهود القدماء ، ولكن معنى الكلمة يدل فى العصور الوسطى لدى اليهود على شبه جزيرة إيبريا (أسبانيا والبرتغال) ، وقد اطلقت هذه التسمية على نسل اولئك اليهود الذين عاشوا اصلا في اسبانيا والبرتغال ، في مقابل تسمية «الاشكنازيم» الذين عاشوا فى المانيا خاصة واوربا عامة وكان ليهود اسبانيا طريقتهم الخاصة فى الصلاة والطقوس الدينية التى تعد استمرارا للتقاليد الدينية اليهودية التى نشات وتطورت فى بابل ، فى حين كانت عبادة وطقوس الاشكنازيم مقتبسة من الأصول اليهودية القديمة . المهم هنا ان الفروق بين السفارديم (اليهود الشرقيين) ، والاشكنازيم (اليهود الغربيين) قد تعمقت نتيجة لتاثر الشرقيين فى عباداتهم وتلاواتهم وتراتيلهم وإنشادهم بالذوق والاسلوب والنغم العربي فى الاذكار والاناشيد والموسيقى ، كما انفرد هؤلاء بنصوص شعرية ونثرية فى أدعيتهم وصلواتهم ، قريبة الشبه بما يماثلها عند المسلمين ، ولكل هذا اكتسب اصطلاح «سفارد» دلالة دينية إلى جانب دلالته العرقية الاصلية . وحينما طرد يهود الأندلس ، اتجهوا إلى تركيا واليونان وشمال افريقيا ، واتبع معظم يهود المنطقة طريقتهم فى العبادة ، مما اسبغ على مصطلح «السفارديم» دلالة اوسع واشمل ، بحيث اصبح يطلق على جميع اليهود الذين يتبعون التقاليد السفاردية فى العبادة ، سواء كانوا من اصل اسباني ام لا وفي وقتنا الحاضر ، يطلق هذا المصطلح على كل اليهود الذين ليسوا من اصل اشكنازي ـ غربي فى الكيان الصهيوني .

ومع أن نسبة اليهود الشرقيين الى مجموع اليهود فى العالم (١٤ مليونا) لا تتجاوز ١٥ بالمائة ، فان هؤلاء أصبحوا يشكلون نسبة متفوقة فى اسرائيل ، حيث بلغت نسبة الشرقيين الى الغربيين حاليا حوالي ستين بالمائة .

مستقبل مظلم

وإزاء هذا الانقسام الطائفى فى الكيان الصهيونى ، فان دعوات خطيرة جدا قد بدات تطفو على سطح الأحداث ، لا لتعلن التمرد ضد سيطرة اليهود الغربيين فحسب ، وإنما مطالبة بفصل «الشراكة» الزائفة بين الغربيين والشرقيين ، لان «الوحدة» لها معنى واحد ليس إلا ، هو سيطرة الاشكنازيم على السفارديم ، بل إن بعض الشرقيين رفعوا اصواتهم بقوة قائلين إنهم يهود عرب ، وكما ان هناك عربا مسلمين ، وعربا مسيحيين ، فهناك ايضا عرب يهود . لقد كان واضحا منذ قيام الكيان الصهيونى على ارض فلسطين المغتصبة فى عام ١٩٤٨ ، ان الغربيين ـ اى اليهود القادمون من المجتمعات الغربية ـ يرفضون باصرار بالغ تحويل اسرائيل الى مجتمع شرقى ، اى الاندماج بالمنطقة العربية ، وكانوا يصرون على انهم جزء من اوروبا والعالم الغربى ، ولذلك فانهم لن يسمحوا تحت اى ظروف بالتهاون فى فرض سيطرتهم الكاملة على «الدولة» وفرض مفاهيمهم «الغربية» على جميع مرافق الحياة فى اسرائيل .

ولقد كان «بن جوريون» ـ اول رئيس

وزراء فى اسرائيل ـ كان واضحا فى احتقاره للشرق وللثقافة اليهودية الشرقية وهو دون شك احد القادة القلائل فى الحركة الصهيونية الذين ارسوا اسس العرقية الاشكنازية فى الكيان الصهيونى ، والوضوح عند بن جوريون فى هذا المجال قائم فى قوله : «اننا لا نريد ان يصبح الاسرائيليون عربا ، وان من واجبنا ان نحارب الروح المشرقية التى تفسد الافراد والمجتمعات ، وان نصون القيم اليهودية الشرعية كما كانت مجسدة فى يهود المجتمعات الغربية» ، او فى قوله : «لا اريد لثقافة مراكش ان تكون عندنا هنا ، كما اننى لا ارى اية مشاركة يمكن ان يقدمها اليهود الايرانيون ... ومن الافضل صهر اليهود الشرقيين ودمجهم فى المجتمع الاسرائيلى الغربى بعد ان نرسخ فى اذهانهم العقلية الغربية ، بدلا من ان يجرونا نحو استشراق مخالف للطبيعة» !!

ويكمل موشى دايان صورة الحقد على الشرق ، كما ارسى اسسها بن جوريون ، بقوله لسايروس سولز بيرجر (كاتب اميركى) : «إن اسرائيل ترتبط باوروبا الغربية وبالولايات المتحدة الاميركية اكثر من ارتباطها بالشرق الاوسط» ، وتساءل دايان متعجباً : «اى شىء مشترك يربطنا بسوريا او بمصر ؟؟!! .. لا شىء .. بالمقارنة مع روابطنا مع الغرب» !

وفى مواجهة هذا التعنت من قبل اليهود الغربيين باحتكار السلطة فى الكيان الصهيونى وفرض مفاهيمهم «الغربية» على هذا الكيان ، ورفض مشاركة اليهود الشرقيين لهم فى اى مجال من مجالات الحكم او الحياة العامة ، كلن لابد لليهود الشرقيين من التحرك ، مادام التململ والالتماس لا ياتيان بالمشاركة والمساواة . وهكذا وقع الانفجار الاول فى حى وادى الصليب بحيفا على شكل تظاهرات دامية بين السفارديم وقوات الامن التى تحرس نظام الاشكنازيم ، وكان ذلك فى عام ١٩٥٩ ، اى فى وقت اتسم بالهدوء بين اسرائيل ودول المواجهة العربية ، وقد تكرر الانفجار ثانية فى عام ١٩٧١ ، بانبثاق حركة «الفهود السود» فى حى المصرارة بالقدس المحتلة ، تلك الحركة التى اخذت ترفع صوتها عاليا فى وجه احتكار السلطة من قبل البيض وضد الامتيازات التى يتمتع بها هؤلاء ، فى حين يعانى الشرقيون من جميع انواع القهر والقمع والفقر والاذلال ، وقد اصطدم الفهود السود بقوات الامن ـ حارسة النظام الاشكنازى ـ اكثر من مرة خلال تظاهرات صاخبة بالقدس المحتلة .. لكن هذه الحركة لم تستطع الصمود طويلا امام عمليات القمع والتفتيت الداخلى الذى مارسه النظام ضدها . إلا ان خمود نيران البركان ، لا يعنى باية حال ان هذه النيران قد انطفات نهائيا ، وانها لن تثور ثانية ، إذ ان البراكين تثور عادة خلال فترات متقطعة ، وبعد وصول حالة إشباع فى داخلها نتيجة لتراكم الابخرة والغازات ، وهذا القانون يحكم المجتمعات البشرية ايضا . وما جرى فى حيفا (وادي الصليب) ، وفى القدس (حي المصراره) ، سيتكرر بالتاكيد ، وربما بعنف اشد واقوى، مادام التمييز قائما فى اسرائيل بين الغربيين والشرقيين .

ويصف لنا شارلي بيطون (احد قادة الفهود السود ، والذي اصبح نائبا في الكنيست التاسع) يصف لنا النظام الاشكنازي فى اسرائيل فيقول : « قبل ان اصبح نائبا ، لم اكن اعي كل ذلك ، فبعد التدرج في الاعمال والوظائف البرلمانية يتحقق الواحد منا من ان كلحزب يمثل مصالحه الخاصة ، ثم مصالح المهيمنين على الحكم قبل ان يفكر بمصالح الدولة العليا . وهكذا يتم توجيه دفة الدولة وتحديد الخط الذي يسير عليه الوطن ، كما انه من الواضح ايضا ان كل حزب يجهد نفسه فى سبيل ان يكون له ممثل عن السود (اليهود الشرقيين) .. ان يكون له «عم توم» (نسبة لرواية العم توم الامريكية) ، ففي حزب الليكود يوجد الوزير ديفيد ليفي ، الذي لا يمل من ان يردد امام الراي العام ، وفي كل مناسبة ، انه كان عامل بناء ، وانه اب لاسرة شرقية تتالف من خمسة عشر فرداً .. فهذا الرجل هو الشخص الذي تستخدمه السلطة لتحطيم جميع الدعوات المطالبة بزيادة الاجور للفقراء » .

اما سعاديا مرسيانو (ابرز قادة الفهود السود) ، فيتنبا ببروز حركة بديلة لحركة الفهود السود ، ولكن اكثر تصميما على الثورة ، ويقول « إن جيل تلك الحركة البديلة ، سيكون اكثر عزما وتصميما ، وسيكون اكثر عنفا وفعالية ، وبالنتيجة فسيكون الانفجار اشد وادهى » .

ويراهن شارلي بيطون على السلام مع العرب ، كعامل اساسي فى تفجير الصراع الداخلي ، ولصالح اليهود الشرقيين ، ويستشهد على ذلك بان المطالب السفرادية كانت تبرز باستمرار خلال فترات الهدوء النسبي على الحدود ، حيث ان التمرد الذي وقع في حي وادي الصليب بحيفا في عام ١٩٥٩ ، حصل في اعقاب الهدوء الذي ساد بعد «حملة» سيناء (العدوان الثلاثي على مصر) ، كما ان حركة الفهود السود برزت الى الوجود في اعقاب حرب الاستنزاف (١٩٦٨ ـ ١٩٧٠) .

ويرفض « كوهافي شيمش » ان يوصف حتى بانه سفرادي ، ويقول : « انا لست سفراديا ، بل انا شرقي ، وبكلمة ادق إنني يهودي عربي » يهودي احمل ثقافة عربية .. إذ لا شيء يجمعني مع يهودي سفرادي بلغاري او يوغوسلافي ؟؟ .

ويبرر شيمش ، انحياز اليهود الشرقيين إلى جانب حزب الليكود ، بالياس من حزب العمل الذي اذاق الشرقيين صنوف الذل والهوان ، ولكنه يتكهن بالانقلاب على الليكود لصالح حركة شرقية صرفة ، عندما تنضج الظروف الموضوعية المطلوبة لذلك .

ويمضي شيمش بعيداً في مطالبة فك العلاقة الهشة بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين ، ويقول « إن القضية الشرقية تبدا فى تضاد مع الايديولوجية الصهيونية ، لان اعتناق العقيدة الصهيونية ، يعني التخلى عن الثقافة الشرقية الاصلية ـ اي الثقافة العربية ، لان الايديولوجية الصهيونية ترتكز على ثقافة اليهود الغربيين ، وهى ثقافة معروفة جدا بتناقضها المباشر مع الثقافة الشرقية ـ العربية » .

نافون .. هل يكون مرحلة ؟

وامام قضية اليهود الشرقيين ، والهوة الطائفية الآخذة بالاستفحال في الكيان الصهيوني ، وإزاء ازدياد تاثير اليهود الشرقيين في صنع الكنيست والحكومات مستقبلا ، فان إسحق نافون ، قد يكون المخرج المناسب امام اليهود الغربيين ، الذين اخذوا يدركون ، من خلال تقهقر شعبية حزب العمل (حزب البيض) ، والاستقطاب الطائفي الواضح والمدمر فى انتخابات الكنيست التاسع ثم الكنيست العاشر ، حيث ان نافون عضو فى حزب العمل ـ حزب الاشكنازيم ـ وهو يوصف عادة بالاعتدال ، وبالابتعاد عن جموح في الراي والمواقف المبدئية .. لكن إسحق نافون ـ إذا جاء إلى الحكم كخليفة لمناحم بيجن ـ لن يستطيع مهما اوتي من الحنكة السياسية والمرونة فى اتخاذ المواقف ، من منع انفجار البركان الطائفي ، وإن كان باستطاعته تاخيره إلى حين .

عصام شريح

علاقات بلاد الشام بمصر في العصر العثماني ١٥١٧ - ١٧٩٨م

بقلم : د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

ARCHIVE

علاقة بلاد الشام بمصر ، اقدم بكثير من العصر العثمانى ، فهى علاقة ممتدة عبر العصور التاريخية وكانت بلاد الشام خلال العصر المملوكى وحتى عام ٩٢٣ هـ ، تمثل جزءاً من الدولة المملوكية ، وكان حكام مناطقها نواباً للسلطان المملوكى فى القاهرة (١) ، وكان لبلاد الشام جيشها المملوكى منوطة به مهة حماية بلاد الشام ، وله ديوانه الخاص به (٢) ، وعن طريق نواب بلاد الشام ، كان السلطان الغورى يتابع أخبار الصراع العثمانى الصفوى ، ويعمل على حماية بلاد الشام وبخاصة حلب التى وصلته الأنباء بانه يخشى عليها من العثمانيين ، ولذا قرر ارسال تجريدة تقيم بها وتحرس البلاد ، بل اشيع فى البلاد أن السلطان الغورى نفسه سوف يسافر الى حلب ، مما ادى الى ارتباك الاحوال فى القاهرة ، والاضطراب بين العسكر ، حتى تحقق امر سفر السلطان الى البلاد الشامية ، حينما برز الى الريدانية فى ٦ ربيع الآخر ٩٢٢ هـ الموافق ٩ مايو ١٥١٦ م لمواجهة الخطر العثمانى الذى وصلته الأنباء بان حلب سوف تتعرض له ، من ناحية ، وتامين الطريق الذى يمر به التجار الذين يجلبون المماليك الشراكسة الى بلاد السلطنة المملوكية ، ولذا فان السلطان الغورى تحرك فعلا فى ١٥ ربيع الثاني ٩٢٢ هـ الموافق ١٨ مايو ١٥١٦ م ، قاصداً نحو البلاد الشامية والحلبية (٣) . ووصل الى دمشق فى ١٨ جمادى الأول ٩٢٢ هـ الموافق ٢٠ يونيو ١٥١٦ م ، واستقبل فيها استقبالاً حافلاً ، برز فيه كبار الاداريين المماليك والقضاة والعلماء والفرنجة المستامنون فى دمشق ، ونثر صدقة اليهودى ، المسئول عن دار ضرب النقود ، وقنصل الفرنجة الدراهم على الاهلين بهذه المناسبة للتعبير عن ولائهما ولكسب رضى السلطان» (٤) ، ثم اتجه الى حلب ، وانضم اليه كل من خاير بك نائب حلب وجانب بردى الغزالى نائب حماة ، ودخلت الجيوش المملوكية حماة فى ١٠ جمادى الثانى ٩٢٢ هـ الموافق ١١ يوليه ١٥١٦ م ، وحاول مراسلة الشاه اسماعيل الصفوى للتفاوض معه من اجل التحالف ضد العثمانيين ، ولكن مراسلاته وقعت فى ايدى العثمانيين ، مما دفع بالسلطان سليم الى الاسراع فى مهاجمة المماليك ، فاحتل عنتاب واستعد للسير نحو حلب للقاء الغورى (٥) ، ثم كان لقاء الجيشين المملوكى والعثمانى فى ٢٤ رجب ٩٢٢ هـ ـ ٢٣ اغسطس ١٥١٦ م ، وحلت الهزيمة بالمماليك ، وكانت هذه الهزيمة نذيراً بانهيار النفوذ المملوكى فى بلاد الشام بل وانهيار النظام المملوكى برمته فى كل من بلاد الشام ومصر ، وقد تم هذا الانهيار بعد ان حددت معركة الريدانية مصير هذا النظام ، وبداية عهد جديد فى تاريخ المنطقة هو العهد العثمانى (٦) ، وهو مجال هذا البحث ، ورغم أن العثمانيين قضوا على النظام المملوكى ، فان انهيار النظام المملوكى لا يعنى مطلقا انقطاع الصلة بين مصر وبلاد الشام خلال العصر العثمانى ، فان استقراء تاريخ المنطقة من مظانه الأصلية يثبت لنا استمرار العلاقة بين الاقليمين سياسيا وثقافيا ، واقتصاديا واجتماعيا .

أولا : الناحية السياسية

إن المتتبع للاحداث التاريخية فى كلا الاقليمين ، منذ البداية يدرك انعكاس اثر الأحداث التى كان يمر بها كل من الاقليمين على أحداث الاقليم الآخر ، فمثلا حينما راجت شائعات عن هزيمة قوات السلطان سليم فى مصر ، فان أهالى بلاد الشام استغلوا هذه الشائعات ، وثاروا ضد العثمانيين فى كل من صفد ودمشق ، مما اضطر السلطات العثمانية فى دمشق فى صفر ٩٢٣ هـ ـ فبراير ١٥١٧ م ، ان تذكر فى بلاغاتها الرسمية اشادتها بالعناصر المملوكية التى تعاونت معها ، وتنكيلها بالعناصر الشعبية التى وقفت ضدها وساعدت الجيش المملوكى «وفى هذا تذكير



فلم الشوام بدور بارز فى تاريخ مصر فى العصر العثمانى

لعوام وزعر دمشق بوجوب الخضوع للعثمانيين ، وتشجيع للموالين للعثمانيين على غرار خاير بك» (٧) ، كما انه كان لإعلان نبأ القبض على السلطان طومان باى ، اثر كبير على تعاظم نفوذ العثمانيين فى بلاد الشام ، وتوطيد سلطتهم ، واتخذت اجراءات كثيرة لادخال تنظيمات جديدة «كتخفيض سعر العملة العثمانية بمقدار النصف» (٨) واتخاذ اجراءات أمن مشددة لردع الزعـر وارهاب الاهالى ، وضبط الممتلكات ، والتفتيش على المستندات المتعلقة لمعرفة المزورة منها ، ودققت مستندات الأوقاف ، وبذلك «استغلت انتصارات العثمانيين فى مصر لادخال كثير من التنظيمات فى بلاد الشام» (٩) بل كان «كل ظفـــــر للعثمانيين على المماليك فى مصر ، كان يتلوه اتخاذ اجراءات غير شعبية فى بلاد الشام» (١٠) .

وفى الحقيقة فان التنظيمات العثمانية التى تمت فى بداية الحكم العثمانى فى كل من مصر وبلاد الشام ، لم تكن دقيقة وإنما كان الهدف الاساسى منها فى تلك الفترة تسيير الامور بصورة مؤقتة ، كما انها اهتمت فى المقام الاول بالشئون المالية وفرض الضرائب ، وهو الامر الذى كان يهم العثمانيون بالدرجة الاولى مما جعل الناس فى كلا الاقليمين يتذمرون ضد الحكم العثمانى منذ البداية (١١) . هكذا نرى كيف أن كلا من الاقليمين كان يتأثر سياسيا بالاحداث التى كانت تحدث فى كليهما ، وبعد ان خضع الاقليمان كلية للحكم العثمانى ، وبدا العثمانيون يمارسون سلطتهم فى كل من مصر وبلاد الشام عن طريق ولاتهما ، فان استمرار تاثير الاحداث فى تاريخ البلدين استمر ، فتذكر لنا المصادر المعاصرة انه حينما حدثت اول انتفاضة ضد الحكم العثمانى فى بلاد الشام ، بزعامة جان بردى الغزالى والى الشام الذى عمل على الغاء التنظيمات العثمانية بالتدريج لمحاولة كسب ود الاهالى ، حدث اتصال بين والى الشام وخاير بك والى مصر للتعاون فيما بينهما ضد الحكم العثمانى ، حقيقة فان الغزالى لم يحظ بتاييد خاير بك ، الذى ظل على ولائه للعثمانيين بل انه ابدى استعداده لارسال جيش ضد الغزالى ، رغم ان الغزالى «عرض عليه فصل بلاد الشام ومصر عن العثمانيين وإعادة السلطنة المملوكية ، ووعد الغزالى خاير بك باقتسام السلطة وان يكون الغزالى حاكما على بلاد الشام وخاير بك على مصر» (١٢) وهكذا كانت اول فتنة ضد الحكم العثمانى تنشد التعاون بين مصر وبلاد الشام ، من اجل اعادتهما الى الحوزة المملوكية الخالصة مرة ثانية ، ولو قدر لهذا التعاون ان يتم لربما تغير وجه تاريخ المنطقة ، ولكن عدم تعاون خاير بك مع الغزالى ساهم بصورة واضحة فى فشل هذه الثورة المملوكية ضد النظام العثمانى فى تلك المرحلة من تاريخ المنطقة بل «ويعتبر القضاء على الغزالى قضاء على آخر نفوذ للمماليك فى بلاد الشام وبداية لحكم العثمانيين الفعلى لها (١٣) . ورغم موقف خاير بك العدائى من ثورة جان بردى الغزالى ، فان ذلك لم يمنع من وجود عناصر مملوكية فى مصر الثلجها نبأ هذه الثورة ، وتمردت على السلطة العثمانية فى مصر ، ولاذت بالفرار الى بلاد الشام وانضمت الى جانب جان بردى الغزالى ، اى ان رد الفعل إزاء ثورة الغزالى فى مصر كان قويا حتى ان المماليك كانوا «ينتظرون هجوم الغزالى على مصر ... ليعلنوا ثورتهم» .

ولذا فان السلطان سليمان كان يخشى ثورة المماليك فى مصر فطلب من خاير بك ان يبقى بقواته فى مصر «وهو يتدبر امر الغزالى» (١٤) ، كما ان نفوذ البدو ازداد فى تلك الفترة الانتقالية حتى انهم سيطروا «على اكثر المناطق الواقعة خارج المدن فى ولاية مصر فى هذه الفترة» بل إن جانم السيفى واينال السيفى ، حينما قاما بثورتهما ضد الحكم العثمانى تم التنسيق بينهما على «الالتقاء بقواتهما فى الشرقية حيث يمكنها السيطرة على الطريق التجارية مع الشام» (١٥) اعتقادا منهما

لاهمية الصلة بين مصر وبلاد الشام ، وبعد ان استقر الحكم العثمانى فى كل من مصر وبلاد الشام ، وبخاصة بعد القضاء على الثورات المملوكية التى واجهها هذا الحكم فى بدايته ، نجد ان الوضع فى الاقليمين تميز – وحتى الربع الأخير من القرن السادس عشر حينما بدات ثورات الجند – بالهدوء ، وانعكس اثر ذلك كما يتضح من استقراء تاريخ الاقليمين فى تلك الفترة على العلاقات السياسية بين الاقليمين ، وقد اتاح هذا الهدوء الفرصة للولاة ان يقوموا ببعض المشروعات الخيرية ، وتامين طرق الاتصال بين البلدين ، ولكن حينما بدات تمردات العسكر ضد الحكم العثمانى ، نجد ان التمردات حدثت فى الاقليمين فى فترة زمنية واحدة (١٦) ، بل ان خزنة مصر المرسلة الى استانبول فى عام ١٥٨٤ م ، هوجمت فى منطقة عكار فى لبنان ، وفى الفترة التى كانت تشهد تمردات جند السباهية فى مصر فى مطلع القرن السابع عشر كانت تشهد منطقة حلب ببلاد الشام تمردات افراد اسرة آل جانبلاط وبخاصة تمرد علي بن احمد بن جانبلاط الذى تمكن من الاستيلاء على ولاية حلب قهراً ، وكون جيشا كبيراً من السكبان ورفض دفع اموال الميرى ، وتذكر المصادر المعاصرة ان السلطان العثمانى ، كلف والي مصر بارسال تجريدة من طرفه للمشاركة فى القضاء على هذا التمرد الذى وقع في بلاد الشام ضد الحكم العثماني ، وفعلا سافرت تجريدة من مصر وشاركت في القضاء على هذه الفتنة المحلية ، ثم تكرر إرسال مثل هذه التجريدات من مصر الى بلاد الشام للقضاء على الفتن التى كانت تحدث من جانب الأمراء المحليين ، او من البدو ضد الحكم العثمانى حتى القضاء على نفوذ اسرة آل العظم فى الربع الاخير من القرن الثامن عشر حيث تم ذلك بناء على تدخل من جانب السلطات المملوكية فى مصر ، ومما يؤكد ارتباط احداث تاريخ الاقليمين السياسى ، ان اول غزو اجنبى فى العصر الحديث على المنطقة ، ونعنى به الحملة الفرنسية ، كان يستهدف الاقليمين معاً ، وقد قووم هذا الغزو من جانب الشعبين المصرى والشامى ، مقاومة عنيفة بل ان قاتل كليبر احد قواد الحملة كان من ابناء حلب بالشام (١٧) .

هكذا نرى ان علاقة مصر ببلاد الشام من الناحية السياسية لم تنقطع بانهيار الدولة المملوكية التى كانت تسيطر على الاقليمين وإنما فوق ان كلا البلدين خضع لنفوذ حاكم اعلى واحد هو السلطان العثمانى ، فان الاحداث المحلية التى كانت تحدث فى اى من الاقليمين كانت تؤثر فى الاقليم الآخر إن سلباً وإن إيجاباً ، وكثيراً ما كان حاكم مصر او واليها من قبل السلطان العثمانى يكون قد سبق له ممارسة العمل فى حكم ولايات الشام بل وكثيراً ما كان والي مصر ياتى عن طريق بلاد الشام ، وهو ما كان يعرف بالطريق البرى آنذاك . (١٨)

إن العمل السياسى بين الاقليمين ظل مستمراً بل إنه خلال القرن الثامن عشر وحينما تعاظم نفوذ القوى المحلية فى كليهما حدث بين بعض اطراف هذه القوى تنسيق واتفاق فى العمل ضد الحكم العثمانى ، ولو قدر لهذه القوى ان تعطى لعملها شيئاً من الجدية والرغبة فى الانفصال عن الدولة العثمانية بصورة تامة لتحقق لها ذلك ، ولكن من الملاحظ ان هذه القوى كانت راضية بالنفوذ الذى وصلت اليه فى مناطقها دون الرغبة الجدية فى الانفصال عن السلطان العثمانى ، خليفة المسلمين .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثانيا : العلاقات الاقتصادية :

كانت مصر ، في العصر العثماني بمثابة المحور الرئيسي ، الذي تتم عن طريقه عملية التبادل التجاري ، والاستثمارات الاقتصادية ، بين البلدان العربية ، فمنها تخرج القوافل التجارية ، إلى المناطق العربية المختلفة فى المغرب والمشرق على السواء . وإليها تعود هذه القوافل محملة بمنتجات هذه المناطق . وكذلك كانت مصر مركزاً لعمليات التصدير والاستيراد ، مع كل البلدان الاوربية والافريقية والآسيوية .

وقد كان لموقع مصر ، في قلب الوطن العربي ، اثره على هذه المحورية ، فضلا عن اشرافها على البحرين ، المتوسط والاحمر ، حيث المسالك البحرية التى تربط ذات القارات السابقة ، بعضها ببعض ، وبذلك اصبحت مصر سوقاً اقتصاديا مفتوحاً للتبادل ، وممارسة النشاط التجاري ، لأبناء الولايات العربية جميعاً ، ومن بينهم ابناء الشام الذين قدر لعدد كبير منهم ، ان يشتغل بالتجارة سواء في داخل مصر ، او ممارسة هذا العمل مابين مصر ، وبلاد الشام ، وقد سبق لنا في العدد السابق ان عالجنا الدور الذي كان يقوم به ابناء فلسطين في هذا المجال (١٩) ، ونعالج هنا الدور الذى كان يقوم به ابناء المناطق الشامية الاخرى ، فتذكر لنا وثائق المحاكم الشرعية كثيراً من التجار الشوام الذين حملوا نسبة الدمشقى ، والحلبى ، والحمصى ، والطرابلسى ، والحموى ، وقد اشتغل هؤلاء التجار بالمتاجرة ، فى مختلف السلع التى كانت رائجة آنذاك ، من اقمشة قطنية وحريرية ، وتبغ وصابون ، ومشروبات وحلوى ، ومشمش مجفف ، وتين مجفف ، وقمر الدين ، كانوا ياتون بها من دمشق ، واللاذقية ، وصور وصيدا وحلب ، الى السوق المصرية ، ويقومون بدورهم بنقل السلع المصرية والمستوردة اليها الى اسواق بلاد الشام ، واهم هذه السلع : الارز ، والقمح ، والعدس ، والحمص ، والكمون ، والزعفران ، والكتان وجلود حمراء ، وبن يمنى ، وبذور النيلة ، وعقاقير من انواع مختلفة ، وتمر هندى ، وسمسم ، وصدف الاحجار الكريمة ، والزنجبيل ، والعبيد السود (٢٠) .

واستطاع بعض هؤلاء التجار الشوام ، أن يكون شركات خاصة ببعض هذه السلع كما قام البعض ، بدور المستورد والمصدر على نطاق واسع ، وخير مثال لذلك : الذمى نقولا النصرانى الحمصى الشامى ، الذى كان يقوم باستيراد المرجان ، ويقوم بتصديره الى اوروبا ، ويوزعه على التجار المشتغلين بالتجارة في هذه السلعة بوكالة المرجان بالقاهرة (٢١) . كذلك اشتغل بعض التجار الشوام بالمتاجرة فى المجوهرات ، فيقف الباحث فى وثائق المحاكم الشرعية على اسماء كثير من التجار الشوام ، فى سوق الصاغة بالقاهرة كما يعثر على اسماء تجار شوام فى الأسواق والوكالات الاخرى ، مثل سوق الحمزاوى ، وسوق الغورية ، وسوق طولون وسوق باب الشعرية ، وسوق النحاسين ، وسوق السلاح ، وسوق الجملون ، وسوق الشرب ، ووكالات السكر ، والمرجان ، والغورية والكعكيين ، والشرايبى (٢٢) .

وكذلك وجد تجار شوام باسواق الاسكندرية ، ودمياط ، ورشيد ، والمنصورة والمحلة ، وزفتى ، وميت غمر ، وغيرها من المدن والموانى المصرية .

وقد كان حجم التجارة المتبادلة بين مصر وبلاد الشام كبيراً ، فقد ذكر شابرول ضمن قائمة البضائع المستوردة الى مصر عام ١٧٧٥ م ، أن الاقمشة القطنية والحريرية ، التى استوردت الى مصر ، من كل من دمشق وحلب ، بلغ حجمها مائة طرد (١٠٠ طرد) وكمية الحرير التى استوردت من بيروت (٥٠٠ بالة) ، ومن طرابلس (٥٠٠ بالة) ، وكميات أخرى لم يحدد حجمها (٢٣) .

كذلك اشتغل بعض الشوام فى داخل المجتمع المصرى ببعض الصناعات والمهن الحرفية ، ومهن الخدمات ، وقد اشتهر الشوام فى القاهرة بصناعة الحلوى والبقسماط مثل «الشيخ عمر والحاج محمد ولـد المرحـوم الحـــاج احمـــد الشامي البقسماطي كلاهما » (٢٤) ، وكذلك صناعة الأسلحة ، اما المهن التى اشتهر الشوام بالاشتغال بها ، فهى الحياكة ، والدباغة وغيرها . وقد أصبح للتجار الشوام ، وكلاء تجاريون ، يعملون باسمهم فى موانى البحر الاحمر فى «جدة» و «المخا» ، و «السويس» ولم يقتصر نشاطهم على المتاجرة فى السلع الشامية ، وإنما امتد ليشمل السلع اليمنية والهندية (٢٥) ، التى راجت فى مصر فى ذلك العصر رواجا كبيرا ، وقد استثمر هؤلاء التجار والحرفيون ، فائض راس المال الذى توفر لديهم ، فى مختلف أوجه الاستثمار التى سبق لنا معالجتها ، فى البحث الخاص بمصر وفلسطين فى العصر العثمانى . ومما تجدر الاشارة اليه أن العلاقة الاقتصادية بين مصر وبلاد الشام ، لم تكن قصراً على نشاط الشوام فقط ، دون أن يقوم ابناء مصر ، بمثل هذا الدور ، فى بلاد الشام فقد ثبت من دراسة وثائق المحاكم الشرعية بكل من حلب ودمشق ، أن هناك جالية مصرية كبيرة وجدت ببلاد الشام ، واشتغلت بمختلف انواع التجارات ، التى سبقت معالجتها ، وقامت بنفس الدور الذى قام به الشوام فى مصر ، وكثير منهم استقر فى المدن والقرى الشامية ، وفى نفس الوقت حافظوا على نسبتهم المصرية ، وبذلك حافظ كل من التجار الشوام الذين وجدوا بمصر ، والتجار المصريون الذين وجدوا ببلاد الشام على استمرار العلاقات الاقتصادية بين مصر وبلاد الشام ، طوال العصر العثمانى (٢٦) .

ثانيا : العلاقات الثقافية

سبقت لنا معالجة العلاقة الثقافية بين مصر وفلسطين ، فى العصر العثمانى ورأينا أن عدداً كبيراً من ابناء فلسطين ، تلقوا تعليمهم فى الأزهر الشريف ، والمدارس المصرية الاخرى ، كما انه قدر لبعضهم ان يشتغل بالتدريس فى الأزهر ، ويتولى كثير من المناصب العلمية والقضائية . كما عالجنا الدور الذى كان يلعبه رواق الشوام فى الأزهر (٢٧) .

والواقع أن العلاقات الثقافية بين مصر وبلاد الشام ، لم تكن قاصرة على فلسطين فقط ، وإنما امتدت لتشمل جميع المناطق الشامية ، بدليل توافر عدد كبير من العلماء الذين ينتسبون الى هذه المناطق ، والذين تلقوا علومهم بالأزهر وأجيزوا على يد علمائه ، كما أن كثيراً من علماء الجامع الاموى بدمشق ، نزلوا مصر ودرسوا بأزهرها ، وكانت لهم صلات علمية بعلمائه فالجبرتى والمحبى ووثائق المحاكم الشرعى يرصدون لنا تراجم عدد كبير من الدمشقيين والحلبيين ، الذين تعلموا بالأزهر ، وتقلدوا وظائف علمية وقضائية بمصر ، مثل «أحمد بن ابراهيم ، المعروف بابن تاج الدين الحنفى الدمشقى» والذى كان يعد من صدور اهل الشام ، فقد تمكن هذا العالم ، من ان يصبح قاضيا بفوه بمصر ، وبعد أن ترك القضاء تولى «تدريس المدرسة الاحمدية ، بالمشهد الشرقى بجامع بنى امية ، المعروفة بدار الحديث» (٢٨) ، والشيخ حسن بن زين الدين الشهيد العاملى الشهير بالشامى ،

كما اتى الى مصر للاخذ على علمائها ، القاضى حسين بن محمود بن محمد بن عيسى بن موسى العدوى الزوكارى الصالحى ، القاضى الفقيه الاديب الشافعى المذهب ، الذى اخذ عن البرهان اللقانى ، وأبى العباس المقرى وغيرهما . وعاد وولي قضاء الشافعية بمحكمة الميدان ، والمحكمة الكبرى بدمشق ، وافتى على مذهب الشافعية مدة ، ومن الامثلة كذلك الشيخ شحادة بن ابراهيم الحلبى الشافعى ، الذى ولي مشيخة الجامع الازهر ، ووصف بانه «علامة المعقول والمنقول ، وشيخ اهل الفروع والاصول ووحيد عصره ، وعميد مصره ، وشيخ الجامع الازهر ومشكاة مصباحه الانور ، وليس العلم الذى لا يجارى ، وليث الفضل الذى لا يبارى» (٣٠) . وغير هؤلاء من العلماء الشوام الذين تفيض المصادر بذكرهم ، فضلا عن العلماء الشوام من ابناء فلسطين والذين سبق لنا ذكرهم .

وكذلك تذكر لنا المصادر بعض العلماء المصريين الذين تلقوا علومهم بالجامع الاموى بدمشق ، او بالمسجد الاقصى . كما تذكر بعض العلماء المصريين الذين تصدوا للتدريس فى المدارس الشامية ، وأصبح لأهل الشام فيهم اعتقاد مثل «بعث الله المصرى الحنفى نزيل دمشق» (٣١) .

وبذلك كانت الصلة الثقافية بين الاقليمين قائمة ومستمرة ، فكانت بمثابة ما يعرف فى وقتنا هذا بالتبادل الثقافى بين المؤسسات التعليمية الذاتية التى كانت قائمة انذاك مثل الجامع الاموى ببلاد الشام ، والمسجد الاقصى بفلسطين ، والجامع الأزهر والمدارس الاخرى التى كانت قائمة بالقاهرة بمصر (٣٢) . أى أن التاثير كان متبادلا بين البلدين ، مما أوجد بينهما تكاملا ثقافيا قائما على الأخذ والعطاء .

رابعاً : العلاقات الإجتماعية

اما عن العلاقات الاجتماعية ، فقد كانت نتاجـا طبيعيـا للعـلاقات الاقتصـاديـة والثقافية . فالمتتبع للخريطة العمرانية لكل من المدن المصرية مثل القاهرة والاسكندرية والمنصورة بالذات ، لا يكاد يجد حيا من احياء هذه المدن ، التى كانت قائمة فى العصر العثمانى ، لا يقطنه بعض الشوام ، ممن يمارسون أحد الأنشطة الاقتصادية التى سبق لنا معالجتها (٣٣) ، ونتيجة لاشتغال هؤلاء الشوام بالمهن التجارية والحرفية التى تمس حياة المجتمع اليومية فانه حدث اختلاط كبير بينهم وبين ابناء المجتمع المصرى ، وعن طريق تعاملهم اندمجوا بفئات هذا المجتمع ، وازداد هذا الاندماج قوة عن طريق عمليات التزاوج التى تمت بين شوام ومصريات ، وبين شاميات ومصريين ، كما ان كثيراً من الاسر الشامية استقرت بالمدن والأرياف المصرية وتاثروا بالعادات والتقاليد المصرية ، واثروا بدورهم فى هذا المجتمع ، واعجب المجتمع المصرى بكثير من العادات والتقاليد الشامية ، وتعدى هذا الاعجاب

العادات والتقاليد إلى الاعجاب بالشخصية الشامية التى حازت شهرة واسعة ، فشخصية «ابو الشام» اصبحت فى نظر المصرى ، محل التقدير والاحترام ، حتى ان هذا اللقب ، اصبح من الالقاب التى يطلقها المصريون ، بعضهم على بعض للاعجاب والتقدير ، فهو فى نظرتهم يدل على الشهامة والكرم ، تلك الصفات التى يتمتع بها اهل الشام ، كما اعجب الشوام من جانبهم بالشخصية المصرية ، وحمل بعضهم نسبة المصرى ، الى جانب نسبة الشامى «مصرى الاقامة» ، شامى الاصل (٣٤) .

من الاستعراض السابق ، نجد ان الشوام ، قد لعبوا دورا بارزا فى تاريخ مصر فى العصر العثمانى ، كما لعب المصريون مثل هذا الدور فى تاريخ بلاد الشام ورغم التغيير الذى حدث فى السلطة الاداريه والسياسية ، بسقوط الدولة المملوكية التى كان الاقليمان يكونان فى ظلها جناحين لجسم واحد ، فان العلاقة بينهما فى ظل الحكم العثمانى ، بقيت قائمة (٣٧) ، فارتبطت احداث الاقليمين السياسية ، ارتباطا كبيرا ، كما ان العلاقات التجارية فيما بينهما قويت الى درجة كبيرة ، وازداد حجم السلع التجارية بصورة ملحوظة ، كما رأينا . كما ان الاتصال الثقافى والعلمى ظل قائما ومتبادلا ، وقد نتج عن ذلك اندماج اجتماعى واسع النطاق بين فئات المجتمع ، ومما يسر استمرارية ارتباط الاقليمين عدم وجود حواجز طبيعية او سياسية ، على حرية حركة السكان بين الاقليمين الذين ارتبطوا ارتباطا مؤثرا وفعالا .

د. عبد الرحيم عبد الرحمن

هوامش

(١) يذكر لنا ابن اياس ان نواب البلاد الشامية فى ٩٢٢ هـ ـ ١٥١٦ م من قبل السلطان الغورى هم « المقر السيفى سيباى من بختجا نائب الشام ، والمقر السيفى خاير بك من ملباى نائب حلب ، وتمراز الاشرفى نائب طرابلس ، وجان بردى الغزالى نائب حماة ، ويوسف الذى كان نائب القدس انتقل إلى نيابة صفد ، ونائب غزة دولات باى ، وقد أضيف اليه نيابة القدس والكرك مع نيابة غزة » ، انظر محمد بن احمد بن إياس ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، جـ ٥ ، ص ٤ .

(٢) حيث ذكر نفس المصدر ، ان « الامير شرف الدين يونس النابلسى استادار العالية ، كان والآن صار متحدثا فى استيفاء ديوان جيش الشام » نفسه ص ٩ .

(٣) نفسه ، جـ ٥ ص ٢٩ .

(٤) دكتور عبد الكريم رافق ، بلاد الشام ومصر ، من الفتح العثمانى الى حملة نابليون بونابرت ١٥١٦ ـ ١٧٩٨ م ، ص ٩٨ .

(٥) نفسه ، ص ٩٨ .

6. Abdul Rahim Abdul Rahman, the ottoman rule and its effect on Egyptian Society, in Journal of Asian and African studies No. 13, Tokyo, 1977, P. 156.

(٧) دكتور عبد الكريم رافق ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(٨) نفسه ، ص ١٠٩ .

(٩) نفسه ، ص ١٠٩ .

(١٠) نفسه ، ص ١١٢ .

(١١) دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، القضاء فى مصر العثمانية (١٥١٧ ـ ١٧٩٨) ، ضمن كتاب بحوث فى التاريخ الحديث ، طبع جامعة عين شمس ص ١٧١ .

(١٢) دكتور عبد الكريم رافق المصدر السابق ، ص ١٢٣ ، يذكر ابن اياس بشأن الاتصال بين جان بردى الغزالى وخاير بك ، انه فى يوم الأربعاء ٢٦ ذو القعدة ٩٢٦ / ٦ نوفمبر ١٥١٩ م حضر قاصد من عند نائب الشام الأمير جان بردى الغزالى ، يقال له كشقدم البجاوى ، ودفع إلى خاير بك مطالعة نائب الشام ومطالعات إلى الامراء ، فلما قراها خاير بك اضطربت احواله ، ثم تزايد القيل والقال ، واشيع عصيان نائب الشام ، فلما تحقق ملك الامراء ذلك ارسل يعلم السلطان سليمان بن عثمان من امر سلطنته بالشام وارسل اليه المطالعات التى وردت عنه بما جرى منه » ابن اياس ، بدائع الزهور ، جـ ٥ ، ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨ .

(١٣) دكتور عبد الكريم رافق ، المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

(١٤) نفسه ، ص ١٣٠ .

(١٥) نفسه ، ص ١٣٩ ، يذكر ابن اياس ، المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣٨٨ ان خاير بك « رسم للوالى بان كل من كان عند الغزالى من المماليك وحضر إلى مصر بوسطه من غير إذن ولو كان من الامراء » .

(١٦) لمزيد من التفصيل حول فتن العساكر ضد الحكم العثمانى انظر : « كشف الكربة فى رفع الطلبة تاليف محمد بن أبى السرور البكر » الصديقى ، « بلوغ الارب برفع الطلب » تاليف محمد البرلس السعدى ، تقديم وتحقيق الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن ، نشرتا بالمجلة التاريخية المصرية بالعددين ٢٣ ، ٢٤ ، عامى ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ م ، وانظر كذلك ، دكتور عبد الكريم رافق ، المصدر السابق ، ص ١٦٦ ـ ١٧٦ ، ثورات العساكر فى القاهرة ، طبع دمشق .

(١٧) بخصوص تفاصيل هذه الاحداث انظر ، دكتور عبد الكريم رافق ، المصدر السابق ص ١٩٥ ـ ٢١٧ ، احمد شلبى بن عبد الغنى ، أوضح الاشارات ، فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات ، مخطوطة اعددتها للنشر حاليا ، فى مواضع متفرقة من ورقة ٣٩ إلى ورقة ٨٢ .

(١٨) انظر ، احمد شلبى بن عبد الغنى ، المصدر السابق ، احمد كتخدا عزبان ، الدرة المنصانة فى اخبار الكنانة ، مخطوطة ، بالمتحف البريطانى ، نسخة مصورة فى حوزتى ، حيث يصف كل منهما ، كيفية مجيء الولاة إلى مصر ، وكانوا يذكرون دائما عن الباشا الذى يأتى عن طريق بلاد الشام انه قدم .. بالطريق البرى .

(١٩) انظر : «الدوحة» ، العدد (٨٤) ، صفر ١٤٠٣هـ / ديسمبر ١٩٨٢ ص ١٦ ـ ٢١ .

(٢٠) ارشيف المحكمة الشرعية : سجلات محكمة الصالحية النجمية ، سجل (٥١٩) ، ص ٢٧٠ ، وثيقة ٥٣٦ . ـ جيرار ، (ب ـ س) ، موسوعة الحياة الاقتصادية فى مصر فى القرن الثامن عشر ، الجزء الاول ، (الزراعة ، الصناعات ، الحرف ، التجارة) ، ترجمة الشايب،زهير ، الترجمة الكاملة . « وصف مصر »(٤) ، ص ص ٢٧٧ ـ ٢٧٩ .

(٢١) ارشيف المحكمة الشرعية : محكمة القسمة العسكرية ، سجل (١٧٥) ، مادة (٣٨٣) ، ص ٢٧٠ .

(٢٢) ارشيف المحكمة الشرعية : محكمة طولون سجل (٢٠٤) ، ص ٢٥٠ ، مادة (١٠١٨) .

: محكمة القسمة العسكرية سجل (١٧٥) ، ص ٢١٢ ، مادة (٤٣٥) .

(٢٣) شابرول (ج .دى) : دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ، ضمن ابحاث وصف مصر ، ترجمة : الشيب ، زهير ، طبع القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٢٦١ ـ ٢٦٦ .

(٢٤) ارشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل (٦٨٤) ، ص ١٠٦ ، مادة (٢٢٧) .

(٢٥) عبد الرحيم عبد الرحمن ، النشاط التجارى فى البحر الأحمر فى العصر العثمانى (١٥١٧ ـ ١٧٩٨) مجلة الدارة ، العدد الثانى ، السنة السادسة ، ربيع اول ١٤٠١ هـ يناير ١٩٨١ م ، ص ص ٩٠ ـ ١٠٧ .

(٢٦) ارشيف المحكمة الشرعية : سجلات اسقاط القرى ، (٧) ، (١٨) ، سجلات القسمة العسكرية ، (١٦٣) ، (١٧٠) ، (١٧١) ، (١٧٥) ، والسجلات التالية : سجلات محكمة طولون ، سجلات الصالحية النجمية .

(٢٧) خفاجى ، محمد عبد المنعم ، الازهر فى الف عام الجزء الثانى ، ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٢٨) المحبى ، محمد ، خلاصة الأثر فى اعيان القرن الحادى عشر ، الجزء الاول ، ص ١٥٨ ، وانظر كذلك بخصوص تراجم العلماء الشوام ، الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والاخبار ، ٤ اجزاء ، عبد الغنى ، احمد شلبى ، أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الملوك والباشات .

(٢٩) نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢١ .

(٣٠) نفسه ، جـ ٢ ، ص ١١٦ .

(٣١) نفسه ، جـ ١ ، ص ٤٥٣ .

(٣٢) ارشيف المحكمة الشرعية : سجلات تقارير النظر ، من رقم (١ ـ ٢٢) .

(٣٣) الدوحة ، العدد السابق - دار الوثائق القومية (القاهرة) محكمة المنصورة ، سجل (٨) ، ص ٣٩ ، ص ١٤٢ ، ص ١٧٠ ، سجل (١٠) ، مادة (٦٢) ، (٦٣) .

(٣٤) الدوحة ، العدد السابق .

(٣٥) عبد الرحيم عبد الرحمن ، الريف المصرى فى القرن الثامن عشر .

(٣٦) نفسه . الدوحة ، العدد السابق .

(٣٧) الدوحة ، العدد السابق .

أخطاء لغويّة معاصرة

بقلم : الدكتور عبد الله العبادي
جامعة قطر

هناك اخطاء لغوية شائعة فى عصرنا لم ينتبه اليها كثير من الأدباء ، والكتاب العرب ، تمرمر الكرام ، تجدها فى الصحف والمجلات ، والمؤلفات ، وتسمعها كثيرا من المذيعين ، والمحاضرين ، والخطباء .
وشيوع مثل ذلك يرجع الى ان الخطيب او المذيع ، او المحاضر يسمع غيره فيقلده فى النطق ، او يراها مكتوبة فينقلها كما هى دون ان يعرف الصواب من الخطا .

وهذه الاخطاء منها ما هو خطا فى الاملاء ، ومنها ما هو خطا فى النطق ، ومنها ما هو خطا فى النطق والاملاء .
وسنتناول بعض الكلمات الشائعة بالدراسة ، والتحليل ، ونبين وجه الخطا من الصواب فيها :

الكلمة الاولى التى تكتب خطا ، هى كلمة « عَمْرو » فتكتب فى حالة النصب هكذا « عَمْروا » فى قولك « زُرْتُ عَمْروا » والصواب « عَمْراً » بدون واو ، فالواو وضعت فى حالة الرفع ، والجر للفرق بينها وبين « عُمَر » لان كلمة « عُمَر » إسم لاينصرف ، فلا ينون ابدا ، فتكتب كما هى فى حالة الرفع ، والنصب والجر ، فتقول : جاء عُمَرُ ، وقابلت عُمَرَ ، وهذا الكتاب لعُمَرَ فاثبتت « الواو » فى « عَمْرو » فى حالة « الرفع والجر » للفرق بينها ، وبين « عُمَر » اما فى حالة النصب فيزول الإلتباس ، حيث ثبوت الالف ، فتقول جاء عَمْرُو ، وقابلت عَمْرا ، وهذا الكتاب لعمرٍو ، لانه اسم ينصرف .

٢ ـ الكلمة الثانية التى تنطق خطا كلمة « غيبة » فينطقها البعض « غَيْبَة » ويقصدون ذكر مساوىء الشخص فى غيابه عن المجلس بفتح أولها وسكون ثانيها وفتح ثالثها وهذا خطا .

والصواب « غِيْبَة » بكسر أولها وسكون ثانيها وفتح ثالثها ، لانها مصدر من اغتاب يغتاب اى ذكر عيوبه فى غيابه ، وقد جاء فى القرآن الكريم « وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ » الحجرات ايه ١٢ . وجاء فى الحديث « أتدرون ماالغِيْبَة ؟ قالوا الله ورسوله اعلم . قال ذكرك اخاك بما يكره » .
اما « الغَيْبَة » بفتح اولها ، فهى من غاب يغيب ، تقول ، غابت الشمس غَيْبَةً وغِياباً اذا غربت ، والرجل فى غَيْبُوبَة اذا فقد وعيه .

٣ ـ ومن الخطا الشائع جداً فى النطق ضم ما قبل واو الجماعة فى الفعل الناقص إذا كان اخره الفا ، واسند إلى واو الجماعة ، ماضيا كان ام مضارعاً ، فيقولون فى « مشى » : مَشُوْا بضم الشين ، وفى « رمى » : رَمُوا بضم الميم ، وفى « دعا » : دَعُوا بضم العين وفى « يسعى » : يَسْعُون ، وفى « يرقى » : يَرْقُون بضم العين فى الفعل الأول ، وضم القاف فى الفعل الثانى وهكذا ...

والنطق الصحيح أن يفتح ما قبل واو الجماعة ، فتقول « مَشَوْا » بفتح الشين و « رَمَوْا » بفتح الميم ، و « دَعَوْا » بفتح العين و « يَسْعَوْن » بفتح العين ، و « يَرْقَوْن » بفتح القاف وهكذا فى كل فعل ناقص دخلت عليه واو الجماعة .

ذلك ان الالف فى هذه الافعال انقلبت عن « ياء » ، او عن « واو » ، فمثلا مشى : أصلها : مَشَيَ على وزن « فعل » تحركت الياء وما قبلها مفتوح فقلبت الفا ، وبالمثل « رمى » و « دعا » ، تحركت الياء والواو وماقبلها مفتوح فقلبت الفا ، ومثلها يسعى ، ويرقى ، ففى الكلمات السابقة حذفت الالف لالتقاء الساكنين : الالف وواو الجماعة ، وبقيت الفتحة دليل عليها .
ولعل الخطا هنا التبس بالفعل الصحيح الذى يجب فيه ضم ما قبل الواو : كتسابقُوا ، وناضلُوا ، وكتبُوا ... بضم ما قبل الواو ، لان الواو يناسبها ضم ما قبلها ، فاخذ كقاعدة على كل الافعال .
وقد يقال ولماذا لايضم ما قبل الواو فى تلك الافعال الناقصة ، لان الواو يناسبها ضم ما قبلها ، فالجواب ان لام الكلمة اى الألف المنقلب عن الياء والواو فى تلك الافعال قد حذفت ، وهو جزء من الفعل فلا بد من وجود علاقة تدل على حذفه ، فكانت الفتحة ، لان الالف يناسبها فتح ما قبلها .

٤ ـ ومن الخطا فى النطق والاملاء معا كلمة « مدراء » فنحن نقرا كثيراً فى الصحف والمجلات ، ونسمع المحاضرين والمذيعين يقولون مثلا : اقيمت حفلة حضرها الوزراء والسفراء والمدراء ، والصواب « مديرون » فى حالة الرفع و « مديرين » فى حالة النصب والجر ، اى انها تجمع على جمع المذكر السالم وليس على جمع التكسير .
والتحقيق فى ذلك ان كلمة « مدير » اصلها « مُدْيِر » على وزن « مُفْعِل » بضم اوله ، وسكون ثانيه ، وكسر ثالثه من ادار يدير ، فهو فعل رباعى على وزن « أَفْعَلَ » « يُفْعِلُ » لذلك جاء اسم الفاعل منه على وزن « مُفْعِل » والقاعدة الصرفية فى هذه الكلمة ان حرف العلة ، وهى الياء تحركت وما قبلها حرف صحيح ساكن ، فنقلت الحركة الى ما قبلها ، فاصبحت « مُدِيْر » بضم اوله ، وكسر ثانية ، وسكون ثالثه والمعروف ان ما جاء على وزن « مُفْعِل » لايجمع على وزن فُعَلاء حيث يشترط فى الصفة التى تجمع على (فُعَلاء) ان تكون صفة لمذكر عاقل صحيحة اللام غير مضاعفة ، وتدل على سجية مدح ، او ذم على وزن « فَعِيل » بمعنى « فاعل » ككريم ، يجمع على كرماء ، وكلئيم يجمع على لؤماء

٥ ـ ومن الخطا فى اللفظ والاملاء كذلك كلمة « جريحة » فالخطا الشائع فى الصحف ، والمجلات انهم يقولون « الفدائى الجريح ، والفدائية الجريحة » . ويقولون « زرنا الفدائيات الجريحات » والصواب ان تقول عادت الفدائية الجريح ، لان الوصف اذا كان على وزن « فَعِيْل » بمعنى مفعول فانه لاتلحقه تاء التانيث ، ويستوى فيه المذكر ، والمؤنث . نقول « رجل جريح » و « امراة جريح » ، وكذلك اذا جاء الوصف على وزن « فعول » بمعنى فاعل ، كصبور ، فيستوى فيه المذكر والمؤنث ، فيقول : رجل صبور ، وامراة صبور ، ويجمع جريح على جرحى تقول : زرت الفدائيات الجرحى فى المستشفى ، لان الكلمة لا تجمع جمع المؤنث السالم ، إلا اذا لحقتها تاء التانيث فى اخرها كصالحة ، فتجمع على صالحات وفاتنة تجمع على فاتنات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

علي يوسف:

عمامة عظيمة على رأس فلاح

بقلم: فتحي رضوان

الدور الآن فى الكلام على « عمامة » عظيمة حقا ، لبسها فلاح ، لم يظفر من التعليم إلا بالقليل، ولم يتدرج فى مراتب القوة والسلطة وذيوع الإسم ، كما تدرج سواه من لداته وانداده ، أو خصومه وحساده . فلم يبدأ موظفا صغيرا ثم كبر ، ولا شخصا مجهولا ثم عُرِف ، بل بدأ حياته فى المجال الذى تألق فيه ، واوفى على الغاية . اختاره وبقي فيه ، ليكون ملء السمع والبصر ، يجرى إسمه على الألسن ، ويحسب الاقوياء حسابه ، ويتملقونه ويترضونه ، او يعادونه ويكيدون له ، وهو راسخ فى موقعه ، ثابت فى مكانه . مسلح بقواه التى لا تنضب ، وبسيفه الذى لا يثلم : إرادته القاطعة النافذة ، وقلمه الحاد الباتر .

واعنى بهذا كله الشيخ على يوسف صاحب المؤيد الذى طلب العلم فى الأزهر ، ولم يصل إلى نهاية سني التعليم فيه .

بدا حياته العملية باصدار مجلة سماها « الآداب » ، كانت تصدر أسبوعية ابتداء من سنة ١٨٨٩ ، ثم فكر فجاة ، بل قل قفز الى فكرة إصدار جريدة يومية ، اسماها المؤيد ، واستصدر لها رخصة من وزارة الداخلية لعهد رياض باشا ، وما لبثت ان صدرت فى اليوم الاول من شهر ديسمبر فى تلك السنة .

يعنى انه بدا حياته بالصحافة ، وقد بقي صحفيا ، حتى اعتزل الحياة العامة قبيل وفاته وقد اختار هذا المسلك الوعر، فى وقت لم تكن فيه فى مصر جريدة يومية تشتغل بالسياسية إلا جريدة « المقطم » ، التى اصدرها الدكتور فارس نمر سنة ١٨٨٨ ، ومعه اثنان من مواطنيه اللبنانيين الموارنة هما يعقوب صروف ، واسكندر شاهين ، ولكن هذه الجريدة كانت لسان حال الاحتلال البريطانى ، اصدرها اللورد كرومر ، مندوب هذا الاحتلال ومعتمده ، لتدافع عن باطل هذا الاحتلال ، وتصوره للمصريين على انه حق ، وتموه حقائق الحياة السياسية فى ظل العسف البريطانى ، لتبدو تلك الحياة نظاما رفيعا وحرية سابغة ، وامنا شاملا ورقيا مستمرا .

فالصحافة فى سنة ١٨٨٩ سنة صدور « المؤيد » ، لم تكن مهنة رائجة ، بحيث لا يستغرب من فتى قادم من الصعيد ، لا يعرف أحدا من أهل السلطة ، أو من ذوى الجاه الأدبى ، أو ممن يتصلون بالصحافة أو بالسياسة او بالعمل العام ، يبصره بمداخل هذه المهنة الشاقة التى لا تزال تسمى بمهنة المتاعب . فما الذى حدا بالشاب (علي يوسف) أن يقدم على هذا العمل المغلق فى وجه المصريين ، والذى يشكو منه ويئن ، الذين اختاروه فى انحاء العالم ؟

بعض اسرار الفتى

لننظر فى حياة الفتى ، لعلنا واقفون



الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد الجريدة التي كان لها مواقف من جميع مشكلات الوطـــــن .

على شيء من اسرارها ، يعيننا على ان نفهم ما وراء هذا القرار الخطير . قرار الاحتراف بالصحافة ، وإلقاء نفسه فى بحرها الهائج ، وموجها المتلاطم .

علي يوسف صعيدى من ابناء الصعيد الأعلى ، ولد سنة ١٨٦٣ فى بلصفورة من اعمال سوهاج ، فهي موطن لصاحب عمامة تحدثنا عنه وهو الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى . وبلصفورة بلد (علي يوسف) وطهطا بلد (رفاعة) متقاربتان . وكما سافر « رفاعة » إلى قنا التماسا للرزق وبحثا عن اسباب تحسين الحال ، سافر علي يوسف إلى بلدة « بنى عدي » من اعمال محافظة اسيوط ، تابعة لمركز منفلوط التى اخرجت لنا صاحب عمامة سنكتب عنه فى حلقة قادمة ، وهو مصطفى لطفى المنفلوطى . وكما كفل اخوال « رفاعة » ابن شقيقتهم ، كفل اخوال علي «عليا» ثم اعانه الحظ فتلقفه في «بني عدي» عدد من شيوخ الازهر ، كانت تزدان القرية بوجودهم فيها ، وفى مقدمتهم الشيخ (حسن الهوارى) الذى لازمه الصبى ثمانى سنوات ، صقل فيها ذهنه ووصله بعلم الدين ، وحبب إليه الادب ، ومهد له طريق البيان .

وكما وفد إلى القاهرة كل اصـــحاب العمائم الذين كان لهم دور فى تاريخ مصر الحديث ، ليلتحقوا بالازهر ، ويبقوا فى اروقته ، وتحت قبته ، وهم يغالبون السام من اسلوب التعليم ، ومن وعورة الكتب ، وامتلاء معظمها بالغث ، حتى يغلبهم السام ، فيخوضون فى معامع الحياة العامة ، يصارعون شدائدها ، حتى يثبت لهم قدم ، ويبين امامهم طريق . فعل الشيء نفسه (علي يوسف) ثم خرج من الازهر ، وقد تلقى الفقه على الشيخ حسن داود ، كما تلقى النحو والبلاغة على الشيخ احمد ابي الفضل ، فقرا عليه كتاب « الاشموني » و « حاشية الصبان » ، وكتاب « السـعد للتفتازانى فى البيان والبديع والمعاني» ، ثم قرا قسطا كبيرا من كتاب « جمع الجوامع فى الاصول » . ثم قرا كتبـــا كثيرة فى « الحديث » و « التفسير » و « المنطق » و « التوحيد » و « آداب البحث » ، على اساتذة كبار كالشيخ الامبابى والبحيرى والمغربي ، كما يروى لنا الاستاذ الدكتور عبد اللطيف حمزة فى موسوعة (أدب المقالة الصحفية فى مصر) .

فانا اؤمـــن ان هـــذا القدر من العلم المتنوع ، كفيل بان يحرث عقل الشاب الذى وهبه الله حسن الاستعداد لامرين : لتلقى المعرفة ، ولو كان سبيل التلقى خطف المعرفة خطفا ، ومزج ما يقرؤه هنا ، بما يقف عليه هناك ، ثم الانطلاق فى الحياة الهائجة المائجة ، باعين مفتوحة ، ونفس طموحة ، وقلب يحس ويشعر ، والامـــر الثانى ان يكون الشاب شاعراً بان هناك مستقبلا ينتظره ، وان له دوراً يؤديه ، وانه خلق لشيء اكبر مما بدا به حياته ، وقـــد كان .

فقد اخرج مع صديق له اسمه الشيخ احمد ماضى ، جريدة « الآداب » ، وكان فى جيب الشيخ احمد ماضى بعض المال ، وكان فى قلبه حب للأدب ، يقرؤه ويتذوقه، ويكتبه . وخرجت مجلة (الآداب) ، يدفع اليها (علي يوسف) من دم قلبه الحـــار المتدفق دما ، ويعطيها الشيخ احمد ماضى كل ما فى يده من مال قليل ، ما يعينها على الصدور ، وقرا الناس المجلة الوليدة ، التى خرجت إلى الحياة فى اشـــد عصـــور الصحافة المصرية حلوكة . فالاحتـــلال البريطانى دهم المصريين فى ١٤ من سبتمبر ١٨٨٢ ، فكان صدمة زلزلت العزائم وأرهقت النفوس ، فبدا للناس أن الطريق مسدود ، ولا سبيل للسعى فيه ، وتعاظمهم شان الاحتلال ، فنزع من قلوبهم الثقة ، فخيل اليهم أنه باق لن يتزحزح ، ثابت لن يريم .

وكان عهد الناس فى مصر بالصحف ، قد بعد منذ جرائد الثورة العرابية وما قبلها . جرائد عبد الله النديم ، وفارس الشدياق ، وجرائد أخريات فى عهد الخديو اسماعيل ، كجريدة (وادى النيل) التى أخرجهـــا عبد الله ابو السعود ، ولكن الغريب ـ كما سلفت الاشارة ـ أن نجاح مجلة الآداب ، حفز الشابين علي يوسف واحمد ماضي على إصدار جريدة يومية فى آخر شهر من شهور سنة ١٨٨٩ .

وكان الشابان وحدهما لا يكفيان لمواجهة صعاب إصدار جريدة يومية فى ذلك العهد ولكن أبى الحظ الا ان يترك علي يوسف

وحيدا ، فقد مرض زميله ، ولما عوفي اختلف معه فتركه للأبد .

اللورد كرومر يغضب !

ولعل علي يوسف ، لو لم يترك وحده ، لما كشف للناس عن مواهبه النفسية من عزم صادق ، وجلد على العمل نادر ، وإيمان بالنجاح لا يتزعزع ، وقدرة على مداراة المتاعب ، ومناجزة المصاعب لا تبارى ، ورغبة فى التجديد والتحسين ، لا تنفد ولا تنضب .

ولقد كان العهد الذى صدرت فيه المؤيد ، فى تصورنا ، جديرا بان يطوى صفحتها ، ويوسدها تراب القبر ، ولكن ما يخفى على الناس اعظم — فى الأغلب الاعم — مما يبين لهم .

وقد كان سباق الزمن فى ذلك العهد ، لاكبر صحفيين فيه ، وهما علي يوسف ومصطفى كامل ، سندا وظهيرا فى شخص الامير عباس حلمى ، الذى ولد فى سنة ١٨٧٤ وهى نفس السنة التى ولد فيها مصطفى كامل ، فلما خلف اباه سنة ١٨٩٢ كان فى الثامنة عشرة من عمره اى فى عنفوان شبابه ، فاغراه هذا الشباب المبكر على أن ينازل الاحتلال البريطانى ، فاتصلت أسبابه بمصطفى كامل ، ثم بالشيخ علي يوسف .

ويقول الدكتور عبد اللطيف حمزه رحمه الله : وبقيت الصداقة بين عباس وعلي يوسف تنمو مع الايام ، حتى اصبح الشيخ جليس الأمير ، وحافظ اسراره ، لا يعمل الامير عملا إلا بمشورته ، ولا يقدم على خطة إلا بعد اخذ رايه . وقد كانت هذه الصلة بالأمير — عدو الاحتلال — جديرة بان تثير غضب اللورد كرومر معتمد الاحتلال البريطانى ، فيقصف عمرها ، وينهى حياتها . وقد حاول اللورد ذلك باكثر من وسيلة ، أولها وابسطها ، انه اصدر لوامره لرؤساء المصالح الا يمدوا جريدة « المؤيد » بخبر ، والا يدعوا مندوبيها ومراسليها ، يدخلون إلى المكاتب والدواوين لتصبح « المؤيد » مجرد منشور ، لا يحمل إلى الناس إلا كلام صاحب الجريدة .

ولكن علي يوسف لم يدخل ميدان الصحافة ، لتنزعه من اصوله اول ريح تهب عليه ، فقد صمد لهذه المحنة ، حتى تجاوزها ونجا منها ، ثم حدثنا بعد ذلك عنها ، فى بعض ما كتبه فى سنة ١٩٠٦ ، وبمناسبة ظهور المؤيد فى ثوب جديد .

الوشاية .. والحقيقة

قبل سبعة عشر عاما هجرية وبضعة اشهر ، وفى اواخر سنة ١٨٨٩ الفرنجية ، كان صاحب الجريدة ، يصدر صحيفة ادبية اسبوعية باسم « الآداب » ، وكان كثير من القراء يعجبون بها ، فكانت همته منصرفة يومئذ الى تحسينها ولم يكن يفكر فى إصدار صحيفة سياسية يومية للأسباب الآتية :

«قدمت الى دولة الوزير الجليل رياض باشا ، وكان يومئذ رئيس الوزارة المصرية فى عهد الخديو السابق توفيق باشا ، فاشار عليَّ بعض المقربين من دولته ، ان استرخص منه اصدار جريدة سياسية يومية . ولكنى ترددت كثيرا فى ذلك لعلمى بان جريدة يومية سياسية تصدر من مصرى مسلم ، بعد خلو القطر من جرائد مصرية مسلمة سبع سنين ، جريدة قادرة على ان تعيش بين الصحف القوية التى كانت قابضة اذ ذاك على اميال القراء اختيارا او اضطرارا ، جريدة لا تتاثر بدسائس الدساسين ، ووشايات الواشين من الاوروبيين وغير الاوروبيين ، تحتاج إلى راس مال اكثر من مالى ، والى حول اكبر من حولى ، والى معارف جمة ، ووسائل عدة ، انا خلو من كثير منها .»

«ولكن ظهر لى دافع قوى بعد ذلك من استحسان دولة الوزير او إشادته ، فتقدمت إلى نظارته مسترخصا بهذه الجريدة ، وفى اليوم الذى التمست فيه الرخصة نلتها ، وظهر العدد الاول من المؤيد فى ٨ ربيع الأول سنة ١٣٠٧ هـ (اول ديسمبر سنة ١٨٨٩ م) فى حجم اربع صحف قليلة المواد ، كما يرى القراء ، نسخته المنقولة برمتها فى الصحيفة الرابعة من عدد اليوم ، وحسبهم فارقا ، بين ما نشا عليه وما صار إليه ، أن يروا العدد الاول كما هو فى صفحة واحدة من صحفه الثمان » .

ثم حدثنا عن ضيق الاحتلاليين واعوانهم وصنائعهم ، بالمؤيد ، وعملهم على وأده ، ونجاحهم فى ذلك بعض الوقت إذ توقف عن الظهور فى ٣٠ من سبتمبر سنة ١٨٩١ ، ثم ظهر المؤيد بعد ذلك الاحتجاب ، وليس له من راس مال غير القلم والصبر والاحتمال . ثم قال :

« وكانت رياسة النظار يومئذ فى يد عطوفتلو مصطفى فهمى ، والدسائس ضد المؤيد اقوى منها من قبل ، وقد هال اعداءه ظهوره ثانية ، فوشوا إلى الحكومة ان هناك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جمعية سرية ذات مقاصد خفية ، اخذت على نفسها الإنفاق على المؤيد ، والكتابة فيه ضد الاحتلال والحكومة ، وكادت ريح الشر تؤذى أولئك الأفاضل الذين مدوا يد المساعدة بالشكل الذى ترضاه ، لولا ان مقربا من الوكالة البريطانية ومن عطوفة رئيس النظار (ونعنى به المرحوم محمد بك بيرم) تولى يومئذ تحقيق تلك الوشاية بنفسه ، فظهرت له الحقيقة .»

«وجد للمؤيد من ذلك الحين ايضا ، حساد واعداء ، ثم وجد بعد ذلك اضطهاد من الحكومة ظهر باقبح مظاهره حتى وصل الى حد إقفال ابواب الدواوين فى وجه صاحبه وكتابه ومخبريه ، ولم ينته هذا الدور حتى جاءت وزارة دولة رياض باشا فى يناير سنة ١٨٩٣ ، ويومئذ الغى عمل قلم (المطبوعات) الذى انشىء لمضايقة المؤيد ليس إلا ، يوم كانت وظيفة البارون (دى مالورتى) مدير قلم المطبوعـــات محصورة فى مطاردة المؤيد وصاحبه .

إن هذه السطور التى ننقلها عن الشيخ علي يوسف لا ترينا فقط مدى صلابة نفسه وقوة عزيمته ، وإصراره على القتال مع اقوى القوي ، **لا في مصر وحدها،بل في العالم** باسره ، إذ كانت القوة التى تخاصمه ، وتقعد له كل مرصد ، هى قوة الاحتلال البريطانى التى هى حاكمة العالم شرقا وغربـــا ، والتي لا تغـــرب عنهـــا الشمس والتى عرفـــت كيف تخضـــع الشعـــوب ، وتخيـــف المجاهدين ، وتفرق الهيئات الوطنيـــة ، بالدسيســة والوقيعة والوعد والوعيـد .

على أن هذه السطور ترينا شيئا اخر وهو مدى خوف الطغاة المستعمرين من جريدة يصدرها رجل وحده ، لايؤيده حزب ولاتقف وراءه هيئة . كان قلمه واصراره وعزمه ، وموهبته كصحفى . هى كل العدة ولكنها عدة لايستهان بها ولا يغض من شانها .

الأمر الثالث ، ترينا هذه السطور نفسها كيف تستطيع ان تفعل جريدة فى بلد محتل، الأمية ضاربة أطنابها فيه ، والقلة القليلة المثقفة هى وحدها التى تقرؤها وتؤيدها.

ولكن الصحيفة حين تكون في يد صحفي قدير ، يؤمن بحق وطنه ويتصدى لمشكلاته ، يكون في مقدرته ان يؤلب الناس على الاحتلال . والثابت ان تاريخ الصحف قبل الاحتـــلال وبعـــده ، كان هـــو الموقف الوطني ، او قل السياسي : فالمؤيد الذي صدر كما علمنا فى أول ديسمبر سنة ١٨٨٩ واللواء الذى صدر فى الثلاثاء الثانى من يناير ١٩٠٠ ، والجريدة التى ظهرت سنة ١٩٠٧ ، وإن كانت تمالىء الاحتلال وتصطنع سياسة المهادنة معه ، والنطق باسم الأغنياء من اصحاب الاطيان، والمقطم الاحتلالية التى تنفث سموم كرومر وتنشر دعاوى الاستعمار ، وتؤيد طغيانه. هذه الجرائد هى التى خلقت الحياة السياسية فى مصر ، واخرجت الوفا من الشباب المؤمـن بحق مصر فى الاستقلال وفى تحريرها من الاحتلال ، وفى اقامة حكومة نيابية سليمة ، وفى عمل من اجل الاصلاح ونشر التعليم وإقامة الصناعة وتجديد الزراعة ومكافحة الأمية .

والحق ان جريدة « المؤيد » ، نهضت باعبائها فى تلك الفترة ، قبل ان ينضم إليها ويؤيدها ثم يسبقها ، اللواء ـ لواء مصطفى كامل ، فلم تكن « المؤيد » فقط صحيفة تقرا فى مصر ، وتنير الطريق الوطني امام الشعب المصري ، وتجمع صفوفه ، وتؤكد عزمه على النضال ، وترد سهام الاحتلال إلى نحره ، وتكشف عن عواره ، وعن ظلمه ، وعن إفساده ، وعن بطلانه . بل كانت فوق ذلك مدرسة مفتوحة الأبواب ، تعلم المصريين اجمل اساليب لغتهم ، ومعهداً يروي لهم تاريخهم ، ويبصرهم بشئون السياسة الداخلية والخارجية ، ويلقنهم اصول الاقتصاد العامة ، ومبادىء السياسة الأساسية ، ويصل المصريين بكل العالم الاسلامي ، ويتحدث إلى هذا العالم الفسيح المترامي ، الذي تراخت صلاته بعضه ببعض ، ووهت علائقه شرقه بغربه ، وشماله بجنوبه ، وهو فى واقع الامر وحدة لا تنفصم ، وجماعة لاتتفرق ، ودرة حضارة وعقيدة لا تخمد .

صور قلمية

وقد كان للمؤيد مواقف من جميع مشكلات الوطن ، وقضايا عامة ، لابد أن نقدمها او نقدم بعضها ، كنماذج للاسلوب الذي اختطته هذه الصحيفة المجيدة ، ولكن هذا حديث يطول ، نبقيه للقادم من الفصول .

وإن كان من الواجب قبل ان نفرغ من حديث اليوم ان نقدم للشيخ على يوسف صوراً قلمية كتب إحداها الخديو عباس حلمي ، وكتب الثانية الشيخ عبد العزيز البشري ، فانها صورة ، تكشف عن صفات الرجل وخصائصه ، وبواطن نفسه ، واسرار ذاته .

قال الخديو عباس فى مذكراته التي ترجمت جزءاً منها جريدة المصري ونشرتها فى عددها الصادر في ١٣ مايو سنة ١٩٥١ :

« كنت اريد ان تكون لي صحيفة قادرة على ان تثير الشعب وتقوده شيئا فشيئا إلى إدراك اكثر وضوحا للوطن وواجبات المواطن ، فدعوت كاتبا من كتاب اللغة العربية كنت قد سمعت عن صفاته ومزاياه وهو الشيخ على يوسف ، وكان قد تردد على مدرسة المعلمين وكان خارجـا من الجامعة الأزهرية ، وكان قد لفت إليه الانظار إن لم يكن باتساع افقه الفكري ، فبحماسته فى المناقشة ، وبموهبـة مجادل حقيقية ، وبقدرته المشهودة على هضم المسائل ، وخاصة إذا ذكرنا انه لم يتكلم لغة غير العربية ولم يدرس إلا في المساجد

وكان الشيخ علي يوسف ـ وهو من اهل الصعيد ـ يعرف عقلية مواطنيه ومطامعهم وكان ـ رغم انه تربى فى بيئة دينية ـ يعرف كيف يفرق بين واجبات الفرد نحو بلاده والاحترام الواجب للدين . وكانت سياسته تستند احيانا على نفوذ الخليفـــة العثمـــاني ، ولكنهـــا لم تكن على الخصـــوص تركيـــة اســـلامية.

وهذه الوان قد لا يحسن الوطنيون فى الوقت الحاضر إدراكها ، ولكنها في بداية نشاطها قد زادت من تاثير الشيخ (على يوسف) على الشعب .

وكان الشيخ على يوسف يتخذ احيانا مظهـر مدافع عن الاسلام اكثر من كونه محركا للشعور الوطني ، وكان الغرض من هذا (التكتيك) ان تجتمع كل القوى المشتتة حول فكرة زعامة واحدة قوية . وخلق عاطفة التماسك والترابط عند الجماهير . وهي العاطفة التي لا يتم بدونها عمل ، وفضلا عن ذلك فقد كان الشيخ على يوسف فى بداية نشاطه يتخذ

عمامة عظيمة على رأس فلاح

على الاخص ستار الكثير من الشخصيات البارزة التي كانت تحمل إلى الجريدة عند زيارتها لصاحب الجريدة ، ثمرة ملاحظاتها، وخلاصة تجاربها فى حياة كرست للارادة او لتسيير العدالة فى طريقها السوي . وكان اكبر رجال البلاد اقتدارا واعلاهم تمييزا يساهمون فى عمله هذا . وكان معروفا ان القصر يؤيد ذلك ، فكان قاريء لسان حال التحرير يقتطف من اعمدته زهرة الفكرة المصري .

وسرعان ما غدا (المؤيد) بفضل هذه الوسائل إحدى الصحف العربية الرئيسية، يقرؤه الناس من طنجة إلى الهند ، ومن تركيا إلى زنجبار .

« وقد افلح على يوسف فى بعث الاحساس فى قلوب مواطنيه بشخصيتهم القومية ، لفرط ما استمع إلى الحديث عن علاقات مصر ، وعن ماضيها وحقوقها ، ولفرط ما ناقش معاونوه الاعلام فى السياسة العامة وعلاقاتها بالموقف الراهن ، كما كان استحضاره للعصور الغابرة ـ التى كان حسن الالمام بها ـ يفتح له إيقاظ الذكريات المجيدة ، فيبعث فى نفوس قرائه الايمان بالمستقبل .

لقد كانت تلك مرحلة اولى . وكان علينا ان نجتازها . كنت ارى من سوء التصرف ان نظل شعبا نائما ـ بدون فترة انتقال ـ إلى نور الأحداث الجارية الساطع ، وان نزعج يقظته ببهر مفاجيء .

وقد كان على يوسف بارعا فى استخدام الرباط الطبيعي القوي الذي يربط المصريين منذ عهد بعيد ، بارعا فى تاسيس وطنية على أساس من تلك العاطفة العميقة الجذور . ولم يكن تعلمه الديني يؤثر إلا قليلا على نزعاته التحررية . وكان يرى انه يقود امته نحو الاستقلال .

وكان قد زار اوربا وخاصة فرنسا وانجلترا وتركيا ، ولكنه ظل مغلق النفس امام مفاتن حضارة لم يكن يعرف غير واجهاتها ، وامام إغراء البادشاه (اي سلطان تركيا) الذى كان قد استقبله .

والحق ان الشيخ على يوسف لم يكن يوما ما رجل تركيا ، وإذا كان فى بعض الاحيان قد ايد الخليفة ، فانه لم يكن يعني سلطان القسطنطينية ، وإنما زعيم الاسلام .

كان ذلك الذي قاد الرجال ، وادرك معنى الأمة ، ومعنى الاخلاص ، مصريا قبل كل شيء ـ وقد نجح ايا ماكانت شخصيته وآراؤه ـ في ان يستميل الراي العام ويجمعه ويعلمه التفكير ».

وقال الخديو فى موضع اخر من مذكراته :

« كان المؤيد فى الواقع يحفل بالمقالات العظيمة باسلوبها البارع وافكارها العميقة وكان الشيخ باسلوبه اللاذع وبلاغته التى لا تغيض ، وعاطفته التى كان يطامن غلواءها ، فلسفة إنسانية فائقة ، قد غدا استاذا بفضل اتصاله اليومي بالشخصيات فى كل علم وفن . وكان يتحدث الى القراء فى مسائل تستثير مخيلاتهم لأنها تمس البلاد وتاريخها فى الوقت نفسه » .

وقد وصفه الشيخ عبد العزيز البشري فقال :

« ليس بالطويل البائن ، ولا القصير المتردد . على انه كان إلى الطول يظهر فى مراى العين نحيلا . . ولكنه كان مكتنز اللحم ، مستطيل الوجه واسعا مساحة الجبهة ، ازرق العينين ، طويل الهدبين ، كثيرا ما ترى له إطراقة نظرة غريبة ساجية ، ضيق الفم ، على ان فى شفتيه الحمراوين شيئا من الغلظ . تعلوه صفرة ما احسبها من اثر مرض ، وشعر لحيته الدقيقة المنسقة يميل إلى الشقرة ، رقيق الصوت لينه إذا تحدث ، فاذا رفع صوته ضمر بعض الضمور ، وتسلخ بعض التسلخ ، فلم يكن من تلك الأصوات التى تصلح للخطابة »

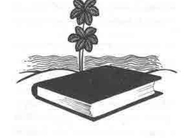
« وكان بعد رجلا شديد العقل ، قوي النفس ، حديد العزم ، وافر الشجاعة لا تتعاظمه قوة خصم بالغة ما بلغت قوة ذلك الخصم ، وإذا تحداه متحد ركب راسه فى نضاله ، لا يبالي اين يقع المصير .

« وكان في كثير من الأزمات التى تعرض لها المؤيد كثيرا ما يقول » والله لا يعنيني ان يكون الناس جميعا في صف واحد . وانا والحق الذي اعتقده بازائهم في صف واحد . ومما يشاع عنه كذلك انه كان يقول: « انا لا ابالي ان اخسر هذا البلد ، ففي إمكاني ان اعود فاكسبه بثلاث مقالات » .

« وإنني لا اعرف رجلا سياسيا عظيما كان اقل الناس اهلا . واكثرهم خصوما كما كان الشيخ على يوسف . وخصومه على كثرتهم قد كانوا من جميع الطبقات ، وكانوا من جميع الهيئات . وإنهم ليحيطون به إحاطة الطوق من كل جانب ، وكلهم عامل على إسقاطه ، جاهد ما امتد به الجهد فى هدم المؤيد ، يدفعه بتهمة الخيانة الوطنية فما دونها فى غير هوادة ولا إشفاق . ثم إذا الشيخ يتجمع ، وإذا هو يشرع القلم شرع الرمح ، وإذا هو يطعن الطعنة الكبيرة ، هنا مرة ، وهاهنا مرة ، فلا يصيب إلا الكلى والمفاصل ، وإذا هـؤلاء الخصوم يتطايرون تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض ، وإذا المؤيد يرن فى البلد رنينه بعد ما تردد وتاوه وطال انينه . » .

« وفي يـوم الجلي ، تحدث الأحداث القومية ، ينفض الناس قلوبهم ، حتى يتساقط منها كل ما علق بها من الحقد على الشيخ على يوسف ، يلوون اعناقهم نحو المؤيد ، شاخصة ابصارهم ، مرهفة اذانهم ، معلقة فى انتظار ما يقول الشيخ انفاسهم ، فاذا النمر الجبار يثب على فريسته من عدوان العادين وثبة ، فلا يزال يوسعها تمزيقا بمخلبه ، ومضغا بانيبه ، حتى ما يدعها إلا اعظما وجلودا » .

فتحي رضوان



ARCHIVE
http://archive.sakhrit.com

نهر بلا عودة

شعر : محيي الدين فارس

بيني وبينكِ ألفُ صحراءٍ ..
وأسوارٌ من الأشواكِ
.. والطرقاتُ مقفلةٌ .. ومقبرةٌ وبابْ
والصمتُ حُرّاسٌ تحدِّق من
شبابيكِ الضّبابِ
وسمعت صوتَكِ تحت جُنْحِ الليلِ ..
.. في القبوِ الخرابْ
متصاعداً كدخانِ قنديلٍ تميلُ به الرياحْ
وحدي أُنَقِّبُ عن ثقوبٍ في جدارِ القبوِ
.. عن بابٍ قديمْ
عن كُوَّةٍ منسيَّةٍ في أضْلُعِ الليلِ البَهِيمْ
طوَّفْتُ منتعِلاً جلُودَ الرِّيحِ .. مختَفِياً ..
أُسافِرُ في جَدَائِلِها .. الغُبار
واتيتُ حينَ غَفَتْ مصابيحُ النَّهَارْ
فلقد حَمَلْتُ إليكِ زَادَ محبَّتي
وشويْتُ أفْكَارِي .. وتَبَّلْتُ القَدِيدْ
أدْرِي .. بأن طعامَهُم لا يُسْتَسَاغْ
وأنَّ وجْهَك لا يريد .
ودلفت .. تعبس لي دهاليز ..
تحملق في ارتيابْ
باب تحركه الرياحُ .. وتغلقُ الأشباحُ بابْ
من أين أدخلُ ؟ والمدينة بابُها الحجريّ ..
يعلو كالهِضَابْ
وملات غليوني بتبغِ الحُبِّ عطَّرتُ السِّياجْ

وذرعت ميناءَ الخواطرِ هائماً ..
متصفِّحاً وجْهَ الفضَاءْ
والريحُ تحمِلُ ذيلَهَا الغجريَّ تركضُ في البحارْ
وبكت على قدمَيّ ، وارتعشت على كتفَيّ ..
واحتملتْ معي .. وَجَعَ الرُّؤى .. والإنتظارْ
ولمحتُ ثُقْباً في الجدارْ
وتسلَّقتُ سورَ المدينَةِ مقلتَايْ
هذي ملامحُكِ النَّضِيرةُ ما تزالْ
هذي عيونُكِ حقْلُ حنْطَهْ
والشعر موَّالٌ وفي شفتيك أُغْنِيَةٌ
وفي قدميْكِ . مَا صَدِيءَ الجديدْ
ومددتُ كفِّي .. كانت الطرقاتُ مطرقةً
فما لمحَتْ رؤايْ
وهمَمْتُ .. لكنَّ الجيادَ تحرَّكَتْ ..
والنهرُ قوَّسَ زندَهُ العارِي ..
فقد شَمُّوا خُطَايْ .
وتسرَّبَتْ في الليل أعينُهُمْ
تصيخُ إليَّ .. تبحثُ عن صدَايْ
فحصدت أجيالا من الأزمانِ موحشة اليبابْ
أقتات من همِّي .. وأشرب من ينابيعِ السرابْ
ورجعتُ في حلقي غُبَارْ
وبمقلتيَّ مدامعٌ خرساءُ تَهْمِي في انْكِسَارْ
فالليلُ جباناتُ موتَى .
لا تحرِّكها احتفالاتُ الرؤى الخضراء في عرسِ البحارْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



جاربو في عينيها قرأ المحبّون أحلامهم

بقلم : جمال الكناني

تربعت على عرش السينما الذى لم يجلس عليه غيرها من قبل ، ولن يجلس عليه بعدها أحد . وصفها الناس بالغموض وهى فى الواقع سر الغموض عاشت عمرها تؤثر الوحدة والبعد عن الناس ، لا لأنها تكره الناس ، ولكن لانها تحب استقلالها وتقدسه وتعتز بفرديتها وترتاح إلى العزلة . وهى تقول « انا اقضى وقتى هرباً من شىء او من شخص . وأعرف لا شعوريا أن السعادة لم تكتب لى » ... وفكرتها عن السعادة فكرة متواضعة ومفهومها للسعادة يكاد يكون بدائيا . بيت ريفى صغير فيه مستوقد تجلس بقربه ، وتطلق العنان لأحلامها .. اذا جاعت اكلت ابسط الطعام . ولا بأس ان يقاسمها إياه صديق قليل الكلام لا يسألها عما تفكر فيه .. أعز أمانيها ان يفهمها الناس دون أن تلجأ الى شرح ، وأن يكون لها كامل الحرية .. تفعل ما تشاء دون ان تلتزم بتفسير او تبرير ما تعمل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جريتا جاربو الفنانة التى تربعت على عرش السينما .. وهي هنا في احد ادوارها في فيلم « المغرية » الذي مثلته فى اكتوبر عام ١٩٢٦م .

جاربو تنفر بطبيعتها من الاغراب وتثير العطف والحنان فى قلوب من يعرفون بؤس حياتها . طفولتها كانت ملفوفة فى طيات الفقر ، فلما كبرت لم تذق طعم الحياة المنزلية العادية . وانتقلت إلى هوليوود فلم تشته نفسها بيتا مستقرا تعشش فيه . بل اخذت تنتقل فى بيوت تستاجرها او فنادق تغيرها كما تغير حذاءها .. عاشت فى هوليوود ست عشرة سنة غيرت مسكنها خلالها إحدى عشرة مرة ..

الذى ينظر إلى جاربو يرى وجهـا لا ينسى ، صورته تقفز إلى الذاكرة دون ان تستدعى والذى يرى وجه جاربو مرة يعرف السبب فى انها لن تهرم كما يهرم غيرها من الناس لما تدركهم الشيخوخة . وجههـا يصدر إشعاعات تبهر ، تخرج من منارتين هما عيناها اللتان تفصحان عن الكثير وتعبران عن كل شيء .. تاتمنان الناظر إليهما كما تامن عيون الاطفال من ينظر اليها ، ويدرك الناظر اليهما انهما تعرفان كل ما تعرف النساء ، وان فيهما صفحا وغفرانا لا يرى إلا فى عيون الامهات .

فمها الواسـع العريض .. مرن .. مليء ... منحوت فى شفته السفلى أصداء قوة كامنة وشفته العليا تصدر إشارات ورسائل فيها حزم وإرادة .جفونها ثقيلة برموش باهظة الطول .. جلد الوجه نصف شفاف يغطى عظام الخدين العريضة ، التى تمكن جاربو من التعبير عن مختلف العواطف فى دقة ويسر ..

يؤكد كل مصور ماهر ان لكل وجـه زاويتين ، إحداهما تناسب الكاميرا والاخرى لاتبرز جمال الوجه بل قد يكون فيها بعض التشويه .. والذى ماز وجه جاربو هو انه يرحب بالكاميرا من اى زاوية جاءت ..

جاربو اليوم ، كجاربو هوليوود ، تؤثر العزلة التى تفرضها على نفسها . وحياء جاربو غريزى غير مصطنع او متكلف .. هى تؤثر ابدا ان تعيش فيما تختار لنفسها من دنيا الاحلام .. وهرب جاربو من واقع الحياة هو السبب فى بعض بؤسها .. وليس من بين المقربين منها من يعرف سبب هروبها من الواقع ... اهو تفكيرها المكتئب فى الماضى ام هو مجرد ملل من الحياة نفسها ؟! وجاربو لا تتردد فى التصريح بانها تحس بالقلق طول الوقت وفى كل مكان ..

جاربو تنظر إلى الحياة من خلال منظار اصفر .. فى شيء من الياس . وتتساءل لم لا يتكاتف المفكرون والقادة ويستعملون عقولهم لتحويل هذا العالم الى عالم يسوده السلام ؟ ..

وجاربو تشكو وتتألم من « ضـياع عمرها » ولكنها ترفض مثلا ان تصرف بعض وقتها فى اعمال خيرية وتقـول « التمثيل مهنتى ولست عاملة اجتماعية » .

والمعروف ان جاربو تتمتع بصحة جيدة وان كانت تشكو احيانا من الم فى ظهرها ، وهى تعنى بصحتها عناية تامة وتمارس الرياضة وخاصة رياضة المشي والسباحة .. وهى تدخن باعتدال اما افة جاربو فهـو الأرق .. فهى تجد صعوبة شـديدة فى الاستغراق فى النوم .

● بين الفقر والمسرح !

فى شقة متواضعة فى المبنى رقم ٣٢ ، وهو مبنى من خمسة طوابق تطل على خرائب استكهولهم عاصمة السويد ، وعلى اقذر احياء العمال فيها ، عاشت جريتا صباها مع اسرتها فى فقر ومسغبة . ابوها كان كناسا يقدم على نظافة الشوارع .. وقضى عليه الشراب وهو فى اوائل العقد الخامس من عمره .. وفى مستشفى الولادة فى ذلك الحى القذر ولدت جريتا لويزا جوستافسن يوم ١٨ سبتمبر ١٩٠٥ وابوها على درجة من الفقر حفزت رئيسه فى العمل ان يتقدم لتبنى المولودة الجديدة ليخفف عن اسرتها الفقيرة عبء تربيتها ، ولكن الأب على فقره رفض ذلك ، وقالت امها « الله يعطيك الخبز لما يعطيك الخلف » .

ولم تكن طفولة جريتا شقية او سعيدة بصفة خاصة وهى تقول « لا اذكر انى كنت صغيرة ابدا ، صغيرة بحق ، كغيرى من الأطفال .. كان لى رايى فى بعض المواضيع ولكنى كنت لا اصرح برايى ابدا » .. التحقت جريتا بمدرسة ابتدائية حكومية .. وكانت تكره الحساب والجغرافيا وتحب التاريخ ولكنها كانت منصرفة بكلياتها إلى المسرح الذى كانت تعشقه . فى سن السادسة او السابعة كانت تقف عند الباب الخلفى لهذا المسرح او ذاك وتحاول الاستماع الى ما يقول الممثلون فاذا كان لها ثمن تذكرة الدخول راحت تعب من المسرح ثم تقضى بعد ذلك اياما تصبغ وجهها بالوان الرسم العادية وترتدى ملابس اخيها ثم تخرج إلى الشارع لترى كيف ينخدع الناس بتنكرها .. الوان الرسم كانت اصباغ ماكياجها والشـارع مسرحها ..

مات ابو جريتا وهى فى الرابعة عشرة وحزنت لموته أشد الحزن لانه قاسى فى مرضه كثيرا .. كانت فى تلك الأيام تحاول كسب ما يعين الأسرة على العيش .. تخرج من المدرسة الى دكان حلاق تعمل فيه بعض الوقت .. تضع رغوة الصابون على وجوه من يرغبون فى حلاقة لحاهم ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



اشهر صورهـا التى استخدمتهـا إحدى الشركات السينمائية فى الاعلان عن النجمة الصـاعدة .

جاربو

في عينيها قرأ المحبون أحلامهم

وتركت جريتا المدرسة فى ٢٦ يوليه ١٩٢٠ والتحقت بخدمة احد المتاجر الكبرى فى العاصمة براتب قدره (٣٥ دولارا) فى الاسبوع . وفى اوائل ١٩٢١ وقفت جريتا كمحترفة امام الة التصوير.ذلك لان المتجر كلفها بعرض ازياء قبعات الموسم . وعقب ذلك مباشرة كان اول لقاء لها مع كاميرا السينما إذ اختارها احد مديري افلام الدعاية التجارية لتظهر فى فيلم فكاهى عنوانه « كيف لا تلبس ملابسك » .. وجاء بعد ذلك فيلم فكاهى اخر عن مخبز يعلن عن كعكه وفطائره ، تلتهمها فتاة هجرت « رجيما » صارما .. وكانت جريتا إذ ذاك على شىء من السمنة .

● شىء غير عادى

حدث أن زار المتجر الذى تعمل فيــه جريتا واحد من مخرجى الأفلام الرخيصة ، وعرض عليها العمل لحسابه فاستقالت من عملها فى المتجر ، لتعمل فى السينما ! ! وشرت إحــدى المجلات تعليقا على اول فيلم لها مع تلك الشركة وتنبا المعلق بان جريتا جوستافسن قد تصبح كوكبا من كواكب السينما فى السويد .. ولم تقنع جريتا بذلك بل اخذت تبذل الجهد والعرق لتحقق هدفها فهى منذ طفولتها تقول « انا افكر فى أن اكون ممثلة عظيمة » . واكد لها المخرجون انها لن تحقق ذلك الأمل الا اذا تعلمت فن التمثيل وتدربت عليه .. فما كان منها الا ان تقدمت لامتحان يؤهل لجائزة علمية فى التمثيل تعقده الاكاديمية الملكية للمسرح فى استكهولم .. وساعدها مخرج اسمه بتشلر بان كلف ابنته الممثلة ، بتدريب جريتا قبل امتحان الاكاديمية .. وكان ان نجحت جريتا وفازت بجائزة مكنتها من الالتحاق بالاكاديمية مجانا . كان نظام الاكاديمية صارما يفرض على الطلاب مواظبة ومرانا وعملا متواصلا .. وابدت جريتا تفوقا ملحوظا اثناء دراستها .. وحدث ان المخرج بتشلر تحدث إلى اكبر مخرجى السينما فى للسويد ، وهو ستيللر عن جريتا وامتيازها .. وزار ســـتيللر الاكاديمية خلسة وشاهد جريتا اثناء عملها دون أن تدرى هى بوجوده ، فلما بدأ توزيع ادوار فيلمه الجديد زار الاكاديمية مــرة اخرى وحدد لجريتا موعدًا لتزوره فى بيته .

وراحت جريتا فى الموعد المحدد فلم تجــد ستيللر واضطرت للانتظار ساعتين وصل بعدهما ذلك المخرج اليهودى وكان صاحب الكلمة العليا فى عالم الفيلم السويدى إذ ذاك .. وتظاهر بانه نسي الموعد ثم وجه إليها الحديث وقال « انسة جوستافسن ، انت سمينة جدا.لابد من ان ينقص وزنك ٢٠ رطلا قبل أن اسمح لك بالقيام بالدور الذى اختاره لك .. وسابعث فى طلبك بعد ايام لاختبارك على الشاشة » .. وخرجت جريتا والتفت المخرج ستيللر نحو ممثــل كان معه وقال « فى هذه الفتاة شىء غير عادى ، لابد أن اكتشفه .. » .

وبعد ايام وصلت رسالةتليفونية من ستيللر .. وراحت لتختبرها الكاميرا .. وثبتت صلاحية وجهها للشاشة البيضاء .. ولعبت جريتا اول دور رسمى لها وهو دور الكونتيسة دونا ، ونجحت تماما .. وقدمها ستيللر لمدير شركة الافلام السويدية وقال له « هذا وجه لا نعثر عليه إلا مرة كل قرن » وابرمت الشركة عقدا مع جريتا لمدة ستة اشهر باجر قدره ٦٠٠ دولار وكان عمرها ١٨ سنة .

لم يكن لاسم اسرة جريتــــا وهــو « جوستافسن » رنة سينمائية وقرر المخرج ستيللر تغييره وكانت هى نفسها تسعــى لتغييره باسم اقصر . وتذكر احــــدى صديقاتها انها زارت اذ ذاك مزرعة اسمها « جاربودا » .. ويحتمل ان يكون اســـم « جاربو » اختصارا لكلمة « جاربودا » . وهناك قصص اخرى عن تغيير الاسم الى « جاربو » ولكن لا يقوم على اى منها دليل قاطع ، لهذا نكتفى بالقصة التى اوردناها .

قبض ستيللر على جاربو بيد من حــديد فكانت لا تقدم على امر دون موافقته .. كان يدربها اثناء الاخراج ويكلفها باعادة المشهد الواحد مرات ومرات حتى يطمئن إلى انها اعطته غاية ما تستطيع تقديمه .. كان يطالب بالكمال فى الاداء ويصر على طلبه .. واستحالت جاربو عجينة فى يده يشكلها كيف شاء ، وهناك من قال انها اضحت امة له يامرها فيطاع ، وظن البعض ان العلاقة بين ذلك المخرج الذى كان يكبرها بربع قرن تعدت حدود علاقة العمل بكثير .. ولكن الدليل لا يقوم على ذلك .. وحيثما يسود الغموض تروج سوق الشائعات .

بدأ ستيللر يبنى ويشكل ذلك الكوكب الذى اضاء سماء هوليوود سنوات .. وكانت جريتا قد بلغت الثامنة عشرة ، فى عام ١٩٢٣ .. ويذكر انها لما اتمت اول افلامها تحت اشراف واخراج ستيللر قالت لاحد الصحفيين « نعمت بعملى فى ذلك الفيلم ولكن التجربة كانت أشبه ما تكون بعبور أتون تاجج ناره » وبعد خمسين عاما من ذلك قالت جاربو عن علاقتها بذلك المخرج الذى عرف بصلفه « كانت العلاقة بيننا حب وكراهية ، احبنى بعض الوقت بقدر ما كرهته » .



جريتا جاربو فى لقطة من فيلمهــا الشهير « السيل » الذي اخرجــه « مونتا بيل » فى عــــام ١٩٢٦ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعادت جاربو إلى الاكاديمية لتتم دراسة التمثيل ، تنفيذاً لتعليمات ستيللر ... ويجدر بالذكر ان النقاد لم يتحمسوا لذلك الفيلم السويدى ، وبالغ بعضهم فى نقد جاربو فتصدى لهم ستيللر وقال « إنهـــا مازالت عصبية عديمة التجربة ولكن فى شخصيتها شيء غير عادى .. فوق العادى .. وعندما افرغ من تدريبها ، سيعجب الجميع بادائها » .. وهذا الفيلم الذى لم يعجب نقاد السويد نجح فى المانيا نجاحا منقطع النظير ودفعت فيه شركة تريانو ٢٥٠٠٠ دولار كما دفعت لجاربو كل نفقات سفرها إلى برلين لحضور العرض الأول للفيلم وكان يعنوان « جوستا برلنج » .. وطلبت الشركة من ستيللر أن يخرج فيلما ثانيا لجاربو ، فاختار مذكرات لاجيء روسى وفيها دور اعتبره المخرج نموذجيا بالنسبة لجاربو وهو دور فتاة روسية ارستقراطية تهرب من دير فى بتروجراد وينتهى بها الأمر فى حريم قصر من قصـــــــور القسطنطينية عاصمة تركيا إذ ذاك .

قرر ستيللر ان يضع الشركة امام الامر الواقع فصحب جاربو والمصورين والممثلين إلى العاصمة التركية ونزل فى افخـــم فنادقها .. واخذ يرسل البرقيات يطلب من الشركة ان ترسل اليه ما ينفق على الفيلم والمشتركين فى إخراجه .. ولم يدر ان الشركة افلست .. واضطرت القنصلية السويدية ان تدفع نفقات عودة جاربو والمخرج إلى السويد عن طريق المانيا .

فى ذات الوقت كان احد الالمان ، جورج بابست ، يعد لاخراج فيلم اسمه « شارع الاحزان » يسانده فى ذلك راسمال امريكى .. وسعى المخرج وراء التعاقد مع جاربو ووافق ستيللر على اشتراكها شريطة ان يكون هو مستشار الاخراج . وقبضت جاربو ٤٠٠٠ دولار نظير هذا الفيلم الذى استغرق اخراجه فى برلين شهرا واحدا .. وجدير بالذكر ان مارلين ديترتش اشتركت بدور صغير فى ذلك الفيلم .

وتصادف اثناء اخراج هذا الفيلم فى برلين ان زار العاصمة الالمانية قيصر هوليوود ، المستر لويس بى ماير ، نائب الرئيس الأعلى وكبير مخـــرجى مترو جولدوين ماير .. وكان المخرج السويدى الكبير فيكتور سيوستروم قد اشار على لويس ماير بان يقابل ستيللر وان يشاهد بعض افلامه وقال « استورد ستيللر وضع جريتا جاربو بين حقائبه !! » . ورتب الوسطاء لقاء بين ماير وستيللر .. واكتشف كل من الرجلين عند اللقاء انه لا يتكلم لغة الآخر ولكن كان كل منهما يعرف ان الآخر يهودى مثله ، يعرف القليل



« المرأة الرائعة » .. احـــد اهـــم افـــلامها .. مثلته فى يناير عام ١٩٢٨ .

من اليديش » فاتخذاها لغة للتخاطب واستعانا بمترجم كذلك ..

● جاربو تفكر فى الانتحار !

طلب ماير مشاهدة فيلم «جوستا برلنج» .. وادرك لما شاهده ان المخرج ـ ستيللر ـ موهوب فالتفت ماير للمترجم وقال « قـــل للمستر ستيللر إن رجلا له مواهبه يجب ان يكون فى هوليوود .. انا مستعد لابرام عقد معه لمدة ثلاث سنوات ، وان ادفع له اول الأمر ١٥٠٠ دولار فى الاسبوع » .. ولم يرد ستيللر فوراً .. ثم سال « وماذا تنوى بالنسبة لجاربو ؟ إنك لم تشر إليها بكلمة واحدة » ، ورد ماير بغير اهتمام « ومن تكون جاربو هذه ؟ » قال ذلك رغم اعجابه بادائها فى الفيلم الذى شاهده .. ولكن ذلك نهج اليهود عند عقد صفقة مهمة .. واخذ ستيللر يعدد مناقب جاربو فقال ماير « اقل الواجب هو ان اقابلها اولا ولكن الأهم هو ان اعرف موعد حضورك إلى هوليـــــود » فقال ستيللر ـ لن اسافر الى امريـكا الا وجاربو فى صحبتى وفى يدها عقد من شركتكم .. ويسرنى ان تتناول العشاء معى » وقبل ماير الدعوة ورتب ستيللر لحضور جاربو واوصاها بان ترد على ماير إذا حدثها فى امر العقد بجملة واحدة « انا انفذ ما يقرره المستر ستيللر » .. وقبـــل نهاية السهرة وافق ماير على ان يتعاقد مع جاربو لمدة ٣ سنوات بمرتب ٣٥٠ دولارا فى الاسبوع فى اول الامر . والتفت ماير للمترجم وقال « قل لها ان الرجال فى امريكا لا يحبون المراة السمينة » .. وهبت جاربو واقفة وانصرفت بعد ان قررت فى نفسها ان تتبع « رجيما » صارما تنقص وزنها خلال الشهرين قبل رحيلها إلى امريكا .

وابحرت جاربو إلى امريكا مع المخرج ستيللر وتوقعا استقبالا حافلا فى نيويورك يضم كبار رجال مترو جولدوين ماير ورجال الصحافة والسينما والمسرح .. واخـــذ ستيللر يحفظ جاربو جملة باللغـــــة الانجليزية ترد بها على الصحفيين فى نيويورك « هذه اسعد لحظة فى حياتى .. بارك الله امريكا » .

واستحال الحلم الى كابوس وتحطمت الآمال عند وصولهما إلى نيويورك .. إذ لم يكن فى انتظارهما غير خيبة الأمل والمهانة .. كانت هيئة الاستقبال مصورا واحدا ورجلا من العلاقات العامة كلف بقيادة سيارة الضيفين .. وفاضت عيون جاربو الجميلة بالدموع وحاول ستيللر الاتصال بماير تليفونيا .. وكان الرد دائما انه مشغول فى اجتماع هام .. اترك رقم تليفونك وهو يرد مكالمتك .. ولم يرد ماير المكالمات .. واستمر الحال على ذلك مدة شهرين .. وكتبت جاربو لصديقة لها فى السويد تقول « اشعر بدافع قوى على الانتحار .. إما اغرق نفسى او اقفز من اعلى نافذة .. لكن تعوزنى الشجاعة » .

وقررت جاربو وستيللر العودة إلى السويد .. وفى مكتب للسفريات السويدية لقيت جاربو صديقة لها « مارتا هـــدمان » المغنية السويدية المشهورة التى كانت تنوى العودة للسويد فى اجازة .. وسمعت مارتا ما جرى لجاربو وصاحبها فوعـدت بالمساعدة واتصلت بمصور مشهور وطلبت منه العون .. ورأى المصور جاربو .. اخذ بجمالها .. وطلب ان يصورها .. وكان له ما أراد .. واختـــار هـــو وجاربو افضل الصور وعرضهـــا على محـــررى اكبـــر المجــلات ونشرت الصور وتحتها عبارة « كوكب جديد من الشمال ـ جريتا جاربو » .

ووزعت المجلات فى انحـــاء الولايات المتحدة ومنها كاليفورنيا .. ووقعت عين ماير على الصور وبهره ما راى ولم يدرك ان الصور هى صور الفتاة التى تنتظر اوامره فى نيويورك فامر بحضورها ومعهـــا ستيللر .



● نجمة من طراز جديد

وصلت جاربو إلى هوليود فلم يتحرك فيها ساكن .. وعاد الاستديو إلى صمته واهمل شانها ، وبعد اشهر وافق رئيس الاخراج على عمل اختبار جديد على الشاشة لجاربو ... وكان للنتيجة وقع السحر ... وتحرك الاستديو واهتم ماير وأمر جراح الاسنان الذي يعمل في الشركة باصلاح اسنان جاربو لأن الفجوات بينها كبيرة ... وامر بان ينقص وزنها قبل اشتراكها في اي فيلم .

كانت جاربو نجمة من طراز جديد لم تالفه استديوهات هوليود .. النجوم عادة نحيلات صغيرات الحجم ، وجاربو طويلة عريضة الكتفين ... كان الاستديو قد بدا في تصوير فيلم « السيل » يخرجه مونتا بل وبطلته الما روبنز التى كانت تلعب دور ليونورا امام البطل ريكاردو كورتيز ... وحدث ان مرضت البطلة الما روبنز .. فراح المخرج يستغل الوقت في مراجعة بعض ما صور من اشرطة ، وبدا العرض ، وفجاة راى المخرج شريطا عليه جاربو ـ شريط اختبار الشاشة ـ وادرك عارض الافلام انه اخطا ، فتوقف عن العرض ، ولكن المخرج امره بالاستمرار ، فلما انتهى الفيلم طلب منه إعادة عرضه ... وفى اخر الفيلم ورد اسم جريتا جاربو وتاريخ الاختبار ... وتحمس المخرج لما راى بمحض الصدفة ، وسارع إلى غرفة رئيس الاخراج فى الشركة واقنعه بوجوب استبدال الما روبنز المريضة بهذا الوجه الجديد ... وقبل الرئيس ... وبدات جريتا جاربو تؤدى اول دور لها في فيلم من افلام مترو جولدون ماير. فى هوليوود .

بدات جاربو عملها واخذ بعض النقاد يعلقون على شخصها تعليقا لا مجاملة فيه وذهب واحد منهم انه اكتشف الحجم الصحيح لقدمي جاربو ـ وقدماها فى حجم اقدام الرجال ـ وكان بعض عمال الاستديو يسخرون من طولها ... ومنهم من اطلق عليها اسم « ناطحة السحاب » ... وهكذا بدات جاربو حياتها فى هوليوود موضع سخرية ، وانتهى بها الأمر معشوقة للجماهير .

استغرق اخراج فيلم « السيل » ستة اسابيع وعرض فى نيويورك لأول مرة في ٢١ فبراير ١٩٢٦ ، وكسر الرقم القياسي لعدد المشاهدين ... ونجحت جاربو واشاد بعض النقد بما تتميز به من فردية وجاذبية ... واشار بعضهم الآخر إلى وجهها وملامحها وقدرتها على الاداء والتمثيل ، وإلى شخصيتها النفاذة .

وأرادت شركة مترو جولدوين ماير ان تستغل لهفة الجماهير واقبالها على هذه النجمة الجديدة ، فبادرت بالاعداد لثاني افلامها واختارت قصة عنوانها « المغرية » وكلفت ستيللر بالاخراج ، ولكن الشركة قررت طرده قبل ان يتم عمله ... ولا غرابة إذن ان هذا الفيلم لم يصب نجاحا .

شاع بين المخرجين أن جاربو تبذل جهداً جباراً فى تحضير الادوار التى توكل إليها ، وانها تسهر الليل وتجهد نفسها فى الاعداد لأداء تلك الأدوار وانها تطيع تعليمات المخرج بدقة ، فارتاح المخرجون للعمل معها . وكانوا يتسابقون للفوز باخراج افلامها ... وعرف المخرجون ان جاربو لشدة حيائها الغريزي تضطرب إذا احست ان هناك من يراقبها أثناء الأداء فى الاستديو ، لهذا كان المخرجون يحيطون المشهد والكاميرات بستائر تحد من تجمع الزوار ... واستعانت ابواق الدعاية فى الشركة بالاسم الذي اطلقه بعض المعجبين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

امام الممثل « جون جلبرت » في فيلم «قصة حب» وهي مقتبسة عن قصة «انا كارنينا» لتولستوى

في فيلم «انا كارنينا» الذي مثلته في اغسطس ١٩٣٥ امام « فردريك مارش » .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على جاربو وهو « فينوس استكهولم » ...

فيلم « الجسد والشيطان » في عام ١٩٢٦ كان ثالث افلام جاربو فى هوليوود ... قرات جاربو القصة فوجدت ان دورها ، كالدورين في الفيلمين السابقين ، هو دور امراة تعمل على إغراء الرجال والعبث بعواطفهم ، فلم تعجبها القصة فاحتجت لدى « ماير » فنهرها فى وحشية وامرها ان تمتثل للاوامر ... فامتثلت على مضض ولكنها اخذت قرارا فى نفسها ... قام بدور البطل في هذا الفيلم جون جلبرت ... وعرض الفيلم لاول مرة في نيويورك فى يناير ١٩٢٧ وكتبت صحيفة الهيرالد تربيون عن جاربو تقول : « لم نر على شاشة السينما من قبل امراة على مثل هذا القدر من السحر والجاذبية ، فيها رشاقة افتك من اي جمال مجرد » .

وبالغت الشركة فى نشر شائعات عن غرام بين جاربو وجلبرت ... وارتاحت الجماهير لهذا الوضع وزاد الاقبال على الفيلم رغم ان «ماير» نفسه لم يرض عنه من الناحية الفنية ... ومن هنا بدات جاربو تتميز عن كل نجمة من نجوم السينما ... فهي معشوقة النساء والرجال جميعا .

وحل موعد الفيلم الرابع .. اختارت الشركة « النساء يعشقن الماس » ووجدت جاربو للمرة الرابعة الدور الذى لابد تلعبه دور امراة همها إغراء الرجال والعبث بعواطفهم او كما اسمت هى تلك الادوار « ادوار امراة فاسدة » فرفضت العمل وامتنعت عن زيارة الاستديو وهددها «ماير» بانها بامتناعها إنما تكسر العقد بينها وبين الشركة .. وكان راتب جاربو قد ارتفع إلى ٦٠٠ دولار أسبوعيا وعرفت من جون جلبرت أنه يتقاضى ١٠٫٠٠٠ دولار أسبوعيا فطلبت زيادة راتبها إلى ٥٠٠٠ دولار ... فلما عرض ماير عليها نصف ذلك المبلغ قالت « اعتقد انى لابد أعود إلى وطنى » .. وغادرت مكتبه وغابت سبعة اشهر لم تتقاض خلالها فلسا واحدا .

وقف جون جلبرت بجانبها ونصحها بان تستعين بخدمات هارى ادنجتون ليكون مديرا يمثلها امام الشركة وتم لها ذلك .. واصر ادنجتون على راتب قدره ٥٠٠٠ دولار يدفع على مدار السنة ، وكانت الشركة تقتطع راتب الاجازات .. واصر على اعفاء جاربو من العمل فى فيلم « النساء يعشقن الماس » واختار لها قصة « حب » وهى قصة مقتبسة من قصة « انا كارينينا » لتولستوى .. وتم توقيع العقد الجديد فى يونيه ١٩٢٧ .

وتعاقبت بعد ذلك افلام جاربو « المراة المقدسة » و « السيدة الغامضة » وغيرها مما هو معروف .

وجاربو عانس حتى اليوم .. لم تتزوج قط .. فى عام ١٩٢٨ وهى فى مستهل عمرها كتبت الى صديقها لارس هانسون الممثل السويدى تقول « افكر فى اليوم الذى اتقاعد فيه والزم دارى واخلد للهدوء وعندها نقضى معا امسيات العزاب ، لانى اعتقد انى لن اتزوج .. إذ لست اتصور نفسى زوجة ـ يالها من كلمة نابية » .

ولعل المخرج ستيللر كان اقرب رجل إلى قلب جاربو وان كان العارفون يؤكدون ان العلاقة بينهما لم تكن غرامية وان كان الحب عنصرا من عناصرها .. ولما مات ستيللر افتقدته جاربو وبدت وكانها سفينة بغير دفة توجهها .. ويكفى ان جاربو قالت « لو قدر لى ان احب رجلا لكان ذلك الرجل موريتز ستيللر ».

نذكر من بين من احبوا جاربو الممثل السويدى لارس هسون الذى لم تبادله جاربو حبه رغم انها احتفظت بصداقته على البعد وهى فى امريكا وهو فى السويد ، على ان الرجل الذى لازم اسمه اسم جاربو فترة طويلة كان جون جلبرت الذى لعب دور البطولة فى عدد من افلامها،على انها قالت « لم يكن بيننا اى غرام ولست ادرى ما اعجبنى فيه » والمعروف ان جاربو وجلبرت اتفقا على موعد للزواج ورسما خطة لشهر العسل يقضيانه على ظهر يخت فى جنوب المحيط الهادى .. ولكن لما حل اليوم الموعود لاذت جاربو بالفرار وتزوج جلبرت غيرها .

ويشاع ان جاربو كادت ان تتزوج من صديق صباها ماكس جميل وهو مهندس مليونير سويدى ولكن الزواج لم يتم .

وفى حياة جاربو عدد من الغراميات العابرة منها ما هو مع روبن ماموليان ، وهو مخرج سينمائى ارمنى ، والموسيقار ستوكسكى ، والدكتور جايلورد هاوزر ، وجورج شلى وسيسل بيتون .

على ان كل ما جرى بين جاربو واى من محبيها سر اودع فى بطن المحيط .. غرامياتها وشخصيتها وحياتها لغز يزداد غموضا كلما امتد العمر بها وكلما تعمق البحث وراء حل لهذا الطلسم .

يكفى ان نعرف انها سر الغموض .. جريتا جاربو مد الله فى عمرها .

جمال الكنانى

صفحة مجهولة في أدبنا المعاصر

أحمد شوقي كاتباً روائياً

بقلم : محمود على

رواية
عذراء الهند
او
تمدن الفراعنة
لمنشئها الضعيف احمد شوقي
احد موظفي الديوان الخديوي
طبعة الاهرام بالاسكندرية سنة ١٨٩٧

غلاف رواية عذراء الهند التى كتبها احمد شوقي وطبعت في عام ١٨٩٧ .

قد يبدو هذا العنوان غريباً على شاعر مصر والعروبة احمد شوقى ! فعهدنا به شاعراً واميراً للشعراء ، واول من طرق باب المسرح الشعرى .

و .. الحقيقة ان احمد شوقى طرق ميدان الرواية ايضاً فى باكورة حياته ومحاولاته تكاد ان تكون مجهولة .. ان لم تكن كذلك فعلا .لا نعرف عنها شيئاً يذكر . بعض من ارخوا لتاريخ الرواية العربية تجاهلها تماماً . واخرون اكتفوا بذكر اسماء رواياته دون ان يتطرقوا لمناقشتها .

و .. كلاهما معذور . فاعمال شوقى الروائية ليست تحت ايديهم . ويزيد الأمر غرابة ان احمد شوقى نفسه فى مقدمة الطبعة الاولى من شوقياته (١٨٩٩) لا يذكرها ضمن اعماله .

لم يذكر إلا رواية «علي بك او فيما هى دولة المماليك» التى كتبها وهو طالب علم فى باريس وارسلها الى رشدى باشا ليعرضها على الخديوى والذى علم منه «بان الجناب العالى قد تفكه بقراءتها ويدعو لك بالمزيد من النجاح» (١) . دون ان يذكر روايته النثرية الثانية «عذراء الهند» (١٨٩٧) . وكذلك فعل سكرتيره فى ذكرياته عنه بعد وفاته . الوحيد الذى ذكر شيئاً عن احدى رواياته وهى «عذراء الهند» ، كان رفيق شبابه الأمير شكيب ارسلان فى كتابه «شوقى .. او صداقة اربعين عاماً» «ط ١٩٣٦» كما سنرى .. ثم يذكر طاهر الطناحى فى كتابه عن شوقى وحافظ نصاً نادراً لشوقى ارسله الى الزعيم محمد فريد إثر جفوة بينه وبين الحزب الوطنى بعد وفاة مؤسسه مصطفى كامل يشير الى اعماله الوطنية .. يقول فيها :

«وطنيتى فى الشوقيات قليلها الذى ظهر وكثيرها المستتر . وفى «عذراء الهند» و«دل وتيمان» و «لارياس» و «بنتاءور» . ولو إطلعت على واحد من هذه الآثار التى تفتتنيها ربات الجمال ويفهمها الرجال والاطفال لعلمت كما علم كثير من العقلاء قبلك اننى كما وصفنى المرحوم مصطفى كامل .. ذلك الغدير الصافى فى لفائف الغاب يسقى الأرض ولا يبصره الناظرون» (٢) .

الرواية قبل المسرح

شوقى إذن طرق باب الرواية قبل ان يطرق باب المسرحية الشعرية . وفى فترة مبكرة من حياته وحياة الرواية العربية والمصرية فقد كتب : عذراء الهند او تمدن الفراعنة سنة ١٨٩٧ و «لادياس» أو «آخر الفراعنة سنة ١٨٩٩» .. ثم رواية «دل ويتمان» فى نفس العام وتعتبر الجزء الثانى لرواية «لادياس».ثم شيطان بنتاءور (١٩٠١) (٣) واخيراً «ورقة الآس» .

من بين هذه الاعمال تظل رواياته الثلاث الاولى اكثرها غموضاً للباحث .. وهى الروايات التى تحت ايدينا الآن .

لكن .. ما سر تجاهل احمد شوقى لهذه الاعمال ؟ .. بل وتجاهل نقاد عصره لهذه المحاولات الروائية الاولى فى تاريخ الرواية المصرية ؟ سوف نجد بعضاً من الاجابة على السؤالين فى مقدمة احمد شوقى لشوقياته من طبعتها الاولى .. ثم فى الظروف التاريخية التى احاطت بظهور قصصه .. ومنها «عذراء الهند» ! .



الشاعر احمد شوقى

دفاعاً عن النثر

يقول شوقى فى مقدمته دفاعاً عن النثر واهميته وامكانية ان يجمع الشاعر بين النثر والشعر معا :

«ان البعض يستنتج من كون الناثر لا ينظم أن الشاعر لا ينثر كذلك .. ولا ينبغى له . وهذا وهم يدانى فى اليقين عندهم . وقد جاوز الشعراء فى الانخداع به حداً اضر بهم» (٤) .

ثم يعطى نماذج من شعراء الغرب الذين ساهموا فى مجال «القصص والانشاء ..» حتى أن بعضهم يقدم «الأشقياء» لفكتور هوجو على سائر مؤلفاته وفيها الشعر . كما يرون « اعتراف فتى العصر » لالفريد دي موسيه اجمل اثر له بين كثير من الآثار وفيها الروايات المنظومة والأشعار . وكلا الشاعرين مطبوع لم يختلف فى سليقته اثنان . (٥) شوقى بهذا يقدم تبريراً لمعاصريه لنزوله ميدان النثر الفنى من خـــلال قوالـــب جـــديدة ، لكن عصره لم يـــكن يستسيغـــــه . فالروايـــة المؤلفـــة حينذاك كانت فى دور جنيني .. لم يشتد عودها بعد .. لانه فن لم يالفـــــه الادب العربى . يرى فيه المحافظون نوعا من «الشرك الفنى» لا يجوز لأديب – خاصة الشاعر – ان يخوض فيه . وقد ادرك شوقى هذا تماما .. فنراه بعد سطور يعترف باحجامه فى خوض ميدان النثر الفنى رغم اعترافه باهميته قائلا :

«على انى كنت اول من انقاد بازمة هذا الوهم . وطللا اوذيت به فكنت إذا عرضت لى كتابة اشفق منها واجفل عنها فصرت مثلى مثل الشاعر الفرنسوى الذى يحكى انه لما راى اهل باريز يبالغون فى الحفاوة به ويكثرون من دعوته الى موائدهم ومجالسهم ليسمعوا حديثه على ظن انه يقول ما لا يقوله الناس .. بلغ به الاحتراس منهم الى ان كان إذا دعى الى وليمة حضر والقوم على المائدة فاكل صامتا ثم انصرف والقوم لم يفرغوا من الطعام . فقيل له لم ذلك . فقال : انا على المائدة كاحدكم فاذا جلست إزاء مكتبتى فتصورونى كيف شئتم» . (٦)

لقد عاش شوقى فى باريس .. مدينة النور والنار .. وقرا وشاهد .. وكتب من هناك رواية «علي بك الكبير» ثم ترجمته لقصيدة «لامارتين» .. البحيرة . وترجم حكايات للاطفال عن لافونتين ، وحكاية قصيدته «خدعوها بقولهم حسناء» التى منعت من النشر ، والتى ذكرها فى المقدمة ، كل هذا جعله يدرك بضرورة الحذر :

«إن احتراسى من المفاجاة بالشعر الجديد دفعة واحدة إنما كان فى محله ، وان الزلل معى إذا ما استعجلت» .

شوقى يقول هذا عن الشعر .. وله من المكانة ما له .. فما بالكم بالقصص النثرى؟ .

حملة من النقد

لقد جرت عليه رواية «عذراء الهند» عند نشرها حملة من النقد تزعمها ابراهيم اليازجى فى مجلته «البيان» جعلت شوقى يلجا الى صديقه الأمير شكيب ارسلان ليدفع عنه غائلته . بدأ اليازجى نقده قائلاً بعد سطور من تقديم الشاعر والرواية أو رسالته «كما سماها» .. «والذى تبين لنا بعد تصفح جانب منها ان مؤلفها لم يقصد من وصفها إلا تمثيل ما كان عليه اهل العصر من الخرافات والترهات . ولذلك اكثر فيها من ذكر الجان والعفاريت والسحرة والمنجمين والرقى والطلاسم ووصف عجائب المخلوقات والصور الوهمية» . (٧)

ثم ترك الرواية ليتتبع اخطاء المؤلف اللغوية من اول اهداء المؤلف كتابه للخديوى .. حتى يقول : «وهذا يدلك على ان كلا من النظم والنثر لغة قائمة بذاتها لا يحسنها غير اهلها . وان ما اشتهر من قولهم كل شاعر ناثر قولا لا يطرد صدقه ولا يبنى عليه قياس ... ويشهد الله انا كنا نود للمؤلف لو لم يجز بهذا التاليف قلما فان الرجل معروف بالشعر من الطبقة العالية . مشهود له فيه بانه من الطراز الأول . وحقيق بمن بلغ فى امر من الامور منزلة يكون فيها من رؤساء اربابه ان لا يتعدى للدخول فى فئة ينزل فيها عن رتبته ويعد بينهم اخرا .

فان اهمال بعض الامر لا عيب فيه إذ لا يتعين على المرء الاشتغال بالامور كلها . ولكن العيب على من انتحل امرا وقعد فيه» (٨)

وكان شوقى فى مقدمته لشوقياته كان يرد على هذا المعنى .. على القول بأن الشاعر يكفيه شعره .. وللنثر اصحابه ولا يمكن الجمع بينهما !

لا يكتفى اليازجى بهذا القول بل يصب نقده كما قلنا على الفاظ وجمل بعينها وكانه اراد كما يقول الامير شكيب ارسلان ان يسقط منزلة شوقى بين الأدباء «لان الأديب لا يصح ان يكون اديباً إلا إذا استكمل ادواته من اللغة والنحو والصرف والبيان ... وان من نقص حظه من النحو نقص حظه من الادب» (٩) . الامر الذى جعله ينشر رداً نشر فى الاهرام واعاد نشره فى كتابه السابق . المشكلة فى نظر الامير شكيب ان شعر شوقى قتل نثره .. «فبينما هو فى الشعر الفذ الذى يجرى ولا يجرى معه إذا هو فى النثر احد جماعة يجرى معه الناس مثنى وثلاث ورباع .. فى حين ان له نثراً رائعاً وترسلا مؤنقا وفصولا شائقة كانت تخلَّد فى عالم الادب لو لم تفتك به قصائده» .

و .. يبدو ان شوقى اقتنع بهذا بعد فترة اقتناعا جعله يحذف من اعماله ما كتبه من روايات نثرية ! .

شوقى يقنع بالشعر

اما الظروف التاريخية فترتبط بنشاة الرواية العربية والمصرية واكتساب شرعيتها ضمن نفوذ الادب العربى ، وهى ظروف جعلته يقنع بامارة الشعر وسبقه فى ميدانه عن الانتظار طويلا للاعتراف به

في ميدان الرواية ايضا كما يحدث في الغرب !!

في عام ١٨٩٧ ظهرت الطبعة الاولى لرواية احمد شوقي «عذراء الهند» بعد ان نشرت مسلسلة في احدى الصحف (١٠) . ومن هذا التاريخ نستطيع القول بانه طرق مجالا جديداً هو عالم الرواية لم يسبق لمصري ان طرقه من قبل . فمنذ الحملة الفرنسية وحتى هذا التاريخ .. ورغم كثرة ما ترجم والف فاننا لا نجد احداً قبله طرق هذا الميدان ترجمة أو تاليفا إلا ثلاثة : رفاعة الطهطاوي الذي ترجم رواية «تليماك» (١٨٣٤) ومحمد عثمان جلال الذي قام بتمصير رواية «بول وفرجيني» تحت عنوان «الاماني والمنة في حديث قبول ورد جنة» .. ثم «علم الدين» لعلي مبارك . وهي الأعمال التي يدرجها الدكتور عبدالمحسن بدر تجاوزاً ضمن ما يسميه بالروايات التعليمية (١١) . اما الرواية المترجمة فلم تعرف طريقها الى القراء وبشكل منتظم إلا من خلال الصحافة .. وعلى أيدي السوريين واللبنانيين بدات على استحياء أول الامر ثم سرعان ما طغت على ما عداها حتى اننا نجد مؤلفا مثل احمد فتحي زغلول يرجع ضعف حركة التاليف العلمي في مقدمة كتابه «سر تقدم الانجليز السكسونيين (١٨٩٩) ..» الى الاقبال على مطالعة القصص والخرافات والتهافت على اقتناء التافه من المؤلفات والتسابق على حفظ كتب المجون والروايات (١٢) . وكان من ابرز ما ترجم في هذه الفترة الروايات التاريخية .. وخاصة اعمال «والتر سكوت» و«الكسندر دوماس» الشعبية والتي شجعت جورجي زيدان» لأن يسير على نهجها .. وخاصة عند «سكوت» .. في سلسلة رواياته التاريخية التي بدات عام ١٨٩٣ . وعلى هذا فان ظهور «عذراء الهند» (١٨٩٧) وما تلاها من روايات لشوقي تعتبر خطوة رائدة نحو خلق وتاصيل القصة في التربة المصرية .. وهو ما تجاهله الكثيرون!

وإذا كان «جورجي زيدان» قد حرص على ان تغطي رواياته كل مراحل التاريخ العربي منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث «٢٢ رواية» ، فان شوقي اتخذ وجهة اخرى . وغرف من معين اخر هو تاريخ الفراعنة محاولا بعث احد وجوه الشخصية المصرية التي حاول الاحتلال البريطاني تشويهها . فاذا كان قد تغنى بانتماء مصر للخلافة الاسلامية وتابع احداث العواصم العربية شعراً .. فلا اقل من أن يشيد بالحضارة الفرعونية .. ويبين للحاكم والمحكومين مواطن الزلل وعوامل تدهور الأمم .

في «عذراء الهند» يختار فترة من ازهى فترات التاريخ الفرعوني وهو زمن رمسيس الثاني .. او بمعنى ادق .. فترة اواخر حكمه .. ثم يعود ليتناول في «لادياس» و «دل وتيمان» او اخر الفراعنة كما يسميها .. فترة انحلال في تاريخ مصر الفرعونية هي فترة غزو الفرس لها ، والتي يعود اليها بعد ذلك في مسرحيته الشعرية «قمبيز» . ورغم أن شوقي يقرر في مقدمة «عذراء الهند» .. ان اشخاص الحقيقة في الرواية اربعة هم : رمسيس الثاني ، والأمير كيوم او شميوم المحرف اسمه في الرواية الى اشيم اكبر اولاد الملك ، والأميرة «اثرت» كريمة الملك .. و«بنتاءور» .. شاعرهم .. وان ما عداهم من شخصيات فمن وضع الخيال (١٣) . رغم انه يقرر ذلك إلا اننا نكتشف مع الصفحات الاولى للرواية انه جعل التاريخ خادما لفنه وخياله كما فعل قبله رواد هذا الاتجاه «سكوت» و«دوماس» اللذان كانا يمثلان طورا في تطور هذا اللون القصصي ـ ليس انضجه فنيا بالتاكيد ـ حيث تغلب الرومانسية .. ويفسر التاريخ فيها من الخارج .. وترضي الخيال الشعبي بما تقدمه من مغامرات غريبة اكثر مما ترضي الحقيقة التاريخية . وكان هذا الاتجاه هو السائد في حركة التاليف منذ رواية «ذات الخدر» (١٨٨٤) لسعيد البستاني ومن بعده سليم البستاني في لبنان .. حتى «جورجي زيدان» في مصر . بل إن سعيد البستاني يصرح بهذا التقصير في مقدمة روايته بقوله : «ان هذا الفن لايزال عندنا في حال النشاة مع انه اصبح عندهم (الغرب) من اعلى درجات الكمال وغاية الاتقان وكل شيء في اوله عسير (١٤) . ومع ان واحدا من المع من كتبوا الرواية التاريخية الأكثر نضجا في تلك الفترة وهو الألماني «جورج ايبرس» قد ترجمت روايته الاولى «الاميرة المصرية» في مصر عام ١٨٩٨ ومن بعدها روايته «وردة» وتدوران في جو مصر الفرعونية . اقول رغم ذلك فلم يكن له تاثير على كتاب تلك الفترة وقد يبرر سيادة الاتجاه الأول على ما الف من روايات تاريخية مبكرة في مصر او في لبنان انها تتيح لخيال كاتبها ـ ومن ثم خيال القارىء العربي ـ ان يقدم انواعاً من المغامرات والأساطير والغرائب قريبة مما تعوده القارىء او المستمع من ادبه الشعبي من خلال حواديت علي الزيبق ، وسيف بن ذي يزن والظاهر بيبرس .. وغيرها

هذه لمحات سريعة عن الحالة التي كان عليها التاليف القصصي .. والمناخ الذي بذرت فيه . وهو المناخ الذي ساعد على فرار شوقي من ميدان القصة بعد تجربة قصيرة .

وإذا كان شعر «شوقي» قد قتل نثره في ايامه فهل نظلمه الآن ثانية بعد مرور نصف قرن على وفاته .. وبعد أن اصبحت أعماله الروائية تحت ايدينا ؟ .

محمود علي

هـــــوامـــــش

١ ـ مجلة الهلال ـ عدد خاص عن شوقي نوفمبر ١٩٦٨ .

٢ ـ نقلا عن كتاب احمد شوقي للدكتور ماهر حسن فهمي .

٣ ـ اعاد نشرها الاستاذ محمد سعيد العريان .

٤ ـ كتاب الهلال نوفمبر ١٩٦٨ .

٥ ـ المرجع السابق

٦ ـ المرجع السابق ..

٧ ـ مجلة البيان ـ السنة الاولى ديسمبر ١٨٩٧ .

٨ ـ المصدر السابق .

٩ ـ الأمير شكيب ارسلان ـ شـــوقي ـ او صداقة اربعين عاما .

١٠ ـ المرجع السابق

١١ ـ عبد المحسن بدر ـ تطور الرواية العربية .

١٢ ـ جاك تاجر ـ حركة الترجمة في مصر.

١٣ ـ رواية عذراء الهند .

١٤ ـ د. عبد المحسن بدر ـ تطور الرواية العربية الحديثة .

بقلم : الدكتور محمد البهي

"الغنيمة"

يقول الله تعالى فى سورة الفتح : « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة (وكان هذا فى صلح الحديبية قبيل فتح مكة مباشرة) فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم ، واثابهم فتحا قريبا (وهو فتح مكة) . ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزا حكيما . وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه (غنائم خيبر) وكف أيدى الناس عنكم (وهم اليهود فى شمال المدينة) ، ولتكون اية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما . وأخرى (أى ومغانم اخرى) لم تقدروا عليها (فى بداية غزوة حنين فى الجولة الاولى فيها) قد احاط الله بها (اى لم يدع الله هذه الغنائم الاخرى فى حنين تفلت من نطاق قدرته حتى اخذها المؤمنون فى جولتهم الثانية التى انتهت بالنصر لهم على هوازن وثقيف فى موقعة ما بين الطائف ومكة) وكان الله على كل شىء قديرا » .

وتتحدث هذه الآيات الاربع عن مغانم ـ وهى جمع مغنم . والمغنم والغنيمة واحد ـ وعد الله بها المؤمنين . وهى اموال مختلفة يحصلون عليها من اعدائهم . وفى الوقت نفسه تشير هذه الآيات ذاتها الى موقعتين اشتبك المؤمنون فيهما بالقتال مع اعدائهم : واقعة خيبر فى السنة السابعة من الهجرة ، بعد صلح الحديبية بسنة وهى التى أشير اليها هنا بقول الله تعالى : « فعجل لكم هذه ، وكف ايدى الناس عنكم» وخيبر قرية تقع شمال المدينة الى الشام . وكانت ذات حصون ومزارع ، كما كان سكانها من اليهود ويمثلون رأس اليهود عامة فى الحجاز . وقد اصابها المسلمون عنوة أى حصلوا عليها بقتال اليهود هناك حتى انتصروا عليهم ، واصبحت اموالهم غنائم لهم . والموقعة الثانية موقعة حنين فى جنوب مكة ، فيما بينها وبين الطائف . وهذه أشير اليها هنا فى قوله تعالى : « واخرى (اى ومغانم اخرى) لم تقدروا عليها ، قد احاط الله بها ، وكان الله على كل شىء قديراً » .. وما جرى فى حنين من تردد أمر المؤمنين فيها بين الهزيمة ثم النصر فالغنائم : يقصه الله جل شانه فى سورة التوبة فى قوله : « ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ، وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وانزل جنوداً لم تروها ، وعذب الذين كفروا (أى بالقتل وبالأسر معا) وذلك جزاء الكافرين » وغزوة حنين كانت فى السادس من شوال من سنة الفتح .

فالمغانم هى أموال للعدو ، حصل عليها المؤمنون ، ولكن ليس بطريق الصلح بل بطريق القتال والنصر فيه على الأعداء .

ولذا : يختلف الامر فى توزيعها عن توزيع الفىء الذى هو مال للعدو ، جاء عن طريق الصلح . فتوزع أربعة أخماس الغنيمة على المحاربين الذين اشتركوا فى القتال مع الأعداء . والخمس الباقى بعد ذلك يجزا الى خمسة انصبة : لله (أى فى سبيل الله) وللرسول (اى يوضع تحت تصرفه عليه السلام) ولذى القربى (اى من قريش فى حياته من المهاجرين معه) واليتامى (وهم اولاد الشهداء المقاتلين) والمساكين وابن السبيل . وذلك على نحو ما تقول الآية : « واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه ، وللرسول ، ولذى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل » ... واما بعد وفاة الرسول عليه السلام فيسقط سهمه ، وكذلك سهم ذوى القربى له . واذا اعطى ذوو القربى فيعطون بسبب الفقر فقط . ولا يعطى اغنياؤهم . ويقسم الخمس انئذ على الاصناف الثلاثة اليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل . واخماس الغنائم الأربعة الباقية تقسم بين الغانمين من المقاتلين : للراجل سهم ، وللفارس سهمان .

ويروى ان ابا بكر رضى الله عنه : « انه منع ـ فى خلافته ـ بنى هاشم الخمس . وقال : انما لكم ان يعطى فقيركم .. وتزوج أيمكم (والأيم غير المتزوج من الرجال والنساء ، تزوج من قبل أم لم يتزوج) .. ويخدم من لا خادم له منكم ومن عداهم فهو بمنزلة ابن السبيل : الغنى لا يعطى من الصدقة شيئا .

الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر

المصحف الشريف

من الكتابة على جريد النخل إلى فن التذهيب



مخطوطات قديمة ونادرة من المصاحف الكريمة موجودة بدولة قطر .

ليس فى يد البشر كتاب اكمل ولا اهدى من القران الكريم ..

وليس هناك من كتاب تناوله البشر بالتلاوة والقراءة ، وافادوا منه واثر فى حياتهم مثله .

وليس هناك من كتاب نال من العناية والاهتمام ما ناله هذا الكتاب الحكيم ..

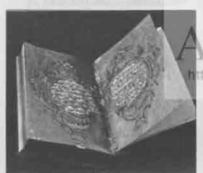
بل ليس هناك كتاب قدر له التوثيق ، والحفظ ، والخلود إلا القران العظيم ، وصدق الله قائله ومنزله (إن علينا جمعه وقرانه) أى قراءته ، (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ، وقد قيض الله له من الحفظ ما لم يقيض لغيره من كتاب ضمانا لخلوده ، وهيمنته ، قيض له الحفظ فى (الصدور) فكم من الملايين عبر الأجيال جمعته وحفظته ومازالت وناهيك باربعة عشر قرنا يتعبد المسلمون فيها الى ربهم بحفظه فرادى وجماعات وامما ، ونهضت لذلك مدارس ، وعلوم شتى ، لا يخلو منها جيل ..

وقيض له الحفظ فى (السطور) فكم من ملايين الصفحات سطرت به فى كل جيل وضمت بين دفتيها ايات هذا الكتاب وسوره وتنم عن الجهد البالغ فى حفظه وجمال تسطيره ما بين مخطوط ومطبوع ، ثم كان الجمع الصوتى مسجلا ، مجودا ، ومرتلا ، وبحفظ الله له لم يصبه ما اصاب غيره من الكتب الماضية والحاضرة من التحريف والتبديل والضياع ..

هذا القران

من الحق الذى لا يمارى فيه إلا مبطل ان هذا القران جاء من عند الله منزلا على نبيه الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم (نزل به الروح الامين على قلبك) وقد سماه الله





مصحف تونسي مخطوط بماء الذهب .. ولوحـــة تمثل نساخا للمصـــحف .. ومصحف تونسي انيق من المخطوطات الاسلاميـــة

قرانا ، وكتابا ، وكلاما ، وفرقانا ، وذكرا ، وقولا .

اما تسميته بالمصحف ـ ومعناه الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين ـ فهى تسمية متاخرة ، جاءت بعد جمع القران ، وكتابته . وكانت من وضع الناس ..

والقران يحتوي على اربع عشرة ومائة سورة مختلفة الأطوال تحوى اكثر من مائتين وستة الاف اية تسطر كل اية منها ـ فى المتوسط ـ فى سطر او اكثر ، ونصه المحفوظ والمسطور هو هو من يوم أن انزله الله والى ان تقوم الساعة وكما املاه الرسول صلى الله عليه وسلم لكتبة الوحي ..

اما شكله الخارجى ـ فى كتابته او طباعته ـ فقط طرا على هذا الشكل تطور كثير انتهى به الى ما هو بين ايدينا اليوم ، فهو فى (طبعته) العادية يقع فى مجلد واحد ، ويتكون من حوالى خمسمائة صفحة تكثر فيها علامات التشكيل ، والنقط ، والعلامات الصوتية ، والاملائية ، والوقف لارشاد القارىء لكيفية النطق والقراءة والوقف ، ... فكيف بدا ذلك وكيف تطور ؟..

مما هو معلوم ان القران الكريم نزل اجزاء متفرقة متباينة فى اطوالها من سورة كاملة الى مجموعة من الآيات ، الى اية واحدة ، بل الى جزء اية ..

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتلو كل جزء ينزل عليه ويعلمه للسامعين ليصل عن طريقهم الى من لم يسمعه من فم الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة ..

وكذلك كان كلما جاءه الوحى بالقران وتلاه على الحاضرين املاه من فوره على كتبة الوحى ليدونوه على ما اعتادوا التدوين فيه مما هو فى متناول ايديهم ، روى البراء : حين نزل قول الله تعالى



(لا يستوى القاعدون ...) قال الرسول صلى الله عليه وسلم : ادع لى (زيدا) وليجىء باللوح ، والدواة ، والكتف ، ثم قال : اكتب : (لا يستوى ..) اى ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يملى على كاتبه لساعته ، وأن الكتبة كانوا يكتبون باملائه ، وان هذا المكتوب كانوا يتناقلونه ..

كتبة الوحى

ويذكر العلماء الثقاة ان عدد كتبة الوحى بلغ تسعة وعشرين كاتبا اشهرهم الخلفاء الراشدون الاربعة ، ثم جمع من اجلاء الصحابة منهم : معاوية ، والزبير ، وسعيد بن العاص ، وعمرو بن العاص ، وأبىّ ، وزيد بن ثابت ، وكان معاوية ، وزيد اكثر ارتباطا بهذا العمل الجليل ..

ولم يتوان المسلمون منذ البداية ــ بل وخلال صنوف الاضطهاد التى تعرضوا لها ــ عن تسطير وتدوين الآيات القرانية التى تتنزل ، ومنهم من كان يدونها فى مخطوطات شخصية ، بل كان اسلام عمر راجعا الى قراءته بعض ايات من اول سورة طه وجدها مكتوبة عند اخته .. ومن الواضح ان هذه المخطوطات على هيئتها الاولى البدائية لم تكن ــ فى شكلها الخارجى ــ تمثل مجموعة متجانسة ومنظمة ، ومرقمة ، وإنما كانت متفرقة ، ولم تاخذ شكلها النهائى إلا قرب نهاية حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ..

ولم يمض عام واحد ــ بعد ان قُبض الرسول صلى الله عليه وسلم ــ إلا وبدت الحاجة ملحة لجمع هذه المكتوبات على تنوع اشكالها من ورق ، وحجر ، وعظام الخ فى مجموعة مدونة سهلة الاستعمال ، وقد عهد الخليفة الاول ابو بكر رضى الله عنه بهذه المهمة الى الصحابى الجليل (زيد بن ثابت) قائلا له (إنك رجل ذكى لا نتهمك وكنت تكتب الوحى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم) وقد وضعت قاعدة لهذا العمل تقضى بالا يؤخذ باى مخطوط إلا بعد ان يشهد شخصان انه مكتوب باملاء الرسول ذاته ، وليس من ذاكرة الكاتب ، وانه جزء من التنزيل فى صورته النهائية ، وكان ابو بكر يقول لعمر ولزيد : اقعدا على باب المسجد ، فمن جاءكما بشاهدين على شىء من كتاب الله فاكتباه ، ويروى البخارى ان (زيد بن ثابت) حين كلفه ابو بكر بجمع القران مضى يجمعه من العُسُب ، واللخاف ، وصدور الرجال ..

وبعد جمع القران وكتابته هكذا بكل هذه الاحتياطات احتفظ به ابو بكر طول خلافته ، ثم عهد به قبل موته الى (عمر) المرشح للخلافة من بعده ، ثم قام (عمر) بتسليمه الى ابنته (حفصة) ام المؤمنين عند موته ..

ويمكن ان نشبه هذا المصحف المجموع هكذا فى شكله الخارجى بملف يجمع صحفا مرتبة ؛ لكن فرصة نشره وتعميمه فى الامة لم تتح إلا فى خلافة (عثمان) بعد معارك ارمينية واذربيجان واشتداد الحاجة الى نشره فى ارجاء الامة كلها ..

وقد نهض الخليفة الثالث (عثمان) رضى الله عنه بذلك فشكل (لجنة) من اربعة كتبة منهم : زيد بن ثابت نفسه ــ وهو من الانصار ــ وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ــ من المهاجرين ــ وكلفهم بنسخ عدد من هذا المصحف يعادل عدد الامصار الرئيسية فى الدولة الاسلامية وقال لهم : (ما اختلفتم فيه انتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فانه نزل بلسانهم) ، وكان يسال : من اكتب الناس ؟ فيقول الناس : كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت ، فيقول عثمان : فأي الناس اعرب ؟ فيقولون : سعيد بن العاص ــ وكان سعيد اشبههم لهجة برسول الله صلى الله عليه وسلم ــ فيقول عثمان : فليمل سعيد ، وليكتب زيد ؛ ثم جلدت هذه النسخ ، ووزعت على الامصار باعتبارها نماذج لا بديل لها وحبس عنده نسخة بالمدينة ، واصبح هذا النموذج هو وحده المتداول فى العالم الاسلامى حتى اليوم ، ومن اجل هذا وغيره سمى (المصحف الامام) ؛ وهو الذى بين ايدينا اليوم اقوم ما يكون ضبطا واصح ما يكون شكلا ؛ يقول موير فى كتابه (حياة محمد) : (إن المصحف الذى جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل الينا دون اى تحريف ، ولقد حفظ بعناية شديدة بحيث لم يطرا عليه اى تغيير يذكر ، بل نستطيع ان نقول إنه لم يطرا عليه اى تغيير على الاطلاق فى النسخ التى لا حصر لها والمتداولة فى البلاد الاسلامية الواسعة فلم يوجد إلا قران واحد لجميع الفرق الاسلامية المتنازعة ، وهذا الاستعمال الاجماعى لنفس النص المقبول من الجميع حتى اليوم يعد اكبر حجة ودليل على صحة النص المنزل الموجود معنا والذى يرجع الى الخليفة عثمان ..) .

كيف كانت الكتابة للمصحف ؟

حين قُبض الرسول صلى الله عليه وسلم كان القران كله مكتوبا على :

- العُسُب ــ بضم العين والسين ــ جمع عسيب وهو السعفة او جريدة النخل إذا يبست ونزع خوصها . .
- الكرانيف ــ جمع كرنافة وهى اصل السعفة الغليظ الملتزق بجذع النخلة ؛
- القضم ــ وهو الجلد الأبيض الذى يكتب فيه .
- الأديم ــ وهو الجلد الاحمر او المدبوغ .
- اللخاف ــ وهى الحجارة البيض الرقاق.
- الاكتاف ــ وهى عظام اكتاف الابل والغنم واضلاعها .

يروى الزهرى ان الرسول صلى الله عليه وسلم قبض (والقران فى العسب والقضم والكرانيف) .

ولقد كانت الكتابة بلغة قريش ، ولم تكن الأمة العربية عهد كتابة الوحى امة عريقة فى الكتابة ، بل لم يكن الخط العربى حينها والى ايام (عبد الملك بن مروان) يعرف النقط المميز للحروف فى صورته الاخيرة كما لم يكن يعرف شكل الكلمات ؛ فما كانت الكتابة العربية على حالها اليوم من التجويد ، والكمال إملاء ورسما .

ومن حديث ذلك : ان العرب كانوا قبيل الاسلام يكتبون بالخط (الحيرى) نسبة الى (الحيرة) ثم سمى هذا الخط بعد الاسلام بالخط (الكوفى) ؛ وهذا الخط (الكوفى) فرع ــ كما يقال ــ من الخط (السريانى) ، وعنهم انتقل الى العرب قبل الاسلام ، ثم كان منه هذا الخط (الكوفى) الذى كانوا

يستخدمونه لكتابة القران الكريم ؛ غير ان الخط (الكوفى) نفسه كان اشكالا ، واستمر ذلك الى مطلع القرن الخامس تقريبا ..

ثم ظهر الخط (الثلث) وعاش من القرن الخامس الى ما يقرب من القرن التاسع ؛ الى ان ظهر القلم (النسخ) الذى هو اساس الخط العربى الى اليوم .

ولقد كتب القرآن الكريم بالخط (الكوفى) ايام الخلفاء الراشدين ، ثم ايام بنى امية ؛ وفى ايام بنى امية صار هذا الخط الكوفى الى اقلام اربعة ..

ويعزى هذا التشكل فى الاقلام الى كاتب اسمه (قطبة) وكان كاتب اهل زمانه ، وكان يكتب لبنى امية المصاحف ؛ وكانت المصاحف فى اول الامر خالية من النقط والشكل ، واقدم المصاحف الموجودة حاليا فى شتى انحاء العالم هكذا خالية من النقط والشكل ، ومع بداية العصر الاموى دخلت الكتابة العربية مرحلة (الشكل والاعجام ـ النقط ـ) ، فاما الشكل فقد بدا نقطا على اواخر الكلمات ، ولم يلبث ان امتد الى بعض حروفها ثم تطور الى الحركات التى نعرفها اليوم ..

واما اعجام الحروف او نقطها للتفريق بين التشابه منها فقد حدث فى عهد (بنى امية) لأن العرب كانت فى اول عهدها بالكتابة لا تعرف التنقيط كما يظهر من النقوش العربية القديمة ؛ وفى عهد الدولة العباسية بلغت الاقلام العربية اثنى عشر قلما ؛ ثم زادت الخطوط على عشرين شكلا ولكنها كلها من (الكوفى) ، حتى كان اوائل القرن الرابع الهجرى ، وظهر (ابن مقلة) فنقل الخط من صورة القلم (الكوفى) الى صورة القلم (النسخى) وجعله على قاعدة جميلة كانت اساسا لكتابة المصاحف ..

يقول ابن اسحاق : اول من كتب المصاحف فى الصدر الاول ويوصف بحسن الخط (خالد بن ابى الهياج) ورايت مصحفا بخطه ؛ و (مالك بن دينار) ويكنى ابا يحيى وكان يكتب المصاحف باجر ، ثم ذكر (ابن اسحاق) نفرا من كتبة المصاحف بالخط (الكوفى) وبالخط (المحقق المشتق) ؛ وقد تبارت الاقلام فى كل زمان فى كتابة المصحف كما كتب باقلام غير (الكوفى والمحقق المشتق) ومنها قلم (إسياقت وشكسته) ..

وقد ظلت كتابة المصحف على هذا الحال والتطور الى ان ظهرت المطابع فى منتصف القرن الخامس عشر م ، وكان اول مصحف طبع بالخط العربى فى مدينة (همبرج) بالمانيا ، ثم فى (البندقية) فى القرن السادس عشر م ، ثم شاعت الطباعة ، وشاع طبع المصحف بها حتى وصل الى ما وصل اليه فى يومنا هذا ..

التجليد فى المصاحف

ينقل السيوطى فى (الاتقان) : ان القران الكريم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مفرقا فى الرقاع ، والاكتاف ، والعسب ، وان الصديق ابا بكر رضى الله عنه امر بنسخه من مكان الى مكان مجتمعا اى امر بنقله ونسخه من هذه الاشياء الى صحف تشكل فيما بينها صورة (الملف) او (الدفاتر) او (الكراريس) او (المصاحف) ؛ ويمكن ان يقال : إنه اول من جمع القران بين لوحين ؛ وبذلك يكون المصحف هو اول مخطوط عربى جلد اى وضعت اوراقه بين لوحين ليس غير ..

ثم كان التجليد ـ فى صورته الاولى ـ عبارة عن وضع المخطوط بين لوحين من الخشب مثقوبين من مكانين متباعدين من ناحية القاعدة ويمر بكل ثقب منهما خيط رفيع من ليف النخيل يبدا باحد اللوحتين ثم تخرز به صحف المخطوط حتى ينفذ إلى اللوح الآخر من الناحية المقابلة ويعـقد ومازال كثير من المخطوطات محفوظا هكذا ، بل ظل الخشب هو المادة المفضلة فى تجليد المصاحف من الحجم الكبير خلال القرون الاولى للاسلام ؛ وحتى منتصف القرن الثانى الهجرى لم يكن لدى العرب كتاب يمكن ان يجلد غير المصحف الشريف ..

ثم زاد اهل مصر على التغليف بالخشب زخارف فنية وطعموها بالعاج لتزيين اغلفة المصاحف من الحجم الكبير ؛ ثم اصطنعوا طريقة تغطية الواح الخشب بالجلد وزخرفة هذا الكساء الجلدى بالوان مختلفة من الزخارف العربية ..

هذا عن الاحجام الكبيرة ، اما المتوسطة والصغيرة فقد استعاضوا فى تجليدها عن الخشب بورق (البردى) فكانوا يصنعون من لبابه ورقا مقوى يستخدمونه فى تغليف المصاحف ثم لم يلبث الورق ان انتشر ، وحل محل (البردى) فى التجليد ..

ويذكر (المقدسى) ان امير (عدن) بعث اليه مصحفا يجلده له ، وان اهل اليمن كان يعجبهم التجليد الحسن ، ويبذلون فيه الاجرة الوافرة ، وكذلك كان لأهل الشام طريقتهم فى التجليد .. وقد استعمل فى القرن الرابع الهجرى ما يعرف باللسان



نموذج مزخرف ومذهب ، ضبط شكله بالنقط الحمراء ، ويرجع إلى القرن الخامس الهجـري .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



صفحتان رائعتان من المصحف الشريف ، تبدو فيهما روعة الزخرفة الاسلامية .

وهو امتداد فى الجلدة اليسرى يثنى بحيث يغطى اطراف الأوراق ويقيها من التمزق ، ومازال المجلدون العرب يتفننون ويبتكرون حتى وصلوا بصناعة التجليد الى درجة عالية من الأصالة الفنية صاحبتها وانتقلت معها الى اوربا ، وكان المصحف هو المجال الأول والأكبر لبراعة هذا الفن ، وكان المجلدون يثابون على إتقانهم بإجزال العطاء لهم حتى بلغت تكاليف تجليد المصحف دينارين ..

الزخارف القرآنية

لم تقتصر الزخرفة على الغلاف الخارجى لجلدة الكتاب ولكنها امتدت الى باطن الغلاف ، ويبدو ذلك واضحا فى المصاحف الكريمة والربعات الشريفة !

ويوجد بمكتبة (البرتينا) بفيينا جلدتان من جلود المصاحف لا تجاوزان القرن الرابع الهجرى ومما غنيتان بالزخارف النباتية والهندسية الدقيقة.على ان العرب

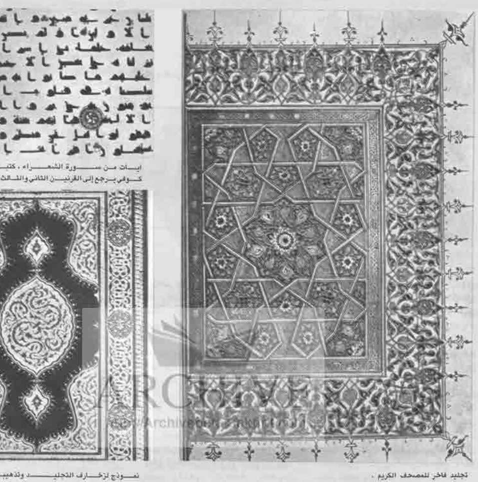
قد وصلوا فى ذلك التاريخ الى درجة من إتقان الصنع ، كما وصل الينا من النصف الثانى من القرن السابع عشر غلاف

مصحف معروض فى (متحف الفن الاسلامى) فى استانبول نسخ فى سنة ١٠٣٧ هـ / ١٦٦٥ م ، هذا بالاضافة الى

جهد المصريين فى هذا المجال والذى اشرنا اليه آنفا ..

التذهيب

تأتى وظيفة المذهب مكملة لوظيفة الخطاط ، وقد عرف العرب فن التذهيب ، واستعمله الملوك والامراء فى مراسلاتهم وكتبهم منذ القرن الثالث الهجرى ، وقد كان المصحف الشريف هو الكتاب الوحيد الذى ارتبط به أولا فن التذهيب منذ نشأته عند العرب ، ذلك ان تعظيم القرآن كان يبعث كثيرين من الفنانين على العناية بتذهيب المصاحف ، وكان لتذهيبها صلة وثيقة بكتابتها بالخط الجميل.غير انه لم يقبل المسلمون على كتابة القرآن الكريم بمداد الذهب نظرا لما فى ذلك من الاسراف والبعد عن البساطة والتقشف ، ولكن هذا التحرج لم يمنع بعض الخطاطين من نسخ بعض



ايات من سورة الشعراء ، كتبت بخط كوفي يرجع إلى القرنين الثاني والثالث من الهجرة .

نموذج لزخارف التجليد وتذهيبه .

تجليد فاخر للمصحف الكريم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

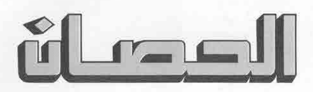
المصاحف بماء الذهب وخاصة فى رسم فواصل السور ، وفواصل الآيات ، وفى بعض الزخارف فى هوامش بعض صفحات المصحف ؛ ولقد ظل ارتباط التذهيب بالمصاحف قائما طوال القرون الاولى للاسلام ، وقد تجلت براعة المذهبين فى زخرفة الصفحتين الاولى والثانية من المصحف الشريف وكذلك فى الصفحة او الصفحتين الأخيرتين منه إذ استخدم ماء الذهب مع الألوان المختلفة لاسيما اللون الأزرق الفيروزى بمهارة تامة ؛ وتعتبر تلك الصفحات التى فى مقدمة المصحف وفى مؤخرته لوحات فنية يتوفر فيها كل ما يجب أن يتوفر فى أى عمل فنى رائع من زخرفة ، والوان متناسقة حسب الاشكال الزخرفية ، وتوازن بين هذه الاشكال ، وانسجام بين الألوان ، كما بلغت الرسوم الهندسية المذهبة فى المصاحف درجة عالية من الاتقان ..

ولقد عنى العثمانيون عناية فائقة بفن التذهيب ، وممن اشتهروا فى هذا العهد (حسن شلبى الاحدب) فى القرن السابع عشر م ، ويعتبر من مشاهير المذهبين ، وقد أسهم فى تذهيب معظم ما كتبه الخطاط المشهور (حافظ عثمان) من مصاحف ، وكان يوقع بعبارة (ذَهَّبَهُ الفقير حسن). هذا ويوجد بمتحف (المتروبولتان) نسخة جميلة من القران الكريم ترجع الى القرن الثالث عشر أو اوائل الرابع عشر ، وقد كتبت بماء الذهب ، وبها علامات الوقف من اللون الاحمر والأزرق ، وتعتبر بعض الصفحات نماذج زخرفية رائعة جمعت بين خط (النسخ) وزخارف التوريق باللونين الذهبى والأزرق ؛ كما يحتفظ متحف الفنون الجميلة بمدينة (بوسطن) بجزء من مصحف كتبه (عبد الله بن احمد) فى شوال سنة ٧٣٨ هـ ـ ابريل سنة ١٣٣٨ م وتتجلى فى صفحات هذا المصحف قدرة المذهبين الايرانيين الفائقة فى التوفيق بين الكتابة والزخرفة واخراجهما فى شكل زخرفى موحد .

هذا وقد روى عن ابى الدرداء وابى هريرة وابن عباس وغيرهم كراهية كتابة المصاحف بالذهب والفضة ، ويروى ايضا عن غيرهم الترخيص فى تحلية المصاحف وإن لم يحدد نوع هذه الحلية ..

دكتور حسن عيسى عبد الظاهر
جامعة قطر

بقلم : عباس خضر



اريد ان اتحدث مع احد .. اى احد .. حديثا سلميا !

فقد خرجت من المنزل ضائقا بالحديث غير السلمى مع زوجتى .. ضقت ذرعا بطلباتها التى لا تنتهى ولهجتها التى تشبه التانيب ولو لم يكن هناك ما يدعو الى التانيب ، مما يدفعنى الى معاملتها بالمثل ، وتكون النتيجة «العكننة» . والاولاد سافروا الى بلاد بعيدة وتركونا فى خواء ما بعده خواء .. ـ لا صديق لي فى هذا الحى الذى نسكن فيه ، أصدقائى بعيدون يقتضى اللقاء بهم فى اماكنهم البعيدة معاناة المواصلات ، فلا سيارة اجرة تقف ولا مكان فى سيارة عامة (أوتوبيس) إذا وقف ولم «يحرق» المحطة ..

وحتى لو تيسرت سيارات الأجرة ووقفت لنا عندما نشير اليها ونضرع الى سائقها ، فمن اين لنا ما ندفعه لها ، ولاسيما ان سائقيها لا يستعملون العداد ، فان أعملوه لم يكتفوا بما يكتب ..

وإذا تجشمت ذلك وذهبت الى النادى اجده مقفرا .. ونادينا يشغل شقة فى عمارة تشبه شقتنا .

ليس لي عمل اتحدث فيه مع زملاء او اتسلى بمزاولته ، فقد احالونى الى المعاش واسلمونى الى الضياع .. قالوا لي : اذهب لتستريح بعد العمر الطويل الذى قضيته فى الخدمة ، وخذ هذا الوسام جزاء لك ، فرحت بنشر اسمى فى الصحف مقرونا بنيل الوسام ، ثم ماذا ؟ لم استرح ، وأين اجد الراحة ؟ الذين يضعون القوانين لم يجربوا هذه «الراحة» لانهم لايزالون فى الخدمة ..

وارتمى بى الحال حتى انى لا اجد من اكلمه واقطع معه الوقت الذى شبهوه بالسيف ، فهل استسلم للسيف يقطعنى ؟

كنت فى العمل اتكلم مع زملائى اكثر مما نعمل .. كنا نتوقف عن العمل لأجل ان «ندردش» والآن فقدت العمل بالتقاعد وفقدت من أتكلم معه ، وحق على القول «ما عاش من كان فى المعاش» .

لابد من الجلوس فى القهوة ، وهى تجذبنى عندما ارى الناس جالسين بها وخاصة على الرصيف امامها فى الهواء الطلق وبعيدا عن «دوشة الدماغ» التى يحدثها الراديو .

ولكن لما اجلس وافرغ او اشبع من تامل الرائحين والغادين والرائحات والغاديات اتلفت حولى لعلي اجد من اتحدث معه فلا اجد إلا «عبد الظاهر» وهو ضعيف السمع يقتضى الحديث معه رفع الصوت ، وهو محال الى المعاش مثلى ، انظر اليه كانما استنجد به من قرصة الجوع الى الكلام !

تذكرت «حصان تشيكوف » الذى افضى اليه صاحبه الحوذى بالامه لفقد ولده ، وقد نهره وانشغل عنه كل من ركب معه فى العربة ، وكان كلما شرع فى الحديث عن ماساة ولده اعرضوا عنه ولم يصغوا اليه . واخيرا وصل الى الاسطبل ، ففك الحصان وربت عليه فى حنان ، ومسح دموعه ، وحكى له ما استعصى عليه ان يحكيه للناس .

قلت : اه ، فليكن عبد الظاهر حصانى .. لم اكن فاقدا ولا ثاكلا ، ولم اتحدث الى احد فاعرض عنى ، كل ما فى الامر انى اشعر بالحاجة الى الكلام ، ولا اجد امامى إلا عبد الظاهر ، فلاقل له .. أقول له ماذا ؟ كان قد اشترى الملوخية الخضراء ووضعها فى سلة الى جانبه حتى يعود الى امراته التى لابد تنتظره لتطبخ الملوخية .. قلت له :

ـ الملوخية بكم ؟

وعلى عادته شرع فى الشكوى من الغلاء وتضخيم الأسعار .. قال رافعا صوته فى شبه صراخ :

ـ كيلو الملوخية بخمسة وعشرين قرشا. الملوخية التى كانت عشرة ارطال بقرش !

ولم أساله عن الجوافة ، ولكنه انطلق يقول :

ـ والجوافة يا أستاذ محمود ..

ـ اسمع ، ليس اسمى محمود ، انا اسمى محمد .

ـ محمود مثل محمد !

ـ لكن انا اسمى محمد فكيف تناديني بمحمود ؟

ـ لا اهمية للإسم ...

ـ كيف لا اهمية للإسم ؟ انت إسمك عبد الظاهر فهل اخاطبك : يا عبد الرحمن ؟

ـ دعنا من هذا ، الجوافة يا استاذ ...

ـ محمد .

ـ صار الكيلو بخمسين قرشا .. الا تذكر زمانا كانت فيه الأقة بقرش ؟

ـ إنها الآن فى اول موسمها ، وسترخص فيما بعد .

لم يلتفت الى كلامى ، واخذ ينشد كما كان ينادى باعة الجوافة فى الزمن الماضى :

ـ «عال يا جوافة .. بقرش الوقة (الأقة)

ـ بصاغ الوقة !

اخذته «الوحدة» وحلاوة التوقيع فاستمر كانه منبه لم يغلق صاحبه مفتاح

مع الأقنعة الزنجية الإفريقية

رحلة في الفن والتاريخ

بقلم : بلند الحيدري

قناع أفريقي تتمثل فيه المبالغة
في التزيين والربط ما بين القيم
الرمزية والقيم الجمالية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ايتها الأقنعة ! إيـه ايتهـا الأقنعة
ايها القناع الأسود ويا ايها القناع الاحمر . إنكما تقنّعان الابيض والأسود .
ايتها الاقنعة فى الجهات الاربع حيث تهب الروح،احييك فى أعماق الصمت .
ولست انت الاخير ، ايها الجد العتيق ذو رأس الأسد انت تحرس هذا المكان الذي ضاع
من ضحكة كل امـراة .
ومن كل ابتسامـة ذابـــلة .

سنغور

منذ ان وعي الانسان نفسه كائنا اجتماعيا جهد في ان يتعلم ويتقن لعبة الاقنعة ويتمرس بصنع الوجوه المستعارة التى تتيح له الفرصة كي يختفي بوجه مستعار ، أو اسم مستعار ، او رمز ، عن نفسه او عن الاخرين حينا ، او أن يسعى لايقاع الرهبة والمهابة فى قلوب الناس حينا اخر ، او ان يتملق ويمالىء فى غيرهما او ان يحجب مشاعره واحاسيسه الحقيقية عن عيون المتطفلين عليها فى احيان اخرى ، وكان له فى غير تلك ان استنجد بقناع كبير واستعان بمضخم صوت وبطوالتين من خشب ليمد بقامته طولا على كثير رغبة في ان يكون بطلا فى غابة او سيدا او نصف سيد على مسرح اغريقى ولا نزال نحتمي بعشرات الاقنعة في طيات ملابسنا واناقتها والوان ربطات عنقنا واشكال وانواع احذيتنا ، ولا نزال نرتجف هلعا من كل يد تمتد لتمزيق تلك الاقنعة .

وإذا كانت طواعية بشرة وجوه بعضنا قد اكتسبت وعبر مران ومعاناة طويلين قدرة مدهشة على أن تلبس لكل حال لبوسها لحجب احاسيسها ، وان تصنع كل لحظة وجها تواجه به وجوه الاخرين دون ان تكلف صاحبها تعبا او نصبا فى نحته على قطعة من عاج او لحاء شجرة فان ثمة اقواما واناسا ظلوا على شديد حاجة إلى ان يصبغوا وجوههم واجسادهم بمختلف الألوان الصارخة لاضاعة شيء من حقيقتهم او الاعلان عن شيء اخر منها ، وقد يستكملون لعبة الايهام هذه بارتداء الأقنعة التى يوكل لها الدور الأساسي فى التعبير عن مشاعرهم الخفية ومخاوفهم وتطلعاتهم فى حلقات من الرقص الجماعي السحري المملوء بالتوتر النفسي والعضلي والمكتنف بالاساطير والطقوس الطوطمية التى يزخر بها مجتمع ضيق يحاول أن يجد استقراره وأمنه النفسي وطمانينته من خلالها كما يشير إلى ذلك المفكر الزنـجي « فرانز فانون » فى كتابه (بشرة سوداء واقنعة بيضاء) بالنسبة لمجتمعه الافريقي وحيث يكون لتقاليد مجتمعه الموروثة عبرها ان تسهم وتساعد لحد بعيد على تفريغ الانفعالات النفسية المكبوتة ، ففى ظل الأزمات ونحت وطاة الظروف الصعبة والشعور بالاجحاف والضياع والقلق لا مناص لتلك الجماعات من ان تبتلع احلامها وامالها وان تنطوي على نفسها الى حين تجد لها منفذا او توسع لها مسربا من خلال هذه الحركات العضلية المتوترة التى توحدها رغبة فى التجانس ما بين الظواهر والنوازع الداخلية والفرد والمجموع كمسعى لتاكيد مشاعر الاستقرار وبغية احكام الصلة ما بين عالمين يتمثل احدهما فى الشكل الظاهري والمادي للاشياء والكائنات،ويومىء الثاني الى القوة الخفية التى تكمن فيها والتى يطلق عليها اسـم ـ المانا ـ ، وانهم وبمساعدة هذا المناخ السحري سيكون لهم ان يتحرزوا من اي خطر داهم او يتمرنوا على الحذر والحيطة منه والقبض على زمام المبادرة ضد كل ما يعترض سبيلهم فى الحياة .

أهداف هذا الفن

وإذا كان حقا بان وراء نشوء الرقص عند غير شعب من شعوب الارض ومنها الافريقية ، فكرة السحر فقد كان للاستعانة بالاقنعة ان ساعدت على تجسيد الافكار والارواح وتكثيف الإيحاء بسلطتها المعنوية والادبية ، وتبادل مراكز القوى ما بين الشبيه والاصل الذى غالبا ما يكون على هيئة حيوان ، وان استعارة راسه عبر قناع يشابهه من ناحية ويحرفه ويشوهه او يبالغ فى تزيينه من ناحية اخرى على مثل ما تعمل قبيلة «بالوبا» فى الكونغو ، او


قناع مـن « انجولا » يسـتخدم عـادة فى حفلات تجـاوز مراحـل الطفولــة .

يوجز فى رسم ونحت ملامحه الى حد رائع فى الاختزال التلميحى كما هو موجود فى اقنعة غينيا الجديدة إنما يظل الهدف بالنسبة لمرتدى الاقنعة محصورا بالرغبة فى اكتساب المناعة ضد تلك القوة الهائلة المتمركزة فى راس الحيوان والوقاية من الشرور والمكائد ، وان على لابسي الاقنعة ان يجيدوا كل الاجادة تقليد حركات واصوات الحيوانات التى يعتمدونها وان يتفننوا فى ادائها لتاكيد القدرة الايهامية على كسر الحدود ما بين العالم المرئى والعالم اللامرئى وما بين جميع حدود الكون والبشر والحيوان والنبات .

ويرى البحاثة الالمانى «فردريك فون ديولاين» فى كتابه «الحكاية الخرافية» بان لشيوع الأساطير عن الحيوانات وتشابهها فى جميع انحاء العالم واحتفاظها بمقدرتها على الحياة ما يرتبط بالمواجهة ما بين الانسان والحيوان فى واقع بدائى يتنافس عليه الاثنان «فالحيوان يعيش فى عالم قائم بذاته وهذا العالم اما ان يكون صورة شبيهة بعالم الانسان وإما معارضة له كذلك ... وكثيرا ما يمتلك الحيوان فى

مع الأقنعة الزنجية الافريقية

رحلة في الفن والتاريخ



جـذوع الاشجـار والاغصـان لهـا دلالاتهـا الرمزيـة في الاقنعـة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحكايات الخرافية السلطان على العناصر الثلاثة : الماء والنار والنور وهو يتحكم فى الانهار وغير ذلك . وغالبا ما يتحتم على الانسان أن يلجأ اليه لكى يسترد منه ممتلكاته ... وفى حكاياتنا الخرافية يمتلك الانسان كذلك احيانا القدرة على تحويل نفسه الى حيوان فاذا ظهر الحيوان فى الحكايات البدائية فى هيئة اشباح فان هذا معناه انه ينتمى الى العالم غير الانسانى وكثيرا ما يتحول الموتى كذلك الى اشكال حيوانية » .

ويذهب «رنيه هويغ» فى الجزء الاول من كتابه «الفن : تاويله وسبيله» بأن نزعة التنكر وتبادل المواقع والتقمص قد وجدت منذ نشاة الحياة » مثال ذلك قناع مغارة الاخوة الثلاثة ، واستعمال القناع جار فى جميع القارات ومايزال موجودا فى بعض التقاليد الشعبية الأوروبية ، لكن البدائيين يجعلون له صفة تجسد حقيقى ، فى بعض قبائل هنود اميركا الشمالية ، حين يلاقى الشاب فى الغابة الروح الذى يحرسه يشعر أن هذا الروح قد استولى عليه ، يصنع عندئذ للمرة الأولى القناع الذى يؤكد هذا الاستيلاء ويظهره للعيان» . وبقدر ما تستطيع الأسطورة أن تكثف حضورها من خلال مساهمة العديد من حواس الانسان وبقدر ما يكون لها أن توجز أصواتها فى رقص إيمائى او شكل قناع ، بقدر ما تعزز سيطرتها الايحائية عبر تجسيد ما هو ليس مرئيا بما هو مرئى وما هو مالوف بما ليس مالوفا فتخرج صناعة الاقنعة بالضرورة ، على التشبيه الواقعى بتحوير اشكال المرئيات او تشويهها او المبالغة فى تزيينها بغية رفع القدرة الايحائية بعمق الصلات ما بين عالمى الروح والجسد ولابراز القدرة الادائية فى التقليد والتماثل وهكذا تختلف اهداف هذا الفن كل الاختلاف عن «معظم الفن الاوروبى الواقعى الى حد بعيد فهو يشير الى صور فكرية بدلا من صور مرئية يؤثر الاسلوبية الصارمة على الطبيعة الواقعية وان مقتضيات الشكل النفعى فى السحر تعوق عادة اى دافع الى هذه الطبيعة والواقعية ـ رالف لينتون.» ولقد كان لهذا النزوع الضرورى الى انتهاج أساليب التحريف للواقع او تشويهه ان مد الفنان الافريقى ، صانع الاقنعة ، بشىء غير قليل من الحرية فى مكنته الاستيحائية وتحقيق رؤاه الداخلية وتحسين اسلوبه الادائى وقدراته الابداعية رغم ضعف استيعابه للمفاهيم الجمالية وضعف منهجيته التطويرية كما هو شان اى فن ينمو فى مجتمع مغلق لحد ما .

وعلى الرغم من اننا لا نعرف الكيفية التى تقدر فيها ابداعات الفنانين فثمة فنانون كانوا موضع تقدير واعجاب كبيرين فى وسط مجتمعهم الافريقى وقد يبلغ الأمر احيانا الى مستوى رفع شانهم واحاطتهم بهالات من التبجيل والتكريم «وان لم يكن يميز جيدا بين موهبتهم الفنية وفعاليتهم السحرية ـ هويغ» . بل ورغم خضوعهم لصرامة الطقوس ودقة التقنية المدروسة وحتمية الالتزام بها فانهم لا يقعون فى التكرار الممل لان كل فنان منهم يحقق فى عمله شعوره الغريزى تجاه موضوعه وانه على كثير علم بخصائص مواده من خشب او عاج او طين وبخصوصية تعامله مع اى



قناع من الخشب متعدد الالوان مـــــن غينيـــا يثيـــر الانتبـــاه والدهشــــــة

المبالغــة في التزييـــن حتى يكون القنـــاع جديـــرا بـــدوره بيـــن افـــراد القبيلــــة

منها وبكيفية المزاوجة ما بين معطيات التصوير اللونية ونتوءات النحت البارز واساليب اللصق ـ الكولاج ـ بحس فطرى متميز وموازنة دقيقة بين كل اجزاء ومكونات القناع وزواياه المتعددة التى تؤكد الصرامة والقوة ، وخطوطه المنسابة بانحناءات عاطفية . ويفسر هربرت ريد فى كتابه «الفن والمجتمع» الطبيعة الفنية لدى الرجل البدائى بقوله انه : «لا يميز نشاطه الفنى عن سواه ، إنه بكل بساطة جزء من نشاط حياته ، إنه نشاط معقد بحيث يتضمن كل مواهبه فيما يخص عالم الاحساس الملغز الذى هو وحدة فريدة ، ولكنهاتضمن الموهبة الجمالية داخل عملية الحياة غير المتميزة لا تهدم هويته ولا صفة التنوع من حيث الخصوصيات والافتراض بان الباعث الجمالى غير موجود بالنسبة للرجل البدائى ، ذلك لأنه لا يستطيع الاطلاع عليه ، هذا يعنى باننا نخلط بين حالة الوعى وحالة الوجود» .

تأكيد الهوية القومية

ويظل فن صناعة الاقنعة ، وعلى امتداد القارة الافريقية من شرقها الى غربها الى جنوبها الى حوض الكونغو واطرافه ومن ثم الى الدول المحاذية له ، يظل بالنسبة لمواطنى تلك المناطق من اكثر الفنون المتداولة إثارة للاعجاب وذلك لبراعتهم الفائقة فى صنعها وغزارة مداليلها ولما توليها من عظيم اهتمامها بها مما كانت سبباً فى تنوع اشكالها واختلاف هيئاتها وما يضمن تواصل وتداخل المعانى التجريدية بالظواهر التشخيصية وتبعاً لإختلاف الاغراض المرجوة منها واختلاف الشعوب التى تقوم بصناعتها ، وبعد ان تكفلت بالتبشير بغير جانب من جوانب حياة الافريقى الاجتماعية وتشعبت مداليلها الايجازية لعباداتهم وافراح زواجهم وبلوغ سن الرشد لأولادهم وختان اطفالهم وجنى محاصيلهم ... الخ.وذلك قبل اتصال تلك المناطق بالحضارات الاوروبية الوافدة اليها بمناهج مدارسها القديمة والحديثة وما تحمل من صبغ ادائية جديدة انتصر لها نخبة من فنانيها ومثقفيها من الجيل الجديد ، يطعمون بها اعمالهم الابداعية او يمارسونها فى تقليد حرفى ونقل سطحى بدعوى التشبه بما هو موجود فى الغرب مما كاد ان يقضى على تلك السمة المتميزة بغنى تعبيريتها وشدة حساسيتها وشفافية رموزها والمتمثلة فى الدرجة الأولى فى الاقنعة الافريقية ، لولا ما واكب نهضة افريقيا الحديثة من احساس قوى بالانتماء لواقعهم فى الارض والتاريخ والتراث عند ابنائها من ناحية ومن ناحية اخرى ما كان لفنونهم من اثر على الفنون المعاصرة فى العالم التى اقتبست منها واشادت باهميتها مما دفع ببعض فنانى الدول الافريقية الى البحث عما يؤكد هويتهم القومية فى فنهم ضمن توازن ضرورى ما بين تراثيتهم ومعاصرتهم ويبقى على فرادة سمتهم المتميزة بحيث يظل للشكل الرمزى الذى اوجز مشهدا تمثيليا لمقطع من حياتهم واختزل نفسه فى شكل هندسى ذى دلالة معنوية ، ما يحقق مرماه فى بعد تشكيلى جديد يوائم ما بين حضارتهـــم الافريقيـــة وخصوصيتهـــا واستيعابهم لها وبين تفاعلهم مع منجزات العصر بمعنى فى الافادة من التراث افادة تشكيليـــة واستلهـــام طقوسه الروحية والسحرية والدينية من خلال رؤية فنية حديثة واقامة حسن الجوار والعلاقة الوثيقة ما بين تلك الاقنعة كابرز معطيات فنونهم واعمالهم الابداعية الجديدة وهو ما يؤكد عليه واحد من ابرز فنانيهم «اوكيكى» حيث يقول : «يجب على الفنان الافريقى ان يعنى ويقدر تراثه لكى يكون على وئام مع نفسه» ...

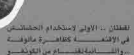
وما نلمسه فى دراسة «اولى باير» عن «الفن الحديث فى افريقيا» بعد ان تفرغ لفترة غير قصيرة لمناقشة هموم فنانى القارة السوداء وتاكد من ان الفنانين الافريقيين شانهم شان باقى المثقفين «المعروفين بحيويتهم والآخذين بالازدياد يريدون توطيد هويتهم كافريقيين ولئن كانت المناقشات الحادة حول الشخصية الافريقية والزنجية ضبابية على الأكثر فانها افلحت فى خلق جو جديد يستحيل فيه الخجل من التقاليد الافريقية ويصبح الفنان فجاة شخصا هاما عليه واجب قومى هام» وعبر ولادة جديدة من خلال تلك الاقنعة فى منظورها وقيمها الجمالية الفنية بمعطياتها الفنية والتعبيرية .

وظيفة القناع

ومما لاريب فيه أن لتلك الطقوس السحرية والمشاعر على اختلاف مشاربها وتنوع ضروبها الشائعة فى تلك المناطق وتباين اساليب ممارستها ما يشكل واقعا اساسيا لتلك المجتمعات ومحورا رئيسيا لتدفق حياة الافريقى المشدودة الى دكنة غاباته الكثيفة ولون بشرته الاسود ، وانها لتاخذ اشكالا واوضاعا عديدة ضمن طبيعة ومعتقدات كل قبيلة او منطقة ، فمن القبائل من مدت بعقائدها على مستويات طبقية ذات صيغ هرمية انعكست على نماذج اقنعتها ، ومنها من تذهب مذاهب اتباع السلف المحتفظ بحيويته المؤثرة على حياتهم ، ومنها من لا ترى فى سلسلة انسابها اية قدسية فتهب الطبيعة باشجارها وانهارها وغاباتها جل اهتمامها بينما كان لغير قبيلة من القبائل ان وجدت فى الاقنعة الحرز الحريز لصيانة قدسية معتقداتها فبالغت فى تزويقها وتزيينها وتنسيق الوانها لتكون جديرة بما أوكل لها بمعنى فى المقام اللائق لسكن تلك القوة المتمثــلة في المعتقـــد والكامنة فى كل جزء من اجزاء القناع .

وهكذا كان للاقنعة وعلى الأخص فى الأقسام الغربية من افريقيا ان تكفلت بالنهوض بما عهد اليها من وظائف دينية منذ اقدم العصور بالاضافة الى التاكيد على الطابع الجمالى المحلى الذى تتطور فيه وتتسع مداليله ومفاهيمه من خلال قدرة الفنان على التفاعل والتجاوب مع كل شكل من اشكال حياته اليومية المنعكسة عن حياة أخرى ، وفى مجتمع تتوزع مجريات احداثه (المانا) و (التابو) وتنمو المعرفة فيه بوتائر من الخبر المتوارثة لا بوتائر هندسية ، ويرى مؤلفا كتاب (الثقافة

مع الأقنعة الزنجية الافريقية



لقطتان .. الاولى لاستخدام الحشائش في الاقنعة كظاهرة مألوفة .. والثانية لقناع من الكونغو





الأفريقية) وليم باسكوم وملفيل سكوفتز بان ثمة روايات تتداولها الأوساط المحلية فى افريقيا تنسب أصل نشوء فكرة استخدام الأقنعة الى عوامل مختلفة منها الوحى او التعليمات التى تصدر عن الموتى اثناء الأحلام او الاقتباس من شعوب اقدم كما هى الحال عند (الدوجون) ورغم وجود مجتمعات سرية على درجات متفاوتة من الوازع الدينى فى جميع انحاء المنطقة إلا انها لا تستعمل كلها الاقنعة المنحوتة، ، فمثلا لا يرتدى اعضاء بعض مجتمعات (اليوربا) إلا أزياء من القماش تغطى الجسم كليا ويقوم احد الراقصين بتمثيل الروح الرئيسية وقد يضع على راسه صحنا صغيرا صلدا غطى سطحه المنبسط بالقماش لتهبط عليه الروح إذا ما حضرت خلال اقامة احدى الشعائر الدينية بينما قد يلبس راقص آخر على راسه غطاء منمقا من الريش يرمز الى القوى التى تشرف على الزى ، وفى مثل هذه الحالات نجد أن المغزى الدينى يتوزع عبر العديد من الرموز على غير جزء من الأجزاء البينة والظاهرة من الملابس التى يرتديها الراقص ولا تنحصر القدسية بالقناع وحده بل تمتد الى حركاته وايماءات أطرافه واشاراتها المختلفة والى القيم التعبيرية والرمزية لطيات ملابسه والوانها .

وتولى الكثرة الكاثرة من تلك القبائل اهمية خاصة للاحتفالات المعدة للاعلان عن تجاوز ابنائهم سن الطفولة الى سن اخرى فيكون للاقنعة فيها ما يرمز الى تعزيز مشاعر الرجولة وتجسيد كبر مسئوليته العائلية والاجتماعية وما صار عليه أن يعيه من امور دينه ودنياه ، وثمة اقنعة عديدة خصت للاحتفال ببعض الظواهر الطبيعية كزفاف القمر الى الشمس ، وبعضها اكتفى باستخدامها كرقية من الرقى التى تحفظ من شر متوقع أو أكيد يسعى به الانسان او الحيوان او لجلب خير مرغوب فيه ، وفى بعض المناطق من افريقيا كما يشير الى ذلك مؤلفا كتاب (الثقافة الافريقية) يجرى «تعريف المتفرجين الى قوة الروح الخاصة بالشجرة التى صنع منها القناع وكذلك الى قوة الروح التى يمثلها القناع كما هى الحال عند (الدوجون) مثلا وقد تكون الروح كبيرة جدا فيكلف بحملها ثلاثة رجال يرتدون ثلاثة اقنعة متماثلة كما يحدث عند الايجيبو من اليوربا ، وقد يكفى قناع آخر يرتديه شخص لايواء قوة عدة أرواح مع رسلها كما هى الحال عند الاوبو من اليوربا ايضا» . وقبائل «الغاندا» المتاخمة لحدود منطقة الكونغو تشتهر بصناعة الاقنعة من الأعشاب والقش وجذور الشجيرات الصغيرة التى لها صفة فى التقدير الخاص دينيا او طبيعيا ، وتكثر من استعمال هذه الأقنعة فى حفلات ختان الاطفال او عند تحولهم من مرحلة فى الطفولة الى مرحلة في المراهقة ، بينما تضع قبيلة «الساكوندا» اقنعتها من الخشب وإن كانت الأغراض والمناسبات متشابهة عند القبيلتين وإنها لتؤلف الأنواع الوحيدة من النتاجات الفنية لتلك الشعوب والقبائل الى جانب التماثيل الخشبية الصغيرة .

وللاقنعة فى أفريقيا الغربية ايماءات رمزية ذات ابعاد عديدة فمنها ماينفرد فى معنى واحد من معانى الاشارة الى القوة الخارقة ، ومنها ما تتمثل فيها صفات لعدد من أسلاف القبيلة او العائلة ، او لعدد من صفات حيوانية .. وعادة لا تستخدم الاقنعة إلا في الاحتفالات المعدة لتكريم مناسبة من المناسبات وضمن ضروب من الرقص المخصص لهذه الأغراض وما تكاد تنتهي تلك الاحتفالات حتى تعود الاقنعة الى مخابئها الامينة حيث تحفظ وتصان فى احدى الغابات الصغيرة والقريبة من الحى الى حين تخرج مرة اخرى فى مناسبة ثانية وقد يسمح أن يعهد بحفظها فى بعض الأحيان الى واحد من زعماء القبيلة البارزين ممن ينتمون بنسب الى شىء قدسى من تراب تلك القبيلة وذلك باثر من دوافع عديدة تتمثل فى رغبة فى حمايتها وتامين حراستها او فى رغبة فى الاحتماء بها من الأرواح الشريرة .

وكما لانواع الأخشاب وجذور الشجيرات الصغيرة والقش التى تصنع منها الأقنعة مراميها البعيدة فى الرموز التى تشير الى نسب القبيلة أو نسب الراقص أو مكانة الشجرة فان لكل مادة تثبت على القناع دلالتها الرمزية من حيث قيمتها المعنوية فى القدرة الايحائية ومن حيث موقعها من القناع كالاحجار بانواعها او عظام الحيوانات أو الخرز الملون ، وذلك بالاضافة الى أهميتها التزيينية ذات الطابع التوظيفى فى سلم القيم الاجتماعية ، وباضافة الى ما يوكل اليها من غاية فى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التعبير عن انفعال معين ضمن ترابط كلى متجانس او متضاد او الايحاء الى مجاورة عدة انطباعات فى القناع من خلال حوار الجزئيات التى يقوم عليها .

إن قدرة الزنجى الافريقى على ان يعيش الحياة فى ضرب من الافتراض بان انسانيته ليست بأكثر من مظهر من مظاهر الروح الكونية التى تتغلغل عميقا فى كل الكائنات الحية وفى كل الأشياء التى تفرزها الطبيعة حجرا او شجرا أو نهرا او بحرا قد امدته بالطاقة على ان يتجاوز خصوصيته البشرية ليمتزج بشمولية الروح الكونية . وهو اذ يوجزها فى قناع إنما يفعل ذلك ليعبر فى ابسط الأشكال عن تلك الشمولية الكبيرة والواسعة حيث يصير للجزء الصغير ان يتمثل فيه الكل واذا كان هربرت ريد بعقلانيته الاوربية لا يرى فى ديانة الزنجى الافريقى غير نوع من « حيوية المادة ـ انيمستيك ـ ANIMISTIC بحيث يرى أرواحا واشخاصا خلال المظاهر الحسية الطبيعية فبحكم خوفه من مثل هذه القوى اتجه نحو خداعها على طريقته الساذجة : هكذا خلق بديلا عن الواقع ، هكذا بدا يتهرب من الحقيقة » فان ليوبلد سنغور يجد فيها ما يفترضه خصيصة ذاتية فهو اذ يعير للأشيــــاء انسانيته وروحـــه وإرادتـــه وحساسيته انما يعيرها روحا « لانسان زنجي » لتنتعش بحضوره ، « انها تتأنسن بالمعنى الاصيل والراهن للكلمة ، فليست الحيوانات وظواهر الطبيعة تتحول الى بشر وحسب وانما ينتظم هذا التحول الشجر والحصى ، بنسبة ما يشمل المطر والريح والرعد والجبل والنهر . وهى تصبح كائنات بشرية وتحتفظ بخصائصها الطبيعية الأصلية كادوات وعلامات لروحها الشخصية وتلك هى السمة الأكثر عمقا ، السمة الابدية للروح الزنجية » وإنه باستحضارها عبر قناع يرتديه يؤكد حضوره فى العالم الشامل لا كمركز له ولكن كجزء لا يمكن أن يكون هناك عالم من دونه

مـن الاقنعــة ذات الـــرؤوس الحيوانيـــــة

الأقنعة والفن المعاصر

وكما ترحل فنون الحضارات القديمة ، وكما ترحل فنوننا العربية الاسلامية الى كل مكان فى العالم لتلهم فنانى العصر ولتغنى تجاربهم المعاصرة ، ترحل افريقيا اليوم بموسيقاها وايقاعاتها الغنية وبتماثيلها واقنعتها الى اعمال كبار الفنانين العالميين ، ورغم ادعاء بيكاسو بانه لايعرف شيئا عن أثر الفن الزنجى عليه (الفن الزنجى .. لا أدرى .. !) فان غير قناع من الاقنعة الافريقية يمكن أن نعثر عليها فى العديد من أعماله وحسبك لوحته الشهيرة (فتيات افنيون) وذلك ما يشير اليه « رنيه هويغ » بقوله : كان انتشار الفن الزنجى في مطلع العصر وابتداء من عام ١٩٠٦ وكانت اقنعة مستخرجة من مخازن خردة نقطة انطلاق لتحرك سيصل بفضل ماتيس والجيل اللاحق له ، فلامنك وديران وبيكاسو وبواسطة التاجر بول غليوم خاصة الى صالات الهـــواة الجامعيـــن.وفى كتاب «البدائية فى التصوير الحديث» يوسع مؤلفه «روبرت جولدووتر» مجال البحث ومناقشة تأثيرات الاقنعة وتماثيل افريقيا بل اللون الأفريقى الذى يرى فيه «ماتيس» انجازا «فلسفيا فذا كطريق سحرى يوصل بين الانسان ذى المشاعر الدقيقة المعقدة والقوة المسيطرة» ويصنف «جولد ووتر» تلك التاثيرات حسب وقعها عند ابرز فنانى العصر الحديث وحسب ما استطاع كل منهم أن يعبر من خلالها عن اشكالات انساننا المعاصر ورؤيته الفنية وتامله فيها. فالبساطة الهندسية عند سيزان (هى الفن الزنجى) والفن الزنجى عند « اندريه ديران » اعمال خارقة «تبعث فى النفس مشاعر جنونية» وهى فى نظر بيكاسو «رسل موفدة من تلك التى جئنا منها والتى سنذهب اليها» وانها جهد ابداعى لا يعرف التقليد ، ثم ما كان يبدو من اثر للأقنعة على أعمال «برنكوزى» و «موديليانى» وغيرهما من كبار فنانى العصر ، وان هذا التواصل ما بين الفنان المعاصر والفن الزنجى الافريقى يضع فى موضع الشك عند «توماس مونرو» مؤلف كتاب «تطور الفنون» الرأى القائل بان الفنون تتطور على مثل ما تتطور وتنمو الانمطة الحضارية الاخرى فى المجالات العلمية والاجتماعية «عندما كف العلم عن الافتراض بان الفن البدائى كان اقل قدراً من الفن الحديث كان من نتائج ذلك القاء قدر أكبر من الشك على نظرية التطور الثقافى» .

وقد بهتت اهمية الاقنعة الزنجية الأفريقية ، أسوة بالتماثيل الافريقية لشيوعهـا التجـــاري وضيـــاع اصالتهـــا وتحريفها لما يرضى السياح وهو ما أشار اليه عدد من الكتاب الأجانب فيقول ج.د. سانز فى كتابه « البدائيون الافريقيون » عن النحات الزنجى بانه اصبح «مجرد عامل ماهر فى مصنع لإنتاج الاعمال المزورة» وفى كتاب « فن الشعوب الزنجية » تقول السي ليوزنغو : « وإذا كان السياح يطلبون الاقنعة والتماثيل التذكارية فلهم فى هذه الحالة ان يحصلوا عليها بأية كمية يريدونها،ولكن قيمة ما يتم انجازه تبقى مشكوكا فيها .. انها أعمال ليست لها اية جذور ثقافية ...» وهو ما تذهب اليه مارغريت تراول فى كتابها «النحت الأفريقى الكلاسيكى» حيث ترى ان هذه الرعاية من جانب الزبائن غير القادرين «على فهم المعالجة النفسية لفن اى شعب غير شعبه سيكون لها مع الاسف تاثير مفسد على الأشكال الفنية المحلية» .

ولكن مع ذلك فان اهميتها الفنية الأصيلة المتاكدة فى منابعها ، ستظل مصدر الهام كبير للفنون المعاصرة ما دامت جذورها تغور بعيدا فى الطبيعة والانسان وتتجاوز الأطر الشكلية الآنية .

بلند الحيدرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



بقلم : يوسف الخطيب
إعداد الفنان : عزيز إسماعيل

في كتاب الله العزيز : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله » (الاسراء ـ ١) ، وفي الحديث النبوي الشريف : لا تشد الرحال إلا لثلاث ، المسجد الحرام ، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى » .

يستمد المسجد الأقصى قيمته الدينية العالية عند جميع المسلمين ، من انه كان أول قبلة صلى المسلمون باتجاهها في زمن النبي ثم كونه ثانيا ، ثالث مكان اسلامي مقدس على وجه الارض ، من بعد كل من المسجد الحرام والمسجد النبوي بالمدينة المنورة . فهو هكذا « أولى القبلتين ، وثالث الحرمين » . ولقد ظل القبلة التي يصلي إليها المسلمون شطرا لا يستهان به من حياة الرسول .

ثم أمر الله الرسول بان يولي المسلمون وجوههم شطر المسجد الحرام بمكة ، عوضا عن المسجد الأقصى بالقدس : « قد نرى تقلب وجهك في السماء، فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره » (البقرة ـ ١٤٤) . فلما انتقد المشركون هذا التحول في القبلة في صلاة المسلمين ، نزل قول الله تعالى على الرسول : «سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » (البقرة ـ ١٤٢)

نشاهد الآن ، في هذه الصورة ، واجهة المسجد الأقصى ، منظورا إليها من الشمال الغربي ، إلى الجنوب الشرقي ، اي باتجاه مكة المكرمة ، وتبدو لنا في مقدمة الصورة بركة الوضوء في منتصف ساحة المسجد . هذه الساحة التي شهدت مع فتح الصليبيين للقدس ، (يوم الجمعة ١٥ تموز ١٠٩٩) ابشع مذبحة بربرية يمكن ان تعيها ذاكرة النوع البشري عبر تاريخه الطويل . فلقد ذبح الصليبيون هنا ٧٥ الف مسلم ، هم جميع سكان المدينة الذين حاولوا عبثا ان يحتموا بحرمة المسجد الدينية من حراب الفاتحين ، حتى لقد بعث قائد صليبي إلى البابا أوربانوس الثاني يبشره بالنصر ، ويصف تلك المذبحة بقوله : « لقد خاضت خيولنا حتى ركبها في بحر من دماء المسلمين » .

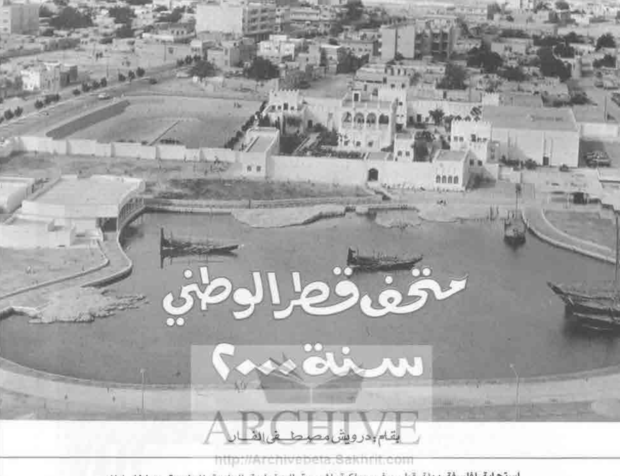
واما في عصرنا الحاضر ، فان الأيديولوجية الصهيونية ، سليلة الروح الصليبية ، وبديلتها في القرن العشرين ، قد اختارت ، بموجب مقتضيات العصر ان تنشر مذابحها الوحشية عبر عشرات المواقع المتفرقة ، كدير ياسين ، وكفر قاسم ، وصبرا وشاتيلا ... ، وغيرها وغيرها ، بدلا من ان تحشر ضحاياها من العرب الفلسطينيين في مذبحة واحدة هائلة ، بينما دابت سلطات الاحتلال الصهيونية منذ حزيران ١٩٦٧ ، في تعميق حفرياتها الخطيرة تحت اسس هذا المسجد ، في محاولة يائسة تماما ، وغير مجدية إطلاقا ، لاثبات ان الهيكل السليماني كان يقوم ها هنا مكان المسجد ، مع إعادة بناء الهيكل السليماني بدلا منه . ومن خلال هذه النزعة دون ريب ، عمد الغزاة الصهيونيون إلى إحراق المنبر الاثري داخل المسجد الاقصى يوم ٢١ آب ١٩٦٩ ، وهو الذي يرجع عهد بنائه إلى زمن صلاح الدين ويعتبر اية رائعة من ايات الزخرف العربي الرفيع ، ولقد جرت جريمة الحرق تلك من خلال ما يعرف بحكاية « مايكل روهان المخلول » .

« وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا (٤) فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد ، فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا (٥) ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا (٦) إن احسنتم احسنتم لانفسكم ، وإن اساتم فلها ، فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة ، وليُتَبِّروا ما عَلَوْا تَتْبيرا (٧) » (سورة الاسراء) .

يوسف الخطيب


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القدس : المسجد الأقصى



متحف قطر الوطني سنة ٢٠٠٠

بقلم: درويش مصطفى الفار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

استجابة لفلسفة دولة قطر ، فى مواكبة المسيرة الحضارية العلمية المعاصرة ، داخل إطار واضح المعالم من التراث العربى الاسلامى ، الذى ينتمى اليه الشعب القطرى فى باديته وحاضرته ، افتتح حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى ، متحف قطر الوطنى عصر يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٩٥ من هجرة خاتم المرسلين (٢٣/٦/١٩٧٥) كمؤسسة حضارية تضيف بعداً جديداً للعاصمة الدوحة ، فى مجال العلم والثقافة والترويح ...

وعلى مدى السنوات السبع المنصرمة ، استطاع هذا المتحف ان يكتسب شهرته العالمية والعربية ، حتى اضحى مطلب كل وافد الى الدوحة.

فى مدينة مستمرة النمو والاتساع ، كالدوحة ، لا يسهل تحديد موقع اى منشاة تحديداً ثابتاً ، ولكن باعتبار اننا نعرف ان الدوحة كانت تنقسم الى احياء يسمى كل حي منها باسم الفريق او القبيلة التى تتكون اغلبية سكانه منها ، نقول بان موقع المتحف هو فريق او حي السليطى ، حيث كان المرحوم الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثانى ، مؤسس الدولة الحديثة فى قطر ، قد بنى له قصراً للسكنى والحكم فى مطلع القرن العشرين الميلادى ، واصبحت وحدات هذا القصر الاحدى عشرة ، نواة المتحف ، بعد ان رممتها وزارة الاشغال القطرية ، طبقاً لذات الطراز البنائى العربى الاسلامى الذى كان قد بناه عليه المهندس العربى المشهور فى المنطقة ، عبد الله الميل ... وتغطى منشات المتحف زهاء خمسين الف متر مربع قرب الساحل فيما بين راس أبي عبود ، وميناء الدوحة .

مم يتكون المتحف ؟

يتكون متحف قطر الوطنى من خمسة اقسام اساسية :

● القصر القديم ، وهو مجموعة الابنية العربية الاسلامية الطراز والتى كانت قبل هجرها ، فى الثلاثينات الميلادية ، مسكنا ومقرا للحكم وادارة شئون البلاد ، وقد

لقطة للمجلس الرسمي حيث كانت تحل امور الدولة والناس .

البوابة الشمالية للقصر القديم .

نماذج قوارب عربية بحجمها الطبيعي تحكي قصة تراث على سطح البحيرة الصناعية بالمتحف .



استخدم كل بناء منها فى عرض مادة بعينها من صميم البيئة العربية القطرية قبل عصر البترول .

● القصر الجديد ، وهو بناء استحدث أثناء عملية ترميم وحدات القصر القديم فيما بين سنة ١٩٧٢ ، ١٩٧٥ وذلك ليستوعب معروضات الارسميولوجيا ، والاثنوغرافيا ، والتاريخ الطبيعى ، والعلوم والفنون الاسلامية والتاريخ الحديث والبترول ، وما يتعلق بالحياة العربية فى الحاضرة والبادية فى الأسلحة والغزل والنسيج والجمل والحصان والصيد والعادات والتقاليد .

● القسم البحرى ، وفيه جانب من المعروضات عن حياة البحر والصيد والغوص وتجارة اللؤلؤ ، واللؤلؤ المستزرع ، وانجازات العرب فى علوم البحار وبناء السفن وتقاليد البحر ، والأحياء المائية التى تعرض للزائر كما لو كانت فى بحرها حول شبه الجزيرة القطرية التابعة لها فى مياه الدولة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاقليمية ..

● البحيرة الصناعية ، وهى امتداد طبيعى للخليج تحتويه حديقة المتحف ولا يفصله عن الخليج إلا شارع الكورنيش ، ويحتفظ المتحف فيها بمجموعة من السفن والقوارب الشراعية مما كان العرب به سادة البحار قبل استحداث السفن والبواخر المعاصرة . ويتخذ البيولوجيون بالمتحف ، هذه البحيرة مسرحا لتجاربهم العلمية المختلفة على الأحياء المائية من أسماك ولا فقاريات واعشاب .

● الحديقة النباتية ، وهذه تتخلل الأرجاء فيما بين ابنية المتحف وحول بحيرته ، ويجرى تطويرها حسب الظروف المتاحة بحيث تصبح حاوية لكل انواع النباتات الصحراوية من مختلف ارجاء العالم ، مما سوف يجعلها مستقبلا مختبراً طبيعيا لدراسات تلك النباتات بانواعها ...

متحف بيئى

فمتحف قطر الوطنى ، طبقا لما اسلفنا ، متحف بيئى ، يتناول البيئة القطرية ، كجزء لا ينفصل بحال عن الوطن العربى والعالم الاسلامى ، يقتنى ويعرض ويصنف ويدرس ويحفظ ، كل ما يتعلق بهذه البيئة ، التى هى فى اساسها صحراوية بحرية ، فى الماضى والحاضر ، بحيث يمكن اتخاذ كل معرض فيه او قسم قائم ، نواة لمتحف متكامل عن اى موضوع بعينه من المواضيع التى يحتويها المتحف اليوم .

طموحات المستقبل

على ضوء ان المتحف كما ذكرنا ، متحف بيئى ، فان طموحات تطويره والاضافة اليه وتنمية اقسامه وفروعها لا يمكن ان تقف عند حد طالما وضعنا نصب اعيننا ضرورة ادراك الفرق الجوهرى بين (المعرض) و (المتحف) ... إذ ان (المتحف) بخلاف (المعرض) كائن حى ، ديناميكى دائم الحركة.

وهو بالضرورة بعد ان تنوى دولته التى انشأته على ارضها ، إقامته ، يصبح ملكا للانسانية المتحضرة كلها ، تماما ، كالحال فى انشاء منارة فى عرض البحر لهداية السفن وارشادها وتعريفها بموقعها ، لا يملك منشؤها إلا ان يستمر فى العناية بها وصيانتها وتحديثها طبقا لمنجزات العلم والتكنولوجيا المتطورة المستمرة ...

ومن هنا فان الأمل كبير ، بعون الله وهدايته ، ان يصبح متحف قطر الوطنى لدى سنة ٢٠٠٠ م ، فى سعيه نحو التكامل والتعبير التام عن البيئة القطرية بمفهومها العربى الصحراوى البحرى وتراثها الاسلامى كما اسلفنا ، وقد استوعب الفروع التالية واستكمل الشوط فى اقتناء وعرض ما يلى :

● معشبة (هرباريوم) كاملة يعرض فيها كل الأصناف النباتية الطبيعية القطرية ، معرفة تعريفا علميا كاملا ، ومعروفة الخصائص الدوائية والغذائية ، بصفاتها الاكاديمية بكل ابعادها .

● جميع انواع الطيور ، المهاجرة والمقيمة والزواحف والثدييات والحشرات ، محنطة تحنيطا علميا راقيا فى صورة تحكى بيئتها الطبيعية ، وتجعل الناظر اليها ، دارسا كان ام مستروحا ، كانما يراها فى حالة طبيعية حقيقية .

● جميع انواع الحفريات المستحجرة من النبات والحيوان ، مما وجد فى طبقات الصخور القطرية او الخليجية ، معرفة تعريفا علميا تاما ، ومرتبة ترتيبا استراتيغرافيا ، مع الصخور والحجارة القطرية من فوق ومن تحت سطح الارض ، موزعة على خريطة مجسمة لدولة قطر بحجم مناسب .

ويتبع هذا بالضرورة ، عرض متكامل شيق للثروة المعدنية على سعة الوطن العربى بين محيطه وخليجه ، مما يعطى للشباب العربى على وجه الخصوص ضوءا من الانتماء الكامل للوطن على سعته .

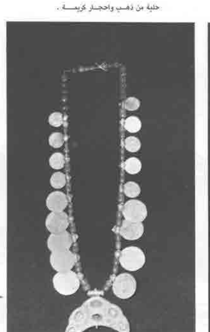
وكذلك قصة البترول وتاريخه فى قطر والعالم ، وكيمياؤه ، واقتصادياته ،

ARCHIVE
http://archive.beta.sakhrit.com


حلية من فضة واحجار كريمة داخل المتحف



حلية من ذهب واحجار كريمة .





بعض مصنوعات البادية

وانتشاره فى الوطن العربى والاسلامى والعالم أجمع ، وعرض نماذج من كل اقطار العالم من البترول .

● عرض كامل لنماذج حية للقلاع والحصون التى لازالت آثارها منذ العصر العباسى باقية فى أرجاء مختلفة من شبه جزيرة قطر ، ويتبع ذلك عرض كامل فى نماذج مجسمة بمقياس رسم مبين ، لجميع معارك الاسلام الكبرى من بدر واحد وحطين وعين جالوت ونهاوند وبلاط الشهداء وغيرها من المعارك ذات التأثير فى التاريخ العربى الاسلامى الذى تنتمى اليه قطر دون أدنى شك او ارتياب ...

● تنمية الأركان الخاصة بتاريخ العلوم والتكنولوجيا عند العرب والمسلمين ، وانشاء قاعات تحمل كل منها اسم عالم عظيم ، فقاعة لعلم الفلك باسم البيرونى ، وقاعة للطب باسم الرازى ، وقاعة للرياضيات باسم الخوارزمى ، وقاعة للفيزياء باسم الحسن بن الهيثم ، وقاعة للكيمياء باسم جابر بن حيان ، وقاعة لعلم الأعشاب باسم ابن البيطار ، وقاعة لعلم الحيوان باسم الدميرى ، وقاعة للتكنولوجيا والحيل الهندسية باسم ابن الجزرى وهكذا ، مما يحيى فى نفوس الشباب الهمة ويغمرهم بالحماس للعمل الجاد المنتج تجديداً لانتمائهم لأولئك الأفاضل الخالدين ...

● انشاء قسم متكامل لتاريخ صناعة الخبز فى الصحراء العربية وانواع الحبوب ، واحصائيات وخرائط ومشاريع انتاج الحبوب فى الوطن العربى على وجه الخصوص ومقارنة ذلك بمعدل تزايد السكان .

● انشاء قسم متكامل عن النخلة والتمور وتاريخ هذه الثمرة فى الوطن العربى ، واحصائياتها المعاصرة ، وعرض كل ما يتعلق بالتمور نباتيا وغذائيا ودوائيا واقتصاديا ، زراعة ونموا وتطورا وتصنيفا بحكم ان النخلة والتمر جزء من تراثنا العربى منذ قرون لا تحصى ...

● انجاز ذلك المشروع الأول من نوعه فى العالم ، لدراسة المسكوكات الاسلامية تاريخيا وميتاليرجيا وتعدينيا وجغرافيا ، فى معهد الدوحة لدراسة المسكوكات الاسلامية المقرر انشاؤه فى الأرض الفضاء شمال غرب منظومة المتحف الحالية .

الماضى والمستقبل

ذلك بعض امل مما يتطلع المتحف الى اضافته الى رحابه حتى منصرم القرن الحالى ان شاء الله .

وهذا يستدعى الافادة من الأرض الفضاء شمالى المتحف وجنوبه ويتطلب توجيه جيل من الشباب لارتياد الدراسات العلمية المختلفة التى تحتاجها تلك التوسعات التى اسلفنا ، وغيرها ، وعلى وجه الخصوص فى مجالات علوم البحار ،



نسيج بدوى

غرفة المرحوم الشيخ حمد بن عبد الله آل ثانى التى تمثل بساطة الحياة فى تلك الفترة .

إذ ان البحر عمود من عمد الحياة العربية فى الماضى والمستقبل بكل تاكيد .

ولا يفوتنا فى الختام ان نؤكد ان اقتراح انشاء قاعات لتاريخ العلم والتكنولوجيا عند العرب والمسلمين لا يقتصر على ما انجز فى الماضى ، بل يتعدى الى احدث ما وصل اليه العلم اليوم فى تطوره ، بحيث لا نغفل مثلا ان يكون فى قاعة ابن الهيثم للفيزياء بمتحف قطر الوطنى عرض متكامل لكل ما وصل اليه الباحثون فى مضمار الطاقة الشمسية فنحن فى هذا المتحف لا نريد ان نقتصر على التغنى بالماضى وأمجاده ، إذ :

ليس الفتى من يقول كان ابى
إن الفتى من يقول ها انذا

وتلك من اهم قواعد رسالة متحف قطر الوطنى .

درويش مصطفى الفار



داخل محلات بيع المجوهرات التى تنتشر فى كل مكان بهولندا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هولندا

بلاد الماس والزهور والصراع بين البحر والإرادة !

هولندا من : نادية رزق

بدت لى هذه البلاد ـ عندما حاولت أن ألقى عليها نظرة من الطائرة ـ وكأنها جنة خضراء تجرى فيها المياه .. ومع هبوط الطائرة كان الشكل أكثر وضوحاً .. الأبنية ذات السقوف الحمراء تحيط بها من كل جانب بينما ترى بشكل هندسى الخضرة والأنهار وجداول المياه التى لا تكاد أن تغيب عن العين إطلاقاً ! .


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأضواء تنعكس على مياه القنوات بينما تقف البيوت القديمة شامخة تحيطها خضرة الأشجار .. إنها لوحة منقوشة بأبدع الألوان في قلب العاصمة امستردام .

وداخل مطار امستردام الذى يبدو وكانه مدينة حديثة واسعة الأرجاء ، تنتشر المحال التجارية بكثرة ، الا أن أكثر ما يلفت النظر « ويزغلل » العين هو الفترينات المعروض بداخلها الماس بطريقة جذابة .

وفى الطريق الى قلب المدينة لفت نظرى احترام السائقين للاشارات الضوئية ولغيرهم من السيارات .. مما يعطيك انطباعا لمدى احترام الناس لقواعد وآداب المرور .. كما انك ستشعر منذ اول وهلة انك داخل قرية ضخمة ، فالأراضى شاسعة ترعى فيها الأبقار .. وعلى البعد تبدو العمارات الزجاجية الشاهقة التى يقل ظهورها بالتدريج حتى تختفى تماما بمجرد الوصول الى مشارف المدينة !

وفى الصباح عندما تشرق الشمس تتلألا امستردام العاصمة بآلاف الألوان ، وتنعكس خضرة الأشجار على مياه القنوات ، كما تنعكس عليها ألوان الأسقف الحمراء وزجاج النوافذ اللامع .. فتبدو المنازل وكأنها منقوشة بأبدع الألوان ...

واثناء سيرى فى الشوارع القديمة ورؤيتي للترام العتيق الذى يخترق أهم المناطق ، والمراكب التى تتهادى فوق القنوات .. كان يخيل الى اننى اعيش فى





هولندا

مزارع هولندي يعبر بإيقاره إحدى القنوات في الريف الذي يتميز بالبساطة والجمال .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القرن السابع عشر ، فكل ما حولى يوحى بذلك ، ولهذا تصورت اننى اسير داخل بلاتوه سينمائى ضخم اقيمت ديكوراته فى هذا العصر ، لتصوير احد المشاهد السينمائية التاريخية ، فالمبانى على حالها وقصور التجار والبحارة تنتشر على جانبى القنوات ، وفى وسط المدينة مربعات سكنية وشوارع باكملها مازالت كما هى ، وحتى ما يبنى حديثا فى هذه المناطق لابد وان يطابق نفس الطراز للمحافظة على الشكل العام للمدينة القديمة !

والواقع ان مدينة امستردام تضم وحدها حوالى ٦٧٠٠ مسكن ، تعتبر ابنية تاريخية اثرية تساهم الحكومة مع اصحابها فى صيانتها وتكاليف العناية بها .. كما يعيش بعض سكان المدينة فى مراكب هى « منازلهم » او « متاجرهم ! » ..

ومن المناظر المألوفة فى المدينة ان تتوقف المراكب التى تقل السائحين لشراء ما يريدون من هذه المتاجر المائية ، او لمداعبة الأطفال ورد تحيتهم ! .

وقد سميت « امستردام » على اسم السد المقام أمام « الأمستيل » او النهر الذى يخترقها .. ولن نعجب إذا عرفنا انها مبنية على حوالى تسعين جزيرة ولذلك يطلق عليها « بندقية الشمال » .. ولو حسبنا القنوات داخل المدينة لوجدنا طولها ثمانين كيلومترا ، اقيم فوقها أكثر من الف جسر !

وبما ان القنوات تشكل اكثر من خمس مساحة البلاد الكلية وتعوق حركة البناء والعمران ، فقد لجأوا الى حيلة هندسية وهى تجفيف عدد من البحيرات وإقامة سواتر خرسانية وسط المدينة ، ثم سحب هذه المياه وردمها بكميات هائلة من الرمال ، وبالتالى تحويلها الى أراض جديدة تساعد فى حل مشكلة الازدحام الحاد فى السكان ، ففى داخل الكيلومتر المربع الواحد يعيش حوالى الف شخص ، وهى اعلى كثافة سكانية فى العالم ! .

العدو الحبيب

منذ قرون وهولندا فى حالة حرب .. حرب مع البحر نظرا لانخفاض اراضيها لربعة امتار تحت سطحه ولذلك تسمى بالاراضى الواطئة ، وربما لن تستطيع هذه البلاد ان تنهى هذا الصراع ابدا ، فقوى البحر لا تهدأ قط .. والمعركة معه تنتقل من جيل الى جيل ، فهو عدو شرس ، لا ينسى ابدا ان ارض هولندا كانت ملكا له ، ودائما يسعى الى استردادها !

وفى مواجهة هذا « الغول » الشرس ، لجأ الهولنديون لحماية انفسهم ببناء السدود والخزانات عند مداخل البحر لتقليل حدوث الفيضانات ومواجهتها .. وقد شهد عام ١٩٥٣ اسوأ فيضان فى هذا القرن إذ سبب خسائر قيمتها مائة مليون جنيه استرلينى ، وتحت تأثير هذا الخطر الداهم انهى الهولنديون عام ١٩٨٠ مشروعا ضخما سمى « بمشروع الدلتا » ..

وإذا كان بحر الشمال عدوا رهيبا فى تاريخ هولندا ، فقد استطاع الهولنديون ان يتعاملوا معه الآن بقدر من الحب وان يحولوه الى حليف يستعينون به فى تنمية الصيد والتجارة ! .

وقد لعب بحر الشمال دورا هاما فى صراع هولندا الأكبر من اجل الاستقلال عن اسبانيا !

ففى عام ١٥٧٢ تمكن من عرفوا باسم « شحاذو البحر » فى إقليم هولندا من



سوق من اسواق الجبن المنتشرة فى هولنـدا .

السيطرة على منطقة « بوبل وفلشنج » واستخلصوهـا من يد الاسبـان وادى ذلك الى قيام ثورة عامة ادت الى انفصـــال المقاطعات السبع المتحدة وهى التى شكلت « الاراضى المنخفضة » عن كل من اسبانيا وما يعرف الآن ببلجيكا .. كما استخدم الثوار عام ١٥٧٤ البحر مرة اخرى فى إغراق البلاد لحمايتها امام هجمات الاسبان خلال حصار « ليدن » .

مركز عالمى للماس

ومن حسنات بحر الشمال انه سمح للبلاد بالاستيراد بأسعار زهيدة . وأول ما تستورده هولندا المواد الاوليـــــة لصناعاتها التى تمثل ٣٨٪ من دخلها القومى ، وإن كانت صناعتها مازالت تقوم أساسا على إعادة تشغيل وتصنيع المواد الأولية الأجنبية ، أما انتاجها من هذه المواد فيتمثل فى ٩٧ الف مليون متر مكعب من الغاز الطبيعى سنويا ، وهذه الكمية تكفى احتياجات نصف دول الســـــوق الاوروبية ، و ١٫٤ مليون طن من البترول كما أن بها أضخم مصافٍ للبترول فى اوروبا ، فضلا عن ٣ ملايين طن من الملح ..

وهذا بخلاف صناعة الجلود ..وصـناعة الاخشاب والصناعات اليدوية التى مازالت تشتهر بها هولندا مثل «الاحذية الخشبية» وهى على راس الصناعات الشعبية ، وإن كان الحرفيون قد تناقصوا ، وتزايدت المصانع الآلية حتى بلغ انتاجها السنوى حوالى ثلاثة ملايين حذاء ..

اما صناعة « صقل الماس » فتبــــدو واضحة لأى زائر فمحال بيع وتثمين الماس تنتشر بكثرة فى كل شارع،وفى هولندا الاف المصانع التى تشترى الماس من جنــــوب افريقية على هيئة حجر خام يتم صقله بمهارة شديدة ، يخرج بعدها الماس الرائع الذى يخطف الابصار ، فتتم إعادة تصديره بمبالغ خيالية لكل بلدان العالم ! .

اما أكثر الصناعات رواجا فهى « صناعة الدراجات » ويبلغ عددها تقريبا مثل عدد السكان أى حوالى ١٤ مليون ، وهذا يعنى أن كثيرا من الاهالى يمتلكون اكثر من دراجة .. ومنظر راكبى الدراجات فى الشــــوارع الهولندية بديع ، فللدراجات قنوات خاصة لا يتعدى عليها احد ، ومن المألوف رؤية الشبان والشابات والكهول والشيوخ وهم على دراجاتهم مما يخفف ازمة المواصلات العامة .

وكثيرا ما يرى الهولنديون ملكتهم السابقة « جوليانا » وهى تقوم بنزهتهـا الصباحية على الدراجة !

ومنذ قديم الأزل وهولندا تشـــــتهر بمراعيها الخصبة وتربية الماشية ، ومنذ القرنين الثالث عشر والرابع عشر وانتاج البلاد يفيض عن احتياجاتها ، ومن ثم تصدر كمية كبيرة منه ، ويكفى ان نعلم أن انتاجها من انواع الجبن بلغ ١٧٠ نوعا اشهرها الفلمنك والجرويير! ولذلك تشتهر البلاد بأنها « اكبر مزرعة للألبــــــان فى العالم » .

وفى مواجهة البحر كانت التكنولوجيـا الحديثة التى وفرت امكانيات افضل لتهزم بها الظروف الطبيعية ، ولتصبح الزراعة وسيلة لتحقيق صناعات زراعية قوية فى غيبة المصادر الطبيعية كالمناجم والمـواد الخام ! .

فن وتجارة الزهور

السائر فى الشوارع الهولندية يصعب عليه رؤية أى شىء من خلال النوافـذ عندما تكون مفتوحة لكثرة الورود والأزهار التى فوقها وحولها .. والــــــواقع ان الهولنديين يعشقون الزهور ولون العشب الأخضر ..

والزهور فى هولندا ليست وســـــيلة للتجميل فقط بل هى تجارة ، ومربحـــة ايضا حيث تبلغ ارباحها سنويا حوالى ١٢٥ مليون جنيه استرلينى ، وتعد هولندا من أكبر الدول المصدرة للزهور وتقاويها ، كما أن بها اكبر حديقة للورد تسـمى « كوكن هوف » تبلغ مساحتها ٦٦ هكتارا ، وتنتج هولندا ٣٢ نوعا من زهور التيوليب ، كما تشتهر بالقرنفل والورود والزنابق والاوركيد ..

وكما تشتهر هولندا بزهورها ومياهها وقنواتها وقباقيبها الخشبية تشتهر أيضـا بطواحين الهواء .. ويوما ما كانت هذه الطواحين منتشرة بكثرة عبر البــــلاد لاستخدامها كمصادر للطاقة لطحن الحبوب واستخراج المياه لرى الحقول ، أما الآن فلم يتبق من هذا التراث سوى ٩٥٠ طاحونة يعمل منها ٣٠٠ فقط ، وتحاول الحكومة اتخاذ اجراءات مشددة للحفاظ على هــذه الذكرى التى تعطى طابعا متميزا للبلاد !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



لوحة تمثل ابن الفنان العالمي « رامبرنت » .. رسمها في عام ١٦٤٨ .. يعتبر الفنان الهولندي « رامبرنت » من اعظم رسامي عصر النهضة الأوربية .

واستجابة لدعوة بعض العائلات كانت زيارتي لمدينة « ماديورادام » وهي اصغر مدينة في العالم ، فهي هولندا المصغرة بكل ما فيها من معالم .. مبانيها .. شوارعها .. قصورها..المطار .. الكبارى .. الحدائق ..

ومن يراها يظنها « ماكيت » مصغر لاحد المشاريع الهندسية ، فهي مدينة تذهل الجميع كبارا وصغارا على السواء ، ولهذه المدينة قصة !! فقد فقدت احدى الأسر الثرية ابنها الوحيد وبدلا من ان تبكيه بنت هذه المدينة الصغيرة تخليدا لذكراه وبهذه الطريقة يستمتع الالوف بقضاء يوم ممتع داخلها .. وفي اثناء جولتي داخل هذه المدينة الساحرة وجدت احد المصورين وهو يلتقط صورة لكل زائر بدون ان يشعر ، ويسلمها له عند الباب لتصبح مفاجأة وذكرى لطيفة !

حكاية مدينتين !

وكانت جولتي التالية في مدينة « لاهاي » المدينة الهادئة التي تعد ثاني المدن في هولندا .. وداخل المدينة تشعر بانك قد دخلت الى مكان لا يجوز فيه الا التقاليد الرسمية ، فالمدينة تضم البرلمان والمحكمة والمباني الادارية والسفارات



طفلة بالزي الهولندي التقليدي يمسك ذراعها في شقاوة ، اخوها الذي يحمل باقة من الزهور .. ارباح الزهور في هولندا تبلغ حوالي ١٢٥ مليون جنيه استرليني سنويا !





الزي الشعبي المتوارث في الريف الهولندي .. ثم لقطة لراكبة دراجة

وقد اقاموها فوق كوخ لصياد ولذلك تسمى « إس جرافنهاج » ومعناه «كوخ الكونت» !

وترجع شهرة « لاهاى » بالطبع الى وجود محكمة العدل الدولية التى تعتبر من اهم الهيئات الدولية

اما المدينة الرابعة الشهيرة فى هولندا التى زرتها فهى « روتردام » وأهميتها تعود إلى كونها ميناء عالميا ضخما ، وقد أعيد بناء هذه المدينة مرة ثانية بعد ان قصفها الالمان فى ١٤ مايو ١٩٤٠ فازالوها من الوجود فى خلال ٥٠ دقيقة .. غير أن الهولنديين بما جبلوا عليه من صبر ضد غوائل البحر استطاعوا بناءها ، واستعانوا بكل موارد وسبل البناء الحديثة للاحتفاظ بطابعها القديم فى الضواحى ، بينما شيدوا وسط المدينة بصورة عصرية ، فالشوارع والعمارات الشاهقة الزجاجية تبدو لنا على احدث طراز ..

وتعد الآن مدينة « روتردام » من اكثر موانى أوروبا ازدحاما بالحركة ، حيث يستقبل ميناؤها ١٧٥ سفينة مرة واحدة وتدخله سنويا حوالى ٣٢ الف سفينة ما بين سفن ركاب او شحن او ناقلات بترول ، بالاضافة الى استقباله لـ ١٢٠٠ سفينة للخطوط الداخلية . وعلى ضفاف الميناء يمكنك مشاهدة مصانع تكرير البترول التى تزود كل أوروبا بحاجتها من الوقود .

وتشتهر هولندا بطرقها السريعة « الاوتوستراد » التى ربطت بينها وبين جيرانها فرنسا والمانيا وبلجيكا .. فما على الراغب فى التوجه لأى بلد من تلك البلاد سوى أن يسلك إحدى هذه الطرق الحريرية !

المسلمون فى هولندا

وفي هولندا يوجد اكثر من ٣٠٠ الف مسلم من جنسيات مختلفة مثل المغرب ، تونس ، اندونيسيا ، ماليزيا ، الهند ، تركيا وجزر الأنتيل التى كانت مستعمرة هولندية سابقة فى البحر الكاريبى ..

وقبل أن اغادر هولندا كان لابد من زيارة متاحفها . وبالطبع عجزت عن رؤية معظمها فعددها يبلغ حوالى ٤٠٠ متحف تحتوى على اعداد هائلة ونادرة من لوحات الرسامين الهولنديين الذين كانوا من اعظم رسامى عصر النهضة الأوروبية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر مثل رامبرانت ، فيرمير ، وهالز ، وفان جوخ .

وهناك متاحف يونانية ورومانية قديمة ، ومتاحف للآلات البدائية ، ومتاحف للتاريخ الهولندى المائى والملاحى ، ومتاحف للأقمشة القديمة ، و السكك الحديدية والمواصلات ، وللتكنولوجيا الحديثة .. وغيرها .. وغيرها .. وكل مدينة بها عدد من المتاحف يأتى فى صدرها . المتحف الوطنى ، ومتحف « رُيك » ..

وعندما ودعت هولندا . كانت هناك بعض الاشياء تدور فى مخيلتى ولا تبرحها مطلقا .. الوان السقوف الحمراء ، ومجموعات الزهور التى تخطف الأبصار ، والخضرة التى تعطيك انطباعا بالراحة والهدوء . وصوت جداول المياه ، ولوحات رامبرانت الرائعة التى انتهت حياته بالفشل ومات فقيرا معدما ؛ وغير ذلك من الاشياء التى لا يمكن ان تضيع من عقولنا . ونحن نودع الارض التى رأت أكثر انواع الصراع إثارة : الصراع بين البحر والارادة ! .

نادية رزق



على وجه « ابو الهول » وجسمه ، يبدو التآكل واضحا بفعل عوامل التعرية التى تسلطت عليه لبضع آلاف من السنين ، وهناك محاولات جبارة لانقاذه من مزيد من التآكل ، لكن هيهات ، اللهم إلا إذا عزلناه تماما عن فعل تلك العوامل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التعرية الطبيعية تقدم فنونها التشكيلية ؟!

بقلم : د . عبد المحسن صالح

جولة سريعة فى مشارق الأرض ومغاربها .. فى هضابها ووديانها .. على شواطىء البحار ، أو فى الفيافى والقفار ، ستكشف لنا عن أشكال غريبة ، وتكوينات فريدة ، قد نحسبها من صنع فنان ، وما هى بكذلك ، بل جاءت عن طريق عوامل طبيعية نطلق عليها عوامل التعرية ، وهى التى تنحت فى الحجارة والصخور ، فتعطينا بعض ما نراه فى الصور المنشورة ضمن هذا المقال ، وكانما هى من نحت انسان .

وعوامل التعرية كثيرة ومتنوعة ، منها على سبيل المثال لا الحصر سقوط الامطار ، أو اختلاف درجات الحرارة بالليل والنهار ، أو لطم اليابسة بامواج المحيطات والبحار ، أو باندفاع مياه الجداول والأنهار ، أو بحبيبات الرمال التى تحملها الرياح ، أو بالرياح ذاتها .... الخ .. صحيح أن العملية جد بطيئة ، لكن اعطها عمرا طويلا يقدر بالاف وملايين السنين ، تعطيك نتيجة واضحة فى اشكال وتكوينات جذبت ـ ولا تزال ـ فكر الانسان فى كل آن وحين . وأحيانا ما ينسج حولها الحكايات والاساطير ، وقد يعيدها الى قوى خفية فيريح بذلك عقله من عناء البحث والتفكير!

لكن مما لاشك فيه ان كل شىء على هذا الكوكب يتبدل ويتغير ، اى ان دوام الحال من المحال ـ كما يقولون ، فلا الجبال تبقى

بعد بضع مئات او آلاف السنين ، على اكثر تقدير ، سوف « تاكل » الامواج هذه الصخور وتزيلها من الوجود ، لترسب فى القاع على هيئة رمال .



كانما هو تمثال جالس على ربوة ، ينظر إلى الافق البعيد من فوق جبل .. لقد نحتت الامطار والرياح الصخرة ، وابرزت منها ذلك الفن المثير !



عندما تتساقط الامطار ، او تجرى الانهار ، تحدث عوامل التاكل والتعرية بمرور ملايين السنين ، ولا تترك إلا الحصى شديد الصلابة .

على حالها ، ولا الشواطىء تحتفظ باشكالها ، ولا القارات ثابتة فى مكانها ، ولا الكائنات الحية تستمر فى شبابها ـ بل ان كل شىء ـ حيا كان او جامدا ـ يتعرض دائما لعوامل كثيرة تنال منه بوسيلة او باخرى ، فلا تبقى فيه ولا تذر .

ويبدو ان لكل عملية او ظاهرة ـ فى الكون والحياة ـ وجهين متلازمين .. فحيث تكون التعرية ، فلابد أن يصحبها تغطية ، أو عندما يحدث تاكل فى منطقة ، فلا مناص من عملية ترسيب فى منطقة اخرى مجاورة ، او قد تبعد عنها عشرات او مئات او آلاف الأميال .. فتربة وادى النيل الزراعية ليست فى الحقيقة الا جزءا من جبال الحبشة ، اذ عندما تتساقط عليها الأمطار بغزارة فى كل عام ، تحمل معها ملايين الأطنان من الغرين ، فتسرى بها مندفعة نحو النيل ، حيث يترسب منها جزء فى السودان ، والجزء الآخر يترسب فى مصر ، وباستمرار هذه العملية لملايين السنين ، يحدث التاكل فى الحبشة ، والترسيب فى مصر والسودان ، لتنتج منها ملايين الأفدنة من الأرض الزراعية الخصبة .. وما يجرى على نهر النيل ، يجرى فى انهار العالم الأخرى ، وقد يصحبها وديان ودلتا كما هو الحال فى دلتا مصر سواء بسواء .

التعرية الطبيعية تقدم فنونها التشكيلية ؟!

ليس من نحت إنس ولا جان ، بل من رياح شكلت ونحتت ، فكان هذا التمثال الذي يثير في العقل الخيال !.



بوابة او فجوة كبيرة متوجة بما يشبه الكوبري الطبيعي .. وهي نتيجة لتاكل الحجر الرملي في هذه الربوة بفعل المياه والرياح المحملة بالرمال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكما تفعل مياه الامطار والانهار ، تفعل ايضا الاعاصير والرياح ، فعندما تهب هذه او تلك على مستوى ضخم ، تحمل معها ايضا ملايين الاطنان من الغبار والرمال الكائنة فى الصحارى والقفار ، وتسقطها فى اماكن نائية وطبقة رقيقة من فوق طبقة من فوق طبقة .. الخ تعطينا اكواما على مر مئات والاف السنين ، وقد تدفن تحتها الآثار والمبانى القديمة ، وقد يكتشفها الانسان بعد ذلك ، وليس أدل على ذلك من ان تمثال ابى الهول قد غطته الرمال ودفنته لمئات كثيرة من السنين ، الى ان اكتشف الاثريون وجوده ، فازيلت الرمال وظهر التمثال .

ثم ان عملية التاكل او التعرية التى تقوم بها العوامل الطبيعية المختلفة ، ليست مقصورة فقط على الجبال ، بل نراها بوضوح فى كل الآثار القديمة والحديثة نسبيا ، ونظرة عابرة على التماثيل او الاهرامات او المعابد والمنشات القديمة ، تعطينا دليلا حيا على تاكل واضح يحسب له المهتمون بالآثار الف حساب وحساب .

لكن ذلك كله لا يوضح لنا سر تكوين هذه التماثيل او التشكيلات الطبيعية التى تظهر على هيئة صخور شبه معلقة ، او اشباه قصور واعمدة وتماثيل من كل شكل وحجم ولون ... فلماذا مثلا لا يحدث التاكل ، او تتم التعرية بطريقة تدريجية ومستوية ، ودون ان يبرز جزء على حساب الآخر ، او تحدث فيه تقوسات وفجوات وبروزات ، وكأنما هى توحى بالفعل ان هناك من قام بتشكيلها ونحتها ، لتجيء على هيئات شتى .

الواقع ان ذلك يرجع اساسا الى طبيعة الصخور او الاحجار التى نشا منها التكوين ، فهى تتكون عادة من مواد غير متشابهة فى التركيب ، بمعنى ان بعض الأجزاء قد يكون صلدا ، وبعضها هشا وغيرها رخوا ، او ما بين ذلك تكون طبيعة المواد المتداخلة فى التكوين الأساسى والقديم ، وطبيعى أن عوامل التاكل او التعرية تؤثر فى الأجزاء الهشة بسرعة اكبر من الاجزاء الصلبة ، ومن هنا يحدث النحت او النحر بدرجات متفاوتة ، فيؤدى الى هذه الاشكال التى عرضنا منها جانبا ضئيلا ، وبما يتسع له المجال .

خذ على سبيل المثال تكوينا يتركب من طبقة او طبقات من صخور البازلت او الجرانيت او الكوارتز التى ترتكز على ما تحتها من احجار اقل صلابة ، وعندئذ سوف يحدث التاكل فى الطبقات الجيرية السفلية بمعدلات أكبر ، ولا تزال هذه العملية سارية ببطء شديد ، ومن خلال ازمنة تقدر بالاف او ملايين السنين،الى ان ينتج عنها رؤوس او تكوينات صخرية ، ترتكز على قوائم او أعمدة جيرية ، ثم لا بد ان ياتى الزمن الذى ينهار فيه التكوين الجيرى تحت ثقل الكتلة الصخرية ، اذ لا شىء الى خلود او صمود مادامت معرضة الى تلك العوامل التى تتسلط عليها ليل نهار .

ثم ان التاكل فى اجزاء بمعدلات أكبر من أجزاء أخرى ، يرجع ايضا الى طبيعة المنطقة ، والمناخ السائد فيها ، فالأجزاء التى تواجه الرياح ، أو التى تتعرض لهطول الامطار من ناحية أكثر من الاخرى ، او التى تعترض مجرى مائيا متدفقا بمسارات او روايا مختلفة ، كل هذا وغيره قد يؤدى الى تكوينات تجذب لغرابتها انتباه الانسان ، خاصة اذا كانت متعددة الألوان ، نتيجة لاحتوائها على لكاسد المعادن المختلفة ، وكانما ينطبق عليها وصف الآية الكريمة « وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ ، وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ» (فاطر / ٢٧) ، والواقع ان هذا الوصف يدعو الى التامل فى الطبيعة ، وهو يشير ايضا الى ايات الخلق ، حتى ولو كان ذلك على مستوى الجبال التى تزخر بها شبه جزيرة العرب ، ولها ـ ولغيرها ـ تعرض القران ، اذ ان فيها من التشكيلات العجيبة ، والألوان المتداخلة ما يستحق ملحمة شعرية لها وزنها



ARCHIVE
http://Archive.beta.Sakhrit.com

تـاكل كيميائي سريـع نسبيا وبغيض . فطمـس معالم هذا التمثال المرمري ، وكل تمثال اخر سواه مقام على كاتدرائية ميلانو بايطاليا نتيجة لتساقط الأمطار المحملة بالاحماض التى تنطلق من عمليات الاحتراق فى المصانـع والسـيارات ! .

دلائل ملموسة

وقد يتصور الكثيرون ان عملية التعرية او التاكل لا يمكن ان تؤدى الى كل ذلك خاصة وانها قد تزيل جبالا لها مهابتها ، وقد ينشا هذا التصور ، من كون الناس لم تشهد ذلك على الطبيعة ، وهم لن يشهدوه ابدا ، لأن الفترة التى يعيشون فيها لا تكاد تذكر بالحقب التى تقدر بملايين السنين فالعملية ـ كما سبق أن ذكرنا ـ جد بطيئة

ومع ذلك فمن الممكن رؤية اثر هذا التاكل البطىء على شواهد القبور ، او جدران المنازل القديمة نسبيا ، وكلما كانت هذه البنايات معرضة لعوامل التعرية اكثر ، كان ظهور الأثر اسرع .. فالذين يقطنون بجوار شواطىء البحار ، حيث تسود الرياح والامطار ، يلاحظون ان التاكل قد بدا يسرى بمعدلات سريعة على الحوائط الخارجية او النوافذ ، او حتى الحديد (لانه يصدا أسرع ، والصدا فى حد ذاته يعتبر نوعا من التاكل المعدنى) ... وقد يبدو ذلك واضحا بعد بضع سنين ، خاصة اذا تالفت عوامل الحرارة والأمطار والرياح على إحداث ذلك ، وهنا قد يرمم الناس ما تاكل .

اذكر اننى رايت لوحا زجاجيا معتما (او كانما هو مصنفر) فى إحدى صالات المتحف القومى بواشنطن ، والذى جذبنى إليه هو حب الاستطلاع ، اذ طرا على الذهن تساؤل : وماذا يعنى وضع هذا اللوح هنا ؟ ... لابد ان له قصة ، وبالفعل كتبت عليه بيانات توضح ان هذا اللوح الزجاجى كان الواجهة الامامية لاحدى السيارات التى داهمتها عاصفة رملية شديدة ، ففعلت به حبيبات الرمل المندفعة ما فعلت ، وهو نوع من التاكل الميكانيكى او الاحتكاكى .

والذين يسكنون الصحارى يعلمون تماما ماذا تعنى العواصف الرملية ، ولقد عبر عن ذلك القران الكريم ادق واوجز تعبير «واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ، فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ، فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ



من كاليفورنيا ننقل ما تمخضت عنه عوامل التعرية هناك .. فالى اليمين صخرة « معلقة » وكانما تحمل تمثالا بدائيا لحيوان يشبه الأسد ، وإلى اليسار تشكيل يشبه سمكة متحجرة او اي شكل اخر قد يروق لك . !

هذا التشكيل الصخري الغريب الذي يشبه في ناحية من وجه إنسان ، يمكن ان تراه في مجرى النيل عند اسوان فلقد نحتت المياه الصخر فكان هذا الفن التشكيلي



بَاقِيَةٍ» (الحاقة ٦ / ٨) .

وهى ايضا تلك الرياح ، او الأمطار ، او العواصف المحملة بالرمال ... الخ هى التى «تاكل» الجبال والهضاب والشواطىء وآثار الانسان القديمة ، واحيانا تجعلها فى كل او بعض أجزائها خاوية او متاكلة ، وكل هذا يحتاج الى زمن ، والزمن لا يرحم ، بل ينطلق كسهم مارق ، فيترك بصماته التى نراها على قسمات الناس ، وعلى الزرع والضرع ، والحجارة والصخور والجبال، واضف الى ذلك ما تشاء ، فكل شىء الى اضمحلال وزوال ، ولايبقى الا وجه ربك ذى الجلال والاكرام .

ومع ان عملية الاضمحلال او التاكل الكائنة على هذا الكوكب هى صنوان لعملية الهدم البطيئة ، إلا ان هذا الهدم فيه حياة للانسان والحيوان والنبات ، إذ ان التربة الزراعية لم تكن لتظهر الى الوجود ، لو لم تحدث عمليات التفتت والتاكل فى الأحجار والصخور ، وهذا ما نلحظه دائما فى الوديان التى تجرى فيها الانهار ، او التى تنحدر اليها مياه الامطار من قمم الجبال ، فتمدها بالماء ، وتجدد خصوبتها بالمواد العالقة الدقيقة المتفتتة من الجبال ، ومنها الغرين على سبيل المثال ، فاذا غابت هذه المواد من موارد المياه لأى سبب من الأسباب (مثل السدود والخزانات التى يقيمها الانسان) ، حدث خلل فى التربة الزراعية ، مما قد يؤدي الى تدهور فى خصوبتها ، وكانما كل شىء يسير هنا بحساب وميزان .

وقد يكون لهذه العملية ــ عملية التاكل ــ وجه اخر سىء ، ولقد شارك الانسان فى سيئاتها ، ويتمثل لنا ذلك فى ظاهرة التاكل الكيميائى ... صحيح انها موجودة فى الطبيعة قبل ان يظهر الانسان لكنها تفاقمت مع حلول المدنية الحديثة ، وما صاحبها من صناعات ثقيلة ، ووسائل مواصلات كثيرة .

فالكميات الهائلة من الدخان والابخرة ونواتج الاحتراق الاخرى التى تنطلق الى الغلاف الهوائى بملايين الاطنان فى كل عام ، قد تذوب مع هطول الامطار ، وتؤدى الى تكوين الاحماض ... صحيح ان تركيزاتها خفيفة ، وتفاعلاتها مع المنشات المتساقطة عليها طفيفة ، لكن القليل مع القليل كثير ، ولاشك ان محصلتها بعد عشرات السنين تبدو واضحة للعيان .

يكفى ان نذكر هنا على سبيل المثال ما يحدث للتماثيل والاثار التى اقامها الانسان ، فعندما حمل الامريكيون مسلة تحتمس الثالث ، واقاموها فى «سنترال بارك» بنيويورك عام ١٨٨١ ، كانت فى حالة جيدة رغم ما مر عليها من الاف السنين ، وهى الآن تعانى من تاكل كيميائى واضح ، نتيجة لوجودها فى مدينة تنطلق فى جوها كميات هائلة من الملوثات الصناعية التى تذوب مع الأمطار ، حتى لقد قيل أن التاكل الذى حل بها بصعيد مصر فى الاف السنين كان اقل درجات من التاكل الذى حدث لها فى نيويورك فى عشرات السنين !

وطبيعى ان هذه العملية المدمرة ليست مقصورة فقط على المسلات الفرعونية فى لندن او باريس او نيويورك ،بل تتعداها الى كل التماثيل والمنشات المقامة فى الميادين ، او يظهر اثرها على جدران البيوت والمتاحف والمصانع .. الخ ، حتى ان واحدا من العلماء قدر ابعاد هذه الخسارة بعدة الاف الملايين من الدولارات على مستوى العالم فى كل عام .

هذه إذن لمحات قصار عن عوامل الطبيعة التى تشتغل بمعاولها غير المنظورة ، فتأتى باشكال مثيرة ، وتكوينات غريبة ، او تهدم فى مكان ، وتضيف فى اخر ، وتستمر فى دورات ازلية ما دامت هناك ارض ورياح وامطار وامواج ، ولكل عالم ما يناسبه ، حتى لا يبقى شىء على حال ... فدوام الحال من المحال «ولكن اكثر الناس لايعلمون» ! .

دكتور عبد المحسن صالح

إنهم يغتالون الإنسان!

بقلم: معروف رفيق

من خلف زجاج نافذة صغيرة بالطائرة وهي تحلق وتقترب من ارض المطار، يطل راسي بعينين واهنتين لتريا الوان قوس قزح في الشوارع والميادين والمستديرات والأزقة

لم يكن قوس قزح طبيعيا ينعكس على صفحة السماء او الأرض .. انه مجموعة من الالوان المتعددة التي تصطبغ بها هياكل السيارات ... بالآلاف ...

المنظر يكرر نفسه مع الفارق .. فمنذ ثلاثين عاما كنت اطل من النافذة ربما في اول رحلة لي بالطائرة، فتسحرني الالوان في الحقول، يغلب عليها اللون الاخضر لون الحياة في الربيع .. في الصيف لون الاشجار وقد تشبثت ببقايا الربيع .

في الثمانينات .. الالوان تزداد وتتعدد .. حمر وصفر وزرق وخضر ومزيج من كل ذلك

ليست الوان الزهور التي نشاهدها في حدائق الزهور، وليست الوان ريشة فنان لوحة زيتية جميلة .. إنها الوان حضارة نهاية القرن العشرين .. الوان السيارات التي دفعت بها مصانع البلدان الصناعية، لتحل محل الشجر والبشر، ومن حولها ومن فوقها تقوم عمارات الاسمنت، كاشجار غابة في فصل الشتاء البارد ...

الجو الصافي الذي اعتدناه قبل ثلاثين عاما .. وربما قبل اربعين .. تعكر بالآزوت والمازوت وثاني اكسيد الكربون وغاز الرصاص القاتل .. كل ذلك يشكل طبقة من الغبار العجيب المفعم بالسموم .. طبقة مقيمة لا تغادر سماء المدينة تضغط على صدورنا وجهاز التنفس لدينا لتهدينا الموت بالتقسيط ....

ليس هذا ليلا تهاوت كواكبه من التماع السيوف ساعة اغبرار جو المعركة .... وليست تلك الالوان الصناعية كتلك التي وصفها ابو تمام وغير ابي تمام في النيروز عندما تصحو اكمام الزهر وتتفتح براعم الشجر ..

وليست هذه العمارات الشامخة جبالا تعبث في هامها الريح الصافية من أكدار الدنيا ..

وليس هؤلاء الناس الذين سالتقيهم بعد قليل، كاولئك الذين لا زلت اذكر ملامحهم في عهد الصبا .. انهم اليوم اناس اصفرت وجوههم عندما افتقدت كثيرا من اكسجين الدم على مذبح الحضارة الحديثة ...

اين المهرب وكل قرية اصبحت مدينة تضج بالحديد المتحرك ينفث سمومه كالحيات الامريكية من ذوات الاجراس ...

من كان يتصور او يتخيل ان كل اسرة ستقتني عدداً من السيارات يساوي نصف عدد افرادها ...

ضجت الطريق من عبء حملها الثقيل، وتمنت لو لم تكن طريقا تئن على مدار الايام

ضجت دائرة المرور من ازدحام المراجعين .. هذا يسجل وهذا ينقل ملكية، وهذا يطلب اجازة سياقة، وذلك يطلب تحقيقا في حادث واخر يطلب موعدا للفحص واخر يطلب من المستشفى شهادة وفاة على إثر حادث مرور

ضج المستشفى بصراخ الثكالى والفاقدين والفاقدات الصارخات على عزيز راح ضحية حادث مرور ولم يعد ...

قسم العظام مسرحية عبثية لم يكتبها صموئيل بيكت وانما كتبتها يد الانسان عندما اختار طريق الانتحار على الطرق باسلوب رخيص ترفضه السماء والارض ..

(الكراجات) اكوام حديد وبيادر من هشيم الصفيح تنزف منها الملايين التي تصب في حفائر العدم واللاعودة ...

شركات التامين شبكات او شباك بالمعاني الحقيقية او المجازية يؤمها المتضررون والصادمون والمصدومون لتضميد الجراح التي لا تبرا بالمال او التعويضات ...

إعلانات الصحف مؤطرة بالسواد على شباب قضوا في عمر الزهور تنعيهم كلمات الاسى والأسف والمواساة دونما طائل لأن الميت ذهب ولن يعود ..

وكالات استيراد السيارات اشبه بدكان « الحانوتي » الذي يهيىء نعوشا وتوابيت من خشب التيك المستورد الغالي ليكتب عليها « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » ...

اسواقنا العربية القديمة لم تعد تستقبل الشعراء والخيل والابل .... انها اليوم « اسواق حراج » تباع فيها احدث موديلات السيارات المطهمة التي فقدت اصالتها العربية مع الاستيراد ..

معاطن الابل وحب الفلفل الذي اتى على ذكره امرؤ القيس استحالت كلها الى معاطن من نوع جديد تبرك فيها الابل الأمريكية واليابانية والالمانية موسومة بخاتم المصانع الغربية ...

الطلاب والشباب لم يعودوا يذهبون الى مدارسهم بكيس مليء بالرقاع والقراطيس واقلام البوص .. انهم يذهبون بما خف حمله من الكتب، وبكثير من الميداليات التي تحمل مفاتيح الفارهات من خيول العصر الصافنات ..

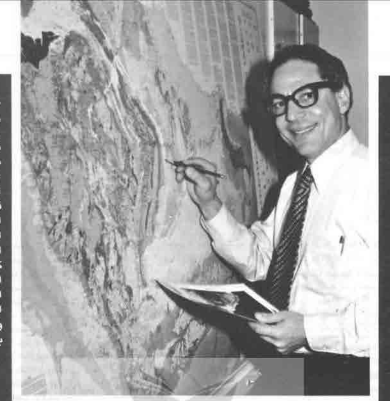
الطائرة حطت على ارض المطار .. ايقظني صوت المضيفة ولم يوقظني صوت المحركات النفاثة .. فكرت ان اعود الى منزلي ماشيا فطفقت اسير على رصيف ضيق ولو طال الطريق ..

ارتال من السيارات تمر بي وتبصق في وجهي دخانا وتخلف في مسمعي لعنات عجلاتها المسرعة .. عناد لا طائل من ورائه وسخافة ما بعدها سخافة ... هروب حيث لا مهرب، وتجديف ضد التيار .. لا احد يصرخ معي قائلا انها « نقطة نظام » كما يقال في مجالس النقاش والجدل ...

السيارات بالمئات تكاد تجرفني بلا رحمة ... فلتتوقف احداها إذن .. فانا فيها ومن داخلها اكثر امنا واقرب الى المعقول ..

تحدثت مع اسرتي بلهجة متقطعة .. وطلبت منهم ان نفكر بصوت عال ومسموع .سيفي قصير يا اهلي وعشيرتي ... قالوا بصوت واحد : تقدم خطوة .. يصبح سيفك طويلا ... وهانذا اتقدم بقلمي لا بسيفي .. فتقدموا معي ...

صورة للأرض التقطها رواد الفضاء على مركبة ابوللو ١٧ أثناء رحلتهم نحو القمر ، وهذه اول مرة يتم فيها تصوير الأرض من البحر الأبيض المتوسط شمالا فى أعلى الصورة حتى القطب الجنوبى المتجمد فى أسفل الصورة .. ونلاحظ كثافة السحب فى كل من النصف الجنوبى من الكرة الأرضية ونرى الجزيرة العربية وشمال شرق افريقيا بوضوح كامل .



عالم الفضاء العربى الدكتور فاروق الباز الذى جاء إلى مدينة الدوحة استاذاً محاضراً زائراً فى جامعة قطر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٨ عالماً عربياً فوق سطح القمر

حوار : ليلى الحريري

- مدن فضائية معلقة بين السماء والأرض كحل لمشكلة الانفجار السكانى ! !
- التربة الزراعية على سطح القمر أصلح للزراعة من تربة الأرض بمقدار عشرين ضعفاً ! !
- تجرى الدراسات حالياً لاقامة أول منجم على سطح القمر ..
- جراحة القلب المفتوح ـ قمة التقدم الجراحى الطبى فى العالم ـ لم تعرف قبل غزو الفضاء
- التجسس .. ليس شراً كله .. هكذا يؤكد المفهوم الحديث له .
- كيف يمكن تقسيم المطلق الفضائى بين دول العالم ! ؟



عندما التقيت به استاذاً محاضراً زائراً فى جامعة قطر بمدينة الدوحة ، ادركت ان معاناة الرحلة باثقالها المختلفة لم تؤثر على توهجه العلمي الذي ساهم ويساهم فى دفع مسيرة الحياة نحو الافضل .

ولد عالم الفضاء العربي الدكتور فاروق الباز في عمق الريف المصـري وهو يؤكد ذلك بفخر واعتزاز ، في بلدة اسمها طـوخ بمحافظة القليوبية ، فى اسرة قوامها تسعة ابناء يحتل هو موقعاً متوسطاً بينهم . وبدا تفوقه العلمي منذ كان يحبو فى مسيرة العلم ، وحتى وصوله إلى اعلى درجاته ..

وظل يحمل سلاحه ـ علمه ـ إلى ان خرج من وطنه العربي إلى عالم الغرب او بتعبير ادق ارغمته الظروف على ذلك عام ١٩٦٧ .

وحين تسلل الدكتور فاروق الباز خارج وطنه .. لم يكن يحمل مجرد شهادة علمية تؤكد تفوقه .. ولم يكن يحمل فقط موهبته التي تميزه ، او همومه الخاصة التي وضعته امام خيار الاغتراب طريقاً للبحث عن الذات .. كان يحمل فوق هذا وذاك مخزون التراث الحضاري العربي . فهو ابن هؤلاء الرواد الذين خلدهم التاريخ .. الذين وضعوا اللبنات الاولى والدعائم الاساسية فى صرح الحضارة العالمية الحديثة . وتلقفته يد الغرب لتفتح امامه كل فرص المزيد من الاجتهاد والتفوق والابداع .. ولتنهل كذلك من عصارات فكره وعلمه كما ارتوت من قبل من ينابيع الحضارات العربية التى اقامها اجداده .

ولأن الموهوبين وحدهم لهم طبيعة خاصة تحكم مسار عطائهم .. وبالتالي تتفرع بهم إلى مسالك ودروب مختلفة عن باقي الجموع . فقد بزغ نجم الدكتور الباز كعالم للفضاء بعد ان افردت له الولايات

المتحدة الأمريكية الوانا من التقنيات الحديثة على مائدة المناخ العلمي المتقدم هناك .. فانهمر عطاؤه ، وذاع صيته في العالم اجمع .. وهنا فقط وللأسف الشديد احس وطنه العربي بغيابه مفكرا وعالما متميزا ومرموقا .. بل واحد نماذج تسرب عقولنا العربية إلى الخارج .. وكان هذا احد المحاور الهامة في حوارنا معه .. وتبقى هناك محاور عديدة ..

يقول الدكتور الباز :

ـ يدهشني ويحزنني غياب الانسان العربي عن صنع حضارته .. فعلى الرغم من أن الأجداد العرب بانفتاحهم على تراث العالم ورموزه المختلفة ، قد اقاموا حضارة عربية خاصة بهم خلدها التاريخ بل واعتبرها بحق الدعامة الأساسية للنهضة الغربية الحديثة ـ على الرغم من ذلك ـ إلا أن الأحفاد للأسف يعيشون تحت سيطرتها ، وليسوا ساداتها كما كان متوقعا لهم ..

ولأن لكل حضارة طريقتها الخاصة فى التفكير وبالتالي فى اسلوب تعاملها مع الذات خاصة ومع الآخرين بوجه عام .. كما وأن لها ايضا تكنولوجياتها وثقافتها ، وبالتالي انسانها الذي يعكس مجموع كل هذا ... فان الانسان العربي يفتقد ملامح تواجده فى الحضارة الحديثة فنانا ومفكرا ومبدعا .

العرب يسترشدون بالنجوم

يستطرد الدكتور الباز :

ـ والحضارة الغربية لم تتقدم من فراغ كما سبق ان اشرت ، بل من القواعد الحضارية الأساسية التى وضعها الأجداد .. من هنا فان اغلب العلوم الحديثة ومنها علم الفضاء تدين بالفضل الى العلماء العرب الذين ادى ولعهم الشديد بالعلوم الفلكية الى اكتشاف اخطر واهم الآراء العلمية التى ظهرت حتى وقتنا الحاضر .. والمسيرة طويلة .. تمتد الى زمن الجاهلية .

ولم يكن عرب الجاهلية يملكون دراسات منتظمة فى علم الفلك ، ولا ارصادا تضم احدث الأجهزة العلمية كما هو الحال الآن .. بل إن معلوماتهم فى هذا الشان كانت لا تخرج عن الاسترشاد بالنجوم فى الصحراء لتحديد مسار قوافلهم تجنبا للمخاطر . كما كانت طبيعة حياتهم فى الخلاء فرصة كبيرة لامعان النظر الدائم فى السماء وما تحمله بين طياتها من كواكب ونجوم . وكان القمر ـ أقرب الجيران الى الأرض ـ هو اكثر الأجرام السماوية إثارة للانتباه بسبب التغير المنتظم فى شكله من زيادة ونقصان.

ثم جاء الاسلام .. ومنذ بداية العصر العباسي حدث تطور شامل فى نهضة العرب العلمية فى كافة المجالات ازدهرت بشكل خاص فى الفترة ما بين القرن السابع الى القرن الرابع عشر وكان من نتائجها انشاء أكاديمية علمية فى بغداد أطلق عليها «بيت الحكمة» تضم مكتبة ضخمة ومرصدا سجلت من خلاله مختلف الظواهر الفلكية التى صدرت فى مؤلفات عديدة تعتبر حتى الآن مرجعا هاما فى علوم الفضاء .

لا عجب إذن بعد كل ما سبق ـ والحديث ملزال للدكتور الباز ـ أن نجد على سطح القمر فى الوقت الحالى اسماء ثمانية عشر عالما عربيا ممن ساهموا بابحاثهم فى فهم الكون اطلقتها جمعية تسمية تضاريس القمر التابعة للهيئة الفلكية العالمية ، ـ والتى انا عضو فيها ـ على بعض التضاريس الجديدة هناك تخليدا لذكراهم وتقديرا لجهودهم فى مجال البحث العلمى الذى قاد الى النهضة الحضارية الحديثة فى مجال علوم الفضاء.

ما يحضرنى الآن من اسماء هؤلاء العلماء .. أبو الفداء ، ابن فرناس ، ابن يونس الذى كان اول من قام بقياس مواقع الكواكب السيارة بعضها الى بعض ، ابراهيم الغزازى ، احمد بن عبد الله المرودى ، ابو العباس الفرغانى ، ابى عبد الله بن عيسى المهانى ، ابو الحسن الصوفى ، ابو الريحان البيرونى ، القزوينى محمد الخوارزمى ، جابر بن حيان . والرحالة الجغرافى الشهير ابن بطوطة حيث ساهمت خرائطه الجغرافية فى فك بعض الرموز على سطح القمر للتشابه الكبير بين سطحه وسطح الارض ، ثم العالم الاسلامى عمر الخيام الذى اقام مرصدا قدم من خلاله بحوثا مفيدة فيما يخص دوران الكواكب حول الشمس .

الأمن الغذائى ضرورى للعلماء

والسؤال الذى يفرض نفسه فى هذا الصدد .. لماذا تفوق العلماء الاقدمون ؟ .. ما هى اسباب قيام النهضة المصرية واليونانية والصينية والهندية والعربية القديمة ، ثم النهضة الامريكية الحديثة ؟!. ما هو نوع المجتمع المناسب لكى يحيا فيه الانسان حياته الطليقة مفكرا ومبدعا ؟ . هل يمكن ان يتحقق ذلك فى مجتمع يعانى التناقضات الاقتصادية. او .. هل يمكن ان يتحقق فى مجتمع يفرض السيطرة الكاملة على مذاق الانسان واختياراته ؟ .

يؤكد الدكتور الباز إن هذا التحقق لن يتم إلا فى مجتمع يكفل لافراده الطمانينة على الحاضر والمستقبل .. مجتمع يتركز فكر انسانه فى المشروعات المستقبلية وليس فى المفردات اليومية .. او بمعنى ادق مجتمع يملك فائضا من الغذاء . فالحضارات القديمة استطالت هاماتها لان انسانها عاش مطمئنا على غده . والولايات المتحدة الامريكية هى الدولة الوحيدة التى تملك فائضا من الغذاء لذلك تتربع على عرش التقدم الحضاري .

وبطبيعة الحال .. فانه لا شيء يوجد من العدم .. وهذا يفرض على كل دارس ان يقتدي بسابقيه ويتعرف على خبراتهم العلمية وتجاربهم حتى يتسنى له ان يعمق رسالته فى العلم ثم يتجاوز هذه الخبرات بما يحقق لوطنه عالما متكاملا .

وامامنا نحن العلميين والمثقفين العرب فرصة ذهبية .. لقد تقدم الغرب تقدما كبيرا بما يتناسب مع بيئاتهم .. علينا ان ندرس قواعد هذا التقدم وبناءه ثم تطويعه وتطويره بما يصلح ويناسب البيئة العربية فنخلق بذلك حضارة عربية مستقلة من صنعنا نحن وليست من صنع الاخرين .

مدن فضائية بين السماء والأرض

ويمتد الحوار ويتدفق ليصل الى رحلة الفضاء والوصول الى القمر مخترقا مساحة زمنية طولها ستة وستون عاما بدات باول محاولة بشرية فى العصر الحديث لاقتحام الفضاء . قلم بها الاخوان «رايت» اللذان قاما بتجربة طيران فى طائرة من صنعهما فى السابع عشر من ديسمبر عام ١٩٠٣ ، وحتى الهبوط على سطح القمر فى العشرين من شهر يوليو عام ١٩٦٩ .

كان الهبوط على سطح القمر امرا يتجاوز حدود الخيال ولكنه تحقق فعلا بواسطة الأمريكيين . وعاش راندا الفضاء «نيل ارمسترونج» و «اودين الدرين» على سطحه ساعتين واربعين دقيقة بالتمام والكمال .. ثم عادا الى الارض يحملان كنوز القمر فى صناديق مليئة بالصخور والعينات من سطحه .. وهللت البشرية كلها .. وانتظر العالم اجمع نتائج البحوث حتى يستفيد من الامكانات الهائلة التى

اتاحها غزو الفضاء .

ولكن الغموض اخذ يلف الكثير من النتائج .. وصمتت اجهزة الاعلام الأمريكية التى ملأت الدنيا ضجيجا إزاء هذه الرحلة التاريخية .. ولم يعد يتسرب من أخبار البحوث الفضائية إلا القليل ..

ماذا حدث ؟! .

هل فقد الأمريكيون حماسهم للقمر ذاته بعد ان خطت عليه أقدامهم ؟ . ام انهم كشفوا من كنوزه وحلوا من رموزه ما فضلوا الاستئثار به دون العالم اجمع ؟ .

يضحك الدكتور الباز بذكاء محسوب لهذه النتيجة التى لا ينفى بعضا منها .. يقول إن الفكرة الأساسية من قيام مشروع أبوللو لغزو القمر التى بدأت عام ١٩٥٧ كانت تهدف إلى الارتقاء العلمي والتكنولوجي في الولايات المتحدة الأمريكية فى إطار التسابق العلمى مع الاتحاد السوفيتى الذى كان قد اطلق صاروخه «سبوتنيك» فى أكتوبر عام ١٩٥٧ .. المسألة كانت مجرد منافسة علمية ولكنها تكلفت ٢٤ بليون دولار امريكى !!!

ولكن مشروع «أبوللو» حقق نتائج غير متوقعة بعضها اخذ طريقه الى حياتنا اليومية والى ابعد مما يدركه معظم الناس. فجراحة القلب المفتوح مثلا وهى قمة التقدم الجراحى الطبى فى العالم لم تعرف قبل غزو الفضاء ـ وإنما نتيجة له ـ . فقد



صاروخ يحمل مركبة الفضاء أبوللو ١١ إلى القمر

استلزم الأمر تصميم واعداد غرفة كاملة النظافة يدخلها الهواء فى طبقات لا يختلط بعضها ببعض حتى لا تؤثر على نتائج تحليل العينات .. ثم استعملت نماذج مماثلة لها بعد ذلك فى جراحات القلب المفتوح .. والأمثلة كثيرة للتطبيقات العلمية لنتائج البحوث التى اجريت لغزو الفضاء او نتيجة له .

ولكن هناك جزء خاص من نتائج هذه البحوث يحيط الغموض كثيرا من تفاصيله لأن الأمريكيين يفضلون الاستئثار به فعلا .. فقد دلت بحوثهم العلمية على أن الصخور البركانية الموجودة على سطح القمر تحتوى معدن التيتانيوم بنسبة تتراوح ما بين ٧ ـ ١١ فى المائة من حجمها بينما لا تتجاوز نسبته على سطح الارض ٤ فى المائة فقط . هذا المعدن باختلاطه بالحديد ينتجان مادة الصلب التى تستعمل فى عمل نفاثات الطيران مثلا . لذلك فان الدراسات الأمريكية تجرى فى الوقت الحالى لاقامة منجم لهذه المادة على سطح القمر .. ليس هذا فحسب بل واقامة بعض الصناعات فى مكان ما من الفضاء يتحقق الانتاج فيها بشكل اسهل مما يتم به على سطح الأرض .

هذه الصناعات ـ يكمل د. الباز ـ سوف تقام فى مدن فضائية معلقة فى نقطة ما بين الأرض والقمر . وبما أن الأرض تدور حول الشمس والقمر يدور حول الأرض ، فان هذه النقطة ستكون فى موقع ثابت ما بين الأرض والقمر تبعد عن الاولى ثلاثة أرباع المسافة وبالتالى سوف تدور فى مدارات ثابتة وبدرجة معينة فى الفضاء وبجاذبية محسوبة مساوية للجاذبية الأرضية .. وسوف تنقل اليها القوى البشرية التى ستعيش فيها وتدير مصانعها ، وكذلك الماء والطعام والآلات من الارض بطبيعة الحال .. اما التربة الزراعية فسوف تنقل اليها من سطح القمر لأنها أصلح للزراعة من التربة الأرضية بمقدار عشرين مرة .. فالمعادن فيها مازالت بكرا لم تمتد اليها يد .. كلها بدايات الى أن تدور عجلة الحياة وتستقر فى هذه المدن الفضائية .

وبهذه المناسبة يلزم التنويه الى أن هذه المدن الفضائية هى أحد الحلول المستقبلية المطروحة لحل مشكلة الانفجار السكانى على الأرض ـ الى جانب مثيلاتها التى سوف تستقر فى اعماق البحار .. هذه هى البدائل وليس هناك خيارات أخرى .

التجسس ليس شراً كله !

قد تبدو هذه المشروعات الفضائية نماذج للاعجاز العلمى الذى تقف على ابواب عصره ، ولكن العلم ليس بريئا فى كل الأحوال ، وليس حسن الأخلاق كما يبدو فى الظاهر .. لأن له على الجانب الآخر استخدامات كثيرة يشق على البشرية استيعابها كالاستخدامات الذرية مثلا . وبما أن التقدم العلمى قصر على الدول المتقدمة دون غيرها .. هى وحدها تملك وسائله العلمية ومفاتيح تكنولوجياته .. فالمعادلة إذن صعبة .. والموازين غير متكافئة .. فكيف يمكن للدول النامية مثلا أن تحمى سماءها من استغلاله فى اعمال لا اخلاقية مثل التجسس مثلا ؟! ..

يقول الدكتور الباز : إن التجسس ربما كان يعتبر عملا غير اخلاقى فى الماضى .. ولكنه فى العصر الحديث اصبح ضرورة لابد منها تؤدى الى منع الحروب وتساعد على حماية أرواح الناس .. وبالتالى تغيرت النظرة الى مفهومه لدرجة ان الولايات المتحدة الأمريكية كثيرا ما تشعر بالارتياح حين تكشف الاقمار الصناعية الروسية عن القدرات العسكرية الأمريكية ، والعكس صحيح .. الأمر الذى يجنح بكلا الطرفين الى جانب الحكمة .. بدلا من التهور .

وعلى الرغم من ان الاستطلاع من الفضاء بالشكل الموسع مازال حكرا على الدول المتقدمة او على الأصح على الولايات الأمريكية والاتحاد السوفيتى .. إلا ان هناك دولا اخرى تملك اقمارا صناعية مثل الهند وفرنسا وكندا واليابان ، والصين التى تعمل فى مشروع للفضاء تقوم عليه بنفسها .. فالباب مفتوح للاجتهاد والسبق

● ولكن ما هى حدود استخدامات الفضاء والقوانين المسموح بها دوليا ؟ .. ما هو نصيب كل دولة من دول العالم فى هذا المطلق الكونى الذى حير العلماء والباحثين ، والهم الشعراء والمفكرين منذ بدء الخليقة وحتى الآن ؟ .. وكيف يمكن توزيع الفضاء على أقطار العالم المختلفة وفق الحدود الاقليمية المتعارف عليها لكل دولة ؟! .

يقول الدكتور الباز إن هيئة الفضاء الأمريكية قد فكرت فعلا فى مسألة تقسيم الفضاء والقوانين التى تحكم الاستخدامات التكنولوجية فيه . ولم يكن هناك بالطبع احتمال تقسيمه وفق الحدود الجغرافية المتعارف عليها لكل قطر ، لأن مدارات السفن الفضائية مستقيمة فقط وغير قابلة للتعرج كما هو الحال على سطح الكرة الأرضية ، وبالتالى فان كل سفينة فضائية لها مدار خاص محدد ومستمر ولا تختلف فيه على الاطلاق . ومع ذلك فقد وضع رجال القانون فى هيئة



أول من هبطوا على القمر : من اليسار إلى اليمين نيل أرمسترونج ، مايكل كولنز ، وادوين الدرين

الفضاء الامريكية مع هيئة الامم المتحدة قواعد عامة للاستخدامات الفضائية تبيح لجميع دول العالم استخدام الفضاء على ان يكون لكل منها مدار مستقل عن مدار الدول الاخرى مثل محطات التليفزيون .. وأن يقتصر هذا الاستخدام على الاغراض السلمية فقط ، كما يحذر استخدام اى شىء ذرى فى الفضاء مهما كان حجمه او اهميته لأن العلم مازال يجهل مدى تاثيره على الأرض والغلاف الجوى المحيط بها .

استيراد التكنولوجيا لا يقيم حضارة

وبعيداً عن الفضاء حيث نقترب من الأرض الطيبة يعرج بنا الحديث مع الدكتور فاروق الباز .. الانسان .. ابن البيئة العربية الخصبة التى افرزت الكثير من العلماء الذين توغلوا بمشاعل الحضارة عبر التاريخ ، لنقف على موقع الواقع العربى من الحضارات الحديثة بوسائلها العلمية والتكنولوجية المتقدمة ، ومدى ملاءمة نظمنا الاجتماعية والتعليمية على وجه الخصوص فى التعامل مع مفرداتها ، ثم ما هو الطريق الى التواؤم معها والالتصاق بها ؟ ..

يقول الدكتور الباز عالم الفضاء العربى الشهير .. إن العالم العربى شانه شان كل بلدان العالم النامى قد فرضت عليه الثورة العلمية والتكنولوجية إضافة الى إرث التخلف من عهود الاستعمار ـ تحدياً حضارياً .. يكون .. او لا يكون ! .. وهو يدرك ان التنمية هى سبيله الى الخلاص . ولكن اية تنمية ؟! .. هل استيراد التكنولوجيات فى حد ذاته كفيل بان ينقله الى مصاف البلدان المتقدمة وينتشل مجتمعه من التخلف ؟! هل يتحقق ذلك عن طريق الاعتماد على ما يقدمه المجتمع الغربى من عون او فائض ؟! ..

بالتاكيد لا .. إن التكنولوجيا وحدها لا تخلق حضارة ولا تصنع تنمية ، لانها تعبير وانعكاس لمستوى حضارى ونتاج له بكل عناصره .

امامنا خياران لا ثالث لهما .. إما أن نظل نستقطب التكنولوجيا بشكل عفوى وهذا شرك يقع فيه كثير من الدول العربية ، .. او يتم استيرادها على اساس انتقائى بحيث يمكن ملاءمتها او تطويعها لتتناسب مع استراتيجيات التنمية .

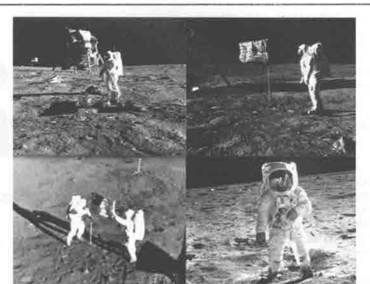
اما سياساتنا التعليمية فى الوطن العربى بشكل عام فهى جيدة . إنها ماخوذة من السياسات التعليمية المتبعة فى الغرب ودور الجامعات والمؤسسات العلمية فى حقل البشر واعداده وتنميته والنهوض به ، دور صميمى لا يمكن اغفاله .. بقي كيفية استفادة المجتمع من المخزون العلمى لدى الدارسين بما يناسب البيئة الطبيعية والبشرية ويستجيب للبنية الاجتماعية والاقتصادية وبما يتفق فى النهاية مع الأهداف القومية .

هناك مثال واضح لما اقول فى مجال الطاقة مثلا .. تؤكد الدراسات أن البلدان العربية تواجه تحدياً هائلاً فى مجال النفط مع اقتراب نضوب موارده مع بدايات القرن القادم ، ولكن الدول العربية تملك بدائل رائعة على رأسها الطاقة الشمسية التى يبلغ معدلها ثلاثة الاف ساعة سنويا بينما لا يزيد هذا المعدل فى الدول الغربية عن عشر ساعات فقط !! .. وبالمثل الطاقة الحرارية الارضية والطاقة النووية والطاقة الكهرومائية .. الخ .. البدائل كثيرة ومصادرها ثابتة لا تنضب ينقصها فقط الاستغلال الأمثل ! .

● والحديث عن البيئة وكيفية استغلالها بالشكل الأمثل يذكرنا بامل لم يتحقق اضاءه الدكتور الباز حول الثورة الخضراء فى الصحراء الغربية باعتبار انها مليئة بالمياه الجوفية .. بل ولا تشير الدلائل الى نجاح ما بصدده ..

ويدافع الدكتور الباز بحماس عن مشروعه مركزاً على حقيقة هامة وهى أن العلم والتكنولوجيا فى السنوات القليلة القادمة كفيلان بتقديم حلول جذرية لمشكلات حياتية عديدة يواجهها العالم ـ عدا مشكلةالغذاء !! . لأن تعداد السكان فى العالم فى زيادة مضطردة ومخيفة ، وبالتالى فان مقدار الحاجة الى الغذاء خاصة فى الدول النامية التى يشيع فيها الانفجار السكانى ـ متزايد .. كما أن حجم اعتماد هذه الدول على الدول المتقدمة فى مجال الغذاء ايضاً متزايد .. كل هذه الامور لا تشير الى أن الغذاء وتوفيره سوف يحظى باهمية كبيرة فى السنوات

ARCHIVE http://Archive.sakhrit.com



رائدا الفضاء ارمسترونج وادوين الدرين يتنقلان على سطح القمر

القليلة القادمة بل سوف يكون المنطق الأساسي للسياسات الدولية !!..

نعود إلى مشروع الثورة الخضراء فى الصحراء الغربية والذي يعتبر مثالا تطبيقيا كما سبق أن ذكرت ، الانتاج الغذائي في مصر اقل من المطلوب بكثير .. فهي تنتج من القمح مثلا ما يكفي الشعب المصري لمدة ثلاثة اشهر فقط من السنة ، وتستورد باقي احتياجاتها .. وبالتاكيد فان حجم الاستيراد يتزايد من عام إلى اخر وفق معدلات الزيادة السكانية .. من هنا حين نؤكد ان امان الدولة المستقبلي لن يتم إلا بزيادة الرقعة الزراعية ، فان المعادلة تكون صحيحة مائة بالمائة وغير قابلة للزيادة او النقصان . والرقعة الزراعية يمكن زيادتها بعيدا عن الدلتا وعن النيل فى الوديان المتاخمة له مثل واد غـرب كوم امبو وبعض المناطق في شبه جزيرة سيناء وبعض مناطق الصحراء الغربية والوديان الصغيرة فى الصحراء الشرقية ..

وعلى هذا الاساس فان جميع المشاريع التي تقوم على استصلاح الأراضي وزيادة مساحة الرقعة المنزرعة من الارض ، لها اهمية عظيمة من حيث المبدا . فلماذا إذن توقف مشروع الثورة الخضراء فى الصحراء الغربية ؟! .. ببساطة لأن هيئة المعونة الامريكية التى كان المفترض ان تقوم بتمويله اعتذرت عن ذلك لأنها تفضل تمويل المشروعات ذات العوائد السريعة .

معنى ذلك .. ان هذا المشروع لن يتم إلا بتمويل اهلي مصري ، وهناك بعض البشائر فى هذا الصدد قام بها بعض خريجي كليات الزراعة المصرية ، او بتمويل عربي لصالح الدول العربية التى تفتقر إلى الزراعة . وهناك بعض المؤشرات الايجابية التى تساعد على ذلك ، على راسها .

المركبة الام تدور حول القمر لتلتحم بها مركبة الرواد بعد النزول على سطح القمر



التكامل بين مصر والسودان الذي يعتبر اهم ركيزة في مشروعات الامن الغذائي العربي .

منطلقات الهجرة العربية متعددة

وهجرة العقول العـــربية وتسربها خارج الوطن العربي تثير الكثير من الجدل ليس فقط على المستوى الرسمي ، بل والشعبي ايضا . ولأن الدكتور الباز احد نماذجها الصارخة ، كان لابد من التعرف على وجهة نظره في هذه القضية .

يؤكد الدكتور الباز ان هجرة العقول العربية تبدا فى معظم حالاتها من منطلقات شخصية . كل فرد له اسبابه ودوافعه التي قد تختلف على المستوى الشخصي مع غيره من المهاجرين . بعض هذه الأسباب ، قد يكون سياسيا ، او ماديا بحتا .. والبعض الاخر يكون نتيجة حتمية لعدم توفر المناخ العلمي الذي يشعل التوهج الفكري ويحقق تدفق العطاء العلمي .. إلى اخر هذه المسببات التى لن نقف الان عندها إلا بالنتائج .

لقد حدث فعلا استقطاب للعقل العربي خلال العشرين سنة الماضية .. فهاجرت أعداد كبيرة من الموهوبين إلى الخارج .. وانصهر كل منهم في مجتمعه الجديد بحيث اصبح من المتعذر انتزاعه منه لأنه مشدود اليه بخيوط كثيرة .. لماذا إذن يكون خيار العودة إلى الوطن العربي هو المطلب المنطقي الوحيد .. لم لا نستفيد من هذه العقول المهاجرة من خلال مواقعها المتعددة الاشكال والمهارات بالدول الغربية كالاستعانة بهم في مجال البحوث العلمية والتطبيقية فى الوطن العربي بدلا من الاستعانة بالخبرات الاجنبية ؟ .

ما يهمني توضيحه في هذا المجال ان الجدل حول تسرب العقول البشرية العربية ليس ذات قيمة بالمقارنة إلى مسالة الرعاية والحفاظ على العقول والكفاءات الموجودة فعلا داخل الوطن العربي وهي كثيرة .. فالارض الطيبة المعطاءة التى افرزت العقول المهاجرة ، من شانها افراز المزيد .. ولكن علينا ان نعي الدرس .. وهذا يستلزم في تقديري تعميق بعض المفاهيم من بينها انه لابد ان يلقي العلم والعمل الجاد كل الاحترام والتقدير ، وان يحاطا بما يلزمهما من حرية للفكر وإيثـــار للموضوعية وإجلال للعقل .. مع اتاحة فرصة الارتقاء العلمي لكل في مجاله .

ليلى الحريري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرقص .. فوق بحار الدم

قصة بقلم: الدكتور طه وادي

تأمل شجرة أرز عتيقة، تقف ثابتة عند الربوة بينما ظلام من الشمال والجنوب والشرق والغرب يزحف. الليل قادم. حاول أن يتجاوز مشارف الواقع والظلام، وأن يرنو هناك بعيداً .. بعيداً .. الى حيث سقط راسه السليب. كره العجز والايام السوداء. صار رجلا مع إيقاف التنفيذ. الرجال الحقيقيون .. القادرون الفاعلون .. خرجوا من بيروت فى ليلة مظلمة. ابتلعهم البحر الكبير، وسارت بهم السفن فى ليل عاصف. آه يا زمان الذل. لم تكن لديه رغبة فى العودة. ماذا تصنع يا فواز بين الأرامل، والثكالى، والاطفال. ساق واحدة تذكره بآلام لا تحصى. معسكر «صبرا» هو الحقيقة الوحيدة فى حياته الآن. ضاعت فى الظلام كل المعالم حواليه حتى بيروت. لم يعد هناك ضوء. تحسس فواز جروحا كثيرة فى جسده. حارب من أجل الحلم كثيراً فى فلسطين وفى الضفة. عرف طعم الموت .. لا ينسى ذلك اليوم الرهيب من أيلول الأسود سنة ١٩٧٠ طارت ساقه وسال الدم .... بعدها أفاق حيث هو الآن فى ملجأ مع العجزة. كان معلما يدرس التاريخ، لكنه آثر أن يعلم التاريخ بالبندقية لا بالطباشير. احتضن شجرة الأرز. أخذ يبكى. تذكر أمه وأيلول الأسود والناصرة. كل الأيام صارت «أيلول» .. أيلول أسود. منذ خمس وأربعين سنة أصبح رجلا ـ وهو فى العاشرة ـ بعد مقتل أبيه .. يومها كان يبكى .. يبكى، والأم تمسح أحزانها قائلة:

ـ الرجال لا يبكون يا فواز.

ـ هدرا لن يضيع دم أبى ؟!

سمع طلقات كثيفة متتالية. لم الرصاص وقد خرج المحاربون. اللصوص يسوون حساباتهم. استراح لهذا الخاطر. مازال وجه أمه يشع إصرارا وتفاؤلا يملأ الأفق حواليه.

ـ أولادا كثيرين لابد أن تلد زوجتك يا فواز.

ـ بعد أن يتعلم إخوتى وتتزوج أخواتى

ـ قل يا رب.

الناصرة ترى كيف تكون الآن ؟ تخيل السيد المسيح من كوة بعيدة .. بعيدة. على أرض الناصرة أخذ بيلاطس يسوع وجلده. ضفر العسكر إكليلا من الشوك ووضعوه على راسه وألبسوه ثوب أرجوان وكانوا يلطمونه. فقال لهم بيلاطس هو ذا الانسان. فلما رآه الكهنة والخدام صرخوا قائلين: اصلبه اصلبه. قال بيلاطس: خذوه انتم واقتلوه، لانى لا أجد فيه علة. أجابه اليهود: لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت، لانه جعل نفسه ابن الله.

اقترب موعد العشاء .. لكن لا آذان. بيروت لم يعد يسمع فيها صوت المساجد او الكنائس. صوت واحد تعرفه بيروت جيداً. تذكر أن له إخوة .. إخوة عديدين .. كثيرين فى كل مكان من بلاد العرب .. يبدو أنهم نسوه أو تناسوه حتى رسالة بالبريد لا تصل. لا نجم هناك فى السماء. برودة شديدة سرت فى عظامه المتآكلة.

يا الله .. لم يعد أحد يرى .. يسمع .. يفهم .. ؟ يا الله لم لا تفعل شيئا .. الدنيا كلها علي .. يا رب لم بترت ساقى ؟ انفجارات وحشية قطعت خيوط المناجاة. ارتمى بين صخور الربوة. أحس بعطش. عطش شديد. تذكر نهر الاردن. الذكرى لم تعد تنفع .. لم يعد هناك مؤمنون ؟! أخذ يبحث عن العكاز الخشبى وسط هدير البارود .. طيخ طاخ، بم بم، طاخ طيخ، بم بم. تداخل الليل والبرد والبارود، وضاع العكاز. ألف الظلام فقد عاش فيه كثيرا. زحف يبحث عن العكاز .. الأمل الوحيد. زحف على ذراعيه وصدره. انفجار أول .. ثان .. ثالث .. رابع. وصوت بومة يأتى من بعيد .. غيق غاق .. غوق. الأرض تمطر نارا حمراء .. زرقاء .. صبرا .. العكاز .. الخوف .. الغضب. تحسس الأرض حواليه، كاد يمسك طرف العكاز بينما صخرة تهوى به دون أن يقدر ... وقع فى السفح، وجهه ينزف .. حلاوة الروح جعلته يتماسك.

أسود الكون. وقع فى ألف نكبة ونكبة، يومها قادرا على الحركة كان، أما اليوم فهو بساق واحدة، حتى العكاز تاه .. تاه فى الظلام.

حاول أن يسترد أنفاسا ضائعة. جلس وسط ليل بلا ضفاف. صوت طلقات متقطعة تأتى من ناحية المعسكر. ضاع العمر يا فواز، ليس ثمة أمل حتى فى موت مريح. يسوع لو تصدى للظلم لقطع الشجرة. الشجرة كبرت، حتى ظلها صارت له مخالب وأنياب. بعد هذا تقول يا يسوع من ضربك على خدك الايسر .... لا .. لا يا سيدى.العين بعينين. تذكر أنه لم يتناول طعاما منذ أمس. تموت قدمه من الانتظار حتى يعطيه رجال الغوث كسرات جافة وعلبة جبن فاسد. تمنى شربة ماء. تذكر نهر الأردن. صاح بصوت ضاع وسط صوت البارود: يا الله .. لم نسيتنى فى هذا الظلام ؟ إياك أعبد فهل إياى تذكر ؟ يا رب ساعدنى على أن أمحو ليل الطغاة.

احس بانقباض شديد. أخذ يزحف على عجيزة جافة ويدين ناحلتين.

المخيمات بعيدة وصوت البارود يزأر. جرب أن يمشى على ساقه الوحيدة. شعر بالخوف على زوجة أخيه وعمته وبنات بعض الجيران. المعسكر كله نساء وأطفال ورجال مكسورون.

ـ مسئوليتك أثقل يا فواز.

ـ لا تخافوا عليهم .. أنا محارب قديم.

تذكر يوم رحيل المناضلين. مثل يوم دير ياسين وتل الزعتر وأيلول الأسود.كان يوم الوداع الحزين. فى العيون دموع حارة وعلى الوجوه حيرة سرمدية. لم يكن يدرى هل هذه ساعة للحزن أم للفرح، لحظة ميلاد أم موت ؟ .. أصوات غناء .. بكاء .. طلقات نارية .. ألوان قوس قزح تجمعت كلها فى الأفق البعيد.

كان يبكى وهو يودع أخاه الأصغر.

ـ أتبكى يا فواز ؟

ـ من يضمن يا جهاد ؟

ـ أنت أبى وأستاذى فى النضال.

ـ ما هكذا علمتنا يا زعيم ؟!.

استرد قبسا من روح مناضل قديم. أحس أن قدميه تغوصان فى مستنقع مليء بالصديد والدم، وتل من الجماجم والجثث. لا فائدة. السمك لا يعيش بجوار الحيتان.

ـ كن واثقا يا زعيم .

ـ فيم ؟

ـ فى الله .. وفى المستقبل .

تحركت شفتاه ، اراد أن يقول : اكاد اشك ـ لكنه تذكر انها لحظة وداع . طفلة صغيرة اقتربت :

ـ انت مسافر يا بابا ؟

حملها جهاد فى لهفة وهو يخفى دموعاً محتبسة .

ـ سنلتقى قريبا يا سلمى .

ـ اين ؟

عبر عيون يملؤها الدمع والدم ، تخيل فواز البيت الأبيض الامريكى ، قصر الكرملين فى موسكو ، قوس النصر فى باريس ، ميدان بيكاديللى فى لندن ، الكعبة المشرفة ، مقر البابا بالفاتيكان ، والمسجد الاقصى . لا احد يستطيع آن يعيد البسمة الى وجه سلمى الحزين .

احس انه محاصر من كل مكان . فى التاريخ القديم كان طارق بن زياد يقول لجنوده : العدو امامكم والبحر خلفكم ، فى التاريخ الحديث : العدو فى كل مكان . دموع لا تجف من عينى سلمى الصغيرة وهى ترفع إصبعها علامة النصر .

مطارق من حديد تطرق نافوخه . الخوف .. البرد .. البارود . جرب كل طرق السير من اجل أن يعود .. لو عرف الغيب ما خرج . لو كان جهاد هنا لبحث عنه فى كل مكان وساعده . صادفته بركة ماء ، لم يتبين عمقها . أصر على ان يعبر .. وان يعود .. جروح الجسد لا تضعف إرادة صلبة . حاول ان يهم بالوقوف على قدمه الوحيدة . المحاولة صعبة بدون عكاز . الرغبة فى الحياة تنمو .. وشجرات الخوف والقلق تبدو فى كل اتجاه . اخذ يقفز .. يقفز . وقع فى حفرة . غطاه الماء والطين ، دخل الماء العكر فمه وانفه واذنيه وغطى شاربيه ولحيته . صوت البارود يحدث شرخا فى جدران الكون . لا احد لا يدرك هول الفاجعة . الظلام شديد . الليل عنيد جرب ان يمشى على يديه وساقه ... اخذ يحاول .. ويحاول . اخيرا اجتاز البركة . قعد يسترد انفاسه المشردة . طعم الطين يملأ فمه . رائحة العطن تسرى من كل ملابسه . دماء تنزف من اعضاء جسد عجوز . تمنى ان يموت . الموت علاج لما لا يقدر عليه الانسان . تذكر سلمى . جهاد الآن فى البحر وسلمى وحدها .. ترى هل هذا البارود قريب منها ؟ لم يعد يعرف إجابة لاى شيء فى هذا الليل المخيف .

المهم ان يمشي .. لم يعد يدري هل يتحرك إلى الخلف أم الى قدام . صوت البارود امسى قريبا منه . شيء ما يحدثه ان البارود حيث المخيمات ، حيث الأرامل والثكالى والاطفال والمكسورون . هناك ناس نسيهم الناس . لكنهم رغم الجروح صامدون ، عندهم امل . بدت له شجرة . اخذ يحاول الاقتراب منها . عنيداً حاول أن يصمد . مرات ومرات وهو يحاول .. يحاول . اخيراً اخذ فرعا ومضى يستند عليه . اخذ يسير بطيئا .. بطيئا . البارود بدأ يشم رائحته. الظلام كثيف . الليل مخيف . ملابسه المبتلة ضاعفت من إحساسه بالخوف والبرد . كان يفكر فى سلمى . طوال عمره ما فكر فى نفسه قط . لقد بر بوعده لأمه : علم إخوته وزوج اخواته . حين ادى الرسالة تطوع فى جيش التحرير . لكى يعيش الصغير يجب ان يدفع الكبير الحساب .. ومايزال ..

اصطدم وسط الظلام بكتلة حديد صلبة عليها نجمة داود . داود العظيم .. صاحب المزامير أصبح رمزاً للشر والعدوان . دبابة اسرائيلية .. ماذا تفعل هنا فى مخيم صبرا ؟ بدا قزما ضئيلا بجوار ماكينة الموت العملاقة ، تتربع فى ثقة على التل . لم يستطع أن يعرف سر الماكينة الرهيبة لم هى هنا .. بالقرب من الارامل والاطفال والمكسورين ؟ ترى هل جاء الثعلب يحرس عش الحمام !! احس كأنما صراخ سلمى ياتى من كل مكان . تحاشى الدبابة وحاول أن يختصر الطريق . صوت البارود صار حقيقة . حركات مريبة . عفاريت سوداء .. زرقاء .. حمراء .. صفراء .. تسير فى كل اتجاه .. فى كل مكان عفاريت .. دبابات .. مدافع .. طلقات البارود .. رائحة البارود .. طعم البارود .. دخان البارود .. بارود البارود .... يخرج عاليا ومكتوما . اصوات استغاثة تصل ما بين السماء والارض .. لا مغيث . الليل تمدد .. الالم تجدد .. الكون تجمد . انات مكتومة فى خيمة قريبة .. أصوات متقطعة .

حاول ان يقترب . أصوات دماء تنزف .. حشرجات الموت . اكوام حارة من الجثث . اصطدم بحبل . حاول أن يخلص قدمه .. لكن الحبل كان شـديداً يربط كل القتلى . القتلى من كل صنف . ذبح . قتل . خنق . المجد للشيطان . هولاكو جاء من جديد . العفاريت اختلفوا فى كل شيء واتحدوا على قتل الأبرياء ، حركات شيطانية هنا .. وهناك . اصوات متقطعة .. موت بالجملة .. بكل الاشكال . وافلسطيناه . وافلسطيناه اخذ يزحف حتى لا يراه احد . قتلى .. قتلى .. قتلى .. فى كل مكان مازالت اجسادهم حارة ودماء تسيل .. تسيل . قابيل متى يتوقف جيشان الدم ؟ دم .. دم .. لكن صراخ سلمى مازال يرن فى اذنيه . اصطدم بجثة مازال فيها رمق : يا عرب .. يا عالم ... ظل يعوم او يزحف لا يدرى ونجمة داود تختال فوق الة جهنمية . العفاريت مازالت تجرى .. تزرع الموت والخوف . الظلام شديد ... طيخ طاخ .. تيك تاك .. بم بم .. النار .. الدخان ..... عويل .. صراخ .. مذابح جماعية .

المسيح تحمل الآلام حتى يفدى البشرية .. ابناء وطنه يقدمون اليوم نفس الموعظة . لا جديد .. لا قديم .. لا امل . الكل باطل الحقيقة الوحيدة ان تكون قويا . احس ان قدرته على المقاومة قد تلاشت . سقط فاقد الحركة بين جثث لا يقل عنها قلة حيلة . صوت سلمى .. هذه هى الخيمة .. صراخ ياتى من الداخل . واتته قوة لم يدر من اين ؟ خاض فى بحار الجثث وتلال الدم .. العفاريت تجرى .. وتجرى .. تزرع الموت .. تقضى على كل الاشياء والاحياء . صوت البارود .. طيخ طاخ .. تيك تاك . أطل من طاقة داخل الخيمة . عسكرى ازرق .. وعسكرى اسـود ..يقتلان..يذبحان..بقيت امراة وطفلة فى الثانية عشرة .. حاول العسكرى الازرق والاسود أن يغتصباهما فى وقت واحد . قاومت الام العسكرى الاسود . مد البندقية وبقر بطنها بالسنكى وخرج يصيح صيحة النصر . بقى العسكري الأسود .. السلاح الابيض يلامس جسد الطفلة . الخوف جمد اعضاءها . صارت عريانة .. الوغد يتحسس جسدها البارد .. استجمع فواز كل قوى الغضب داخله . ضرب العسكرى الازرق . جاءت الضربة على يديه . وقعت البندقية . اخذ الوغد يركله ويضربه .. لم تعد لديه قدرة على المقاومة . فواز يجود بانفاسه الاخيرة .. حشرجات الموت تضيع وسط اصوات البارود .. العسكرى الازرق .. يرقص فى الظلام .

سلمى تحاول ان تحتمى تحت تل من جثث الضحايا .

دكتور / طه وادى

كلية الآداب جامعة القاهرة

رسالة لندن

من مجدي نصيف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

EVITA

إيفا بيرون في قمة المجد والشهرة

مسرحية إيفيتا الغنائية وخمس سنوات على مسرح لندن!



الممثل الذى قام بدور جوان بيرون اسمه : أوزكلارك

إيفا وبيرون فى مسرحية إيفيتا الغنائية



الممثلة التى قامت بدور إيفا فى المسرحية اسمها : ستيفانى لورنس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● أغانى المسرحية حين يغنيها الشباب .. ومقاعد المسرح تمتلئ كل ليلة بالمتفرجين

دخلت مسرحية «إيفيتا» الغنائية الموسيقية التى تعرض على مسرح « البرنس إدوارد » بالبيكاديللي بوسط لندن عامها الخامس ، دون ان تفقد رونقها ، ومازالت مقاعد المسرح تحجز لعدة أسابيع مقدماً ، ومازال المسرح يمتلىء برواده كل ليلة منذ حفل الافتتاح . ولقد اختار كاتبها ان يعرض العديد من الأفكار عن الصراع الدائر فى عالم اليوم من خلال عرض « التجربة البيرونية » فى الارجنتين ، بالتركيز على



حياة إيفا بيرون زوجة جوان بيرون بالموسيقى والاغاني الرائعة . وعن طريق هذه الاغاني والاطار المسرحي قدم الكاتب رايه في كل شيء عن هذا الصراع ، دون هتافات ، ودون شعارات ، دون ان يمل المتفرج ويترك العرض، على العكس من ذلك تماماً ، التصق المتفرج بمقعده حتى نهاية العرض ، مستمتعا بالموسيقى والاغاني والاخراج ، حتى ولو لم يكن لديه الارضية السياسية الكافية لفهم المسرحية بالكامل .



صور من حياة إيفا بيرون الحقيقية التى استعان بها المخرج

هكذا نرى إيفا فى المسرحية وهى تتعرف على بيرون فى حفل خيرى لإعانة ضحايا الزلزال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسرحية إيفيتا الغنائية
وخمس سنوات على مسرح لندن!

إيفا بيرون

ولا شك ان الكاتب قد اصابه التوفيق من اختيار إيفا بيرون ، أو « ايفيتا » في المسرحية كبطلة . فحياتها حياة حافلة بالفعل . انها المراة الجميلة التى بدات حياتها كطفلة غير شرعية فى بلد كاثوليكي ثم اصبحت ممثلة مغمورة تبحث عن المجد والشهرة والثراء ، وانتهت بان اصبحت زوجة الرئيس الارجنتيني بيرون الذي قدم تجربة فريدة فى امريكا اللاتينية . وهي ايضا قصة امراة طموحها بلا حدود ، حتى لقد اصبحت اقوى امراة ليس فى تاريخ الارجنتين وحدها فحسب ، بل وفي تاريخ امريكا اللاتينية قاطبة . وبعد كل ما وصلت إليه من مجد وشهرة وثراء ، تموت بالسرطان ، وهي في قمة السلطة ، ولم تزل في الثالثة والثلاثين من عمرها ، فيرفعها الشعب الارجنتيني إلى مرتبة عالية .

ولأن الكاتب اراد أن ينتقد التجربة البيرونية، فقد قدم الشخصية المقابلة لشخصية ايفا بيرون ، اختار « تشي » (جيفارا) لينقد التجربة ، ايضا من خلال الأغاني والرقصات على إيقاع الموسيقى . إنه الشخصية الوحيدة التى ليس لها دور في سياق احداث المسرحية ، وإن كان دوره هو دور المعلق والمراقب

ولدت ماريا ايفا دوارتي عام ١٩١٩ ، في إحدى المدن الصغيرة ، كابنة غير شرعية لأحد فقراء الفلاحين . وعانت في طفولتها الفقر والحرمان ، وفوق هذا ، عانت الاذلال، لأنها « ابنة حرام » . انها لم تنس فى حياتها رفض المجتمع لها ، لذا فقد وقفت دائما ضد هؤلاء الذين سببوا لها كل هذه المهانة .

وعندما أصبحت ايفا فى الخامسة عشرة من عمرها (١٩٣٤) اقامت علاقة باوجستين ماجالدي ، المغني ولاعب الجيتار الذي كان يعمل بناد ليلي بالمدينة . تقنعه ايفا بالذهاب إلى العاصمة بيونيس أيريس . وتعيش إيفا حياة النوادي الليلية والمسرح . كانت تحلم بان تكون ممثلة ، فما أن تصل إلى عام ١٩٤٠ ، حتى تكون قد وصلت الى السينما والاذاعة . ومن خلال زوج اخت بالجيش تتعرف على زملائه الضباط الصغار ، وتتصاعد الرتب التى تتعرف بها ، حتى تصل إلى كبار الضباط ، في وقت كان فيه نفوذ الجيش فى المجتمع والحكومة يقوى ويتصاعد شيئا فشيئا .

وفي عام ١٩٤٣ تتعرف على « الكولونيل جوان بيرون » . كان انذاك وزيرا ، ذا سمعة عريضة كدون جوان يعشق الممثلات صغيرات السن ، كان جوان بيرون فى الثامنة والأربعين ، اي ضعف عمر ايفا بالضبط . فهو من مواليد ١٨٩٥ ، ورغم أن طفولته ليست شقية كطفولة إيفا ، إلا انه كان من عائلة متواضعة ، دخل الأكاديمية العسكرية عام ١٩١١ ، وحصل على رتبة ملازم عندما كان فى العشرين من عمره . وفي يونية ١٩٤٣ ، كان أحد الضباط الذين قاموا بثورة اطاحت بالحكومة القائمة عين بيرون وزيراً للحرب ، بعد الانقلاب، ثم وزيرا للعمل . ومن خلال هذا المنصب اكتسب شهرته ، وخاض تجربته . وعندما



لقطة من الفصل الاخير في المسرحية .. يرى فيها بيرون

أحـد مشاهد المسرحيـة

قابل « إيفا » كان في هذه المرحلة من حياته السياسية : نجما سياسيا صاعدا يتوقع الجميع منه ان يفعل « شيئا » . وكان بالتحديد هو من تبحث عنه « ايفا » . كان طويلا ممشوق القوام ، اما هو فقد جذبه جمالها .. وشبابها . لكن الذي لاشك فيه ان طموحهما كان اقوى رباط ربط بينهما .

ومن خلال جوان بيرون ، ونشاطه وطاقته ، استطاعت تحقيق كل طموحها في السلطة الشمولية . كانت هي الشرارة الملهمة التي تشجعه على اتخاذ كل خطوة، اما هي فكانت المحبوبة التي يجدها دائما إلى جانبه ، وفي الوقت المناسب .

اخذت تعمل بجنون ، حتى احبها الارجنتينيون ، واصبحت أوسع شهرة منه، واخذ بيرون يصعد ويصعد ليصبح نائب رئيس الجمهورية .

وفي عام ١٩٤٥ ، ينجح زملاء بيرون من الضباط في الاطاحة به ، فيقبض عليه في ١٢ اكتوبر ، ويودع السجن ، وخلال ايام معدودات يتغير المسرح السياسي بشكل جذري في المجتمع الارجنتيني . هنا تظهر القوة الكامنة التي امسك بها بيرون وايفا : الحركة العمالية ، وهنا ظهرت الشخصية القيادية الزعامية لهذه المراة ذات الشخصية الفذه ، انها تنطلق لتنظم المظاهرات العمالية والشعبية التي تنادي بعودة « البطل » . ولم يستطع الضباط الوقوف امام هذا المد الكاسح ، فيضطرون الى إعادة بيرون الى السلطة ، ولم يمض على اعتقالة اكثر من خمسة ايام ، فيعود منتصرا في ١٧ اكتوبر ، وهو يوم مازال «البيرونيون» يحتفلون به كل عام .

ويصبح الطريق ممهدا امام ايفا وبيرون ... المال والمجد والشهرة . بعدها باربعة ايام فقط ، في ٢١ اكتوبر ، يتوجان الانتصار وبداية شقهما لهذا الطريق معا ، بزواج سري ، ثم في ٢٤ فبراير ١٩٤٦ «ينتخب» بيرون رئيسا للجمهورية ، وتصبح هي المسئولة رسميا عن تنظيم الحركة العمالية ، ومن الآن فصاعدا تسيطر هي على النقابات واتحادها العام الـ « سي . جي . تي » . وتهتم في نفس الوقت بحقوق المراة ، فتمنح حق التصويت . ومن افضل منها يعرف معاناة المراة ، وخاصة في الريف ؟ لقد كان اعظم يوم في حياة ايفا بيرون ، عندما منحت المراة قانون حق التصويت في سبتمبر ١٩٤٧م .

وعندما اظهرت نيتها عام ١٩٥١ ، على ترشيح نفسها نائبة لزوجها رئيس الجمهورية ، ضغط الجيش بكل قوة ، فاجبرت على سحب ترشيحها .

لكن المرض لم يمهلها . ففي نوفمبر ١٩٥١ تقوم باجراء عملية سرطان ، في نفس الوقت الذي يعاد فيه انتخاب بيرون لفترة ثانية . ويشتد عليها المرض . وفي الرابع من يونية ١٩٥٢ ، تظهر لآخر مرة رسميا في احتفالات تنصيب بيرون رئيسا ، وفي ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ، تموت ايفا بيرون ، صاحبة هذه الحياة الحافلة . وهي لم تتعد الثالثة والثلاثين من عمرها .

وسرعان ما يطيح الجيش ببيرون عام ١٩٥٥ ، وكانه فقد من كانت تجلب له الحظ والتي ارتبط اسمها باسمه ، لكن البيرونية تستمر كقوة مؤثرة في المجتمع الارجنتيني، حتى يستطيع حزبه أن يعيده ، بعد أن عاش في المنفى ثمانية عشر عاما . كان قد تزوج في الخارج ، ولكنه يموت في العام التالي مباشرة لتوليه السلطة ، وكانما ارتبطت السلطة باسمه معها فقط . وتتولى زوجته مهام الرئاسة من بعده لكنها تفشل بدورها ولا تستطيع ان تكرر اسطـــورة « ايفـا » .

انقاذ البيرونية

اختار المؤلف « تشى » ليكون هو الشخص الذى ينقد البيرونية ، دون أن تبهره المظاهر السطحية للتجربة ، ودون أن تغره القشور . واختيار تشى ليس اعتباطا ، فهو قد عاش فى الارجنتين بالفعل ، إذ ولد فى يونيه عام ١٩٢٨ من عائلة متوسطة ميسورة ذات اصول اسبانية ـ ايرلندية . وسرعان ما تعانى عائلته ضائقة ماليـــة تضطر الصبى للعمل فى نفس الوقت الذى يدرس فيه . كان انذاك فى الثالثة عشرة من عمره . لذا تتفتح مداركه فى هذه السن المبكرة ، وينغمس فى العمل السياسى ، وينضم لاحدى التنظيمات الطلابية التى تعارض بيرون . ويدخل فى عام ١٩٤٧ كلية الطب بجامعة بيونيس ايريس ، ويشارك فى معارك الشوارع ضد البيرونية . وبعد أن يتخرج عام ١٩٥٣، يشعر انه لا يستطيع الفكاك من شعبية ايفا بيرون ، وبالتالى من البيرونية والنظام ، فيذهب إلى جواتيمالا ، ثم إلى المكسيك ، وهناك يقابل فيدل كاسترو ليدخل معه إلى هافانـــا على رأس جيش من رجال العصابات فى عـــام ١٩٥٩ .

وتبدا التجربة الكوبية مسارها ، ويتقلد تشى منذ البداية عدة وزارات ويصبح الشخصية الثانية

لكن تشى يترك المجد والسلطة والشهرة ويختفى فجاة عام ١٩٦٥ ، ليظهر فى احراش بوليفيا عام ١٩٦٦ ، لتنظيم حرب عصـــــابات هنـــاك . لـكن تحيط بـه

مسرحية إيفيتا الغنائية
وخمس سنوات على مسرح لندن!



يفا مع بيرون فوق المسرح عندما بدا نجمه يصعد

كافة القوى فى الغابات ، ويؤسر فى اكتوبر ١٩٦٧ ، ويقتل وهو فى التاسعة والثلاثين من عمره ، وسرعان ما يصبح أسطورة .

هذه هى الشخصيات الرئيسية التى أراد لها المؤلف أن تتقابل وتتصارع فى مسرحية « ايفيتا » الغنائية .

فكيف بعث المؤلف الحياة فى هذه الشخصيات على المسرح ؟

وكيف نسج الصراع طوال المسرحية ؟

وكيف استطاعت الأغنيات والموسيقى والرقصات ان تعالج هذه الأفكار

الفصل الاول

يفتح الستار عن جمهور احد دور السينما بالعاصمة بيونيس ايريس ، مساء ٢٦ يولية عام ١٩٥٢ ، بين الجمهور الطالب الارجنتينى الشاب « تشى » . وفجاة يتوقف الفيلم ، ويعلن أن ايفا بيرون « الزعيمة الروحية للامة ، قد دخلت الخلود » . وينتقل المشهد الى جنازة الزعيمة ، ويستعين المخرج بشاشة سينمائية فوق المسرح ، يستخدم فيها افلاما تسجيلية التقطت لايفا بيرون اثناء حياتها وذلك اثناء مشاهد المسرحية المختلفة . ويختار المخرج جنازة فخمة هى خليط من المروحية الفاتيكانية ، والسينمائية الهوليودية (اغنية « قداس جنائزى لايفيتا ») . جمهور غفير فى مهرجان غاية فى الابهة يصحبه عويل ونواح والناس تنتحب . اما تشى فهو الوحيد الذى لايشترك فى هذا كله (يغنى : « ياله من سيرك » !) . وخلال الاوبرا باجمعها ، يكون هذا هو دور « تشى » يلاحظ ويعلق فقط لا غير !

ثم يعود بنا المخرج بعد مشهد الموت ، إلى مشاهد من حياة « ايفيتا » ويبدا بعام ١٩٣٤ ، ويختار أن يبدأ بالنادى الليلى بمدينة جونين مدينة ايفا . (تصاحب المشهد اغنية « فى هذه الليلة ذات الألف نجم ») كانت ايفا فى الخامسة العشرة من عمرها . تسأل مغنى النادى الليلى ، اجوستين ماجالدى ان يصحبها الى العاصمة بيونيس ايريس ، المدينة الكبيرة التى تنبهر بمجرد التفكير فى العيش فيها . يمانع الفنان صديق الفتاة الصغيرة الغضة الاهاب لانه يخشى عليها من المدينة (يغنى لها : « ايفا : احذرى بيونيس ايريس ») . لكن ايفا تصمم ، فياخذها إلى المدينة الكبيرة

بعد ما تصل إلى المدينة تدخل حياتها وتصل إلى أسرارها ، ويكون اول ما تفعله هو التخلص من صديقها ماجالدى ، لتبدأ فى سلسلة من العلاقات

عام ١٩٤٣ ، الكولونيل جوان بيرون واحد من عدد من القادة العسكريين القريبين لكرسى الرئاسة الذى اثبت فى السنوات الاخيرة انه « وظيفة » غير امنة لشاغرها ، يختار المخرج هنا لعبة الكراسى الموسيقية ، عدة كراسى يدور حولها الضباط ويخرج الخاسر ، (على موسيقى اغنية « فن الممكن ») .

وفى إحدى الحفلات الخيرية التى يحييها ماجالدى الصديق القديم لايفا ، والمقامة لجمع نقود لضحايا زلزال ارجنتينى ، يتقابل بيرون وايفا ، ويكتشفان ان كلا منهما يليق بالآخر (اغنية « ساكون لائقة بك بشكل مدهش ») . ومن الآن فصاعدا تربط ايفا طموحاتها بالنجوم السياسيين ، لكنها تبدأ بعد ذلك فى علاقة وطيدة ببيرون فتذهب إلى شقته وتطرد صديقته منها لتقيم بدلا منها (تغنى الصديقة اغنية « حقيبة اخرى بصالة اخرى » !) . وتتحرك ايفا « إلى » حياة بيرون إلى درجة تثير



يفا فى اواخر ايامها



فى طريقها لاذاعة برنامجها الأخير بعد ان هدها المرض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



«ياله من سـيرك» .. المشـهد الاول من المسرحيـة التي تبـدا بجنـازة ايفا

حنق فئتين ظلتا عدوتاها حتى مماتها : الجيش والارستقراطيـة ، ويصورهمـا المخـرج طـوال أحـداث المسرحيـة بمجموعتين ، كل واحدة تتكون من تسعة او اثنتي عشرة . الضباط يرتدون الـزي العسكرى : بنطلون ابيض وجاكيت ازرق وحزام ذهبي وقبعة عسكرية بيضاء بشريط احمر ، ويضعون جميعا نظارة سوداء ، كل منهم نسخة من الآخر ، لا يمكنك التفرقة بينهم ، ويسيرون بالطريقة العسكرية ، والخطوات المحكمة ، كل منهم تماما مثـل الآخر . ثم يسيرون جميعا خلال الاغنيـة التى يقدمونها بنفس الخطى العسكريـة المنظمة ، فتشعر انهم دمى او زمبركات .

اما المجموعة الارستقراطية فهى مكونة من مجموعة رجال ونساء صغار السن وعجائز ، لكنهم يرتدون الملابس الانيقة ويسيرون فى طوابير ، كل واحد يؤدى حركة ارستقراطية محسوبة

تردد المجموعتان بعد ظهور ايفا فى حياة بيرون اغنية « شعلة بيرون الأخيرة »

وعندما يدلهم الموقف السياسى ، تكون ايفا هى التى تشجع بيرون وتدفعه إلى الأمام ليصعد سلم المجد

الفصل الثانى

يتحقق طموح ايفا ، ومن شرفة قصر كاسا روسادا فى يوم الاحتفال بتنصيب بيرون فى ٤ يونية ١٩٤٦ ، تحتشد الجماهير تحييها وتستقبلها استقبالا حافلا اكبر من استقبال بيرون ، وذلك خـلال خطابها العاطفى الـذكى « لا تبكى من اجلى يا ارجنتين » واثنـاء احتشاد الجماهير تمارس الاجهزة البوليسية اعمالها ضد « تشى » تحت سمع بيرون وبصره .

« تشى » يسال « ايفا » عن نفسها وعن نجاحها ، لكن تقابله بغير حماس (اغنية « السيدة الطائرة فى السموات العليا ») ، كان اهتمام ايفا الأساسي ينصب على رحلتها المقبلة الى اوربا . وعندما تعود إلى الوطن ، تقرر ان تركز على الشئون الداخلية وحدها ، بعد ان تواجه نقدا عنيفا من مجتمع بيونيس ايريس (اغنيـة « الممثلة لم تردد الأسطر التى ينبغى ترديدها ») . وفى نفس الوقت يشـير « تشى » أن النظام لم يفعل شيئا ، او لم يفعل الا القليل لتحسين حالة من تدعى « ايفا » انها تمثلهم .

وتبدا « ايفا » فى تاسيس « مؤسسة ايفا بيرون » (اغنية «واخذت النقود تلف وتدور ») وهو مشروع لم يستفد منه الاقتصاد القومى الكثير رغم انه رفع ايفا إلى مستوى عظيم فى اعين هؤلاء الذين استفادوا من المشروع (اغنيـة القديسة « ايفيتا ») . هنا تكون المواجهة كاملة بين « تشى » و « ايفيتا » . ويسـخر من الذين يحبونها ، ويحاول ان يسالها حول اهدافها وحول الجانب السيىء من الادارة البيرونية (أغنية « فالس «لايفيتا» و «تشـي») . تجيبه إجابة براجماتية : « الشر يحوم حولنا » . تكون قد ايقنت انها مريضة .

وتصل المشاعر المعادية لايفيتا فى الجيش إلى مستويات جديدة ، ويعـدد « تشى » السقطات الأساسية للبيرونية ، ويحاول بيرون ان يبرر سيطرتها على المجتمع الارجنتيني ، ثم يشير إلى مرضها . (اغنية : « إنها جوهرة ») .

يناقش بيرون وايفا الوضع السيىء : فهو يفقد قبضته على الحكومة ، وهى تفقد قوتها . وترفض ايفا الاستسلام للمرض وتقرر أن تصبح نائبة لرئيس الجمهورية (اغنية « الزهر يتدحرج ») .

لكن معارضة الجيش تتزايد ، والاهم من ذلك ان المرض « يهد » حيلها ، فتعلم انها تموت ، فتقوم باذاعة للأمة ، وترفض منصب نائب رئيس الجمهورية ، وهو منصب تعلم تماما انها لم تكن لتستطيع الحصول عليه . (اغنية « إذاعة ايفـا الاخيرة ») .

وتتوارد على ذهنها الخواطر والاحداث والناس فى ساعاتها الاخيرة ، بينما الامة فى احزان بلا حدود ، فقد اصبحت فى اعين الناس قديسة وليس اقل من هذا ، وعندما تصل حياتها إلى قرب النهاية تعجب اكانت ستكون اكثر سعادة إذا لم تتطلع إلى المال والمجد والشهرة ، وعاشت كاى انسان عادى .. (اغنية « النواح ») . « تشى » يراجع حياتها القصيرة فى نفس الوقت ، وإن كان يصل إلى نتائج مختلفة .

ثم ينزل الستار .

المسرح وبساطة الديكور

ورغم إمكانيات المسرح الهائلة ، إلا ان مخرج المسرحية « هارولد برينس » استخدم الديكورات البسيطة للغاية ، أما الايحاء بالفخامة والابهة فكان باستخدام الملابس والفراء بالنسبة لايفا .. الأداء هو الذى كان عظيماً بالاغاني المعبرة « ستيفاني لورانس » في دور ايفا وهي قد توارثت الفن من عائلتها ولعبت ادوار البطولة في مسرحيات عديدة

أما دور « تشى جيفارا » فقد قام به مارتن سميث ، وهو أيضا كاتب اغـان ، وان لم يكتب اغانى هذه المسرحية بالذات . اما دور ماجالدى فقد قام به كليفتون تود ، وهو ينحدر من عائلة فنانين ، فوالده هو نافخ البوق الشهير إيريك تود . اما دور جوان بيرون فقام به أوز كلارك .

مجدى نصيف

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

حدائق الأطفال

بقلم : الدكتور عزالدين فـــراج

بما ان العقل السليم في الجسم السليم ، فيجب ان يهيأ للطفل سبيل للحركة واللعب في اوقات فراغه خارج المدرسة ، بما يشبع رغباته وأهواءه في اماكن بعيدة عن الاتربة ومرور السيارات والعربات ، إذ ان ذلك ضروري لصحته ونمو جسمه وذو اثر فعال في تحسين حالته العصبية والنفسية ، ولذلك انشات دول اوروبا كثيراً من الحدائق الخاصة بالأطفال الذين لا تزيد اعمارهم عن خمس سنوات ، ولا يرتادها من الكبار إلا من يصاحب هؤلاء الأطفال ، واخرى تخصص للذين تتراوح اعمارهم ما بين الخمس سنوات والخمس عشرة .

وهذه الحدائق تصمم بما يوافق الاطفال ويشبع غرائزهم واهواءهم حيث يلعبون فيها ويرتعون متمتعين بصفاء الجو وحرية الحركة ، مما يفيد الاطفال صحيا ومعنويا .

أما في بلادنا فالطفل محروم من ذلك تماما سواء في المنزل او في خارجه فقد وضعت تصميمات المنازل واثاثها بما يتناسب مع الكبار فقط حتى اصبح الطفل حائراً لانه لا يجد ما يمكنه من اشباع غرائزه وكذلك الحال في الحدائق العامة فكل ما بها وضع تصميمه ونسق بما يلائم الكبار فقط واهملت رغبات الأطفال بما لا يسمح بلهوهم ولعبهم .

وفي حدائق الأطفال باوربا يخصص اجزاء من الحديقة ، يقوم الأطفال بزراعتها بالابصال الزهرية والأزهار المختلفة تحت اشراف مربية لهم فيتفتح امامهم طريق جديد للتسلية لم يالفوه من قبل علاوة على تهذيب اخلاقهم وتثقيفهم .

القواعد العامة في تصميم حدائق الأطفال

وسنورد فيما يلي القواعد العامة التي ينبغي مراعاتها في تصميم وتخطيط حدائق الأطفال :

المدخل : يفضل عمل سياج قصير عند حدود الحديقة الخارجية لاكساب الحديقة السرية المرغوبة ولوقاية الأطفال من اخطار الطريق ، ويفضل ان يكون السياج من الحديد وبعض الشجيرات المزهرة مثل اللانتانا والجهنمية .

السياج

يجب ان يكون المسطح الاخضر خاليا من احواض الزهور ليكون مجالا متسعا لجري الاطفال ولعبهم ، ويفضل في زراعة مسطحات حدائق الأطفال النجيل عن البيبيا لما ترسله الاخيرة من جذور تشبه الحبال قد تعوق سير الأطفال الذين في طور الحبو فضلا عن ازهارها البيضاء التى تجذب النحل اليها مما قد يؤذى الأطفال .

ومن الاهمية بمكان ان تكون حواف المسطح بميل غير ملموس مع الامتناع عن عمل بردورات من المباني خوفا من وقوع الاطفال على حوافها الحادة ، كما يتجنب تغطية المسطحات الخضراء بالسيلة نظرا لتسببها في اصابة الاطفال بمرض التيتنوس .

وينبغي ايضا ان تكون هذه المسطحات معرضة تماما لاشعة الشمس مع وجود اركان مظللة بها شتاء ، وبذا يكون مثل هذا المسطح صالحا للعب الأطفال طول اليوم وعلى مدار السنة .

الزهور والأشجار والشجيرات

ويزرع بعض الشجيرات المزهرة حتى تضفي على الحديقة منظراً جميلا ، ويجب ان تكون مواسم ازهارها مختلفة حتى تكون مزهرة في معظم السنة . ويتجنب زراعة الشجيرات التي تفرز مادة لبنية مثل بنت القنصل وذلك لخاصيتها السامة وضررها على العيون ، كما يتجنب ايضا زراعة الشجيرات ذات الأشواك كالورد وانواع الصبار .

ضروريات حديقة الأطفال

ويحسن دائما أن تزود حدائق الاطفال بكل ما يجلب التسلية لهم ، وان يتوفر بها اغلب الأدوات الرياضية التي تتناسب وتتلاءم مع اعمـــار وحالة الاطفال الذين يرتادون تلك الحدائق .

ويعتبر الرمل من احسن ما يغري صغار الأطفال على اللعب البريء ومنه يبتكرون الاعيبهم وتسليتهم ، لذلك يجب الا تخلو حديقة الأطفال من مسطح من الرمال البيضاء النظيفة عديمة الحصي الخالية من الاملاح كما يجب الا يقل عمق الرمل في هذا المسطح عن ٤٠ ـ ٥٠ سم كما يراعى اقامة عدة اراجيح مناسبة بفرش تحتها طبقة من الرمل السميك .

ومن الأهمية بمكان وجود دورة مياه بسيطة في حدائق الاطفال لقضاء حاجاتهم .

هذا ويعتبر من الاشياء الضرورية في حدائق الأطفال وجود اكشاك خشبية او برجولات تغطى بالمتسلقات كالياسمين البلدي او شبر فايد للتظلل تحتها ، كما يجب ان تزرع في جميع اجزاء الحديقة مقاعد ثابتة من الرخام او الأخشاب المشقوقة على ان يكون بعضها مظللا بمظلات تكسوها المتسلقات او في ظل اشجار كبيرة .

ARCHIVE
http://archive.sakhrit.com



لابد ان تكون الطرق في حدائق الاطفال مرصوفة ، لان الطرق الترابية تسبب اتساخ ملابس الإطفال .



هكذا تبدو حديقة الاطفال منسقة وجميلة وجذابة بعد الانتهاء من اعدادها بالصورة المناسبة

المنشآت المائيـة

يفضل حفظا لحياة الأطفال من الخطر ، تجنب عمل منشآت مائية كالبرك والفسقيات واحواض المياه في حدائق الاطفال ، ولكن لما كان للماء المنبعث من الفسقيات والتموجات الخفيفة في سطح ماء البرك الناشئة عن الرياح او وجود أسماك الزينة الملونة وانغماس كل ما هو قريب على سطح الماء الشفاف وخرير المياه ولمعانها تاثير ساحر في النفوس فضلا عن اكساب الحديقة حياة ظاهرة جلية وايجاد منبع لا نهائي من التنوع ــ فانني ارى ضرورة عمل المنشآت المائية على ان تكون ذات حافة عالية او تحاط بشبكة من السلك غير الشائك وتحاط بعدد من المقاعد ، وبذلك يتسنى للاطفال الاشراف والتمتع بمنظر الماء اثناء لهوهم دون ان يخشى عليهم من خطر الوقوع في الماء .

ويحسن في حدائق الاطفال انشاء مسابح للطيور الصغيرة لاغرائها على ان ترد إلى هذه الحدائق ، لان في ذلك مجلبة لسرور وانشراح الأطفال .

ارجوحة الأطفال

يشترط في موضع الأرجوحة في الحديقة ان تكون بعيدة عن المباني والاشجار ، منعاً من تصادم الصغار بها ، اثناء تارجحهم فقد ينشا عن هذا التصادم كثير من الضرر لهم .

مستلزمات الأرجوحة	
المواد والأجزاء	البيانات
لوحان طوليان	طول كل منهما ١١ قدما ، وعرض كل ٥ر٢ بوصة
لوح عرضي	طوله ٤ قدم ، وعرضه ٥ر٢ بوصة
اربع أوتاد جانبية	طول كل ٥ر٤ قدما ، وعرضه ٥ بوصات ، وسمكه ٥ر١ بوصه
حبلان	طول كل منهما ٦ قدم
مقعد	مثبت في نهاية الحبلين في وضع افقي
وتثبت الأجزاء السابقة كما هو موضح في الرسم	

مرجيحة للاطفال

ما يجب مراعاته في وضع الأرجوحة

(١) تثبيت القائمتين الراسيتين (اللوحين الطوليين) بالقائمة العليا الأفقية وبالأوتاد الجانبية بمسامير كبيرة

(٢) غرس ما لا يقل عن ٥ر٢ قدما من القائمتين الراسيتين تحت سطح الأرض

(٣) يجب أن تكون الحلقة الحاملة للحبل مستديرة غير مفتوحة حتى لا ينزلق الحبل منها ، فيعرض الاطفال إلى الخطر .

http://Archivebeta.Sakhrit.com



وجوه بيكار الخمسة

بقلم : صبحي الشاروني

« ليس من مبادئنا تعدد الوظائف ، لذلك انت مطالب بتطليق إحدى وظيفتيك ؟ وانا اريدك ان تطلق وظيفتك الحكومية فوراً وتتفرغ للصحافة . إن مكانك هنا في « اخبار اليوم ... » » .

كان هذا هو الطلب المفاجيء الذى عرضه « علي امين » على الفنان حسين بيكار عام ١٩٥٩ طالبا منه ان يستقيل من عمله كرئيس لقسم التصوير الزيتى بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة .. وكان هذا الطلب امتحاناً صعباً للفنان الذى يعتبر كلية الفنون هى البيت الذى تعلم فيه ثم عاد اليه استاذاً ، وارتبطت كل علاقاته وصداقاته بهذا البيت .. فكان هذا الامتحان قاسيا للغاية ..

يقول بيكار : « لقد امهلنى اسبوعا للتفكير وكان أصعب اسبوع مر بي في حياتي ، فليس من السهل ان اهجر شريك عمر احببته وعاصرته ثلاثين عاماً دون ما سبب ، لكنه بعد ثلاثة أيام طلبتي وقدم لى ورقة مذيلة بامضائه ، وقال اكتب شروطك ، وبهذا التصرف سلبنى ارادتى ، وفى اليوم التالى كانت استقالتى فوق مكتب العميد » .

بعدها أصبح بيكار سندباداً صحفياً يسافر الى بلاد العالم حاملا قلمه وريشته ليعود بانطباعاته وتحقيقاته مكتوبة ومرسومة ، لقد استبدل الكاميرا بالريشة والالوان . وكان أدب الرحلات جديداً في الصحافة العربية واشتهر اسم بيكار وأصبح نجماً يردد اسمه كل القراء حيث احتلت رسومه الملونة أغلفة المجلات التى كانت تصدرها الدار فى ذلك الوقت .

لكن الفنان الذى طلب منه أن يملى شروطه لم يكن فى بداية حياته الفنية ، كان هذا



لوحة مستمدة من الأساطير والحكايات القديمة

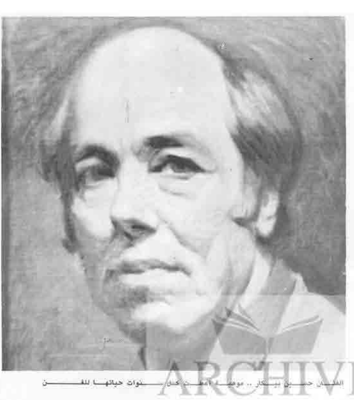

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجه من المغرب

الموقف تتويجا لموهبة اكتملت بالعمل الشاق والاصرار على التفوق والنجاح مع انصراف كامل للعشق الاكبر فى حياته وهو الفن .

ولد حسين امين بيكار فى ٢ يناير ١٩١٣ بحى الانفوشي بالاسكندرية ، ولم يتصور احد ممن عاصروه فى صباه انه سيكون رساما فيما بعد ، كان يبدو للجميع انه سيختار طريق الموسيقى والغناء .. ولكن يبدو أن ارادة الأسرة احيانا تولد الثورة ضدها عند الابناء .. صحيح ان هوامش كتبه ودفاتره امتلأت بالرسوم واحب كتاب القراءة المزين بالصور اكثر مما عداه ، لكن موهبته في العزف على العود كانت فخرا لأسرته وهو في الثامنة من عمره حتى ذاع صيته فى الحي كطفل معجزة ، وبدات تطلبه ، الاسر الثرية ليعلم بناتهن الموسيقى ، فقد كانت دروس الموسيقى للشابات جزءا من المظاهر الارستقراطية فى حقبة العشرينات وما بعدها بمصر .

لقد حصل على الشهادة الابتدائية من الاسكندرية ثم انتقل مع اسرته إلى القاهرة عام ١٩٢٨ ليلتحق بمدرسة الفنون الجميلة العليا (كلية الفنون الجميلة حاليا) وكانت فى ذلك العام قد اصبحت تابعة لوزارة المعارف بعد عشرين عاما من انشائها ظلت خلالها معهدا خاصا ينفق عليه الامير يوسف كمال .



الفنان حسين بيكار .. موهبة أعطت كل سنوات حياتها للفن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كانت بعثات الجيل الرائد من الفنانين المصريين قد سافرت عام ١٩٢٥ إلى ايطاليا وفرنسا على نفقة الدولة ومدرسة الفنون الجميلة تنتظر عودتهم ليحتلوا اماكنهم فيها فدرس بيكار على ايدي الاساتذة الاجانب حتى عام ١٩٣٠ ثم على يد احمد صبري بعد عودته من فرنسا مع زملائه الرواد وكان احمد صبرى يعزف الموسيقى ويهوى الغناء مع تفوقه واستاذيته فى فن التصوير الزيتى ، وهكذا جمع حب الموسيقى واحتراف الرسم بين الطالب بيكار واستاذه احمد صبرى ، واخلص التلميذ لتعاليم استاذه فكان خير خلف .. وتخرج بيكار عام ١٩٣٣ ليلتحق لمدة عام اخر بدراسة تربوية حصل فى نهايتها « على شهادة الاهلية لتعليم الرسم » عام ١٩٣٤ ـ وهو نفس المؤهل الذى حصل عليه الفنان الراحل رمسيس يونان احد رواد السريالية فى مصر ـ وتدرج مدرسا بالمدارس الابتدائية حتى عام ١٩٣٦ حيث انتقل الى التعليم الثانوى بمدرسة قنا الثانوية وهناك التقى « بالطالب صلاح عبد الكريم » ـ عميد كلية الفنون الجميلة بالقاهرة حاليا ـ وكان بيكار هو الذى شجعه على المضي فى طريق الفن .

وبعد عامين انتدب للتدريس بمراكش حيث قضى ثلاث سنوات بالمعهد الخليفى بمدينة « تطوان » .

عاد الفنان عام (١٩٤٢) الى القاهرة ليعمل فى كلية الفنون الجميلة . معاونا لاستاذه « احمد صبرى » الذى كان رئيسا « للقسم الحر » ـ وهو القسم الذى كان يلتحق به الهواة دون التقيد بسن معينه او دراسة سابقة ـ ثم تولى بيكار رئاسة هذا القسم ، ثم انتقل إلى القسم النظامى بعد ان احيل استاذه احمد صبرى إلى التقاعد .. وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٥٩ عندما فاجاه « علي امين » طالبا منه تطليق وظيفته الحكومية ، فاستقال ليتفرغ للعمل الصحفى رسما وكتابة ، حتى أصبح المستشار الفنى لدار اخبار اليوم .

• • •

اطل الفنان بيكار على جمهوره من خمس نوافذ ، كل نافذة كانت كفيلة وحدها ان تجعل منه نجما معروفا ، لكنه فنان متعدد المواهب ، بل وتعمد اغلاق نوافذ اخرى كان يستطيع ان يطل منها ايضا على الناس العزف والغناء ، لقد اكتفى بالنوافذ التى تفتحها الصحافة والكتاب خاصة ما يتصل منها بفنه وريشته .

بيكار والأطفال

كان الرسم للطفل هو اول وجه متميز من وجوه هذا الفنان ، وكان رائدا فى هذا الميدان .

لقد كانت مجلة سندباد التى اصدرتها « دار المعارف » فى الاربعينات تنهض على كتفه ، حيث تولى رسم اغلفتها وقصصها المصورة المسلسلة .. فى ذلك الوقت لم يكن هناك فى عالمنا العربى من يستطيع النهوض بهذا العمل غيره ، وعلى يديه تدرب جيل من الفنانين وبدات صحافة الاطفال تشق طريقها على أيدي تلاميذه الذين تعلموا منه او شاهدوا رسومه فى طفولتهم .. ولقد اعلن بيكار اكثر من مرة ان الرسوم التى يتعرف عليها الطفل هى الموجه الرئيسى لذوقه الفنى عندما يشب عن الطوق « وهى التى وجهته هو شخصيا الى احتراف الفن عندما استحوذت على حواسه خلال دراسته لكتاب المطالعة » .. ومن هذا المنطلق اهتم بصحافة الاطفال

وكتبهم وانشغل بهذه المهمة ردحا من الزمن ، هذا بالاضافة الى سبعة كتب للاطفال قام برسمها وتصميم اغلفتها وكلها صدرت فيما بين عامي (١٩٦٤ و ١٩٧٢) .

رسام الأغلفة

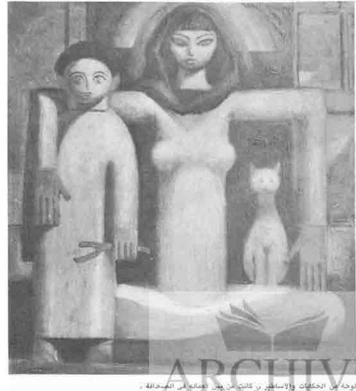
اما الوجه الثانى من اوجه بيكار الفنية فهو « غلاف الكتاب » لقد اسهم فى تطوير هذا الفن الى جانب الرسوم التوضيحية والصحفية ، فمع تطور الطباعة بالالوان ومع ازدياد الاهتمام بغلاف الكتاب والحرص على ان يكون ملونا مبهرا ، خاض بيكار هذا الميدان بعد ان كانت اغلفة الكتب تقتصر على اسم الكتاب واسم مؤلفه دون اية زخارف او رسوم .. ولقد تفوق بيكار فى هذا المجال حتى كانت تنهال عليه الطلبات فيحيل بعضها الى تلامذته المتفوقين عندما تكون اكثر من طاقته .

معلم الرسم

ليس المقصود هنا الفترة التى قضاها مدرسا للرسم بالمدارس المصرية والمغربية ، وانما استاذيته للفنانين وللجمهور العريض من متابعى رسومه وكلماته ، لقد تخرج على يديه جيل من كبار فنانى مصر ، ثم ساهم بكلماته واحاديثه الاذاعية والتليفزيونية فى نشر الوعى الفنى وتعريف الجمهور بالقيم الجمالية فى معارض الفنانين ولوحات الفن العالمى ، انه يحرص على الالتقاء بقرائه صباح كل يوم جمعة اسبوعيا وبانتظام ليعرض فى بابه « الوان وظلال » بعض دروسه فى التذوق الفنى باسلوب صحفى جذاب يتناسب مع قارىء الجريدة اليومية ، مركزا على التجارب الناجحة والاعمال المتفوقة ، ونادرا ما يوجه نقدا او هجوما . الا فى حالات فساد الذوق الصارخة .. وفى جميع كتاباته يقف موقف الأستاذ المعلم الذى يبسط ويعرض فى وضوح اعقد المشكلات وادقها . اما نشاطه الجامعى فلا زال قائما متمثلا فى اشتراكه فى مناقشة رسائل الماجيستير والدكتوراه حتى بلغ عدد الرسائل التى شارك فى مناقشتها ١٧ رسالة مقدمة الى كليتى الفنون الجميلة والتربية الفنية .

الشاعر بيكار

إن الفنان الذى تفوق فى الموسيقى منذ الطفولة .. وانشغل بالايقاع والنغم وقام بتعليم الطلاب التكوين فى اللوحة وتناغم



لوحة من الحكايات والاساطير ، كانت من بين اعماله فى الصحافة .

الالوان وتناسقها ، تاثر فى اعماله بهذه العلاقات الجمالية ، فكان احد وجوهه هى « قرض الشعر » .. وقد حرص زمنا طويلا على اغلاق هذه النافذة لا يطل منها على الجمهور تماما كما اغلق نافذتى العزف والغناء ، ولكنه عاد بعد تردد وفتح هذه النافذة منذ سنوات واطل بوجهه « الرابع » منها على قراء مقاله الاسبوعى عندما راح يعبر بالرسم والنظم عن موضوع من الموضوعات التى تشغله مرة كل اسبوع .. وقد اصدر كتابا بعنوان « صور ناطقة » جمع فيه رسومه واشعاره التى كان يلتقى من خلالها بالقراء اسبوعيا .. ونحن فى انتظار الكتاب الثانى عندما تتجمع لديه مادة كافية .

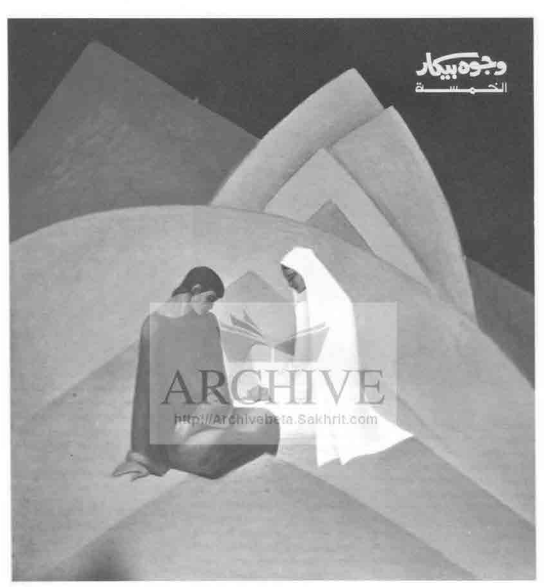
اما الوجه الخامس لهذا الفنان فيطل علينا من نافذة التصوير الزيتي التى يعرفها رواد المعارض الفنية « واصحاب الوجوه » الذين يفوزون بالجلوس امامه ليرسمهم ، إنه رائد من رواد الجيل الثانى فى الحركة التشكيلية المصرية ، صحيح انه تتلمذ على يدى الأستاذ الكبير احمد صبرى .. ولكن بعض التلاميذ يتفوقون على اساتذتهم ، وهذا يصدق على فناننا ..

فى عام (١٩٣٣) عندما تخرج الفنان فى كلية الفنون شارك فى اقامة متحف الشمع ، وكان هذا المتحف يضم وجوها وموضوعات من البيئة مطابقة للواقع كل المطابقة ، ولا تزال بعض محتويات هذا المتحف التى شارك بيكار فى صياغتها معروضة حتى الآن بالمتحف الزراعى بحى الدقى فى القاهرة .

من هنا نستطيع ان ندرك الاتجاه الوصفى الذى بدأ به الفنان حياته ، لقد كان مخلصا للطبيعة قادرا على نقلها بامانة وتفوق حتى قال عنه البعض انه بدأ باسلوب أكاديمى متطرف ، لقد تعلم من استاذه فن رسم الوجوه الشخصية « البورتريه » وأصبح واحدا من اشهر اربع فنانين مصريين متخصصين فى هذا الفن الآن .

وقد اعلن « بيكار » مفهومه للواقعية عندما قال :

« ان الواقعية ليست تسجيل المظهر الخارجى للاشياء . ولا هى تسجيل الاحداث التى تمر بالمجتمع تسجيلا حرفيا ، فهذه هى مهمة الكاميرا لا الرسام .. ان مظاهر الاشياء لا تدل على واقعها إنما هى النظرة القشرية التى لا تتجاوز السطح او اللحظة التى تؤخذ فيها الصورة . بينما لوحة الرسام التى يبدعها بنبض قلبه وعقله ، فتتسم بالشمول ،



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لوحة زيتية من مجموعة الفنان التى تبهرنا باسلوبها الذى يميل الى تبسيط الخطوط والدرجات اللونية

لما تضمه من عمر باكمله ، وتحليل نفسى لاعماق الشخصية . إنها ايضا ثمرة علاقة فكريه ووجدانية بين الرسام والمرسوم .. حياةتغوص فى اغوار حياة .. وبصيرة تكشف النقاب عما يدور تحت السطح .. »

هذا هو مفهومه لفن البورترية الذى لا يمكن ممارسته بالأساليب الحديثة ، وقد تفوق فيه واجاد لأنه لا يتقيد بالشكل الذى امامه كما لو كان قطعة من الأثاث وانما ينطلق منه ليعبر عما فى نفسه من انفعالات ، بينما يلتزم بما تحمله الملامح من مقومات شخصية ينفرد بها صاحب « البورترية » .

ان اعماله تفيض احساسا بالحيوية والحرارة التى تذكرنا باعمال الرومانسيين الأوائل فى هذا الميدان .

إن « بيكار » ذو مهارة خاصة فى تحديد الملامح ، حساسية شديدة تجعله يتعمق فى الشخصية التى يرسمها .. لكنه الى جانب هذا التخصص الدقيق له لوحاته الزيتية الموضوعية التى يرسمها باسلوب يميل الى التبسيط.تبسيط الخطوط والاقتصاد فى الدرجات اللونية .. إنه عندما يرسم لوحاته الزيتية للموضوعات يقترب من اسلوبه فى الرسوم الصحفية الملونة ، مع مراعاة القيم الجمالية كالايقاع والتوازن والتكامل والتدرج اللونى المبهج للعين ، مستخدما طريقا رمزيا فى التعبير عن افكاره

عام ١٩٧٧ بمعرضه للصور الشخصية التى رسمها ، إنه يهتم بتقديم هذا الانتاج لجمهوره وتلاميذه رغم انه عادة يجمع اللوحات التى يشارك بها من بيوت اصحابها الذين يفخرون باقتنائها .. فأعماله موزعه بين المتاحف والمجموعات الشخصية ولا يملك منها فى بيته الا القليل .

ولقد أختير بيكار فى عام ١٩٥٨ ضمن خمسة فنانين مصريين اختيرت لوحة لكل منهم لتحفر على الكريستال فى مصنع « ستيوبن » بالولايات المتحدة الامريكية ..

وعند انعقاد المؤتمر العالمى الاول للفنون التشكيلية فى بلغراد عاصمة يوغسلافيا عام ١٩٥٧ كان بيكار ممثلا للفنانين المصريين فى هذا المؤتمر .

وقد فاز بجائزة فن التصوير الزيتى الأولى على الجناح المصرى فى معرض بينالى الاسكندرية الثانى فى عام ١٩٥٧ .. وعرضت أعماله فى معرض خاص بدمشق عام ١٩٥٩ .

ومن الجدير بالذكر انه اقتحم ميدان السينما برسومه للفيلم التسجيلى عن معبد ابى سمبل « العجيبة الثامنة » للمخرج الكندى جون فيني ومدته ٣٠ دقيقة .... حيث رسم بيكار مجموعة من اللوحات التوضيحية لتصور العلماء لكيفية بناء المعبد ، والطقوس التى كانت تؤدى فيه ، وقد بلغ عددها ٨٠ لوحة .. بينما يصور باقى الفيلم عملية نقل المعبد بكامله فوق الهضبة لانقاذه من الغرق تحت مياه بحيرة - ناصر » .

هذا وقد شارك الفنان فى قيادة الحركة الفنية وتوجيهها بعضويته فى لجنة الفنون التشكيلية بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب حتى إلغاءه ، ثم اصبح مقررا للجنة الفنون التشكيلية بالمجلس الأعلى للثقافة حتى استقال فى يناير الماضى « ١٩٨٢ » .. وهو عضو بالمجالس القومية المتخصصة ويجيد الانجليزية والفرنسية والاسبانية مع قليل من عدة لغات أخرى بالاضافة الى لغته العربية . وقد اتسعت زياراته التى شملت معظم بلاد العالم من اجل كل هذا استحق بيكار الأوسمة الاتية .

- وسام العلوم والفنون من الطبقة الاولى (١٩٦٧) .
- جائزة عبد الناصر (١٩٧٥) .
- الشهادة التقديرية فى الفنون (١٩٧٨) .
- جائزة الدولة التقديرية فى الفنون (١٩٨٠) .
- وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى (١٩٨٠) .

هذا بخلاف وسام « الاعتزاز » الذى ناله من الحكومة « الخليفية » بالمغرب عام (١٩٤١) .

صبحى الشارونى



صورة شخصية .. عبر فيها عما تحمله الملامح من مقومات شخصية انفردت بها صاحبة اللوحة

.. إن لوحاته هى ابتسامات هادئة تثير الاحساس بالتفاؤل والمحبة . وتبهرنا بما يحققه من تنسيق شكلى فى الالوان باستاذية متمكنة وشاعرية رقيقة .

الأوسمة والجوائز

إن كل عمل فنى ناجح يحسن الجمهور استقباله هو « وسام » على صدر الفنان الذى ابدعه .. وحياة بيكار الفنية هى سلسلة من الأوسمة والجوائز يمنحها له الجمهور بكرم شديد .

ورغم كل مشغوليات الفنان واعبائه ، فهو يحرص دائما على المشاركة باعماله فى المعارض العامة المحلية والدولية ، فضلا عن معارضه الخاصة المحدودة التى بدا إقامتها مؤخرا منذ



يناير كان ثلاثين يوماً !

بقلم : عادل شريف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يناير هو اول شهر من شهور السنة الميلادية . وقد اشتقوا اسم يناير من « يانوس » وهو طبقا للأساطير احد الهة روما الوثنية .. وكان يانوس إله الأبواب والبوابات و « بداية » الأشياء .. ولذلك اختاروه بداية للعام في التقويم الجولياني .. وفي مراسمهم وطقوسهم الوثنية .. كان الرومان يصلون للإله « يانوس » قبل اي إله اخر .. حتى قبل صلاتهم لكبير الآلهة « جوبيتر » .. وكانوا يسمون (يانوس) رب الأبواب .. ويحتفلون به في التاسع من يناير .. ويقدمون الكباش قربانا على مذبحه ! . والغريب ان صورة الإله « يانوس » كانت تظهره بوجهين .. احدهما متجه للامام والآخر للخلف .. ويحمل في يديه مجموعة من المفاتيح وصولجانا ! واقاموا له فيما بعد تماثيل باربعة وجوه .. يتجه كل واحد منها إلى جهة من الجهات الأصلية ! . والأغرب ان أبواب معبده في روما كانت تفتح ايام الحروب .. وتغلق في ايام السلام !! .

وطبقا للأساطير اضاف « نوما بومبيليوس » شهري يناير وفبراير إلى نهاية التقويم الروماني ذي الشهور العشرة في حوالي عام ٧٠٠ ق.م وجعل يناير ثلاثين يوما .. فقط ! وجعله الشهر الحادي عشر في السنة .

واستمر الحال على ذلك المنوال حتى عام ٤٦ ق . م . عندما اضاف يوليوس قيصر يوما الى ايام يناير الثلاثين .. ونقل شهر يناير الى بداية التقويم .

واطلق أهل الشمال الأوروبي (في سكندناوه) اسم « ثور » وهو إله الرعد والعواصف في معتقداتهم الوثنية على شهر يناير لانه كان شهر « الزمهرير » وهو شدة البرد !

اما الشعوب الانجلوسكسونية فاطلقت على شهر يناير اسم « وولفمونت » اى « شهر الذئب » لأن الذئاب كانت تهاجم القرى في يناير بحثا عن الطعام .

ايام ... مشهورة !

وفي نصف الكرة الارضية الشمالي .. يشكل يناير ابرد شهور العام في العادة .. وبعيدا عن زخات الأمطار والبرد (بتسكين الراء) والبرد «بفتح الراء».. فان الهدوء يسود .. لأن هجرات الطيور تشحب .. وتنام الكثير من الحيوانات طيلة الفترة المعروفة باسم (البيات الشتوى) ويتوقف نمو النبات استعدادا للنماء في الربيع التالي .

وعلى العكس من هذا .. فان النصف الجنوبي من العالم يعيش فترة دفء او سخونة حسب اختلاف المكان .. وبعده عن خط الاستواء .. ويتصاعد نمو النباتات ويتزايد نشاط الحيوانات .

وتحتفل الدول المسيحية باول يوم من يناير باعتباره غرة العام الجديد ويسميه العرب (راس السنة الميلادية) وتحتفل طوائف مسيحية مختلفة بايام ٦ ، ٧ ، ١٢ وبليلة ١٢ يناير .. وهو العيد الذى يسمونه (حضور الحكماء) ويسميها البعض « الليلة الثانية عشرة » او « الكريسماس الصغير » اى عيد الميلاد المجيد الصغير ..

وفي منتصف يناير يحتفل الهندوس في كل ارجاء شبه القارة الهندية بعيد « ماكارا سانكرانتي » وهو عيد الاستحمام الكبير . ويحاول الهندوس في ذلك اليوم الاستحمام في نهر الجانج لو استطاعوا الى ذلك سبيلا .. فهو في نظرهم « النهر المقدس » .. اما السعيد منهم فهو الذى يستطيع الاستحمام عند مدينة الله اباد حيث يلتقي الجانج مع نهر جومنا !

وزهرة اللبن الثلجية هى رمز شهر يناير .. فهى تترعرع وتزهر في عز الزمهرير !

اما العقيق الاحمر فهو مايفضله يناير .. من جواهر ! فالاساطير الوثنية القديمة .. تربط حتى مابين الشهور .. والاحجار الكريمة !

احداث هامة

وعلى مر الايام وكر الاعوام .. وقعت احداث هامة في يناير .. وها هى امثلة منها

● في اول يناير ١٨٦٣ اصدر الرئيس الامريكي ابراهام لينكولن محرر العبيد بيانه الشهير « إعلان تحرير العبيد » .

● في اول يناير ١٩١٣ بدأت مصلحة البريد الأمريكية نقل الطرود .. وهى عملية ركيزية في الاقتصاد الوطني المحلي .

● ولد شيشرون اشهر ساسة الامبراطورية الرومانية في ٣ يناير عام ١٠٦ ق . م .

● ولدت لوكريشياموت زعيمة حركة تحرير النساء يوم ٣ يناير ١٧٩٣ .

● اصبحت الاسكا الولاية الامريكية رقم ٤٩ في يوم ٣ يناير ١٩٥٩ .









ابراهام لينكولن — موليير — مارتن لوثر كينج — بنيامين فرانكلين








سيزان — ادجار الن بو — موزار — هتلر



غاندى — اديسون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● شهد يوم ٤ يناير ١٧٨٥ مولد يعقوب جريم الالمانى .. الذى يعتبر وشقيقه من اشهر من كتب للاطفال .

● ولدت جان دارك بطلة فرنسا فى ٦ يناير ١٤١٢ .

● اقيمت أول انتخابات رئاسية فى امريكا فى يوم ٧ يناير ١٧٨٩ .

● بدأت الاتصـــالات التليفونيـــــــة التجارية عبر الأطلنطى بين انجلترا وامريكا فى ٧ يناير ١٩٢٧ .

● اعلن الرئيس الأمريكى وودرو ويلسون برنامجه الشهير النقاط الاربع عشرة .. امام الكونجرس يوم ٨ يناير ١٩١٨ .

● تاسست عصـــــبة الامم فى ١٠ يناير ١٩٢٠ وكانت إرهاصا للامم المتحـدة التى عقدت جمعيتها العمومية « الاولى » فى ١٠ يناير ١٩٤٦ فى مدينة لندن .

● ولد موليير الأديب الفرنسى الساخر الشهير يوم ١٥ يناير ١٦٢٢ .

● ولـد مارتن لوثر كينـج الأمـريكى وزعيم حركة الحقوق المدنية يوم ١٥ يناير ١٩٢٩ .

● بنيامين فرنكلين السياسى والمخترع الامريكى الشهير .. ولد فى ١٧ ينـــــاير ١٧٠٦ .

● بدأ مؤتمر فرساى للسلام فى يوم ١٨ يناير ١٩١٩ .

● ادجـــار الان بو .. الكاتب الامريكى الشهير ــ صاحب الشخصية المزدوجـــة المحيرة بين الحنان والقسوة ــ ولد فى ١٩ يناير ١٨٠٩ .. وفى نفس اليوم ولكن فى عام ١٧٣٦ ولد جيمس وات المخــــترع الاسكتلندى الشهير .

● ويحتفل عشـــاق الموسيقى يوم ٢٠ يناير بعيد ميلاد جوزيف هوفمان اشــهر عازفى البيانو .. اما عشاق الفنون فيحتفلـــون بمولـد الرسـام الفرنسى بول سيزان الذى ولد يوم ١٩ يناير ١٨٣٩ .

● فى ٢١ ينـــاير ١٩٥٤ دشـــــــنوا « النوتيلوس » أول باخرة تسير .. بالطاقة الذرية !

● اما عشاق الادب فيحتفلون يـــوم ٢٢ يناير بمولد فرنسيس بيكون الانجليـزى (١٥٦١) واللورد بيرون الشاعر الانجليزى (١٧٨٨) .. واوجست ستريند برج الأديب والكاتب المسرحى العظيم (١٨٤٩) وصاحب التعبير الراقص المؤثر الشــهير (الربيع فى الخريف) عندما احب وتزوج ممثلة نرويجية شابة وهو عجوز !

● وسيسعد عشاق بريق الثراء العاجل يوم ٢٤ يناير .. وهم يستعيدون ذكرى اكتشاف الذهب فى ولاية كاليفورنيا عام ١٨٤٨ .. والذى كان وحيا وإلهاما لمئـات القصص والافلام السينمائية .

● ولد الجنرال الامريكى دوجلاس ماك ارثر يوم ٢٦ ينـاير ١٨٨٠ .. وهو الــذى احتل اليابان فى نهـاية الحرب العالميـة الثانية وصاحب مذهب « المكارثيـــــــة » الشهيـــــــر .

● وفى يوم ٢٦ يناير تحتفل الهند بعيد استقلالها منذ عام ١٩٥٠ .. وهو الاستقلال الذى دعم دنيا الحرية .. لان تحرير « درة التاج البريطانى » كان من اكثر الاحلام جموحا !

● درة من اشهر درر أدب الأطفال .. لابد وان اذاعـات وتليفزيونات العالم ستبثها يوم ٢٧ يناير .. وهو يوم عيد ميلاد الاديب الانجليزى لويس كارول الذى ولـد عـام ١٨٣٢ .. وكتب قصة مغامرات « اليس فى بلاد العجائب » .. وفى نفس اليوم من عام ١٧٥٦ جاء إلى دنيانا الموسيقار الشهير وولفجانج اماديو موزار .. وشكرا للمخترع الامريكى الأشهر توماس اديسون الذى نال فى نفس اليــوم من عـــام ١٨٨٠ براءة اختراع من أعظم اختراعـــــاته الكثيرة .. التى أضاءت الطريق أمام الجنس البشرى واسعدته .. وهو المصباح الكهربائى ! ترى هل نستطيع تصور العالم .. بدون المصباح الكهربائى المتوهج ؟ !

● وفى يوم ٣٠ ينـــاير من عام ١٨٨٢ شهدت بلدة هايدبارك بولاية نيـــويورك الأمريكية .. مولد فرانكلين روزفلت الرئيس الامريكى رقم ٣٢ واكثر رؤســاء أمريكا شعبية .. والذى كان له دور كبير فى هزيمة المانيا النازية فى الحرب العالمية الثانية . التى أشعلها أدولف هتلر ومن الغريب ان هتلر فى نفس اليوم من عام ١٩٣٣ أصبح « مستشار » المانيا .. وهو اللقب الذى يطلق على رؤساء وزراء المانيا !

● واكثر الفواجع مأساوية فى ذلك اليوم ولكنها فى عام ١٩٤٨ هو اغتيال موهانداس غاندى .. زعيم الهند الروحى والسياسى .

● ويودع شهر يناير الدنيا فى اخـــر أيامه .. فى حنان ودفء .. وعلى انغـــام الموسيقار النمساوى فرانز شوبير .. الذى ولد فى ٣١ يناير ١٧٩٧ وقدم فى الواحد والثلاثين عاما التى عاشها عددا هائلا من المؤلفات الموسيقية الرفيعة المستوى .. التى اثرت الموسيقى العالمية .. واشجت للملايين فى كل ما فى كوكب الأرض من انحاء وارجاء !

ميتافيزيقا البنفسج

أيّها القارىءُ المنتهِى
اقتربْ من دمى
ها هنا شجرُ الحكمةِ الفلسفىُّ الوريفْ
يتبرجُ للمغرمِ
ويدِلُّ ويَابى
فسبحانَ من وهبَ الشاعرَ الثّمراتِ
ودانى القُطوفْ
ثُم امسكَ فى الظلِّ بالفيلسوفْ

١ ـ فى البعد الأونطولوجى للبنفسج :

البنفسج فى ذاتِهِ عنصرٌ اولٌ
فهو نارٌ ترابٌ
وماءٌ هواءٌ
وفيضٌ من الذاتِ مُسترسِلٌ
وهو طبٌّ وداءٌ
وماءٌ نميرٌ
يفيضُ بهِ ثَمّ نهرٌ غديرٌ
ويجرى به جدولٌ سلْسلٌ
وهو ماضٍ ومستقبلٌ
البنفسج كينونةٌ فى الزمانِ
ودينونةٌ للمكانِ
وُجودٌ مَلاءٌ
وحُلمٌ مُضاءٌ
وجيشٌ من الشوقِ مُستبْسلٌ
إِنه فاعلٌ وفعولٌ ومستفعلٌ
لا يضيرُ البنفسجَ جهلٌ
وليسَ يفيدِ البنفسجَ وعىٌ
فَيا ايها المدَّعِى
عِ البنفسجَ اولا تعِ
إِنما للبنفسج إشراقةٌ طاقةٌ
نورُها رهن إِيماءةِ الإِصبعِ

٢ ـ فى أن له طابعا إبستمولوجيا :

تَجدَّدْ .. وجدِّدْ
لتكشفَ ان البنفسجَ شكٌّ
تَحدَّدْ .. وحددْ
لتعرف ان البنفسج حقٌّ
وغيرَ البنفسجِ إفكٌ
فإِن كان غيرُ البنفسج اخذا
فإِن البنفسجَ تَرْكٌ
توحَّدْ .. ووحِّدْ
فما فى اختيارِ البنفسج شِرْكٌ
وأقبِلْ لتسعدْ
فليس كمُلكِ البنفسجِ مُلكٌ
وحاولْ ولا تترددْ

إِنه جبلُ المعرفهْ
ايها المُرتقِى
قِ البنفسجَ اولا تقِ
شرّ اروقةِ الفلسفه
البنفسجُ من نفسِهِ يتَّقِى

٣ ـ الأساس الاكسيولوجى له :

البنفسجُ قربٌ
ومستقبلٌ شاخصٌ
وهوىً خالصٌ مستتِبٌّ
وشَعبٌ من العاشقاتِ
يواتيهِ من لَدُنِ العاشقينَ رعيلٌ وشعبٌ
فكل مُحبٍّ ومحبوبُهُ
إنما للبنفسج أُسلوبُهُ
فهو حبٌّ
وداء وطبٌّ
وذلك ان البنفسجَ أُعجوبةٌ
ومعاييرُ مقلوبةٌ
وإذا ما اطعتَ البنفسجْ
فسايِرْ ما فيكَ قلبٌ
والندىٰ والتوهجْ
شيمةٌ للبنفسجْ
شيمةٌ قيمةٌ
وحضورٌ مُتوّجْ
إنما يغزِلُ الحسنُ ثوبَ الهوىٰ
والبنفسجُ ينسجْ

٤ ـ فى سمته الكوزمولوجية :

البنفسجُ منتشرٌ فى دمِ الكونِ
فى الجلدِ تحتَ المسامْ
وهو مُستَتِرٌ فى الاماكنِ
مزدهرٌ فى فِلزِّ المعادنِ
فى الزّنْكِ
فى زخم المنجنيزِ وخامِ الرخامْ
البنفسجُ إطلالةٌ هالةٌ
وعناصرُ فعّالةٌ
فهو نارُ الصحارىٰ ونورُ الخيامْ
وزمانٌ يعودُ على ذاتِهِ
مرةً كلَّ عامْ
إِنه سِمَةٌ .. لا اتّسامْ

آيها المُتفلسِفُ ما اجهلَكْ
انتَ ادركتَ شيئا .. وفاتَتْكَ مُدْرَكَةٌ
خابَ من عَلّمكْ
إنما الكونُ مملكةٌ
والبنفسجُ فيها الملِكْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر: حسن طلب

٥ ـ فى قوته الترنسندنتالية :

البنفسجُ لا ينتمى
إنما يُنتمىٰ للبنفسجِ
او ربما يُحتمىٰ
بقوانينِهِ
ليظلَّ المحبُّ او الفيلسوفُ على دينِهِ
يتاملُ طوراً .. ويعشقُ طوراً
ويقطِفُ من عِنَبِ الوقتِ او تينِهِ
فيها الواقفون على البرزخِ الفرْسخِ
الآن لا تقنَطوا
سَيجىءُ البنفسجُ فى حينِهِ
ويعودُ كما كانَ كانَ
فياشدَّ ما شاقنا منه طيفٌ
ويا طالما
وَكائنْ ترىٰ من حبيبٍ سما
فالبنفسجُ اسْمىٰ نجاراً
وأنقىٰ دمـا

ومن جَبَروتِ البنفسجْ
انه يستطيعُ النفاذَ إلى ایِّ حَدْسٍ
وَيُمْلِى على كل نفسٍ
ولا يتحرَّجْ

٦ ـ فى ان له صفةً فينومينولوجية :

ليس إلا البنفسجُ يُمكِنُهُ الغوصُ خلفَ المعانِى
فدعْ عنكَ كلَّ ضُروبِ القياسِ
وَخُذْ بالعَيانِ
وَجرِّبْ بنفسِكَ ..
أن البنفسجَ والحِسَّ سِيّانِ
ان البنفسجَ والعقلَ صِنوانِ
تلك ان البنفسجَ ما هِبَةٌ حبةٌ
ومفاهيمُ مرئيةٌ
إنما للبنفسجِ اجْروميةٌ
هى فى ذاتِها جوهرٌ للجواهرْ
فدع عنكَ كلَّ الحدودِ وكلَّ المقولاتِ
خُذْ بالعَيانِ المُباشِرْ

لانَّ البنفسجَ برهانُ نفيٍ
سيُلبِسُكَ الشكُّ تاجَ البنفسجْ
وَلَأْياً بلايٍ
ستكتشِفُ ان البنفسجَ عُنوانُ وعْيٍ
وإعلانُ رايٍ
وَتاسيسُ منهَجْ

٧ ـ فى ايديولوجيته :

قاتلٌ وقتيلْ
البنفسجُ جيلٌ رَعيلْ
قاتلٌ وقتيلْ
البنفسج لا يُستمَالُ
ولكنهُ يستميلْ :
حينَ يخْتلِجُ الدَّمُ فى ساحةٍ للصعودِ الجميلْ
حينَ يمتزِجُ الدمُ
.. يندمجُ الدم فى ذاتِهِ .. ويسيلْ
فيعلو الصليلْ
ويعلو ويعلو
يكون البنفســـــجُ رَمْزَ القتيــلْ
وفى مَلَكوتِ البنفسَجْ
تَتوازىٰ المِئاتُ الفئاتُ
وقد تهبِطُ الطبقاتُ وترقىٰ
تقاتلُ بعضا لتبقىٰ
ويبقىٰ التَّدرُّجْ

● ● ●

فيها القارِىءُ المُنتمِى
اقتربْ من دمِى
وَتجدَّدْ وَجدِّدْ
فالبنفسجُ شكٌّ
يقينٌ مَحَكٌّ
وَمُبتدأٌ
وخِتامٌ
وَمِسْكٌ

هـــــوامـــــش

المصطلحات الفلسفية الواردة فى عناوين القصيدة الفرعية ، مستوحاة شعريا وإيحائيا ودلاليا في سياق القصيدة .. ومن ثم اصبح التعرف على دلالتها المباشرة مجرد نافلة ، ومع ذلك فقد اثرنا ان نعرف كلا منها بايجاز :

١ ـ الأونطولوجيا : علم الوجود العام ، او الوجود بما هو كذلك .

٢ ـ الابستمولوجيا : نظرية المعرفة ، من حيث طبيعتها ومصادرها .. الخ .

٣ ـ الاكسيولوجيا : القيم في مفهومها الفلسفي التقليدي ، وهي الحق والخير والجمال .

٤ ـ الكوزمولوجيا : هي علم الكون ، او الكونيات ، وتعنى بالمشكلات المتعلقة باصل العالم وطبيعته ، باعتبار انه حقيقة متعينة خارج الذهن .

٥ ـ الترنسندنتال : تعود نشاة المصطلح إلى الفلاسفة المدرسيين في عصر النهضة الأوربية ، ويشيرون به الى الواحد او الحق او غيرها من المباديء الكلية التي تتجاوز مقولات ارسطو .

٦ ـ الفينومينولوجيا : فلسفة الظواهر ، او الفلسفة الظاهراتية ، التى يعد ادموندهوسرل ابرز ممثليها .



من روائع الفن العالمي

جمـــال قطـب



لورانس الماتاديما

الفنـــان العاشـــق للتـــاريــخ

فى أوائل القرن التاسع عشر ، بدأت موجة (الكلاسيكية الجديدة) فى الانحسار وكانت قد فرضت بالارهاب والدكتاتورية رغماً عن إرادة الفنانين وقيداً على حريتهم وانطلاقهم .. وفى عام ١٩١٨ اخذت المدرسة الرومانتيكية فى الظهور بزعامة (تيودور جيريكو) ، فحطمت اخر قيود تلك الكلاسيكية الناعمة الحالمة . والرومانتيكية مشتقة من لفظ (رومان) ومعناها بالفرنسية قصة او حكاية ، اى ان هذا المذهب يعتمد على المبالغة فى تصوير المشاهد التراجيدية او الدرامية ، فالالوان اكثر اشراقاً ، والحركات مبالغ فيها ، والابطال اعظم جسارة وقوة ، والنساء اروع فتنة وجمالا .

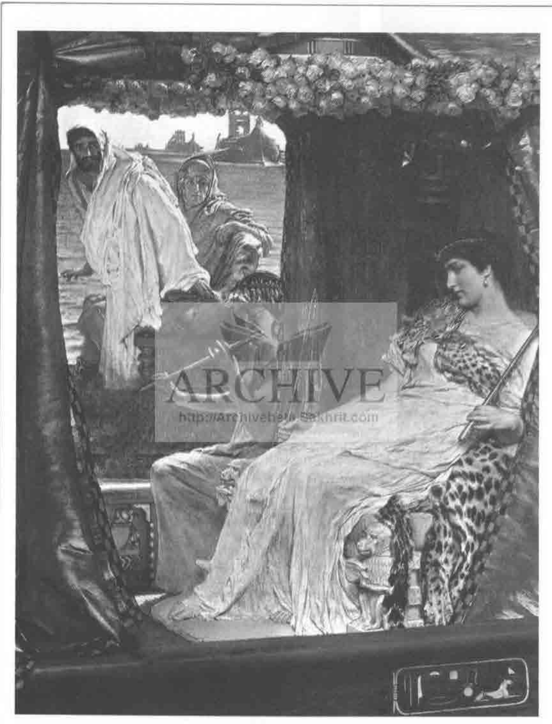
وفى النصف الثانى من القرن الماضى ظهر فناننا (لورانس الما تاديما) .. عبقرية فذة .. كانت حديث بريطانيا ومحـل اعجابها وتفاخرها .. وقد يبدو من اسمه ما يثير الغرابة من بين الاسماء البريطانية ، اسمه الحقيقى (الماتاديما) ، فهو هولندى الاصل ، ثم اضاف اسم (لورانس) عرفانا بالوطن الثانى ـ بريطانيا ـ الذى اصبح وطنه الاول بعد ذلك عندما ذاعت شهرته كفنان يمثل الفن الفيكتورى فى القرن التاسع عشر اروع تمثيل !

تلقف تاديما ذلك الحظ من فلسفة الرومانتيكيين واتجه الى احداث التاريخ وحكاياه ليغوص فى اعماقها السحيقة ثم يصوغها فى اكمل ما شاهد الشعب البريطانى فى العالم اجمع من جمال مثالى وشفافية فى الاحساس بلغت حد الاعجاز !

ولم يتاثر (تاديما) او يهتم بما حدث من انهيارات او متغيرات فى المدارس الفنية المتعاقبة ، تلك التى توالت بسرعة لاهثة فى العاصمة الفرنسية كمركز عالمى للمذاهب الحديثة انذاك .. حيث احتدمت المعارك الفنية بعد ظهور التاثيرية وسيطرتها فى الثلث الاخير من القرن الماضى ، وما تفرع عنها من اساليب شتى حتى انتهى القرن التاسع عشر بظهور (الوحشية) ثم التكعيبيه والتجريدية والدادية الى ان ظهرت السيريالية عام ١٩٢٤ ففتحت الباب على مصراعيه امام متاهات وتيارات جارفة من التعبير التشكيلى يتناول المعقول وغير المعقول وعالم الاحلام واللاشعور والرؤى الذاتية ! نعود الى فناننا (تاديما) فنراه قد هام حباً بالتاريخ وسجله فى مئات من اللوحات يسيطر على اسلوبه شغفه بالاسلوب الاغريقى الذى يهتم بتاكيد الملمس وابراز التفاصيل وملأ الدنيا بابداعه العبقرى حتى حصل على جائزة (الميدالية الذهبية) عدة مرات كان أولها عام ١٨٦٤ واخرها ١٩٠٦ ، وهذه الجائزة لاتمنح إلا لأعلام الفن البارزين . أما شغفه الحقيقى الذى استولى على مشاعره معظم حياته الفنية فكان الحضارة الفرعونية ! وعندما سئل عن اهتمامه بها ، كانت اجابته الشهيرة :

« إن اول شيء يلقن للطفل فى دراسته عن الحضارات الاولى هو الحضارة المصرية القديمة ، بل اننا كلما درسنا منابع العلم او الفن فى اى دولة من دول العالم وجدنا أن هذه المنابع ما هى الا روافد لنهر النيل العظيم حيث توجد مصر كمنارة لاعرق الحضارات الكبيرة » !!

وفى عام ١٨٦٣ اقام فى لندن معرضاً عالميا لم يعرض فيه الا لوحاته عن الحضارة الفرعونية .. كما قدم بحثاً ممتازاً مدعماً باللوحات والرسوم التفصيلية عن الحياة فى عهد رمسيس الثانى مستمداً معلوماته من اساتذة التاريخ المصرى ومن وثائق المتحف البريطانى والمراجع العلمية التى انجزها علماء الحملة الفرنسية الشهيرة . وهكذا قدر للتاريخ الفرعونى ان يبعث حيا فى لوحات عالمية رائعة تعمر بها متاحف الدنيا حاليا .. على يد فنان من ابرز فنانى التاريخ العظام .


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كليوبترا .. للفنان البريطانى والهولندى الاصل «لورانس الماتاديما»

درب الطحّان

قصة بقلم : وليد عياد



http://Archivebeta.Sakhrit.com

الريح تعوى مع الذئاب الضالة .. والمطر يهطل بغزارة فوق صفائح التنك فى مخيمات المقهورين .. والنجوم جميعها اختفت وراء السحب الداكنة .

وفى نهاية درب لا تمر منه سوى قوافل الحمير التى تحمل الحبوب كانت تتربع على تلة منبسطة طاحونة ابو محمود الذى جاوز العقد السادس من عمره بسنوات قليلة . كان الطحان ابو محمود غارقاً فى افكاره .. لا يعكر صفوها شىء .. فقد كان عواء الريح وتساقط المطر اجمل لحن يسمعه طيلة السنة بالاضافة الى صوت ماكينة الطحين .. ان هذا العام سيكون عام خير كثير .. ولن تتوقف ماكينة الطحين على مدار الفصل .

وعادت به افكاره الى ما قبل قرابة نصف قرن حين كان فتى يافعاً وحيث فكر ولمرة واحدة طيلة حياته فى الزواج من الفتاة الوحيدة التى احبها .. ولكنها رغبت عنه لعرج فى ساقه لكن لم يثنه ذلك عن الالتحاق بثورة ٣٦ فوق الجبال المحيطة بالقدس الشريف ..

واخذ يتخيل كيف لو انها قبلت به زوجا على سنة الله ورسوله .. وتصور الطاحونة مليئة بالابناء والاحفاد .. وابتسم .. وعاد ثانية الى افكاره وعويل الريح وصوت المطر .. عندما يصحو الطقس غداً سيذهب الى المدينة لتفصيل حذاء له .. فهو لا يستطيع أن يشترى احذية جاهزة لقصر فى احدى ساقيه .. حذاء ؟ لا ، لماذا ؟ ليس له حاجة به .. فهو لا يتجول كثيرا .. ربما سيشترى موس للحلاقة .. ماله وللحلاقة .. ان لحيته بدات تشيب وبغزارة فى الآونة الأخيرة وسيتركها تطول .. وان نزعها فهو لا يستطيع نزع السنوات التى يحملها على كاهله ..

وانار البرق فكرة لذيذة .. وبلع ريقه .. انه سيشترى حلوى نعم .. سيخزن صفيحة مليئة « بالحلقوم » يتذوق منها حينما يشاء .. وكيفما شاء .. هذه الحلوى التى طالما احبها طيلة حياته .. واخذ نفسا طويلا ملأ رئتيه برائحة الطحين التى تنتشر فى جميع ارجاء الطاحونة وتفوح من فراشه وحتى ثيابه .

قريباً ستأتى قوافل الحمير متعبة وبخطوات مبعثرة من صعود درب الطحان ولكنها ستعود هابطة الدرب جذلى .. مشرئبة الآذان .. وبخطوات منتظمة .

البرق يضيء الطاحونة وتبدو له الماكينة وكانها تقف مستعدة للعمل .. الرعد يجلجل فى الفضاء البعيد .. وفى اثناء ذلك سمع صيحات .. لم تكن ببعيدة عن الطاحونة. وأصوات تقرع الباب .. من يا ترى ؟ هل هو غصن هزه الريح على مقربة من الباب .. أم اصوات صدى الرعد .. أم هو حيوان جريح .. أصوات كثيرة وتعليلات أكثر تواردت على ذهنه .. وعادت الأصوات ثانية .. انه شبيه بصوت .. نعم .. !! انه صوتها لم ينسه وأن يكن مر عليه قرابة نصف قرن .

وتدثر بلحاف ضمه الى رأسه وكتفيه وتحامل على نفسه وتسلح بعكازه الحديدى واخذ شعلة حطب من المدفأة لتضيء له الطريق ، وهرع الى الباب وفتحه .. الريح الباردة المحملة برذاذ المطر .. صفعت وجهه .. ونظر حوله فلم ير شيئاً .. سوى المطر وهو يرقص فى برك الماء المتجمعة فى فناء الطاحونة .. وضحك فى سره .. منظر المطر الساقط فوق البرك الصغيرة يطلق عليه الأطفال « رقص العجائز » .. وانطفأت الشعلة فى يده والقى بها جانبا .. البرق يضيء اشجار اللوز والتين المبعثرة حول الطاحونة .. يتبعه هدير الرعد الذى اخذ يقترب منه . وعاد وسمع الصيحة ذاتها .. وسار الى حيث المكان الذى اعتقد انه سمع الصراخ منه .. ولم ير شيئاً غير انوار خافتة منبعثة من فوانيس المخيم .. واخذ يفكر .. هل هو صوتها ؟ لا .. لا يمكن .. ماذا جرى لها فى هذه الساعة من الليل وفى هذا الجو العاصف ومن بعد قرابة نصف قرن .. ؟ ربما انها أصوات حيوانات مذعورة .. واخذ يقترب من مكان الصوت اكثر فأكثر .. ولمع برق انار كل ما كان حوله بلون فضي .. انه على مقربة منه جدا .. وشعر بدفء شديد صحبته حرارة امتدت من عكازه الحديدى .. وضوء ينساب منه ويغمر جسده ويضفى بغلالة ناعمة على عينيه اللتين ارتسمت عليهما صورة فتاة احبها حبا عنيفا منذ زمن بعيد .



قف

هل تعلم

عبد العزيز
السيد المصري

كيف يتكون الفحم ؟

تكون الفحم خلال عصور كثيرة مختلفة على طول تاريخ الأرض . وأعظم الفترات التى تكون فيها الفحم هو العصر الذي يسمى بنسيلفانيا الذي بدا منذ حوالي ٢٥٠ مليون سنة وانتهى منذ حوالي ٣٥ مليون سنة . ومعظم انواع الفحم قد تكون فيما بين مليون إلى مائة مليون سنة مضت . ماالذي حدث فى اثناء هذه العصور ؟ وكيف تكون الفحم ؟ .

يوجد الفحم فى الارض على شكل طبقات تمتد الى عدة اميال . يصل سمكها احيانا إلى اكثر من عشرة اقدام ، وهو مدفون بين طبقات اخرى من الصخور . والفحم هو بقايا الأشجار والنباتات التى نمت فى احراش المستنقعات ذات الاجواء الحارة الرطبة فى تلك العصور التى ظلت مئات الملايين من السنين . فنباتات الحلفاء التى كانت تنمو بسرعة ، وأشجار السرخس الطويلة التى نمت فى هذه المستنقعات ماتت وسقطت فى مياهها الهادئة . وقد حماها ذلك من التعفن الذي كان يمكن أن يبيدها إذا ما تعرضت للهواء . وحولت البكتيريا بعضا من اجزائها إلى غازات هربت وخلفت وراءها خليطا اسود هو الكربون فى الغالب .. وهو الذي سيصبح فيما بعد طبقة من الفحم . وقد تسببت سنوات عديدة من النمو الخصب وسقوط النباتات والأشجار فى هذه المياه إلى ان يصل سمك النباتات الذابلة الى كثير من الاقدام . وفي وقت طويل او قصير وصلت هذه العملية إلى نهايتها عندما غاص سطح الارض ونتج عن ذلك طبقة سميكة من الطين والرمل ترسبت فوق الخضرة الغارقة فى الماء . وبمرور الزمن ضغطت هذه الطبقة الضاغطة من الطين والرمل على الخضرة فاخرجت ما فيها من سائل وتكررت هذه العملية فى بعض الأماكن عدة مرات .

وعندما كانت تبنى طبقة الراسب الثقيلة حتى تصل إلى مستوى سطح الماء ، كان يتكون مستنقع اخر .. وتتكون طبقة من النباتات مرة اخرى ثم تغوص مرة ثانية .

وبهذه الطريقة تتكون طبقات الفحم منفصلة كل طبقة عن الاخرى بطبقة من الطين والرمل اللذين صارا بمرور الزمن صخرا . وقد استغرق التغير من الخشب إلى الفحم الاف السنين .. ويمكن رؤية الدليل على تحول الخشب إلى فحم بسهولة .. ففي بعض الأحيان نجد شجر سرخس حقيقيا مضغوطا بين الفحم او اشكال من لحاء الشجر . حتى قرم الشجر الصغيرة قد رؤيت بين الفحم .

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

أول من فكر في الحروف الهجائية

قبل أن يعرف الناس الحروف الهجائية كانوا يستعملون الصور فى تسجيل افكارهم والحوادث التى مرت بهم ، فصورة مجموعة من البقر الوحشي فى مكان تدل على أن هذا المكان ارض صيد جيدة ، وذلك يعنى أن ذلك النوع من الصور كان نوعا من الكتابة .

ثم حدث بعض التغيير فى الكتابة بالصور بمرور الزمن وبدلا من أن تكون الصورة للدلالة على الموضوع المرسوم نفسه اصبحت تدل على فكرة مرتبطة بالموضوع المرسوم فربما تدل صورة قدم على الفعل « يمشى » .

وجاءت الرموز التى تعبر عن خليط من الأصوات فصارت صورة « ذراع » مثلا تدل على مجموعة الأصوات التى تتكون منها كلمة « ذراع » حين ينطقها ، وكلما اراد أن يعبر عن هذه الأصوات رسم صورة « ذراع » وكررها كلما تكررت هذه الأصوات . وتسمى هذه المرحلة من الكتابة الهجائية .

وقد ابتكر المصريون فيها نوعا من الحروف الأبجدية فكانت صورهم تعبر عن ٢٤ رمزا وكانت تقوم مقام حروف متفرقة او كلمات متفرقة كل منها يمثل حرفا ساكنا .

ومنذ ٣٥٠٠ سنة تقريبا صنع اناس كانوا يعيشون قرب الشاطىء الشرقى للبحر المتوسط الخطوة العظيمة التى وصلت بنا إلى حروفنا الهجائية ، فقد تنبهوا إلى أن الرمز نفسه يمكن ان يستخدم لنفس الصوت الذى يرمز إليه فى جميع الحالات اى انه كلما تكرر الصوت رسم الرمز للدلالة عليه .

وقد تطورت رموزهم على أيدى النبطيين والآراميين والعبرانيين والفينيقيين وكانت حروفنا العربية الهجائية إحدى ثمرات هذا التطور .

أين طبعت أول صحيفة ؟

ربما يكون لديك صحيفة اخبار حائطية فى مدرستك . ما الذى حصلت عليه بعد قراءتها ؟ . لقد حصلت فقط على الأخبار . فى يوم ما كانت جميع الصحف هكذا .. كانت الاخبار تجمع من المسافرين او من مصادر الحكومة وتقدم على لوحة أخبار لكل فرد ليقراها .

بالطبع ليست هذه صحيفة حقيقية لأنك لاتستطيع ان تاخذ الصحيفة معك لتقراها فى اى مكان تحب .. واذا اردت ان تعرف اول صحيفة طبعت يجب أن تعود الى الصين منذ حوالى ١٣٠٠ سنة. فى هذا الوقت طبعت الحكومة صحيفة أطلقت عليها اسم «تشينج باو» ومعناها اخبار العاصمة . وبهذه الطريقة كانت الحكومة قادرة على إخبار الناس باهم التطورات .وكان هناك ايضا صحيفة حكومية فى روما القديمة كانت توزع بين الناس وكانت تسمى «اكتاديورنا» وتعنى الاحداث اليومية . هاتان الصحيفتان هما اول الصحف التى لدينا تسجيل عنها .

وصدرت اول صحيفة امريكية فى بوسطن وماساتشوست فى سنة ١٦٩٠ ، ولكنها سرعان ما اغلقها حاكم المستعمرة .. واصدر بنيامين فرانكلين صحيفة اسمها جرنال بنسيلفانيا من سنة ١٧٢٩ الى سنة ١٧٥٢ ، وكان فى المستعمرة صحيفتان فقط . ولكن عندما قامت الثورة الامريكية كان هناك ٣٧ صحيفة .

وربما تكون أعظم الصحف التى نشرت تاثيرا ونفوذا «لندن تايمز» سنة ١٧٨٥م ، وما زالت مستمرة حتى اليوم .

موسوليني والحركة الفاشية



بقلم: محمد العزب موسى

من مفارقات القرن العشرين أن شعبين من أرقى شعوب أوربا وأكثرها ثقافة وحضارة دانا بالطاعة العمياء ما يقرب من جيل كامل لزعيمين دكتاتوريين مجردين من أى رقى وثقافة ، كانا فى مطلع حياتهما متشردين ، أفاقين ، يعيشان على هامش المجتمع ، وفتات الأفكار ، ورغم ذلك استطاعا أن يفرضا ارادتهما على اداة الحكم ، وعلى قلوب معظم أبناء شعبيهما .

والحديث بالطبع عن ألمانيا وإيطاليا ، وعن هتلر وموسوليني ، وقد قاد كل منهما شعبه فى النهاية الى الشقاء والهزيمة ، ودولته الى الخراب والدمار ، بالرغم من انجازاتهما الكبيرة التى حققاها فى صدر حكمهما ، والتأييد الواسع الذى حصلا عليه من العامة والخاصة على السواء .

ولكنها الفاشية ، ذلك المرض السياسى الذى يمكن أن يصيب أرقى الشعوب وبطوعها لأدنى القيادات ، وأضل الأهداف. والفاشية من النزعات الاستبدادية التى تسعى الى اقامة ما يسمى بالمجتمع الشمولى ، أى الذى تتدخل الدولة فى كل شئونه ، وهى خلافا للنظريات الشمولية الأخرى تنمو عادة فى الدول الأكثر تقدما من الناحيتين الاقتصادية والتكنولوجية ، كما انها خلافا لبعض النظريات الشمولية ايضا من منتجات ما بعد الديمقراطية والتصنيع ، وبينما تسعى النظريات الاخرى إلى اقامة مجتمع جديد على انقاض المجتمع الراسمالى القديم ، تسعى الفاشية الى حل مشاكل المجتمع الراسمالى واخراجه من ازمته .

فعندما تصل بعض المجتمعات المتقدمة اقتصاديا وتكنولوجيا وديموقراطيا وتصنيعا ، إلى مرحلة الازمة الوطنية ، حيث الكساد الاقتصادى والبطالة والتمزق الحزبى والهوان الوطنى تبدو أمامها الدكتاتورية الفاشية بما تتيحه من الوحدة الوطنية وما تسعى إليه من تحقيق الهدف الوطنى ، كحصن للأمان وطوق للنجاة ، ومن المفارقات انه كلما كانت الحركات الفاشية اكثر إمعانا فى الارهاب والتطرف لقيت تاييدا أكبر من جانب الشعب .. وتعتمد الفاشية عادة على اثارة النزعات الوطنية والعنصرية والتوسعية بين أفراد الشعب ، واستغلال مشاعر السخط والاستياء وعدم الاحساس بالأمن ، وتحويلها الى الكراهية والعدوان ضد « الاعداء » فى الداخل والخارج .

وتعتمد الفاشية على حزب واحد يقوده زعيم أوحد ، حزب يدين بالولاء والطاعة العمياء لقرار الزعيم ، ولا يعترف باى شكل من أشكال الديمقراطية حتى ما يسمى بمبدأ الديموقراطية المركزية الذى تاخذ به ولو ظاهريا الأحزاب الأخرى التى تسعى لفرض دكتاتورية طبقة واحدة ، مما يجعل الفاشية مناقضة على طول الخط للديموقراطية بكل صورها ومظاهرها ، منكرة للحريات العامة والخاصة ، وهى تعامل خصومها فى الداخل باشد الأساليب قسوة وانكارا باعتبارهم « اعداء للشعب » وتستخدم فى تجميل صورتها أمام الشعب أبرع أساليب الدعاية ، وتوقى نفسها النقد بتكميم الافواه .

وقد استطاع موسوليني أن يفرض زعامته المطلقة على الشعب الايطالى مستغلا أزمته الوطنية والديموقراطية فى مطلع العشرينات ، ومعتمدا على حزبه الفاشى وانصاره الارهابيين الذين كانوا يرتدون القمصان السود ولا يتورعون عن



موسوليني في شبابه ، عندما كان في العشرينات يحلم بالصعود إلى المجد

اربع لقطات لموسوليني تمثل مراحل حياته منذ كان احد الزعماء البارزين في الحزب الفاشي ، إلى أن أصبح زعيما للحزب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العصف بخصومهم فى اى مكان . واستطاع ان يلهب مشاعر الايطاليين بشخصيته المغناطيسية ونبرات صوته وقدرته على الخطابة ، فبدا امامهم كزعيم رومانى عظيم ممن كانوا يهزون المنابر وينتصرون فى الحروب ايام روما القديمة ، بل إنهم قارنوه بيوليوس قيصر ، وخرج قيصر من المقارنة خاسرا ، واستطاع موسولينى ان يقوض التجربة الديموقراطية فى إيطاليا تقويضا كاملا ، وان يتغلب على جميع منافسيه وخصومه السياسيين بدهائه وقدرته على المناورة وأساليبه فى التصفية المعنوية والجسدية حتى أصبح هو « الدوتشى » اوالزعيم الأوحد الذى يدين له الكل بالولاء رغبة أو رهبة ، اقتناعا او خوفا ونفاقا .

وفي أوج مجده كثيرا ما كان موسولينى يقف فى شرفة قصره المطل على اكبر ميادين روما ، وقد رفع فكه العريض الى أعلى وملا صدره المرصع بالنياشين باكبر قدر من الهواء ، ووضع يديه فى وسطه ، وباعد بين ساقيه بحذائهما ذى الرقبة الطويلة ، ومن تحته يحتشد الميدان بمئات الالوف من الايطاليين ، يقفون كتفا إلى كتف ، يهتفون بحياته وزعامته ، وهو يفتعل الصبر حتى يهدأ الهتاف كى يبدا فى إلقاء إحدى خطبه النارية فى نبرات مؤثرة ، وعبارات بليغة .

وكم تختلف هذه الصورة للدوتشى فى اوج مجده عن صورته فى بداية حياته حين نراه بلطجيا ، عاطلا ، متسكعا ، يحل مشاكله بقوته البدنية ، ويأوى الى دورات المياه أو محطات السكك الحديدية او تحت الجسور ، ويتعرض لالقاء القبض عليه فى مدن سويسرا واوربا . وقد حدث عندما صار موسولينى رئيسا لوزراء ايطاليا ان زار سويسرا ذات مرة ونزل فى واحد من اكبر قصورها . واشار موسولينى بيده من النافذة وقال لمرافقه مدير البوليس السويسرى : تحت هذا الجسر ايها الجنرال قبض على رجالك يوما . فاجابه الجنرال السويسرى : هذه هى الحياة يا صاحب الفخامة !

وموسولينى من الشخصيات التى تتعارض بشأنها الآراء تعارضا كبيرا ، فهو شخصية خلافية من الطراز الاول ، وقد صدر عنه خلال هذا العام (١٩٨٢) كتابان فى الغرب احدهما بعنوان « الدوتشى » بقلم انتونى جيمس جونز ويحوى دفاعا مستميتا عن الزعيم الايطالى ، والثانى بعنوان « موسولينى » بقلم دينيس ماك سميث وهو عبارة عن إدانة كاملة له . فموسولينى فى نظر الكاتب الأول هو اول رئيس وزراء أوربى من الطبقة العاملة ، واصغر رئيس وزراء فى تاريخ ايطاليا ، ومثقف كون نفسه بنفسه ، وعازف كمان ماهر حساس ، ووطنى مخلص انقذ ايطاليا من الفوضى والارهاب الاحمر ، وحولها الى دولة صناعية حديثة ، واكتسب اعجاب العالم اجمع قبل أن يتورط فى « غلطة حياته الكبرى » وهى التحالف مع أدولف هتلر فى الحرب العالمية الثانية ، وحتى فى نهايته مات بشجاعة عندما امسكت به « عصابة من الشيوعيين » وشنقته فى ابريل ١٩٤٥ باوامر من الزعيم الشيوعى بالميرو كولياتى الذى خشى أن يقع موسولينى بعد الاطاحة به كرئيس للوزراء فى يد القوات الامريكية المتقدمة فيبوح باسرار الفظائع التى ارتكبها الشيوعيون

موسوليني والحركة الفاشية

في شمال إيطاليا :

فاذا انتقلنا الى الكتاب الثاني بتفاصيله الدقيقة الكثيرة المذهلة إذا بموسوليني يطالعنا كبلطجي شرير ، وكذاب اشر ، فطر على العنف والاجرام منذ نعومة اظافره ، لا يؤمن باى مبدأ او فكرة إلا كسلاح يستخدمه حسب الظروف ، هدفه الوحيد الوصول الى السلطة السياسية باى ثمن ومن أى طريق ، وعندما وصل إلى الحكم مستعينا بالغدر والتضليل والقوة المجردة فرض دكتاتوريته الطاغية على امـــة منقسمة ممزقة وجرها وراءه من كارثة الى اخرى ، حتى انتهى بالتحالف مع النازية . والقى ببلاده فى اتون حرب مدمرة لتحقيق احلامه الشخصية فى انشاء امبراطورية ، وانتهى النهاية الجدير بها ، قتيلا معلقا من رجليه مع عشيقته كلارا بيتاتشي فى اواخر الحرب العالمية الثانية .

سنوات التكوين

اذا كانت السنوات الأولى فى حياة اى زعيم جديرة بالدراسة لدلالتها على فطرته وشخصيته المقبلة ، فان هذه المرحلة من حياة موسوليني أولى بالدراسة لانه استكمل فيها بالفعل كل ملامحه التى عرف بها من بعد . وقد كان هو نفسه يعترف بان السنوات الاربعة عشرة الأولى من حياته ، بما فيها من حرمان وقسوة وشقاء ، كانت عميقة الاثر فى تكوينه .

ولد موسوليني فى مدينة بريدابيـــو الصغيرة بمقاطعة رومانيا بوسط ايطاليا فى ٢٩ يوليو ١٨٨٣ ، وكان الابن الاول لحداد محلى يدعى اليساندرو مما جعله يفخر فيما بعد باصله المتواضع ويسمى نفسه « رجلا من الشعب » . غير ان اسرته لم تكن بالهوان الذى صوره هو فى كتاباته فقد كان ابوه صحفيا اشتراكيا بعض الوقت الى جانب كونه حدادا ، وكان جده ضابطا فى الحرس القومى ، اما امه روزا فكانت مدرسة القرية ، وكانت الاسرة تعيش فى غرفتين بالدور الثانى من المبنى الذى تحتله المدرسة ، ويذكر بنيتو انه كان يقيم مع اخيه ارنالدو فى غرفة تستخدم كمطبخ فى نفس الوقت مما جعلها مسودة دائما بالدخان . اما الغذاء المعتاد للأسرة فهو الحساء والخبز الأسود ، واللحم فى أيام الآحاد والأعياد .

وكان الاب يقضى معظم وقتـــه فى مناقشاته السياسية فى الحانات ، وينفق معظم نقوده على عشيقاته ، وكان كسولا يعمل فى فترات متقطعة ، ولكنه يكسب احترام الآخرين بامانته وشجاعته ، غير انه كان قاسيا فى تربية ابنائه يؤمن بالعقاب البدنى ، ويستخدم السوط فى تسيير شئون اسرته .

وقد نشأ بنيتو طفلا ميالا للشغب ، قلقا عدوانيا ، عنيدا ، تعلم النطق بصعوبة فى سن متاخرة ، وظل طيلة طفولته منطويا على نفسه ، ميالا للعزلة ، لا يبكى ولا يضحك ، ولا يصادق لداته من الأولاد ، ويقال ان ميوله العدوانية ظهرت فى وقت مبكر ، فكان ينزع ريش الدجاجات وهى حية ، ويفقأ عيون العصـــافير التى يصطادها ، ويخز الناس بالدبابيس فى الكنيسة كى يجعلهم يصيحون . قال يوما لامه « ساجعل الارض ترتجف منى فى يوم ما » !

ولم يستطع المدرسون فى مدرسة القرية السيطرة عليه ، فارسل الى مدرسة للآباء السالسيان فى مدينة فاينزا المجاورة ، ولكنه كره التعليم الدينى ، واثبت انــه اكثر عدوانية واستعصاء على السيطرة ، وطعن زميلا له بمبراة ، وهاجم احد الآباء لانه اراد تاديبه ، فطرد من المدرسة ، ولزم البيت بقية العام الدراسى يعلم نفســه بمساعدة امه ، ثم ارسل الى مدرسة اخرى لا يديرها القسس فى فورليمبوبولو وهناك ايضا هدد بالطرد اكثر من مرة بسبب شقاوته وتمرده .

غير أن موسوليني الى جانب عنفه ومشاكسته كان تلميذا ذكيا ، واستطاع اجتياز امتحاناته النهائية بدون مشقة وحصل فى عام ١٩٠١ على دبلوم يتيح له ان يكون معلما ، واشتغل بالفعل مدرسا تحت التمرين فى مدرسة جوالتيرى الابتدائية فى فورلى ، ولكنه سرعان ما تاكد ان مهنة التدريس لاتناسبه بسبب قلقه وطموحه ونفاد صبره ، فترك عملة كمدرس واطلق لبوهيميته العنان ، يتعاطى الشراب ، ويلعب الورق ، ويغير الصديقات ، وفى يونيو ١٩٠٢ قرر الفرار الى سويسرا هربا من الخدمة العسكرية ، والديون ، والعشيقات .

كان عندئذ فى التاسعة عشرة من عمره ، شابا قصيرا شاحبا ، بفك ضخم ، وعينين سوداوتين ثاقبتين ، كارها للبشر ، وعاش فى سويسرا مفلسا ، متشردا ، عاطلا ، مهملا ، ينتقل من عمل لآخر ، فاشتغل عامل بناء ، وصبى جزار ، ومناولا فى مصنع ، وكان يخالط المتشردين وينام فى المراحيض العامة وتحت الجسور ، وقيل انه شوهد يشحذ احيانا او يحاول الحصول على طعامه بالتهديد ، وقبض عليه اكثر من مرة بتهمة التشرد .

اقام موسوليني ثلاث ســــنوات فى سويسرا كانت بمثابة سنوات تكوينه الفكرى والسياسى ، ففيها بدات تظهر ميوله الثورية وموهبته فى الخطابة وإثـــــارة الخواطر ، وانتخب سكرتيرا لنقابة عمال البناء ، واتصل باوساط العمال الايطاليين المهاجرين الى سويسرا ، وببعض المنفيين الثوريين من روسيا ، وهؤلاء فتحوا له باب الأدب اليسارى ، فاخذ يقرا بكثرة وتنوع — وان يكن بدون عمق — لكانت ، وسبينوزا وماركس ، وكروتبكين ، ونيتشه ، وهيجل ، وكاوتسكى ، وسوريل ، كما استطاع ان يعلم نفسه الالمانية والفرنسية بالترجمة عنهما مباشرة .

وتزايد نشاط موسوليني ، فكان يخطب فى الأماكن العامة متحديا السلطات ، وداعيا العمال الى ما اســـماه « يـــوم الانتقام » ، فاعتقل وسجن اكثر من مرة فى برن ولوزان ، واخيرا طرد من سويسرا فى عام ١٩٠٤ ، فقصد إلى فرنسا حيث امضى عدة شهور هناك كان يتعيش خلالها من قراءة الطالع للناس كواحد من الغجر ، ثم غادر فرنسا سيرا على الأقدام واخذ يتجول فى المانيا والنمسا ، واخيرا عـــاد إلى سويسرا محاولا مواصلة حياته البوهيمية مرة اخرى ، وفى تلك الاثناء حوكم غيابيا فى ايطاليا وادين بتهمة التهــرب من التجنيد ، مما جعله يفكر فى الهجرة من اوربا باسرها إلى مدغشقر او امريكا ، ولكنه لم يلبث ان استفاد من عفو عام فعاد إلى ايطاليا وهو فى الثانية والعشرين من العمر حيث ادى الخدمة العسكرية ، وقرر ان يستقر فى وطنه .

«الجرامفون» المتحرك

امضى موسوليني ١٨ شهرا فى الخدمة العسكرية ، وبعد تسريحه اشـــتغل بالتدريس فى مدرسة ابتدائيـــة بقرية كولميتزو الجبلية بالقرب من الحـــدود





لقطة نادرة تمثل إبنة موسوليني اثناء زفافها من الكونت « جاليزو شيانو » الذي كان وزيرا .. ويرى موسوليني في يسار الصورة .. ثم لقطة نادرة اخرى بعد اعدام زوج ابنته بتهمة التآمر ضد موسوليني

النمساوية ، وكان عندئذ موضوعا تحت مراقبة الشرطة ، وفى نهاية العام لم يجدد عقده بسبب احتجاج اولياء الامور على سلوكه كمدرس حيث كان يعيش ، باعترافه « حياة من التدهور المعنوى » يهمل واجباته ، ويشرب كثيرا ، ويلقى خطبا نارية أمام النافورة فى ميدان القرية ، واصيب فى هذه المرحلة بالأمراض السرية التى تركت بصماتها على صحته إلى اخر حياته .

وعاد موسولينى إلى بريدابيو حيث اقام مع ابيه اليساندرو ـ بعد وفاة امه ـ فى بيته الجديد مع عشيقته وبنتيها ، وقد تزوج موسولينى صغرى هاتين البنتين ـ وتدعى راشيل ـ فيما بعد فى عام ١٩٠٩ وجدد اهتماماته السياسية بعد سنوات من الانقطاع ، فعاد الى العمل النقابى والصحافة الثورية والسياسة المتطرفة ، مما جعله يعيش سلسلة لا تكاد تنقطع من الاعتقال والسجن ، وهو امر لم يكن يبالى به ، اذ كان يعتبر السجن ضرورة لابد منها للتثقيف السياسى ، والعمل النضالى ، وتاثر خلال هذه الفترة بشدة بالفيلسوف الألمانى نيتشة ، صاحب مذهب القوة ، ووجد لديه تبريرا لحملته ضد الفضائل المسيحية كالتواضع وانكار الذات والرحمة والطيبة ، واخذ منه بعض عباراته التى اعجبته مثل « إرادة القوة » و « عش فى خطر » . كما ادهشته فكرة السوبرمان ذلك الانسان الاعلى الذى يتحدى الجماهير ويحتقر المساواة والديموقراطية .

وفى سن السادسة والعشرين ، حين كان يساعد اباه فى إدارة حانته ، اختارته « النوادى الاشتراكية » فى فورلى ليحرر صحيفة تصدرها من اربع صفحات اختار لها بنفسه اسم « صراع الطبقات » ، كانت هذه الصحيفة واحدة من مئات الصحف الاسبوعية الاشتراكية التى تصدر فى إيطاليا فى ذلك الحين وجميعها ذات توزيع محدود لا يتجاوز فى المتوسط الالف نسخة ولكنه استطاع خلال عامين ان يوسع من توزيعها ، ويجعلها واحدة من ابرز مثيلاتها فى انحاء البلاد .

وخلال هذين العامين نشط موسولينى كصحفى ومهيج سياسى ، وكان يصف نفسه خلال هذه الفترة بانه يشبه « الجرامفون المتحرك » فى نشر الدعاية السياسية ، وكان اكثر ما يسعده ان يدخل فى مشاجرات بدنية مع المخبرين السريين ، وان يخطب فى الاجتماعات السياسية الصغيرة ويصفق له الحاضرون ، ويؤكد انه من العبث تضييع الوقت فى الديموقراطية البرلمانية ، وان الوقت قد حان لوقف دراسة العالم والعمل على تغييره ، ويشن هجمات عنيفة على الكنيسة الكاثوليكية ، ويسمى القسس بالجراثيم السوداء ومسممى عقول الشباب وخدم الراسمالية ، ويصف الجيش بانه منظمة إجرامية هدفها حماية الراسمالية والمجتمع البرجوازى ، ويدعو الجنود الى التمرد على ضباطهم ، لان البروليتاريا لا وطن لهم ويجب ان يرفضوا الحرب لاسباب وطنية ، ويقول ان العلم الوطنى بالنسبة لنا مجرد خرقة فوق كوم من القمامة !

والغريب ان موسولينى غير افكاره هذه تماما فيما بعد سواء بالنسبة للدين ، او الوطنية ، او الحرب .

فى اكتوبر ١٩١٠ حضر موسولينى المؤتمر السنوى للحزب الاشتراكى فى ميلانو حيث شن حملة عنيفة داخل المؤتمر ضد الاتجاهات المعتدلة ، وطالب بنبذ الأساليب الديموقراطية ووسائل الاصلاح ، ودعا الى التمرد المسلح ، ولم يلبث ان انشق عن الحزب فى ابريل ١٩١١ مؤملا ان ينشىء حزبا جديدا اكثر ثورية كما فعل البلاشفة بانفصالهم عن بقية الاشتراكيين فى روسيا ، وحصل انشقاقه على تاييد محلى فى فورلى ، ولكنه لم يكسب له تاييدا عريضا فى ايطاليا . مما جعله يفضل العودة إلى الحزب على اساس ان افضل تكتيك هو تاكيد وحدة الحزب ومحاولة السيطرة عليه من الداخل من ايدى الاصلاحيين .

وفى هذه الفترة ، سبتمبر ١٩١١ ، قرر جوليتى رئيس وزراء إيطاليا فى ذلك الحين وزعيم اكبر الاحزاب الليبرالية فيها ، غزو ليبيا ، وشارك موسولينى مع كثير من الاشتراكيين المعتدلين والثوريين فى استنكار هذه الحرب العدوانية التى يراد بها ابعاد الانظار عن المشاكل الداخلية الملحة ،وهاجم بشدة فكرة الولاء الوطنى باعتبارها « خرافة واكذوبة » داعيا الطبقة

العاملة إلى انتهاز الحرب الليبية للثورة وإعلان حرب الطبقات ، بل حاول تنظيم تمرد ضد الحرب فى فورلى ، ودفع الجماهير إلى مهاجمة خطوط السكك الحديدية لتعطيل نقل الجنود ، ولكن أمكن إخماد تمرده بسهولة ، والقى القبض عليه وقدم الى المحاكمة ، وفى المحاكمة حاول موسولينى التنصل مما فعل ، فالقى اللوم على زملائه الآخرين ، وانكر مسئوليته عن دعوة الجماهير الى أعمال السلب والنهب والعنف ، وحاول ان يشرح للمحكمة ان الناس فى فورلى لا يحبونه ولا يأتمرون بأوامره وقليلون منهم يشترون صحيفته ، ونفى انه ضد الوطنية بل انه يعتبر نفسه وطنيا حقيقيا ، ورغم ذلك وجد انه مذنب وحكم عليه بقضاء بضعة اشهر فى السجن .

وبعد خروجه من السجن ، وبالرغم من موقفه المتخاذل اثناء المحاكمة ، جدد موسولينى هجومه ضد « التدريجيين » وكل العناصر التى تؤيد الحرب الاستعمارية لجوليتى ، أو تفضل الأساليب البرلمانية على الثورية ، وتمكن بالفعل من طرد بيسولاتى زعيم المعتدلين من الحزب لانه هنأ الملك فيكتور عمانويل بنجاته من محاولة اغتيال ، وبذلك انتصرت العناصر الثورية داخل الحزب بزعامة موسولينى ، ودعم سلطته فى الحزب الاشتراكى كله .

وبعد أربعة أشهر من طرد بيسولاتى خلا منصب رئيس تحرير صحيفة الحزب الاشتراكى الرئيسية « افانتى ! » ، فقام زملاؤه فى اللجنة التنفيذية للحزب بتعيينه رئيسا للتحرير ، وكانت هذه ضربة حظ للصحفى الشاب الذى لم يعمل من قبل فى جريدة يومية كبرى ، فاذا به يرأس تحرير واحدة من أكبر الصحف الايطالية .

واستطاع خلال هذا المنصب الذى تولاه عامين كاملين (١٩١٢ ـ ١٩١٤) ان يدعم مركزه كواحد من زعماء الحزب البارزين ، وأن يزيد من شهرته بين القراء وجمهور الحزب ، كما استطاع ان يضاعف من توزيع الصحيفة التى كان يديرها بمركزية مطلقة بعد أن مزق عقود بعض كبار كتابها وصحفييها .

وفى ذلك الوقت بدأت سحب الحرب تتجمع فى أوربا ، واخذت كل دولة تستعد لتسليح نفسها ، فهاجم موسولينى بقوة سياسة جوليتى فى تسليح ايطاليا انطلاقا من خطه السياسى وخط حزبه وصحيفته الذى هو ضد العسكرية ، وضد الوطنية ، وضد الامبريالية ، كتب مرة يقول «فلنتوقف عن الحديث عن البوارج والمعسكرات والمدافع فى الوقت الذى تحتاج آلاف القرى الايطالية . المدارس والطرق والكهرباء والأطباء ولا تزال تحيا ماساويا دون الحد الأدنى من الحياة المتمدينة » .

وأدت الحملة القوية ضد الحرب ، وضد الحكومة ، إلى نزول ملايين المتظاهرين فى الشوارع خلال ما عرف « بالأسبوع الأحمر » فى يونيو ١٩١٤ ، ولكن موسولينى ـ الذى كان يتقاعس دائما عند العمل الجدى ، أحجم عن المشاركة فى « الثورة » ، ولزم مكتبه ، مما عرضه لانتقادات حادة من زملائه لم ينقذه منها إلا حادث مصرع الأرشيدوق فرديناند ولى عهد النمسا فى سيرا جيفو مما أشعل الحرب الكبرى فوراً .. النمسا والمانيا ضد فرنسا وبريطانيا وروسيا .

ودعا موسولينى الى « الحياد مهما كان الثمن » ووصف التدخل فى الحرب بأنه « جريمة لا تغتفر » ، وان الحرب مصلحة برجوازية ، ويجب على الطبقة العاملة ان لا ترفض القتال في الحرب فحسب بل ان تستغل فرصة الحرب للثورة ضد حكوماتها .

وظل موسولينى محافظا على هذا الخط عدة أشهر ، ثم فجأة بدأ موقفه يتذبذب : يمكن التدخل فى الحرب فى ظروف معينة ، وإذا دخلت إيطاليا الحرب على الطبقة العاملة ان لا تثور ضد حكومتها ولكن يحسن ان تقف سلبية ، عين فى الجنة وعين فى النار ، وشعر الحزب والقراء بتناقض مواقفه ، ولكنه ظل ينكر ذلك محاولا إمساك العصا من منتصفها ، وفجأة في ١٨ اكتوبر عام ١٩١٤م ، وبدون اخذ راي الحزب او حتى زملائه فى تحرير الصحيفة كتب موسولينى افتتاحية أعلن فيها انه كان على خطأ ، وان الواجب تأييد الحرب ، فلا يمكن ان يبقى الاشتراكيون بمعزل عن هذه المأساة الكبرى التى تجتاح اوربا ، ثم ان الحروب كما يقول ماركس تتلوها الثورات الاجتماعية ، فالحرب اذن سوف تقرب يوم الخلاص ، كما ان هزيمة فرنسا ستكون ضربة مميتة للحرية فى أوربا ، وبدأ يكتب المقالات ويلقى الخطب التى تؤيد دخول الحرب بنفس القوة التى كان يعارضها بها !

ووقع هذا الموقف كالصاعقة على رءوس زملائه ، فاجتمعت اللجنة التنفيذية للحزب الاشتراكى لمساءلته ، وقدم موسولينى استقالته من « افانتى ! » ، وثار ضده الحزب الاشتراكى ووصفه بأنه « خائن » و « نذل » و « قاطع رقاب » واتخذ قرارا بفصله .

وهكذا ترك موسولينى الحزب الاشتراكى الايطالى الى غير رجعة ، واستطاع بمساعدة ناشر يؤيد الحرب ضد النمسا أن يتولى تحرير صحيفته « إل بوبولو ديتاليا » فى نفس الأسبوع الذى غادر فيه « افانتى ! » ، وفيها أعلن خطه الجديد : « من الآن فصاعدا نحن جميعا إيطاليون ، ولا شيء سوى ايطاليين ، الآن وقد واجه الفولاذ الفولاذ تخرج من قلوبنا صيحة واحدة : تحيا ايطاليا (فيفا ديتاليا) وهى الصيحة التى أصبحت هتاف الفاشية فيما بعد .

الصعود إلى القوة

بدأت الأموال تتدفق على موسولينى وصحيفته من جهات كثيرة ، من الدول المحاربة التى تريد زج إيطاليا معها فى الحرب ، وهى فرنسا وانجلترا والولايات المتحدة ، ومن كبار الصناعيين الايطاليين الذين يستفيدون من دخول ايطاليا الحرب كمصانع فيات وغيرها من مصانع انتاج الأسلحة ، ومن كبار ملاك الأراضى ، اى باختصار نفس القوى التى كان يعتبرها أعداءه اللدودين منذ فترة قصيرة ، بل ومن الحكومة الايطالية نفسها ، وبدأت تتغير بالتالى حياة موسولينى الخاصة ، فبعد ان كان يعيش على الكفاف فى منزل قديم هو وزوجته وابنتاه ، أصبح يقيم فى مسكن كبير جديد ، ويغشى المطاعم الأنيقة فى ميلانو .

وظهر العدد الأول من صحيفة « ال بوبولو ديتاليا » فى ١٥ نوفمبر ١٩١٤ ، وكانت لا تزال تدعى الاشتراكية ولكنها تؤيد الحرب بحجة انها تمهد الطريق إلى الثورة ، ولكن موسولينى لم يلبث ان ازداد اقترابا من الوطنيين ، فأخذ يطالب بحق ايطاليا فى الاستثمار الخارجى ، وفى استعادة اراضيها المفقودة فى تريستا وفايوم وحدود الالباين ، وكتب يقول « لقد حان الوقت كى يثبت الايطاليون للعالم انهم محاربون وليسوا طلاب متعة كما يتهمهم العالم » .. وهكذا اهتدى

موسولينى فى النهاية إلى نغمته الحقيقية !

وعكف موسولينى بنفسه على كتابة « مانيفستو » للحركة الوطنية او الفاشية التى يحلم بها تنازل فيه عن فكرة « صراع الطبقات » الماركسية ، واستبدل بها تكريس الأمة كلها لتحقيق الهدف الوطنى ، وأصبح بطله الجديد هو ما تزبني بطل القومية الايطالية الذى كان يحلم بحرب وطنية تستعيد بها ايطاليا وحدتها وحدودها الطبيعية القائمة على الجنس واللغة .

ودخلت إيطاليا الحرب إلى جانب فرنسا وانجلترا وروسيا وضد المانيا والنمسا .. وتطوع موسولينى فى الجيش فى سبتمبر ١٩١٥ .

شارك موسولينى فى الحرب عامين ، ويقول خصومه ان اداءه فيها لم يكن مرضيا ، اما هو فقد اخترع فى مذكراته كثيرا من قصص البطولة التى قام بها فى الهجمات الامامية على مواقع النمسويين ، منها انه كان يلتقط قنابل الأعداء المتساقطة قبل ان تنفجر ويلقيها عليهم مرة اخرى فتنفجر وتبيد منهم العشرات !

وترقى موسولينى ، مثل هتلر ، إلى رتبة « جاويش » ولكنه فى فبراير ١٩١٧ اصيب اثناء تدريب على القاء القنابل وترك الجبهة للعلاج ، وقد زعم فى مذكراته ان الحرب بدات تسوء بالنسبة لايطاليا منذ ترك هو الجبهة ، وفى يونيو ١٩١٧ سرح من الجيش وعاد إلى رئاسة تحرير « ال بوبولو ديتاليا » .

وتوالت هزائم الجيش وبخاصة هزيمة « كابوريتو » المهينة فالقى موسولينى اللوم على القادة والسياسيين لا الجنود ، وشن هجوما عنيفا على رئيس الوزراء الجديد اورلاندو ، وبدات تتبلور لديه فكرة ان ما تحتاجه ايطاليا دكتاتور حازم يلقى بالبرلمان جانبا ويحول البلاد الى دولة عسكرية من الطراز الاول ، واخذ يطالب باغلاق جميع الصحف المستقلة والحزبية على اساس انها تشوش افكار الناس وان ما تحتاجه البلاد الآن ليس النقد وانما النظام .

وفى اواخر الحرب انتقل موسولينى من تصوير الحرب بانها حرب تحريرية تخوضها ايطاليا إلى المطالبة بالتوسع فى الخارج بضم تريستا والتيرول الايطالى وفايوم ومعظم دالماتيا ، واعلن ان يوغوسلافيا ينبغى النظر اليه كعدو لا كحليف ، ويعتبر البحر الادرياتيكى والبحر المتوسط بحارا ايطالية .

وفى اكتوبر ١٩١٩ احرزت ايطاليا نصرا مبرزا فى « فيتوريو فينتو » ، وفى اعقابها انتصر الحلفاء وانتهت الحرب العالمية الأولى ، ووصف موسولينى نصر فيتوريو فينتو بانه « اعظم انتصار فى التاريخ العالمى » !

وبعد الحرب حرص موسولينى على عدم التحالف مع اية قوة سياسية قائمة حتى لا يساعد اى حزب للوصول الى الحكم ، كما حرص على عدم الالتزام باى مذهب سياسى متكامل بل اخذ يستفيد من كل الأفكار حسب ما يحقق مصلحته ، فهو ينسج ما بين الاشتراكية والوطنية والدولية والعلمانية والدينية ، ويحاول ركوب موجة فوضى ما بعد الحرب ، من تضخم وتوقعات وتسريح للجنود ، فكان يدعو الى انتعاش الطبقة الوسطى مع عدم اهمال الطبقة العاملة ويسمى نفسه « رجل كل الفصول » او «المغامر على كل الطرق» واخذ يغازل الطبقات الراسمالية دون ان يقطع علاقاته الشخصية بالاشتراكيين ، وكانت الصعوبة الرئيسية التى تواجهه هى كيف يمكنه رفع شعارات معادية للراسمالية تجتذب له تاييد الجماهير وفى نفس الوقت يحافظ على شهرته فى الأوساط السياسية كمعاد للاشتراكية ليضمن تاييد الأغنياء ويحصل على مساعدات مالية لجريدته .. كان عليه ان يركب حصانين متعارضين فى نفس الوقت !

وبدات تتشكل لدى موسولينى نواة الحزب الذى يؤيد أفكاره الطموحة ، وفى ٢٣ مارس ١٩١٩ دعا موسولينى انصاره الى اجتماع عقد فى قاعة قدمها له رجال الأعمال فى ميدان سيبولكرو بميلانو ، وحضر الاجتماع التاسيسى للحزب حوالى ٢٠٠ شخص ينتمون إلى مختلف الاتجاهات ، من الجمهوريين المنشقين ، والفوضويين ، والنقابيين ، والاشتراكيين الساخطين ، والشيوعيين ، والوطنيين ، والكاثوليك ، والليبراليين ، والجنود المسرحين ، لمناقشة تكوين « قوة جديدة فى السياسة الايطالية » ، واطلق موسولينى على هذه القوة الجديدة اسم «فاشى دى كومباتيمنتو» اى «عصابات المحاربين » ، وكلمة « فاشيو » تعنى «عصبة » باللغة الايطالية .

وكان يشارك فى الاجتماع بعض المحاربين القدماء المنضمين الى حركة تسمى « أرديتى » تؤمن بالعنف ، وقد قام هؤلاء فى ١٥ ابريل بمهاجمة مكاتب الصحيفة الاشتراكية « افانتى ! » ومطابعها وحطموها تماما ، وقد سمى موسولينى هذا الهجوم بعد ذلك بانه كان بداية الحركة الفاشية .

وركز موسولينى الذى اصبح يتخذ لقب « الدوتشى » اى الزعيم ، على تكوين جيش خاص من عدة مئات من « الارديتى » كانوا نواة فرق القمصان السود فيما بعد ، واخذ يظهر فى اجتماع بعد اجتماع يحيط به المؤيدون يرتدون القمصان السود كشعار يميزهم ، وخطف موسولينى انظار الجماهير بشكله المميز ، وطريقته فى الخطابة ، ونبرات صوته القوية وبالرغم من أن طريقته كانت مسرحية ، واراؤه متضاربة وغامضة ، والحقائق التى يسوقها خاطئة ، وهجماته عنيفة وسيئة التوجيه ، الا ان شخصيته المغناطيسية كانت تترك انطباعا قويا على سامعيه .

ولم تلبث ان اصبحت ظاهرة عامة ان تذرع العصابات الفاشية الطرق فى المدن والقرى فى كل انحاء ايطاليا تنشد الاناشيد الوطنية ، وتهتف بالشعارات القومية ، وتلوح باعلام عليها الرموز الرومانية القديمة ، تهاجم الشيوعيين والاشتراكيين والمتعاطفين معهم ، وتكسب مزيدا من الانصار خاصة من الطلبة والشباب والعاطلين ، وخلقت هذه العصابات جوا من التوتر والفوضى فى إيطاليا فى محاولتها تهيئة الجماهير لظهور الدكتاتور الذى فيه كل الشفاء لامراض الامة ، وكان يراس كل عصابة زعيم محلى يلقب « بالراس » وهى كلمة ماخوذة من الحبشية تعنى الراس او القائد ، وكل « راس » اقرب الى « البلطجى » منه الى الزعيم السياسى ولم يكن يربط بينهم فكر موحد ، فيمكن ان يكون احدهم فى اقصى اليمين ، والاخر فى اقصى اليسار ، احدهم جمهورى والاخر ملكى ، بعضهم ضد الكنيسة واخرون معها، بعضهم مجرد فتوات وبلطجية لا تهمهم السياسة برمتها ، واخرون مثاليون يريدون باخلاص تجديد الحياة السياسية فى البلاد ، وتجلت مهارة موسولينى فى قدرته على تراس هؤلاء جميعا رغم اتجاهاتهم المتنافرة . ولكنه لم يلبث ان أدرك أن مركز الثقل فى الحركة يتجه تدريجيا من اليسار الى اليمين ، فاخذ يساير هذا الاتجاه ويتنازل عن عدائه للكنيسة ودعوته للتاميم واعترف انه فى بعض الاحيان كان يستفيد

موسوليني والحركة الفاشية

لذا وصف بالرجعية والامبريالية .

وفى سبتمبر ١٩١٩ قام الشاعر جابرييل دانتزيو ، احد اقطاب الحركة الفاشية ، على رأس مجموعة ثائرة من الارديتى وذوى القمصان السود بمهاجمة فايوم التى يطالب بها الفاشيون فى الادرياتيك واحتلوها ، ووقف موسولينى بعيداً مما جعل دانتزيو يتهمه بالجبن ، ولكن من الحملة على فايوم ولدت فكرة الزحف على روما التى قام بها الفاشيون بعد ذلك وحملتهم الى الحكم فى عام ١٩٢٢ .

وحتى لا نستبق الاحداث ، يجب ان نذكر ان الحزب الفاشى الذى يتزعمه موسولينى خاض حملتين انتخابيتين ، الأولى فى نوفمبر ١٩١٩ وقد دخلها موسولينى ببرنامج يسارى معاد للكنيسة وفشل فيها فشلا ذريعاً امام المرشح الاشتراكى الذى حصل على اصوات اكثر منه باربعين مرة ، كما لم ينجح اى مرشح فاشى اخر مما جعل موسولينى يقول انه يفضل استخدام القنابل والمدافع بدلا من بطاقات الانتخابات ضد خصومه ، وقد كادت هذه الهزيمة تقضى على مستقبل الحركة الفاشية فى بدايتها ، فتركها الكثيرون من الانصار حتى اقتصرت عضويتها على اقل من ٤٠٠٠ عضو فى كل انحاء ايطاليا فى اواخر عام ١٩١٩ ، بينما احرز الاشتراكيون نصراً كاسحا فاصبح لهم ٣٠٠ نائب فى البرلمان الذى يضم ٥٠٠ عضو ، مما اخاف المحافظين فى كل انحاء ايطاليا ودفعهم الى تاييد العصابات الفاشية ، وفى الانتخابات العامة التالية التى اجريت فى مايو ١٩٢١ دخلها موسولينى هذه المرة متحالفاً مع الحكومة ، وكان هذا التحالف مفيداً للجانبين ، إذ بث الفاشيون حالة من الرعب ضد خصوم الحكومة فى حين سبغت السلطات حمايتها على العصابات الفاشية ، فكان البوليس يعيرهم سياراته والجيش يسرب لهم الأسلحة ، والقضاة يميلون الى تبرئتهم ، مما مكن الفاشيين من الحصول على ٣٥ مقعداً فى انتخابات ١٩٢١ ، اى حوالى ٧٪ من مقاعد البرلمان ، وهم الذين لم يحصلوا على مقعد واحد فى انتخابات ١٩١٩ ، كما فاز موسولينى شخصيا بعضوية البرلمان ، وبهذا اصبح يتمتع بالحصانة البرلمانية وصار فى مأمن من القبض والاعتقال . واسقطت ضده تهمة كان سيحاكم بمقتضاها قريبا وهى محاولة قلب نظام الحكم بالقوة .

وفى أول جلسة للبرلمان الجديد اعلن موسولينى انه هو وانصاره سيصوتون الى جانب المعارضة ، مسقطا بذلك تحالفه مع الليبراليين بعد أن حصل منهم على كل ما يريد !

وكنائب برلمانى كان موسولينى قليل التحمس للبرلمان ، فهو لا يحضر جلساته بانتظام ، ولا يشارك فى المناقشات ، كما كانت طريقته فى الخطابة الجماهيرية التاجيجية لا تناسب البرلمان ، ولم يكن له برنامج محدد ، بل يحاول أن يخاطب فى نفس الوقت الارستقراطيين والديموقراطيين ، والثوريين والرجعيين ، العمال واصحاب الاعمال ، دعاة السلم ودعاة الحرب ، مما جعله مثالا مجسداً للانتهازية السياسية ، ولكنه لم يكن يهتم بالهمسات ونظرات الازدراء ، ومضى فى تحقيق انجازه الاكبر وهو تكوين واستكمال الفرق الفاشية شبه العسكرية حتى اصبح يفخر فى اواخر عام ١٩٢١ بان تحت إمرته ٤٠٠ الف رجل مسلح ، وهو تقدير مبالغ فيه بدون شك ، ولكن الهالة كانت قد نسجت حوله بالفعل ، فهو يتحرك فى اى مكان وحوله عدد من البلطجية لابسى القمصان السود يحيطون به كالسوار حول المعصم ، وحملات الارهاب التى يقوم بها رجاله والتى احيانا ما تصل الى حد القتل تخيف المعارضة الاشتراكية ، والحكومة تتسامح ازاء جرائمه ، والماليون الاثرياء يغدقون عليه الأموال لضرب اليسار ، ولم يعد يخفى انه ينوى استخدام جيشه الخاص فى الوصول الى الحكم .

وبدا موسولينى يتحدى الحكومة ويختبرها فى نفس الوقت ، فامر عصاباته بالتظاهر والقيام باعمال الشغب فى المدن الايطالية ، وبرز فى هذا النشاط « راس » يدعى بالبو انضم للحركة الفاشية مؤخراً وسرعان ما اثبت انه الارهابى المطلوب الذى يحوز اعجاب الزعيم . وكان هذا البلطجى الذى يبلغ من العمر ٢٥ عاما يسير على راس طوابيره المسلحة عبر مقاطعتى رافنا وفيرارا مخلفا وراءه طابورا طويلا من الخراب والموت ، ولما كانت اهدافه الرئيسية هى صحف المعارضة والادارات الاشتراكية وممتلكات نقابات العمال لذلك تحمست له بعض السلطات العامة واخذت تمده بالمال والمتفجرات والمدافع الرشاشة .

وفى اغسطس ١٩٢٢ دعا الاشتراكيون الى اضراب عام احتجاجا على خرق القانون والنظام ، فسارع موسولينى الى استغلال الموقف ، واعلن ان حركته ضد الاضراب ، وامام عجز الحكومة راح الفاشيون يتصدون للمضربين ، مما اعطاهم قيمة متزايدة فى نظر المحافظين ، وفجاة تحول موسولينى من خارج على القانون الى مدافع عنه ، واستغل الفرصة لمهاجمة وتحطيم مطابع الصحف الاشتراكية ، وعندما تمكن فى النهاية من سحق الاضراب كان قد قضى على معنويات الاشتراكيين فى نفس الوقت الذى اظهرت الحكومة عجزها المطلق .. واصبح موسولينى سيداً للموقف .

فى ذلك الوقت كان براس الحكومة لويجى فاكتا ، وهو اخر رئيس وزراء ليبرالى يحكم ايطاليا قبل مجىء موسولينى الى الحكم ، وكان فاكت سياسيا ضعيفاً لاوزن له اختير لرئاسة الوزارة فى فبراير ١٩٢٢ كحل وسط لعجز الزعماء الليبراليين ـ بسبب ما بينهم من تمزق وحسد ـ عن تكوين حكومة ائتلافية قوية تتصدى للقوى المعادية فى ايطاليا فكانت مزيجاً من الخوف والسخط والياس ، وكان الكثيرون يخافون من حديث الاشتراكيين الذين لا ينقطع عن الثورة ويرون موسولينى اقل شرا ، وما دروا ان خطر الثورة من اليمين كان هو الاقوى والاشد !

فى ١٦ اكتوبر ١٩٢٢ عقدت الزعامة الفاشية اجتماعا سريا اقرت فيه فكرة التمرد ، وتبلورت الفكرة فى اجتماع شعبى ضخم عقده الفاشيون فى نابولى يوم ٢٤ اكتوبر بعد أن انهمرت وفودهم على المدينة من كل انحاء ايطاليا ، والقى موسولينى فى هذا المؤتمر الشعبي الفاشى الذى ضم ٤٠ الفا من الانصار خطابا عنيفا صور فيه الفاشية على انها الضمان الوحيد للمال والقانون فى ايطاليا واعلن «اما أن تعطى لنا الحكومة أو اننا سوف نستولى على السلطة بالزحف على روما» ، واستجابت الجماهير الفاشية لتاثيره الخطابى وهتفوا فى صوت رجل واحد «الى روما .. الى روما»

كان هذا تحذيرا صريحا بالخطر الفاشى الوشيك ، ونقل فوراً وبوضوح الى الحكومة فى روما ، ولكن الحكومة برئاسة فاكتا لم تفعل شيئا بسبب انقسامها الداخلى ، ورفض فاكتا طلبا من الجنرال بوجليز قائد الجيش فى روما باعلان الاحكام العسكرية ، وفى نفس اليوم كان الفاشيون يتظاهرون فى نابولى وميلانو ويدمرون اجهزة وممتلكات خصومهم ويحتلون مكاتب

ARCHIVE http://archive.sakhrit.com

التليفون والتلغراف والادارات الحكومية ولا من يتصدى لهم ، وقرر موسولينى والزعماء الفاشيون الاخرون الزحف الى روما خلال اربعة ايام على أن يتم الزحف باربعة طوابير براس كل منها زعيم فاشى لم يكن موسولينى بينهم بل يقال انه ابدى ترددا ونزوات وذبذبة فى هذه اللحظة الحرجة جعلت الزعماء الآخرين يهددون بان الزحف سيتم سواء به او بدونه .

والحقيقة ان موسولينى كان حتى هذه اللحظة يامل فى حل وسط ، وكان لايزال على اتصال بعناصر خارج المعسكر الفاشى للبحث عن مخرج ، ويراوغ الزعماء الفاشيست المتحمسين الآخرين وهم يحاولون اقناعه بالزحف الى روما للاستيلاء على السلطة التى كانت فى متناول يده ، ولكنه عاد الى ميلانو ورفض ان يتحرك قبل أن يستدعيه الملك فيكتور عمانويل الثالث كتابـــة ، ويبـــدو ان موسولينى كان ادرى من غيره بعدم قدرة قواته السيئة التسليح والتنظيم على مواجهة الجيش اذا قرر التدخل .

ولكن الحكومة لم تفعل شيئاً ، بل قدم فاكتا استقالته ودعى سالاندرا الى تكوين وزارة جديدة يشترك فيها موسولينى . وهكذا تحول الفاشيون من خارجين على القانون إلى اعضاء منتظرين فى الوزارة ، وتشجع موسولينى بهذا الموقف المتخاذل من جانب روما فرفض عرض سالاندرا على اساس انه يستطيع الآن ان يحدد الثمن الذى يطلبه ، فانسحب سالاندرا بعد ان نصح الملك ان يعهد الى موسولينى نفسه بتاليف الوزارة واخذ الملك بالنصيحة ، واصدر فى صباح ٢٩ اكتوبر امرا بتعيين موسولينى رئيسا للوزارة .

كانت هذه هى الكلمة التى ينتظرها موسولينى ، ومع ذلك لم يبد راضيا ، فهو يريد شيئا اكبر من التعيين الملكى ، يريد ان يخلق أسطورة انه دخل روما مظفرا على صهوة حصانه ، وعلى راس ٣٠٠ الف من الفاشيين المسلحين ، واعطى الاوامر لقواته بالفعل بالزحف الى روما .

والحقيقة ان القوات الفاشية التى كانت مستعدة للقيام بالمسيرة لم تكن تعدو ٣٠ الف معظمهم لا يملكون اسلحة نارية على الاطلاق . ولم يكن فى امكانهم بالتاكيـــد الصمود امام حامية روما باسلحتها الاتوماتيكية ، ولكن الجنرال بوجليز كان قد ارغم على اصدار اوامره لقواته بعدم التعرض للمسيرة ، ومع ذلك فقد ظهرت فيما بعد خرافة ان الفاشيين اقتحموا روما منتصرين بعد ان سقط منهم ٣ الاف شهيد كما ذكرت كتب التاريخ الحكومية بعد ذلك ، والحقيقة ان عدد القتلى لم يكن يزيد على اصابع اليدين .

وفى صباح ٣٠ اكتوبر . وكانت طلائع المسيرة قد وصلت الى مشارف روما ، فكر موسولينى ان يستقل السيارة الى خارج المدينة حيث ينزل فيها ويركب الحصان ليدخل به روما تحيط به كوكبة من حرسه ذوى القمصان السود . ولكنه لم يلبث ان تخلى عن هذه الفكرة خشية ان يبدو مضحكا ، واستقل بدلا من ذلك القطار ، وفى نفس اليوم كان موسولينى يقدم قائمة باسماء وزارته الى الملك ، فكان بذلك اصغر رئيس وزراء فى تاريخ ايطاليا ، ٣٩ عاما .

وفى هذه الاثناء كانت قوات موسولينى قد دخلت روما واخذت «تعمل» ، فهاجمت صحف الليبراليين وارغمت محرريها على تعاطى «الدواء الفاشى» وهو زيت الخروع الذى كانوا يصبونه فى حلوق الخصوم واقتحمت دور الصحف والمكتبات الاشتراكية ، ونهبت بعض المتاجر وبيوت الخصوم السياسيين ، وارغمت السفارات الاجنبية على رفع العلم الايطالى ، وسويت بعض الخصومات الشخصية والحسابات القديمة مما ادى الى مقتل عدد من الأشخاص ، وقد اسف الفاشيون فيما بعد لأن عدد القتلى كان قليلا .

ولكن رد فعل ايطاليا على هذه المأساة الهزلة كان مواتيا ، فبالرغم من هبوط الليرة الايطالية بشدة فى البورصات الأجنبية إلا ان سوق الأوراق المالية فى ايطاليا انتعشت ، وابرق ماركونى بتهنئاته من مختلف انحاء البلاد ، واعرب جوليتى وسالاندرا اكبر زعيمين ليبراليين عـــن رضائهما ، حتى اليسار المتطرف لم يكن على استعداد للمقاومة لانه كان ينتظر منذ سنوات انهيار الحكومة الليبرالية كخطوة ضرورية لانتصار الثورة الاشتراكية ، اما اليمين فقد راى فى انتصار موسولينى سدا للطريق فى وجه اليسار ، وساد شعور بان الفاشية هى البديل عن الفوضى (مع ان الفاشية كانت من أهم عوامل واسباب الفوضى) ، وهكذا قامت مسيرات الابتهاج فى روما ، وخرجت الجماهير الى الشوارع تعلن ابتهاجها وتلوح بالأعلام الفاشية .. وخليت محلات الأزهار من الزهور ..

وسادت حمى من السعادة ، وشعور بالتفاؤل بان ايام سوء الحكم قد ولت !

موسولينى يدعم سلطته ويقضى على خصومه

ولكن بالرغم من ان موسولينى حصل على السلطة بالقوة إلا انه زاولها بتعقل ! فقد حرص منذ تعيينه رئيسا للوزراء على ان يثبت انه ليس زعيما للقمصان السود فحسب وانما لايطاليا كلها ، وكان عليه ان يعالج الموقف بحكمة وحذر خاصة ان له ٣٢ نائبا فقط فى البرلمان ،

وقدم للملك قائمة من الوزراء معظمهم ليسوا من اعضاء حزبه ، فكانت وزارته ائتلافا يضم اقلية من الفاشيين الى جانب الكاثوليك والحزب الوطنى وممثلى معظم الاتجاهات الليبرالية ، ولم يكن احد فى الواقع يرفض دعوة موسوليني له للاشتراك فى الوزارة ، حتى الاشتراكيين وافقوا على التقدم بوزير لولا ان موسولينى تراجع من تلقاء نفسه وقرر استبعادهم نهائياً .

كما استبعد موسولينى من وزارته كل زملائه من الزعماء الفاشيين البارزيين رغم ضيقهم الشديد بذلك ، فقد كان يريد ان يتخلص من اى شخص يشعر بالفضل عليه او يخشى خطره ومنافسته فى المستقبل ، واكثر من ذلك فقد حل قواته غير النظامية بعد أن اصبح يمكنه الآن الاعتماد على قوات الدولة من جيش وشرطة إذ كان يشعر ان اكبر خطر يتهدده يمكن ان ياتى من «الراسات» الذين ساعدوه يوما على الصعود الى القوة ، وتولى بنفسه اهم وزارتين وهما الخارجية والداخلية واتخذ مقرا له فندقا فاخرا كان يبدو فيه بملابسه العسكرية الفاشية وحوله حرسه من القمصان السود كشيء لايمت الى المكان !

وفى اول خطاب القاه فى البرلمان يوم ١٦ نوفمبر ، اى بعد اسبوعين من مجيئه الى السلطة ، شن هجوما عنيفا على البرلمان ، وهدد النواب بان فى إمكانه ان يحكم بدونهم معتمدا على الثوريين الفاشيست «فى إمكانى ان احول هذه القاعة الرمادية الى معسكر مسلح للقمصان السود ، وفى إمكانى ان اغلق ابواب البرلمان بالمسامير !» ولكنه لن يفعل ذلك ــ الآن على الاقل ــ ويطلب بدلا من ذلك من البرلمان سلطات كاملة لمدة عام لإدخال التغييرات اللازمة على القانون .

وقد لاحظ بعض المؤرخين ان كرمويل شن من قبل مثل هذا الهجوم على البرلمان فى داخله ، ولكنه على الاقل قوبل

بمعارضة برلمانية شديدة ، اما فى حالة موسولينى ، فمن الطريف والعجيب معا ان هذه الخطبة لم تغضب السادة النواب فالليبراليون تصوروا ان احتقار موسولينى وغضبه موجهان الى اليسار ، واليساريون تصوروا العكس تماما وصفقوا لكثير من ملاحظاته التى اعتبروها مهينة للمؤسسات الدستورية الليبرالية ..

وتعاقب الخطباء على منبر البرلمان يشيدون بانقاذ موسولينى للبلاد ، وطالبه البعض بان يذهب ابعد من ذلك ويفرض دكتاتورية مطلقة ، واخيرا وافق البرلمان بمجلسيه على منح موسولينى السلطات التى طلبها لمدة عام ، وهى سلطات مطلقة لاصدار مراسيم القوانين ورفع الضرائب بدون موافقة البرلمان ، وبعد انتهاء الجلسة سارع النواب الذين تخلوا عن حقوقهم الدستورية بهذا النحو المشين الى الالتفات حول موسولينى لتحيته ومصافحته والتقاط الصور التذكارية .

ومع ذلك ظهرت أصوات معارضة داخل البرلمان بمجلسيه وفى الخارج ، بالاضافة الى اضطرابات المدن التى كان معظمها من انصاره الذين يريدون ان يفرضوا سيطرتهم المطلقة ويحصلوا على جزائهم بايديهم ، وادرك موسولينى بغريزته ، او بفطرته التى فطر عليها منذ الطفولة ان تدعيم سلطاته يتطلب فرض حكم من الرعب والارهاب حتى لا تتاكل هيبته والآمال المعقودة عليه ، وهكذا بدا جو من الارهاب يسيطر على البلاد ، فقتل ثلاثة من نواب المعارضة بايدى عناصر فاشية مجهولة ، وتعرض اكثر من خمسين اخرين للضرب المبرح امام المارة فى وضح النهار ، واغتيل عدد من السجناء السياسين داخل سجونهم ، واجبر عدد لايحصى من السياسين والنقابيين والصحفيين على شرب زيت الخروع الممزوج بالبترول لدرجة قاتلة احيانا ، وخلال السنة الأولى من هذا الحكم القاسى كانت الصحف تذكر ما لايقل عن خمس حالات عنف فى المتوسط كل يوم بخلاف مالا تنشره اصلا ، ولكن معظم المعتدى عليهم كانوا لايلجاون الى السلطات او القضاء ، فهم يعلمون أن السلطات عاجزة أو موالية لموسولينى والقضاة يؤثرون السلامة ويتورعون عن الحكم على المعتدين ، اما اعنف ضربات موسولينى فكان يدخرها للعناصر الفاشية المنشقة عليه او هؤلاء الذين يكشفون اسرار الارهاب والفساد الفاشى ، أو الذين يهربون الى الخارج ليقولوا للاجانب ماذا يحدث فى ايطاليا ، فهؤلاء كان موسولينى يتعقبهم دون هوادة ، ويرسل وراءهم فرق القتل لاصطيادهم فى البلاد الأجنبية .

اما الصحافة فقد لقيت منه اهتماما خاصا ، كيف لا وهو يعتبر نفسه صحفيا ؟! فلم يمنع الصحف من الصدور ولكنه كان يصادر الكميات المطبوعة منها ويحرقها ، ويحرم الصحف التى لايرضى عنها من الاعلان ، ويهدد محرريها ، ويصادر ممتلكاتها فتتراكم عليها المتاعب المالية وتعلن افلاسها ليستولى عليها الفاشيون ويديرونها لحسابهم ، وقد ضرب مرة رئيس تحرير «جورنال ديتاليا» حتى ارغمه على توقيع استقالته ، وزج بعشرات الصحفين فى السجون والمعتقلات ، وفرض الرقابة على الصحف ، وانفق أموالا ضخمة من دافعى الضرائب على اصدار صحف يومية لايقرأها احد ، ولكنه كان يفخر بان هوايته قراءة مئات الصحف كل يوم (قال مرة انه يقرا ٣٥٠ صحيفة يوميا) «كى يضع اصبعه على نبض الجماهير» متناسيا انه انما يقرا الانباء والتعليقات التى «يفبركها» مكتب الصحافة التابع له !.

والواقع ان موسولينى لم يخف عزمه على ان يصبح دكتاتورا وزعيما اوحد ، واعلن ذلك صراحة دون مواراة ، وركز فى خطبه على ان الناس قد ضاقوا ذرعا بالحرية وأن ما يطالبون به هو تركيز القوى فى يد واحدة لانجاز الاصلاحات .

واستغل موسولينى السلطات الاستثنائية الدكتاتورية التى منحت له لاصدار كثير من القوانين التى تضمن تدعيم مركزه واهمها تعديل قانون الانتخاب بحيث يتاح للحزب الذى يحصل على ربع عدد الاصوات الكلية ان يسيطر اتوماتيكيا على ثلثى مقاعد مجلس النواب ، فهو بالرغم من حملته على الديموقراطية البرلمانية والانتخابات التى كان يسميها «لعبة الورق» كان يريد الابقاء على البرلمان ليعطى نفسه فرصة للمناورة خاصة إزاء المتطرفين من اعضاء حزبه الفاشى .

وفى مارس ١٩٢٤ بدات الحملة الانتخابية فى ظل مناخ من العنف والارهاب لم يسبق له مثيل ، فكانت عصابات الفاشيين تضرب المرشحين المعارضين ، وقتل بعضهم بالفعل وانسحب العشرات كما قتل واصيب مئات المواطنين اثناء الحملة الانتخابية امام اعين البوليس الذى لم يتدخل ، وبعد ذلك كله زورت الانتخابات فكانت البطاقات الانتخابية تصادر من المعارضين ويستخدمها الفاشيون مرارا ، وضمت قوائم الانتخابات اسماء موتى ، وجاءت النتيجة بفوز الفاشيين بنسبة ٦٥٪ من الأصوات ، وبذلك حصل موسولينى على ٣٧٤ مقعدا فى البرلمان فى حين حصلت المعارضة مجتمعه على ١٨٠ مقعدا .

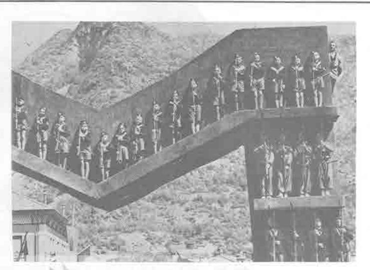
وعندما انعقد البرلمان شن نائب اشتراكى معارض يدعى جياكومو ماتيوتى حملة تشهير ضد الحكومة الفاشية ، التى اشرفت على اجراء الانتخابات ، وطالب باعلان نتيجة الانتخابات باطلة وغير صحيحة بسبب ما شابها من ارهاب وتزوير ، وقتل ماتيوتى يوم ١٠ يونيو فى ظروف غامضة ، وكانت ازمة كادت تعصف بنظام موسولينى ، ولكنه استطاع فى النهاية السيطرة على الموقف بصعوبة وأمر البرلمان بوقف مناقشاته حول ازمة ماتيوتى وصحة الانتخابات ، ثم القى القبض على قاتله البلطجى الفاشى دومينى وسجنه عامين ليطلق سراحه بعد ذلك .

كان مقتل ماتيوتى بمثابة راس الذئب الطائرة التى علمت المعارضة البرلمانية ان تلتزم حدود الادب ، وتمكن موسولينى من ترويض المعارضة تماما وتخلص من زعمائها المناوئين بالنفى او الضرب او تصعيب الحياة عليهم ، حتى أصبح البرلمان كخاتم فى أصبعه لدرجة انه قدم الى البرلمان ٢٣٦٤ مرسوما بقانون منها قوانين مقيدة للصحافة والحريات ، وطلب من النواب الموافقة عليها بدون مناقشة واجيب الى طلبه !

الزعيم والرجل

والحقيقة ان معظم الايطاليين رحبوا بسلطة موسولينى خلال السنوات الأولى لحكمه ، فقد كانوا قد ضاقوا ذرعا بالاضرابات والمظاهرات والأزمات الوزارية وتجاوبوا مع اساليب الفاشية الخلابة ، فكانوا على استعداد لقبول الدكتاتورية على شريطة ان تؤدى الى الاستقرار الاقتصادى واعادة الكرامة للوطن ، وبدا لهم موسولينى كانه الرجل الوحيد القادر على اخراج النظام من احشاء الفوضى ، وبالفعل سرعان ما بدا النظام يستقر فى البلاد ، وانتعش الاقتصاد واخذت تتحسن احوال العمال والطبقات الفقيرة ، وافتتحت عدة

ARCHIVE http://Archive.Sakhrit.com



فتيان الحزب الفاشي فى انتظار مرور موسوليني على هذا الطريق .

مشروعات طموحة من الاشغال العامة ، كما احرز موسولينى عدة نجاحات متوالية فى السياسة الخارجية .

والتف حول موسولينى « اهل الثقة » الذين يعتمد مصيرهم عليه ، ويستمدون قيمتهم من قيمته ، ويعتقدون انه بقدر ما يكون الدوتشى عظيما يكونون هم عظماء واعتبارا من عام ١٩٢٦ بدات « عبادة الزعيم » فى ايطاليا ، فقد تضافرت الدعاية الفاشية على خلق اسطورة الزعامة للدوتشى ، ولعب صحفى فاشى ذكى يدعى جويسبى بوتاى دورا كبيرا فى الدعاية للدوتشى الحكيم الملهم حتى انه اعلن اعتقاده انه لا توجد فى تاريخ ايطاليا والبشرية باسرها شخصية تضاهى شخصية الدوتشى الاستثنائية ، بينما كان ارنالدو موسولينى ، الاخ الاصغر للزعيم ، يصف اخاه يوما بعد يوم فى صحيفة « بوبولو ديتاليا » بانه الاقوى دائما وان عينه على كل شىء فى ايطاليا ، وانه يعرف كل ما يحدث فى العالم ، وانه اعظم سياسى فى اوربا .

وخلال عامى ١٩٢٦ ـ ١٩٢٧ بلغت عبادة الدوتشى اوجها ، فصدرت التعليمات للمدرسين بابراز عظمة الدوتشى للتلاميذ ، وكانت صوره ، وبخاصة واحدة منها فى وضع نابليونى ، معلقة فى كل المبانى العامة ، وترفع فى المظاهرات والاجتماعات وقورن بارسطو ، وكانت ، وتوماس الاكوينى ووصف بانه اعظم شخصية ظهرت فى تاريخ ايطاليا ، اعظم من دانتى ، ومايكل انجلو ، واعظم من واشنطون ، ولنكولن ، ونابليون !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحتى الكنيسة الكاثوليكية اشادت به ورضيت عن افعاله ، اذ بدلا من تهديداته السابقة بمصادرة ممتلكات الكنيسة زاد من مخصصاتها ، وادخل التعليم الدينى فى المدارس والجامعات ، وحظر نشر وتداول المطبوعات الفاضحة ، ومنع انتاج وسائل منع الحمل ، وحرم القسم بالمقدسات علنا ، وزاد رواتب القسس والاساقفة ، فارضى بذلك الفاتيكان ووصفوه بانه « رجل ذو مشاعر دينية عميقة » .

ولم يكن الايطاليون فقط هم الذين سقطوا تحت سحر الدوتشى بفكه العريض وعينيه السوداوين الواسعتين ، فقد امتدح كعبقرى وسوبرمان من شخصيات عامة فى كل انحاء اوربا والولايات المتحدة وقورن بقيصر ونابليون وكرمويل ، قال عنه الكاردينال الامريكى اوكونيل من بوسطن ان موسولينى عبقرى اهداه الله لايطاليا ، واعلن وينستون تشرشل انه لو كان ايطاليا لما تردد فى ارتداء القميص الاسود !

لقد وصفت انجازات موسولينى فى النصف الاول من حكمه بانها من قبيل المعجزات ، فقد حول ايطاليا من بلاد منقسمة ومحبطة الى دولة موحدة ومتحمسة ، وقام بكثير من مشروعات الاشغال العامة والاصلاحات الاجتماعية دون أن يفقد تاييد الملاك وارباب الصناعة بل ونجح فى التوافق مع البابا ، وكان بلاشك اكثر شعبية فى ايطاليا من اى زعيم سبقه رغم تدميره للحريات المدنية .

وبعد ان نجا موسولينى من محاولة اغتيال فاشلة قامت بها امراة ايرلندية مختلة العقل اعلن اوجستو توارتو سكرتير الحزب الفاشى واحد اركان حرب دعايته امام الجماهير المحتشدة المتحمسة « ان الله يحمى الدوتشى تحت اصبعه ، انه ابن ايطاليا الاعظم ، الوريث الشرعى لقيصر » .. وتعالت صيحات الجماهير معلنة تاييدها وولاءها .

ولكن تحت ستار هذه الشخصية العامة الكاسحة الأسرة كان هناك موسولينى اخر مختلفا تماما ، اقل حسما وعظمة وتفردا ، وبالرغم من كل مواهبه التى لا تنكر ظل موسولينى صحفيا دعائيا أكثر منه سياسيا محنكا ، وعبقريته الحقيقية تكمن فى قدرته على التاثير فى الجماهير بالكلمة المكتوبة والكلمة المنطوقة على السواء ، ومع مرور السنين بدا القريبون منه يرون وراء قناع السحر والذكاء وجه الدوتشى الحقيقى ، رجلا فظا خشنا ، طفوليا ، قلقا ، شاكا ، مغرورا ، مريضا بالانانية وحب الذات .

لقد كانت كل جدران المدن الايطالية من تورينو الى نابولى تحمل عبارات التاييد المطلق للزعيم ، وبخاصة تلك العبارة التى اصبحت رمزا للعقيدة الفاشية « الدوتشى على صواب دائما » ، ولكن الذين يعرفونه حق المعرفة كانوا يرون ان الدوتشى غالبا ما يخطىء ، فقد كان لا يعرف جيدا كيف يسير امور الحكومة ، وكان لا يطيق صبرا على العمل ، وعرف عنه انه كان احيانا يكتب كلمة « موافق » على مذكرتين متعارضتين تقدمت بهما وزارتان مختلفتان قبل أن يصعد على عجل درجات السلم فى قصره الى حيث تنتظره احدى عشيقاته فى غرفة علوية ، ولكنه لا ينسى ان يترك مصابيح مكتبه مضاءة فى الطابق الاسفل الى ساعة متاخرة من الليل ، كى يقال ان الدوتشى ساهر .. يعمل !

محمد العزب موسى

المقال التالى والاخير : موسولينى .. نهاية الدكتاتور

مُذكِّراتُ دنانير

بقلم : كمال النجمي

سيدى الذى اشترانى اسمه محمد بن كناسة .. رجل عربى النسب ، كوفى المولد والمنشا ، صالح السيرة ، ذو مروءة وادب وعلم ، وله شعر جيد ، لكنه لا يقصد بعلمه وشعره ذوى المال والجاه ، كما يفعل غيره من أهل الأدب والعلم !

.. سمعت مرة احد أصدقائه يقول له :

ـ عجبت لك يا أبا يحيى فى قعودك عن أبواب الكبراء ، وامتناعك من المثول بين أيديهم بادبك وعلمك وشعرك وقد فعل ذلك كل من له علم أو أدب أو شعر فى هذه الدولة العباسية الزاهرة التى راجت فيها بضاعة أقوام لا يعدلونك ادبا وعلما .. وإنك لمن رواة الحديث الشريف ، أخذته عن ثقات المحدثين كالأعمش الفقيه الكبير ، وهشام ابن عروة ، وسفيان الثورى ، رايتهم جميعا وحضرت عليهم الفقه والحديث ، والعلم كله ، وهم فى العلم جبال شامخة ! ..

قال له محمد بن كناسة :

ـ أصون عرضى عن الوقوف على الابواب ، ولا أطلب الرفعة بإغماض العينين ، ولا اجرح وجهى بالمطامع ! ..

ثم ارتجل هذين البيتين :

معاشى دُوَيْنَ القوتِ والعرضِ وافرٌ
وبطنىَ عن جَدْوَى اللِّئَـــامِ خَمِيصُ
سالقى المنـــايا لم أُخَالِطْ دَنِيَّـةً
ولم تَسْرِ بِى فى المخزيـــاتِ قَلُوصُ

فلما خرج صاحبه هذا ، دخل شـــيخ الملحنين والمغنين إسحاق الموصلى ، فهش له سيدي وبسط وجهه وتبسم وقال له :

ـ تغنيك جاريتنا ام تغنينا انت متفضلا يا ابا محمد ؟! ..

قال إسحاق :

ـ لولا وجع فى حلقي من اثر البرد لغنيتك متشرفا بالغنـــاء بيـــن يديـــك يا ابا يحيى ! .

ناداني سيدي :

ـ يا دنانير .. هذا ابو محمد اسحاق الموصلي اعزه الله .. هاتي عودك واسمعينا مما تحفظين من الحانه !..

غنيتهما فاطربتهما واثنيا على غنائي ، وقال لي اسحاق الموصلي :

ـ انت يا دنانير الكناسية (١) افضل عندي صوتا وصناعة من دنانير البرمكية على فضلها ! ..

ثم تجاريا فى الحديث وانا حاضرة ، فقال اسحاق لسيدى :

ـ يا ابا يحيى .. اراك تنقبض عن الناس ولا تمازحهم ولا تكثر من التحدث اليهم ، ولكنك تخصنى ـ انا الضعيف ـ بالاقبال والمودة والدعابة والتلطف والتواضع ، فجزاك الله عنى خيرا ، ونفعنى بعلمك وأدبك وجعلنى فداءك ! ..

صمت محمد بن كناسة قليلا ثم اجابه ببيتين ارتجلهما ، فرايت إسحاق الموصلى يتمايل طربا لهما ، وما رايته والله يطرب لغناء احد طربه لهذين البيتين ..

ثم قال سيدى لاسحاق :

ـ يا ابا محمد .. إن فى علمك وأدبك وعفافك وظرفك ، ما يجعلنا نرسل انفسنا على سجيتنا معك ، وإن كنا ننقبض عن كثير من الناس ، والفضل لك علينا فى كل حال ! ..

ـ ٢ ـ

سمعت بعضهم يقول لسيدى ابن كناسة :

ـ انت امرؤ صالح ، يقصدك العلماء ، فما حظك من جاريتك دنانير المغنية هذه التى يسمعها عندك اصحابك ممن ترضى اخلاقهم وتثق بحسن ذوقهم فى السماع ؟!.

قال له سيدى :

ـ قد أجبت بنفسك عن سؤالك ! .. فانما اسمع غناءها ويسمعونه معى على غير فاحشة ، وهى ملك يمينى ، اشتريتها بمالى ولي فيها غنى عن سماع غيرها فى بيوت الناس .. وهى بارعة فى صناعتها .. حسبك ان اسحاق الموصلى قد شهد لها بذلك ، ولها

ARCHIVE http://archive.sakhrit.com



دنـــــانير الكناسية .. المغنية الاديبـة ، التى كانت من افضل الاصوات فى عصرهـــــــــا .

ARCHIVE
http://Archive.Sakhrit.com

إلى ذلك ادب وذكاء وعفاف ..

ثمة سر يخفيه هذا الشيخ الطيب عن أصحابه ، فهو لا يحب زوجته التى بنى بها منذ ثلاثين سنة ، فثقل عليه مكانها فى بيته ، لسوء عشرتها وحمقها وحدة لسانها وقد جعلت لنفسها ركنا فى البيت ، وجعل لنفسه ركنا اخر ، وما اظنه اشترانى لغنائى فحسب ، بل لاكون له انيسة ايضا فى بيته هذا الموحش ! ..

صحبته امس فى زيارة بعض اقاربه ، فمررنا فى الطريق برجل مصلوب على جذع شجرة ، يمر به الناس ويقولون إنه من المفسدين فى الارض .. فنظر اليه ابن كناسة لحظة وحوقل ولم يتذكر عند هذا المنظر المرعب إلا زوجته التى تركها فى البيت فقال مرتجلا وقد انزل عينيه عن الرجل المصلوب واغمضهما كانه يستجمع صورة امراته :

ايا جِــذْعَ مصلــوبٍ أتَــى دونَ صَلْبِـهِ
ثلاثـــونَ حَوْلاً كاملاً .. هل تُبَــادِلُ ؟
فما انتَ بالحمــل الــذى قد حَمَلْتَــهُ
بأضْجَرَ منى بالــذى انــا حامــلُ !

فحزنت والله من اجل الشيخ ! .. لانه يرى ان الرجل المصلوب لو مرت عليه السنون ، لكان اخف وزنا على الجذع الذى يحمله ، من زوجته تلك التى حملها على قلبه مكرها ثلاثين سنة ! ..

لكن الشيخ من ابر الناس بعياله .. رايته منذ ايام يحمل اليهم بيديه بطن شاة من عند الجزار ، فقلت له : هات احمله عنك ! .. قال :

لا ينقــصُ الكامــلَ مــن كمالِــهِ
ما جــرَّ مـن نفــعٍ إلى عيالِــهِ

ـ ٣ ـ

يعجبنى فى سيدى ، فوق علمه وتقواه وطربه لغنائى ، انه يثق بفهمى وعلمى وفطنتى ..

كنت امس اجلس وراء ستارة فى بيته وقد جلس الى بعض خلانه من اهل العلم والادب ، فذكرنى احدهم فاثنى على غنائى وضربى بالعود ، فقال ابن كناسة :

ـ إن الغناء الطيب اقل فضائلها على براعتها فيه . ولو شئتم لاختبرت لكم فهمها وعلمها الساعة ! ..

ثم اخذ قلما وكتب شيئا فى رقعة ، ونادى خادما فامره بايصالها الي ، فقرات فيها :

«يادنانير .. إنك امة ضعيفة لكعاء ، فاذا اجاءك كتابى هذا فعجلي بجوابى والسلام » ! ..

تاملت كلامه فى رقعته ، فرايته بلا معنى ، فعلمت انه يريد ان يحيرنى فى فهم كلام لا معنى له ، وان يختبر فطنتى فى إدراكى مرماه هذا او عجزى عنه .. فكتبت اليه :

«يا سيدى .. ساءنى تهجينك إياى .. وإن من أعيا العي ، الجواب عما لا جواب له .. والسلام» ! ..

فلما بلغته رقعتى قراها على صحبه وقال لهم :

ـ ارايتم كيف فطنت الجارية الى الثرثرة التى فى الرقعة ؟!

قالوا :

ـ والله .. إن دنانير هذه ، لاعظم قدراً من دنانير البرمكية فهماً وعلماً ..

قال سيدى :

ـ صدقتم ! .. وهى خير منها ايضاً فى الغناء ! .. كذا اخبرنى الصدوق الثقة إسحاق الموصلى ..

فتعجب القوم من اجتماع هذه الفضائل

مذكرات دنانير

كلها لي ، مع خمولى ونباهة شان دنانير جارية البرامكة ! .. ولكن احدهم تنبه من غفلة فقال :

– وإن موضع دنانير جاريتك فى بيتك لافضل عند كرام الناس من موضع دنانير فى قصور البرامكة ! ..

ـ ٤ ـ

زوارنا اليوم كثيرون .. جاءنا عالم نابه ، فذاكره سيدى فى شىء من الأدب والعلم حتى قال له الرجل :

ـ يا ابا يحيى .. والله إنى لاستحسن ابياتك التى اولها : «ومن عجب الدنيا» .. واريد ان اكتبها فلا تضيع منى ، فانشده سيدى هذه الأبيات :

وَمِنْ عَجَبِ الدنيا تُبَقِّيكَ للبِلَى
وانك فيها للبقاء مُرِيدُ
وايّ بنى الأيام إلا وعندَهُ
من الدَّهْرِ ذَنْبٌ طارفٌ وتليدُ
ومن يامنُ الأيامَ ؟! .. اما انْبِيَاعُها
فَخَطْرٌ ، واما فَجْعُهَا فعتيدُ
إذا اعتادت النفسُ الرضاعَ من الهوى
فإنّ فطامَ النفس عنه شديدُ (٢)

ـ ما هو «الانبياع» .. وما هو «الخَطْر» ـ بسكون الطاء ـ فى البيت الثالث ؟! ..

اجاب :

ـ الانبياع هو الوثوب بعد السكون ! .. تكون الدنيا ساكنة هادئة فينخدع بها المرء حتى تثب عليه وثبا فتقتله او تسلبه عافيته او تهتك ستره ! .. واما الخَطْرُ ، فهو ضرب من البعير الهائج بذيله يمينا وشمالا ! .. اردت تشبيه الدنيا حين تهيج على صاحبها بهذا البعير حين يهيج على صاحبه !

ثم قال لي :

ـ يا دنانير ! .. إياى تخدعين ؟! .. اترين انى لا ادرى معرفتك بهذا الكلام كله ؟! .. وإنما اردت ان تُسَلِّينى وترفّهى عنى ، وتعرفينى انك معجبة بشعرى هذا ، وإنما هو من «شعر العلماء» الذى لا يبلغ طبقة شعر المطبوعين ! ..

قلت له :

ـ والله يا سيدى إنك لمن اشعر الناس ، وإنى سمعت إسحاق الموصلى يوما يقول لك وقد سمع بيتين من شعرك فاهتز لهما إعجابا : «يا ابا يحيى .. وددت انه نقص من عمرى سنتان وأنّى كنت سبقتك الى هذين البيتين» ! ..

اطرق ابن كناسة لحظة ثم سالنى :

ـ قد نسيت ذلك ، فما هما البيتان ؟! ..

قلت :

ـ بيتاك يا سيدى اللذان تقول فى اول شطر منهما : «فِىَّ انْقِبَاضٌ وحِشْمَةٌ ...» ! ..

فابتسم ابن كناسة سروراً وقال :

ـ لله درك يا دنانير .. قد اذكرتنى من نسيان ، وشوقتنى الى اسحاق الموصلى ! .

اندفعت حين ذكر اسم الموصلى فغنيته البيتين :

فِىَّ انقبَاضٌ وحشمةٌ فإذَا
صَادَفْتُ اهلَ الوفاءِ والكرم
ارسلتُ نفسى على سجِيَّتها
وقلتُ ما قلتُ غيرَ مُحْتَشِمِ

فطرب لغنائى طربا ما عهدته من قبل ، ثم بكى وقال :

ـ قد كبرت سنّى ، وضعفت عن مواصلة إخوانى بالزيارة ، ولولا ذلك لقمت الساعة فركبت الى الموصلى ! ..

ثم انشد :

ضعفتُ عن الإخْوانِ حتّى جفوتُهُمْ
على غيرِ زهدٍ فى الوفاءِ ولا الوِدِّ
ولكنّ ايامى تَخَرَّمْنَ مُنَّتِى
فما أبْلُغُ الحَاجَاتِ إلاّ على جهدِ

وسمعنا طرقا على الباب فاذا بصاحب لابن كناسة جاء يزوره فرحب به ، واخذا يتجاذبان الحديث .

صاحبه هذا رجل كثير المزاح ، لكنه تقى عفيف ، يدخل الينا فيسمع غنائى ، ويلقّح لي مازحا بهواه فلا اجيبه بشىء ، ولكنه اليوم كان كثير التلميح فى سياق مزاحه ، فغنيت :

يَا فُؤَادِى فازْدَجِرْ عَنْهُ وَيَا
عَبَثَ الحبِّ بِهِ فاقعدْ وَقُمْ
صَائِدٌ تَأْمَنُهُ غزلانُهُ
مثلمَا تامنُ غزلانُ الحرمْ

ففهم الرجل ما اعنى ، وفهم ابن كناسة كذلك ، ومازالا يطربان على غنائى ولا يشربان كما اعتاد الناس ان يفعلوا حتى استاذن الرجل فى الإنصراف .

لم يكد هذا ينصرف حتى اقبل اخر يتعاطى العلم ويتتلمذ على ابن كناسة ، ويبدى فى حضرته ادبا وصلاحا .. ثم اطلع منه سيدى على باطن ردىء يخالف ظاهره الحسن ، فلم يعد يطيق مجالسته لتناقض ظاهره وباطنه ، وتكذيب اعماله لاقواله ..

فلما جلسا لم يفاتحه ابن كناسة فى شعر ولا ادب ولا حديث ولا فقه ، واكتفى بانشاده هذه الأبيات :

مَا مَنْ رَوَى أدَباً فلَمْ يَعْمَلْ بِهِ
ويكفُّ عَنْ دفعِ الهوَى .. بأدِيبِ
حتى يكونَ بما تعلَّمَ عَامِلاً
مِنْ صَالحٍ فيكون غَيْرَ مَعِيبِ
ولَقلَّمَا يغنى إصابةَ قَائِلٍ
افعالُه افعالُ غَيْرِ مُصِيبِ

ففهم الرجل ما يعنيه ابن كناسة ، وقام يعتذر اليه ، ويحلف انه قد تاب واناب .. ثم انصرف ! ..

ـ ٥ ـ

«هذا اليوم لم تكتبه دنانير ، وإنما كتبه سيدها محمد بن كناسة .. قال» :

ـ ماتت جاريتى دنانير المغنية الاديبة العفيفة التى كانت انس حياتى ، يرحمها الله ، ويعجل لي بعدها الى رحمته ! ..

افحمنى موتها المفاجىء فلم استطع ان ابكى او اتكلم ، وجاء الناس يعزوننى ، إلا امراتى ، فإنى احسست حركتها فى البيت ، كانها امتلات مرحا ونشاطا .. فقلت أرثى دنانير :

الحَمْدُ لِلّهِ لا شَرِيكَ لَهُ
يَا لَيْتَ مَا كَانَ منكِ لَمْ يَكُنِ
إنْ يَكُنِ القَوْلُ قَلَّ فِيكِ فَمَا
أفْحَمَنِى غَيْرُ شِدَّةِ الحَزَنِ ! ..

كمال النجمى

هوامش :

(١) ترجمة دنانير الكناسية فى الجزء ١٣ من الاغانى ، طبعة دار الكتب المصرية .

(٢) اخذ هذا المعنى بلفظه الامام البوصيرى حين قال فى البردة :

والنفس كالطفل إن تتركه شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

أديبات عالميات



بقلم: سماء زكي المحاسني


الأديبة السويدية : سلمى لاجرلوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كانت هذه الأديبة السويدية أول مرشحة لجائزة نوبل في الآداب ، وكانت هذه الجائزة العالمية من نصيب الرجال فلما محصت لجنة التحكيم آثار المرشحين من المتفوقين كانت بينهم (سلمى لاجرلوف) ، غير انها لم تفز بالجائزة في أول ترشيح ، بل تكرر حتى ظفرت بتقدير اللجنة المحصة .

وقيل في اختيارها ـ إن هذه الاديبة قد فضلت لمنازعها المثالية والروحية وملكة الخيال التي طبعت أدبها بطوابع حياتها .

وبعد خمسة اعوام من اختيارها وتقديرها قررت اللجنة التحكيمية أن تكون (سِلْمَى لاَجَرْلُوفْ) عضواً في لجنة الجوائز ، وقد بقيت فيها صوتاً مسموعاً حتى غابت عن الدنيا عام ١٩٤٠ .

اما مولدها فكان في السويد عام ١٨٥٨ في اقليم (مارباكا) في مقاطعة (فارملاند) ومن اسرة أصيلة اسهمت شخصياتها في خلال ثلاثة قرون بإغناء التاريخ الثقافي لمناطقهم .

وقد عاشت (سِلْمى لا جَرْلوف) طفولتها بين ابويها في البيت الريفي الصغير الذي تحيط به مفاتن الطبيعة وهدوء الحياة ، ويبدو أنها فقدت امها صغيرة فضاعف والدها الحنان عليها والاهتمام بنشاتها وذكائها . وقد تفتحت عيناها على مكتبة ابيها ودواوين الشعر فيها ، وكان يحفظ الشعر ويكرم الشعراء فترك هذا في نفسها اثراً كبيراً ، على أن سِلْمَى لاجَرْلوف أصيبت في عامها التاسع بوهن في ساقيها اقعدها عن اللعب والحركة وأبعدها عن المدرسة ، فعكفت في سريرها وبيتها على الكتاب ، ولم يجد والدها بدأ من ارسالها الى استوكهولم العاصمة للعلاج في المعهد الرياضي ، وكانت في اثناء المعالجة تتردد على المسرح السويدي وتصغي للممثلين والممثلات وتقرا بعض المسرحيات ، لكنها ضاقت بالمدينة وفضلت العودة للقرية حتى احبت طبيعتها ، ولما عادت سِلْمى لاجَرْلوف بعد شفائها الى منزلها في (مارباكا) بدات أولى تجاربها الشعرية عندما رجعت ذات مساء ربيعي من نزهة في الدوحة الصغيرة خلف الحديقة ، وفجاة انثالت على اطراف لسانها بضعة ابيات من الشعر عبرت فيها عن شعورها وقالت فيها :

سلمى لاجرلوف

بالها من ظلمة قابعة تحت شجرة الزيزفون هادئة مزعجة وسط النسيم المفعم بالحياة
كانت سِلْمى لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها وكانت آمالها في الادب تحفزها للتعبير فاحست على الحداثة ان لديها من الموهبة الادبية ما قد يمكنها من مضاهاة كبار الادباء في عصرها مثل (تجنر) Tegner (وروينبرغ) وغيرهما
وكانت تعاودها اشواق ابيها للشعر والشعراء فترجو أن يقرأها في تجاربهـــا وتحوز رضاه ، وقد ذكرت في كلماتها : (انها لم تلتق انسانا مثل ابيها في حبه للشعر وتقديره للشعراء) .
ولم تضع سِلْمى لاجَرْلوف مخططا لأهدافها في الحياة والتعبير منذ شعرت بانها تستطيع ان تجارى أدباء عصرها فيما قدموا لقرائهم من روائع الفكر والادب فكانت تقرأ مؤلفاتهم وتتبع اخبارهم وتعيد المطالعة في أدب (كارلايل) الذى كان له تاثير عميق في نفسها حتى انها قالت بعد قراءة لكتاب كارلايل : (هنا بعد مطالعاتي في هذه الصفحات المؤثرة وفي هذه الجمل والعبارات التى كتبها كارلايل بقوة وعنفوان،وبهذه اللغة التصويرية تملكنى اعجاب بادبه وشعور بان شيئا مماثلا في اعماقى يحفزنى للتعبير وقد ادركت باني استطيع ان اكتب مثله) .
واخذت تجارب (سِلْمى لاجَرْلوف) في الشعر والمسرحية الصغيرة تتعدد،وبدأت نزعتها للرواية تتفتح في صفحات كتبها لتعود اليها وتكملها ، وعادت في تالق تفكيرها ومطالعاتها الى المدرسة ثم الجامعة بعد ان جاوزت العشرين من عمرها ، ولم تجد بدا من احتراف التعليم لتبقى في بيئة واعية متنورة ، ولم تكن في حاجة الى الاكتساب وارتزاق اذ كانت في عيشه راضية ، بل للمشاركة في نشر الوعى والمعرفة . وأخذ اسمها في الشعر يتردد في الاسماع فقد اتيح لها ان تنشر بعض قصائدها في مجلة كانت تصدرها (آلدرسبار) زعيمة الحركة النسائية السويدية .

حلف مع الشيطان

وفي خريف ١٨٩٠ حازت (سِلْمى لاجَرْلوف) جائزة في مسابقة للقصة اقامتهـــــا مجلـة « ايـدون Idun » وعرض عليها رئيس التحرير نشر القصة كاملة بعد ان نشرت متسلسلة في المجلة وكانت هذه القصة من اروع نتاجها ، كما اجمع نقاد الادب على ان سِلْمى لاجَرْلوف في قصتها هذه قد احتلت مكانا بارزا بين ادباء عصرها وفي الادب السويدى كله. وقد اطلقت على قصتها اسم (جوستا برلنج) "Gosta Berling"
وفيها قصت الاديبـــة الســـويدية « لاجَرْلوف » ان الكاهن السابق (جوستا برلنج) عقد مع احد عشر شخصا حلفـا مع الشيطان لاستلاب ممتلكات لسيدة طيبة شريطة ان يمتنع جوستا ورفاقه عن تقديم اى عمل طيب أو نافع للناس مدة عام كامل .
وفي نهاية العام يدرك جوستا عاقبة مغامراته الشيطانية او الخيالية الهادمة فيندم ويقسم على ان يبذل نفسه وجهده في بقية حياته لخدمة الناس .
وبهذه القصة الرائعة التى لقيت الحفاوة والتقدير من النقاد والقراء انبسط صيت القصصية السويدية في بلادها وفي رجاء العالم ، فقد نقلت قصتها الى اكثر اللغات الحية ، واعدت تمثيلية على المسرح السويدى عام ١٩٢٣ .
كما حولت الى اوبرا وفيلم للسينما فكانت عملا فنيا ناجحا .

على ان تفوق (سِلْمى لاجَرْلوف) في الفن القصصى يرجع الى موهبة خصبة ومقدرة فائقة في رؤية الحياة والمجتمع.

وكتبت (سِلْمى لاجَرْلوف) الروايات التاريخية ومنها (امبراطور البرتغال) التى قال عنها احد النقاد السويديين . (لقد عرف الادب « الملك لير »،وهو وحيد من نوعه،وهاهو مثيل له وإن كان مختلفا عنه) .

اما الاسطورة او القصة التى هي على نسقها فقد كتبتها هذه القصصية العالمية ومنها (اساطير المسيح Christ Legends) وغيرها من الاساطير التى كتبتها على نسق الاقاصيص .
ومن اشهر قصص لاجَرْلوف (بيت المقدس Jerusalem) وقد كتبتها في فترة انقطعت فيها عن التدريس ودهمتها محنة من القلق والاضطراب فاعتزمت التجوال والانتقال الى بيت المقدس لتعيش في رحاب الحرم الذى ولد فيه المسيح ، غير ان « سِلْمى لاجَرْلوف » عادت الى نفسها وفنها بعودة الطمأنينة اليها فكانت قصتها (القدس) او بيت المقدس تعبيرا عما أصابها في فترة من حياتها الفكرية .
ولم تشأ هذه الأديبة السويدية ان تقتصر في ادبها على تاليف القصص للكبار وهي التى احبت الأطفال فكتبت للصغار قصتها المشهورة (المغامرات المدهشة لنيلز "The Wonderful Adventures of Nils") وهي رحلات يومية يقوم بها (نيلز هولجرسون) الى عدد من البلاد الاجنبية على ظهر اوزة يطير فوقها في كل اتجاه .

وكان صدورها عام ١٩٠٧ في مجلدين قدمت فيهما لاجَرْلوف للقارىء والأطفال الأسطورة مع الوصف الواقعي وقد تلقت شتات الرسائل من انحاء العالم اعجابا بفنها وجمعت هذه الرسائل في المكتبة الملكية باستوكهوم .

وما كادت (سِلْمى لاجَرْلوف) تناهز الخمسين من عمرها وهي دائبة في تعبيرها الفنى والادبى حتى تنادى كبار قومها لتكريمها في عيد ميلادها لكن لجنة التحكيم في جائزة نوبل رأت ان اديبة السويد لاتقل شانا وفنا عن أدباء عصرها فمنحتها الجائزة العالمية تقديرا لادبها وكان هذا عام ١٩٠٨ وبعد خمسة اعوام اختارتها لجنة نوبل عضوا في لجنة الجوائز فكانت اولى الاديبات العالميات .

ويجدر بى وقد اتيت بلمحة عنها ان الم بسطور جاءت في مذكرات (سِلْمى لاجَرْلوف) يتبين منها القارىء لمحات من خصالها وصفاتها وقد كتبتها عام ١٩٣٢ .

« اذا كان على المرء ان يصبح كاتبا فينبغى له ان يشعر بالرضى فيما اختار لنفسه او لما حدث له من تجربة قاسية او غير سارة في حياته ، إذ كيف بإمكانه ان يصف هذا الأمر في تعبيره وشعوره وصفا صادقا ؟ » .

أما كيف كانت تكتب ؟ فتتبين الاجابة للسائل في قولها :
« عندما اكتب اعيش في وحدة كبيرة وعلى ان اختار بين عيشتي وحدى واكتب ،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في المنزل الريفي .. حيث كانت تعكف الكاتبة السويدية على كتابة اعمالها الادبية .

وبين ان أعيش مع الآخرين فلا اقدر على الكتابة كلمة واحدة » .

« كيف اكتب ؟ الحقيقة لادرى كيف يحدث هذا . فمن الشاق ان يؤلف المرء كتبا، على انى حينما انتهى من الكتابة لادرك كيف تم ذلك ، ويخيل الى كان شخصا اخر هو الذى كتب لى ! »

ومن اراء « سِلْمى لاجَرْلوف » يمكن ان نتبين من الحوار الاتى شخصيتها الجدية ونظراتها العميقة وصفاء نفسها .

● ما هى اعظم فضيلة ؟

ـ الرحمة .

● ما هى اعظم صفات الرجل المفضلة عندك ؟

ـ الجد والعمق .

● ما هى اعظم صفات المراة المفضلة عندك ؟

ـ الجد والعمق .

● ما هو عملك المفضل ؟

ـ دراسة الشخصية .

● ما هو اعظم قدر من السعادة للإنسان

ـ الثقة بالنفس .

● ما هى المحنة الكبرى ؟

ـ ايذاء شعور الآخرين .

● ما هو احب الالوان الى نفسك ؟

ـ لون الشروق .

إن هذه السطور المعدودة تنطوى على نظرة الاديبة السويدية للحياة والناس وعلى قدرة هائلة فى وصف النفس .

جائزة نوبل عام ١٩٠٩

هذه هى « سِلْمى لاجَرْلوف » الاديبة العالمية التى كانت اولى المستحقات جائزة نوبل عام ١٩٠٩ دون تفريق بين ادب النسوة وبين غيره من الوان الادب . وقد عاشت متألقة الفكر عميقة الشعور حتى جاوزت الثمانين ولم تتغير ملامحها فقالت عنها احدى صديقاتها : (كنت ذات يوم فى صحبتها فنظرت مليا الى يدها وكانها لشابة نضرة ، فصحت فى دهشة :

يالهما من يدين جميلتين !

فاجابت : نعم ، يبدو وانهما كانتا لى دائما ...) .

ما فترت همتها او وهت مواهبها فقد بقيت كاتبة محبوبة متجاوبة مع الحياة والطبيعة معبرة عنهما وعن ذاتها الطيبة وتجاربها الفنية وانها لخالدة باثارها على الايـــــام .

سماء زكى المحاسنى
دمشق

وثيقة تاريخية بالغة الأهمّية:

المسألة الصهيونية الفلسطينية بالكونجرس الأمريكي (١٩٤٣ - ١٩٤٥)

بقلم : الدكتور عاصم الدسوقي

أول لجنة أمريكية في فلسطين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى العدد الماضى انتهينا من استعراض ما دار فى آخر جلسات لجنة الشئون الخارجية ، حيث راينا ان المناقشات دارت حول قضيتين محددتين : الأولى وتتلخص فى محاولة توسيع مهمة هيئة الانقاذ المقترحة لتشمل كل الاقليات والعناصر المضطهدة بشكل عام ودون التركيز على اليهود . وكان الجمهوريون المسئولين عن هذه المحاولة ، وفكرتهم ان استثناء فئة معينة بالرعاية (اليهود) يعد سابقة خطيرة فى تاريخ الولايات المتحدة . أما القضية الثانية فكانت تتعلق بمدى علاقة مشروع قرار الانقاذ بفتح ابواب فلسطين لهجرة اليهود . وكانت وجهة نظر شهود « اللجنة العاجلة » تتلخص فى أن المشروع يعنى فتح أبواب فلسطين لانشاء الوطن القومى لليهود ، لكن اعضاء لجنة الشئون الخارجية نفوا بشدة وجود هذا المعنى حتى لا تتاثر المصالح الامريكية البريطانية خلال الحرب . وقد شاركهم فى هذا الراى مساعد وزير الخارجية (لونج) الذى أبدى عدم استحسان لاقامة دولة يهودية تقوم على الدين الواحد مفضلا ذوبان اليهود فى البلاد التى يعيشون فيها .

بعد ذلك شكل الكونجرس لجنة فرعية للذهاب الى فلسطين لاستطلاع الرأى بين العرب واليهود . وتدور هذه الحلقة حول لقاءات هذه اللجنة والظروف التى سبقت ارسالها الى فلسطين .

بعد ان فرغت لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس من عقد جلسات الاستماع التى عرضنا لها فى الفصل السابق (١٩ نوفمبر ـ ٢ ديسمبر ١٩٤٣) ، عكفت على دراسة ما انتهت اليه شهادة الشهود وبياناتهم والمناقشات التى دارت معهم ، غير انها لم تتوصل الى تشريع بشان مشروع القرار . وفى مطلع ١٩٤٤ بدات مجريات الحرب العالمية تنبىء بانتصار الحلفاء على النازية والفاشية ، واشتد معها ضغط العناصر الصهيونية فى الولايات المتحدة اعلاميا وسياسا من اجل التوصل الى سياسة رسمية لفتح ابواب فلسطين امام من تبقى من يهود اوربا ، وما يتصل بذلك من ضرورة ممارسة «الضغط» على بريطانيا لتعديل موقفها من سياسة الهجرة وملكية الارض فى فلسطين كما جاء بالكتاب الأبيض .

ففى يناير ١٩٤٤ اصدر الرئيس روزفلت قرارا بتشكيل « هيئة شئون لاجىء الحرب » War Refugee Board وفسر البعض هذه الخطوة بانها التزام من الحكومة الامريكية بانقاذ آلاف اليهود .

ويلسون



فرانكلين روزفلت





ترومان



كليمنت اتلى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفى مارس ١٩٤٤ اعلن الرئيس روزفلت ان امريكا لم توافق ابدا على الكتاب الابيض ، وانه يجب التوصل الى شىء ما لهؤلاء الذين يرومون وطنا قوميا يهوديا .

وفى يوليه ١٩٤٤ عقد الحزبان الديمقراطى والجمهورى مؤتمرات قومية على مستوى الولايات المتحدة الامريكية فى مدينة شيكاغو اتخذت فيها مبادىء وقرارات تتعلق بفلسطين . فالحزب الديموقراطى على وجه الخصوص اقر مبدا يهدف الى ان «تكون فلسطين كومنولثا يهوديا» . ولقد وافق الرئيس روزفلت على ما انتهى اليه قرار الحزب (وكان الديموقراطيون فى الحكم آنذاك) ، وارسل خطابا الى السيناتور واجنر قال له فيه :

«حيث اننى اعلم بحضورك للمؤتمر السنوى السابع والاربعين للمنظمة الصهيونية الأمريكية فاننى ارجو منك ان تحمل تحياتى القلبية للوفود المشاركة فى هذا المؤتمر . كما ارجو ان تعرب لهم عن صادق امتنانى ، وتخبرهم أن الحزب الديموقراطى قد اقر فى اجتماعه السنوى هذا العام (يوليه ١٩٤٤) المبدا السياسى التالى : نحن نؤيد فتح ابواب فلسطين للهجرة اليهودية دون قيود ، كما نؤيد وضع سياسة فى فلسطين من شانها إقامة كومنولث يهودى ديموقراطى حر . ولسوف تبذل الجهود المناسبة للتوصل الى الطرق والوسائل الملائمة لتنفيذ هذه السياسة فى اسرع وقت ممكن . كما ارجو ان تخبرهم ان الحزب قد توصل الى هذا المبدا اتفاقا مع تقاليد السياسة الأمريكية وتقديرا لروح الحريات الأربع . وانني لأعلم مدى حماس الشعب اليهودى وشغفه والصلوات التى اقامها من اجل ان تكون فلسطين كومنولثا يهوديا ديموقراطيا حرا . واننى لمقتنع بان الشعب الأمريكي يؤيد هذا المبدا حتى إذا ما أعيد انتخابى سوف اعمل على تحقيقه» [١] .

وجاء عام ١٩٤٥ وتحقق النصر فى اوربا على النازية ، إلا ان شيئا جديدا لم يحدث بالنسبة لليهود الذين كانوا مايزالون فى معسكرات التجميع النازية يعيشون وراء الأسلاك الشائكة فى المانيا وبولندة . وتراخت جهود الحلفاء التى كانت تتزعمها الولايات المتحدة فى سبيل «إنقاذ» يهود اوربا .

وعلى هذا فقد بادر الرئيس الأمريكى ترومان الذى خلف روزفلت بعد وفاته ، بايفاد «إيرل هاريسون» فى يوليه ١٩٤٥ لمراقبة الأوضاع فى اوربا وتقصى الحقائق فيما يتعلق بمشكلات وحاجات اللاجئين اليهود بين غيرهم من اللاجئين . (٢) ولقد قام هاريسون بزيارة تجمعات اليهود «المضطهدين» فى المنطقتين الأمريكية والبريطانية من المانيا (اى المناطق التى خضعت للدولتين عند انتهاء الحرب) . وقدم تقريرا بالأوضاع «المروعة» لليهود ، موصيا بان هناك حلا واحدا رئيسيا يتمثل فى ان يبذل الرئيس الأمريكى جهودا خاصة وفورية لضمان دخول مائة الف يهودى الى فلسطين على الأقل بصفة عاجلة .

وبناء على هذا التقرير ارسل الرئيس ترومان فى ٣١ اغسطس ١٩٤٥ رسالة الى رئيس وزراء بريطانيا (إيتلى) يطلب منه السماح لمائة الف يهودى بدخول فلسطين . وكان لهذه الرسالة صدى عميق ورد فعل طيب فى اوساط الحركة الصهيونية . غير ان بريطانيا اعترضت على هذا الطلب ، واقترحت بدلا منه تكوين لجنة انجلو - امريكية بشان اللاجئين .

ولعل الذى دفع بريطانيا لاتخاذ هذا الموقف اعتقادها بان اليهود ليسوا وحدهم الذين يعانون من اضطهاد النازية فى اوربا وانه يجب معالجة مشكلة اللاجئين المشردين بشكل عام دون تخصيص عناية محددة لفئة منهم دون الفئات الأخرى . والأفضل من ذلك عند الحكومة البريطانية ان تقدم المساعدة لليهود لكى يكونوا قادرين على إعادة بناء البلاد التى قدموا منها هم وبقية مواطنى هذه البلاد .. (٣)

اما بخصوص فتح أبواب فلسطين امام اليهود فهذا يتعارض عند الحكومة البريطانية مع مغزى سياسة الانتداب التى تقوم على الموازنة بين مصالح العرب واليهود ، ودون تمكين فئة من الحاق الضرر بالفئة الأخرى . وتشعر الحكومة البريطانية بانه لا توجد ارضية مشتركة يقف عليها العرب واليهود ، فكل منهما يختلف عن الآخر فى العقيدة وفى اللغة وفى الحياة الاجتماعية والثقافية وفى طرق التفكير وانماط السلوك . واهم من ذلك كله اختلاف الآمال القومية لكل منهما ، وهذه الآمال تمثل عقبة حقيقية امام السلام ، فكل منهما يدعى احقيته بفلسطين : العرب على اساس وجودهم التاريخى من قديم ، واليهود على اساس ارتباطهم التاريخى

أول لجنة أمريكية في فلسطين

بالارض وبالوعد الذى حصلوا عليه اثناء الحرب العظمى (بلفور) .

ومن هنا فان الحكومة البريطانية كانت تعتقد ان اى اخلال بقواعد الهجرة المعمول بها فى فلسطين سوف يؤدى الى اضطرابات فى فلسطين ، والى مواجهة بين العرب واليهود قد يمتد اثرها الى الشرق الأوسط ، بل والى الهند حيث يساند مسلموها عرب فلسطين . ومن ناحية اخرى يجب ان يكون فى الحسبان ـ كما تدرك بريطانيا ـ ان الزعماء العرب لم ينسوا تاكيدات روزفلت (قبل وفاته) وترومان بان شيئا لن يحدث فيما يتعلق بالوضع الراهن فى فلسطين دون استشارة العرب واليهود

غير ان هذا الموقف البريطانى الذى رات فيه الولايات المتحدة «مناورة سياسية» ، اثار حملات اعلامية ودعائية من جانب العناصر الصهيونية الامريكية ادت بالكونجرس الى إرسال لجنة فرعية الى فلسطين فى سبتمبر ١٩٤٥ لاستطلاع الرأى ثم تقديم مشروع القرار رقم ١١٣ فى ديسمبر ١٩٤٥ للكونجرس بشان فتح ابواب فلسطين لليهود ، وهو موضوع الفصل التالى ، هذا رغم موافقة الحكومة الامريكيةعلى الاقتراح البريطانى بشان تشكيل اللجنة المشتركة إذ لم يكن هناك مفر من الموافقة .

وطن قومى !!

وهكذا وفى اواخر سبتمبر ١٩٤٥ قررت لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس تكليف لجنة فرعية للذهاب الى فلسطين لاستطلاع راى كل من العرب واليهود حول امكانية فتح ابواب فلسطين لمزيد من اليهود الاوربيين . وكانت الحرب العالمية انذاك قد انتهت من الناحية الفعلية والرسمية ، وتم القضاء على الحكم النازى المسئول عن «إبادة» اليهود فى اوربا ، وهو الحكم الذى كان مسئولا ايضا عن كافة النشاطات التى قامت بها العناصر الصهيونية فى الولايات المتحدة على المستوى الشعبى والرسمى (السلطة التشريعية والتنفيذية) من اجل إنقاذ اليهود من خطر «الابادة» ، وما ارتبط بذلك من محاولة البحث عن اماكن لنقل اليهود اليها ، وكانت فلسطين فى مقدمة هذه الأماكن المقترحة لاصرار العناصر الصهيونية عليها .

وكان من المتصور ان ينتهى الجدل حول مسالة «المكان» الذى يذهب اليه اليهود الهاربون من الاضطهاد النازى طالما انه قد تم القضاء على النازية وهى العلة الرئيسية وراء هذا الجدل . غير ان الحركة الصهيونية كانت قد انتهت الى ضرورة توطين يهود اوربا فى فلسطين ، وانشاء وطن قومى لهم هناك تنفيذا لوعد بلفور ولسياسة الانتداب على فلسطين . وظلت تمارس ضغوطها على القوى الدولية المؤثرة وفى مقدمتها حكومة الولايات المتحدة الأمريكية توصلا لفتح ابواب فلسطين أمام اليهود .

على كل حال .. ففى سبتمبر ١٩٤٥ شكلت لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس (٤) لجنة فرعية ثنائية من كل من كارل موندت (جمهورى ونائب داكوتا الجنوبية) وفرانسيز بولتون (جمهورية ونائبة اوهايو) للذهاب الى مدينة القدس (اورشليم) ، لاستطلاع اراء بعض العناصر من العرب ومن اليهود هناك حول امكانيات التعايش بين العنصرين فى فلسطين . وقد عقدت اللجنة جلستين يومى ٢٧ ـ ٢٨ سبتمبر ١٩٤٥ ، استمعت فى الأولى الى كل من اميل الغورى سكرتير الحزب العربى الفلسطينى وجودا ماجنيس Judah L. Magnes رئيس الجامعة العبرية . اما فى اليوم التالى (٢٨ سبتمبر) فقد استمعت الى كل من : الاخ تيرا انطونى Terra Anthony المعلم بكلية سانكتا Sancta College وعونى بك عبد الهادى احد زعماء العرب ، واليعازر كابلان ، وبرنارد جوزيف وهما من زعماء اليهود .

وليس من الواضح امامنا لماذا وقع اختيار اللجنة على تلك الشخصيات بالذات ، وما هو المعيار الذى وضعته اللجنة عند الاختيار . والملفت للنظر ايضا عدم التكافؤ في إبداء وجهات النظر بين العرب واليهود . فالعرب وهم الاغلبية في فلسطين باعتراف الوثائق البريطانية نفسها ، لم يمثلهم امام اللجنة سوى شخصين فقط وهما إميل الغورى وعونى بك عبد الهادى . اما اليهود وهم الاقلية فقد مثلهم ثلاثة هم رئيس الجامعة العبرية واثنان من زعمائهم . اما الشخص السادس (الاخ تيرى انطونى) فهو ليس من العرب وليس من اليهود ، بل هو مسيحى امريكى ويمكن احتسابه فى صف اليهود من خلال الآراء التى ابداها .

ماذا قال الشهود ؟

ولننتقل الآن الى استعراض المناقشات التى تمت بين اللجنة الفرعية للكونجرس وبين من التقت بهم من شهود .

كان الشاهد الأول الذى استمعت اليه فى القدس سكرتير الحزب العربي الفلسطينى إميل الغورى . (٥) وقد القى بيانا طويلا تعرض فيه لتاريخ فلسطين منذ الحكم العثمانى باعتبارها جزءا من سوريا الكبرى الى قيام الحرب العالمية الاولى وتقرير الانتداب البريطانى . ولا يهمنا فى هذا ان نستعرض التفاصيل التاريخية التي ذكرها إميل الغوري عن وضع فلسطين تحت الحكم العثمانى فهى ليست بعيدة عن ذهن القارىء العربى . واغلب الظن انه لم يذكرها إلا لشعوره بانه يتكلم امام مجموعة من الأمريكيين الغرباء عن البلاد . ومن هنا سوف نتوقف فقط عند النقاط التى وردت فى بيانه الخاصة بمهمة توطين اليهود اللاجئين ، وامكانية التعايش بين العرب واليهود فى المنطقة حيث انها كانت نقاطا محورية فى الحديث معه .

قال الغورى ان كل فلسطين فى عام ١٩١٨ كانت خاضعة تماما لبريطانيا التى أسست حكومة عسكرية فيها عقب الاحتلال وفى عام ١٩١٩ عرف العرب بشكل رسمى وعد «بلفور» القاضى بتاسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين . وهو يؤكد على انه ليس وعدا «بان تكون فلسطين وطنا قوميا لليهود وإنما يكون فى فلسطين وطن قومى يهودى» . وعند ذلك احتج العرب .

وعندما اعلن الانتداب رسميا فى ١٩٢٠ احتج العرب لأن الانتداب فرض ضد رغبات الاغلبية العربية التى كانت إذ ذاك تمثل ٩٣٪ من اجمالى سكان فلسطين (٦٪ لليهود ، و ١٪ اجانب) ، ومن ثم طلب العرب من الرئيس الامريكى ويلسون ارسال لجنة الى فلسطين للتعرف على رغبات العرب واجراء استفتاء عام لذلك . فجاءت لجنة «كرين» حيث تبين لها من خلال

الاستفتاء أن ٨٠٪ من السكان يريدون الاستقلال . وكان العرب يرحبون بان يكون الانتداب امريكيا إذا لم يكن هناك مفر من الانتداب . فان لم يتيسر ذلك فليكن انجليزيا . غير أن الحكومة البريطانية تجاهلت نتائج هذا الاستفتاء ، واعلنت انتدابها على فلسطين ، وشرعت منذ البداية فى رسم سياستها لتاسيس وطن قومى لليهود . غير أن العرب احتجوا على ذلك لانهم ـ كما يقول الغورى ـ راوا فى الهجرة اليهودية لفلسطين شيئا قد يضرهم ويضر وضعهم فى بلادهم ، ويحرمهم فى المستقبل من الاستقلال . ولقد اقام العرب احتجاجهم على أساس «حق بلادهم الطبيعى فى تقرير مصيرهم بانفسهم» .

ومنذ الانتداب البريطانى ـ كما يقول الغورى ـ ركز العرب بقوة على ثلاثة اهداف وهى : إيقاف الهجرة اليهودية ، وايقاف بيع الأراضى لليهود ، وانهاء الانتداب واقامة حكومة دستورية قومية تمثل كافة المواطنين فى البلد تعقد معاهدة صداقة مع بريطانيا على غرار المعاهدات مع العراق ومع مصر . ولكن شيئا من ذلك لم يتحقق ، ففى كل مرة يطالب العرب بايقاف الهجرة اليهودية يقال لهم : «إن هذه مشكلة انسانية ، وان عليكم اخذ بعض اليهود لحل المشكلة اليهودية ..» . واكثر من هذا يتهم العرب بانهم معادون للسامية ، مع ان هذا المصطلح ـ كما يقول الغورى ـ ابتكار اوربى وليس عربيا ، لأن العرب انفسهم ساميون . وكل ما يخشاه العرب أن تؤدى الهجرة اليهودية الى ان يصبح العرب يوما ما اقلية فى بلادهم .

وفى ١٩٤٥ (تاريخ هذا البيان) تحققت مخاوف العرب . فبعد أن كانوا فى ١٩١٨ يمثلون ٩٣٪ من السكان ، واليهود يمثلون ٦٪ فقط ، اصبح العرب فى ١٩٤٥ يمثلون ٦٧٪ ، واليهود يمثلون ٣٢ او ٣٣ ٪ فاذا ما استمرت اليهودية قائمة لعشر سنوات قادمة ـ كما يقول الغورى ـ فمن المحتمل أن يصبح العرب اقلية يطلب اليهم ترك بلادهم .

ثم اشار إميل الغورى الى خطا المقولة الأمريكية الخاصة باعتبار الهجرة اليهودية مشكلة انسانية ومشكلة لاجئين ، فيقول ان فتح ابواب فلسطين امام اكبر عدد ممكن من اليهود لن يحل مشكلة اليهود فى أوربا فى الوقت الذى سوف تخلق فيه مشكلة يهودية فى الشرق . فليست هناك حتى الآن (١٩٤٥) مشكلة يهودية فى البلاد العربية ، ولكننا فى الطريق اليها . وللاسف فان سلاح معاداة السامية الذي يشهر امـــام المعارضين لهجرة اليهود ، سوف يشهر فى كل البلاد العربية والاسلامية لأهمية فلسطين من الناحية الاستراتيجية للبلاد العربية ، ولأنها أرض مقدسة عند المسلمين كافة من الناحية الدينية بعد مكة والمدينة . إذن فالهجرة اليهودية سوف تخلق مشكلة فى بلاد الشرق وفى البلاد الاسلامية . ولان بريطانيا لم تكترث لمطالب العرب فقد استمر هؤلاء فى مظاهراتهم بل وفى انتفاضاتهم التى اضطروا للقيام بها .

ثم يشير ايضا الى خطا القول بان الاضطهاد النازى وراء مزيد من هجرة اليهود الى فلسطين ، وذلك من خلال الاحصاءات الرسمية البريطانية التى تبين أن نسبة اليهود الذين دخلوا فلسطين بعد اعتلاء هتلر الحكم بلغت ١٩٪ فقط من المانيا و ٨١٪ من البلاد الأخرى ، مما يعنى عند الغورى أن الاضطهاد النازى غير مسئول عن زيادة معدل الهجرة اليهودية ، وانما الحركة الصهيونية السياسية هى المسئولة عن ذلك .

ثم اختتم بيانه مطالبا بريطانيا بتنفيذ تعهداتها التى قطعتها على نفسها فى الكتاب الابيض وهى إيقاف الهجرة اليهودية واعلان الدستور ، وعندئذ سوف «نعد انفسنا للحياة فى هذا البلد كمواطنين فلسطينيين فى ظل حكومة تمثل الفئات والطوائف المختلفة كل بنسبة عددهم مع استبعاد الذين لا يتمتعون بحقوق المواطنة الفلسطينية ، اى المتسللين اليهود بطريقة غير شرعية» .

المساواة فى الحقوق والواجبات

أما جودا ماجنيس رئيس الجامعة العبرية فقد اكتفى بأن قدم الى اللجنة الفرعية للكونجرس نسخة من مقال له سبق نشره باحدى الصحف البريطانية بعنوان «التعاون العربى ـ اليهودى فى فلسطين» ، يوضح فيه موقفه من مستقبل الوضع فى فلسطين . والدكتور ماجنيس مؤسس حركة فى فلسطين تسمى «حركة ميثاق السلام» ، وكانت تهدف الى تحقيق تفاهم عربى يهودى ، وتاسيس دولة ثنائية . غير أن الزعـامات الصهيونيـــة والسياسييـن القوميين العرب كانوا يعارضون هذه الحركة .

ويدور محور المقالة التى قدمها ماجنيس حول تلك الفكرة . وهو يشترط لتحقيقها توافر شرطين أساسيين فى البداية . الاول أن تقوم السياسة فى فلسطين على إيجاد دولة ثنائية يتمتع فيها اليهود والعرب بالمساواة فى الحقوق والواجبات . وهذا يعنى بطبيعة الحال عدم التفكير فى انشاء دولة يهودية أو دولة عربية فى فلسطين . والثانى يتلخص فى التأكيد على الخلفية الدولية لفلسطين ووضعها موضع الاعتبار وتحقيقا لذلك يجب أن تعلن بريطانيا استعدادهـا لوضـع فلسطيـن تحـت وصاية الأمم المتحـــدة . وفي هذه الحالة تصبح فلسطيـن أرضـا تخضـع لنظـام الوصايـة بدلا مـن ان تخضــع لنظـام الانتداب .

والسبب فى ذلك كما يشير ماجنيس أن نظام الانتداب لم ينجح فى تحقيق الأغراض المستهدفة منه . فمن هذه الأغراض مثلا تحقيق حكومة ذاتية وهو ما لم يحدث بدرجة ملحوظة . فعندما كانت فلسطين تحت الحكم العثمانى كانت السلطة فى يد الطبقات العالية . ثم حدث بعض التقدم تحت نظام الانتداب نحو النظام الديموقراطى ولكن بدرجة طفيفة . ومع أن فلسطين بلد صغير إلا انها تضم عناصر من العرب واليهود رجالا ونساء تتميز بالقدرة على العمل والادارة . وبالامكان أن يشغلوا مئات الوظائف التى يشغلها الانجليز ، إذ لا يوجد اى عربى أو يهودى عضوا فى المجلس التنفيذى او على رأس اى ادارة من الادارات أو بين مسئولى المناطق والاحياء او فى رئاسة المحكمة . وليس هناك مجلس تشريعى ، والتشريع يتم بقرارات ادارية . وكل العلاقة بين حكومة الانتداب والسكان تقوم على الاجراءات البوليسية . وخلاصة الامر أن حكومة الانتداب البريطانى هى ادارة استعمارية استبدادية متطرفة .

ثم يقترح ماجنيس أن يتضمن نظـــام الوصايا الذي يجب ان يتم التوصل إليه فورا النص على ماياتى :

أولا ـ تكوين هيئة وصاية اقليميـة

أول لجنة أمريكية في فلسطين

Regional Trusteeship Board تحت اشراف مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة للتوصل الى وضع سياسة فى فلسطين تضمن امنها ، وتكون مسئولة عن تحقيق الاغراض الأساسية الواردة فى المادة ٧٦ من نظام الوصاية الذى اقرته الامم المتحدة (٦) .

ثانيا ـ ان تضم هيئة الوصاية الاقليمية فى المحل الاول ممثلين عن بريطانيا وعن جامعة الدول العربية وعن الوكالة اليهودية فى فلسطين . وفى هذا الشان فان بريطانيا تمثل العالم المسيحى ، والجامعة العربية تمثل العالم العربى ، بينما تمثل الوكالة اليهودية العالم اليهودى على الاقل فيما يتعلق بفلسطين . اما دخول الولايات المتحدة وروسيا وفرنسا فى عضوية تلك الهيئة ـ وهم اعضاء فى مجلس الوصاية التابع للامم المتحدة ـ فذلك امر لاباس به من الناحية النظرية . ولكن من الناحية العملية قد يزيد من المصاعب على الاقل فى البداية . ولحسن الحظ فان ميثاق هيئة الامم يتميز بالمرونة فى موضوع تشكيل اى صيغة تتعلق «بالهيئات الدولية الخاصة» وفى تشجيع «الاتفاقات الفردية» .

ثالثا ـ تصبح الحكومة البريطانية «سلطة ادارية» فى فلسطين بمقتضى المادة رقم ٨١ من نظام الامم المتحدة .

رابعا ـ ان التوجيه السياسى الذى يوجهه مجلس وصاية الامم المتحدة الى هيئة الوصاية الاقليمية يجب ان يكون حول العمل على تحقيق التعاون اليهودى ـ العربى نحو اقامة دولة ثنائية فلسطينية تقوم على المساواة فى الحقوق والواجبات لكل من الشعبين .

ثم يقول «ماجنيس» ان هناك اقتراحات ثلاثة بخصوص مستقبل فلسطين مدار حديث (الآن) بين المعنيين ، وكل منها يتناقض مع الآخر ويصارعه . ويهدف الاقتراح الاول الى ان تصبح فلسطين دولة عربية تعطى ضمانات للاقلية اليهودية . ويهدف الثانى الى ان تصبح فلسطين دولة يهودية او كومنولثا تعطى ضمانات للاقلية العربية التى سوف تكون حقيقة واقعة من خلال الهجرة اليهودية الكبيرة والسريعة . وتحقيق اى من الاقتراحين يعنى وقوع الصراع المسلح داخل فلسطين الذى قد يمتد خارجها ايضا لتشارك فيه عناصر اخرى .

واما الاقتراح الثالث فهو تقسيم فلسطين «الارض الضيقة» الى ثلاثة اقسام قسم للعرب ، وقسم لليهود ، والقسم الثالث للبريطانيين . وهناك يهود يحبذون هذا الحل . ويقال ايضا ان هناك عربا قد يؤيدونه . وهذا الاقتراح الاخير على المدى الطويل افضل بكثير من ان تكون فلسطين دولة عربية حيث لا يوجد بين اليهود من يرضى بذلك ، او ان تكون فلسطين دولة يهودية حيث لا يوجد بين العرب من يرضى بذلك ايضا .

والحق ان التقسيم ـ كما يذهب ماجنيس فى النهاية ـ حل اصطناعى ووهمى . وبصرف النظر عن الصعوبات التى قد تنشا عند رسم الحدود بين هذه الاقسام ، فان التقسيم لا يخدم فكرة التفاهم والتعاون العربى ـ اليهودى بل على العكس من ذلك . وقد يبدو ان التقسيم امر مبسط سهل ولكنه يثبت قصر النظر فى الامور ، ان التقسيم سوف يخلق بلقانين على جانبى الحدود . وانه لدعوة لتنشئة جيل من الشباب العربى واليهودى الشوفينى المتشدد . وفى نفس الوقت فالتقسيم يخلق وحدتين اقتصاديتين ضئيلتين ، وفى ذلك قضاء على الاسواق المامولة للصناعة اليهودية فى البلدان المجاورة ، وتقليل من فرص الهجرة اليهودية . انه يشوه صورة الارض المقدسة . انه رفض لمواجهة ضرورة العمل الشاق الطويل المتواصل نحو تقريب العرب واليهود ومن ثم نحو السلام .

حكومة دولية

وعلى حين طلب كارل موندت رئيس اللجنة الفرعية للكونجرس من اميل الغوري (سكرتير الحزب العربى الفلسطينى) ، والدكتور جودا ماجنيس (مدير الجامعة العبرية) ان يتحدثا معه كفرد من افراد العائلة ، وان يعطياه تصورهما للاوضاع ، نجد انه يطلب من الاخ تيرا انطونى وهو امريكى (٧) ان يقدم صورة واضحة للمشكلات التى تواجه فلسطين وخاصة كيفية تسوية الخلافات فى الراى بين العرب واليهود حول السؤال المعقد وهو ايهما صاحب البلد ، وايهما احق بحكمها . ويبدو من تحديد السؤال بهذا الشكل ان لجنة الكونجرس تعتبر الاخ انطونى طرفا محايدا (مسيحيا) بين العرب واليهود وهما طرفا المشكلة .

قال الاخ انطونى ان كلا الطرفين (العرب واليهود) يعتقدان فى احقيته حكم فلسطين ولكن وبدون الانحياز الى اى منهما فان العرب يعيشون فى فلسطين منذ زمن بعيد اى منذ قدموا اليها . وهم طبقا لهذا المعيار يجب ان يستمروا فيها . ومن الغريب ان العالم كله قد سمع بوجهة النظر العربية (الاسلامية) ووجهة النظر اليهودية ، ولكن لم يهتم بوجهة النظر المسيحية فى هذا الموضوع .. ان فلسطين ارض مقدسة للمسيحيين قبل ان تكون كذلك بالنسبة لليهود وللمسلمين على الرغم من قدسيتها للديانات الثلاث . وهى لم تستمد قدسيتها من موسى (عليه السلام) لانه كان على الجانب الاخر من نهر الاردن (شرق الاردن) ولكن المسيح عاش على كل شبر من ارضها. اما المسلمون فهم ينظرون الى المسيح على انه نبي فقط . ومن هنا ضرورة تقدير المصالح المسيحية فى هذا الموضوع ، ونعنى بها الحفاظ على الطابع المقدس لهذه الارض .

ثم يشير الاخ انطونى الى ان اليهود يريدون جعل فلسطين بلدا متمدينا ، ولا تحركهم دوافع دينية فى ذلك . ويستند فى هذا الى تجربة الكيوبتزات التى اقامها اليهود فى مناطق مختلفة حيث زار احداها عند بحيرة طبرية . ومن خلال حوار دار بينه وبين الاهالى هناك علم انه لا يوجد فى الكيوبتزات معابد ، ولا حاخامات ، ولا حتى صلوات عامة تقام «لانها مستعمرات غير دينية» على حد قولهم . وان كان هذا لا يمنع من قيام البعض بالصلاة او قراءة التوراة كنص ادبى وليس ككتاب مقدس . وليس يوم السبت يوما مقدسا تعطل فيه الاعمال للصلاة ، فمن الممكن ان تتم الصلاة فى يوم الاثنين إذا ما كان هناك عمل يوم السبت . ثم يقول فى نهاية استعراضه للحياة الاجتماعية في الكيوبتزات إن الكيوبتزات تعتبر نوعا من المستعمرات الجماعية القريبة من الشيوعية . ومن هنا فليس من الحكمة «ان نستخف بعقولنا ونقول ان لليهود دوافع دينية تحركهم .. فليست لهم دوافع من هذا

النوع .. وهذا شان من شئونهم لا يجعلنى مضطرا للاشتباك معهم حوله» .

اما العرب ـ عند الاخ انطونى ـ فهم المسلمون لانهم الغالبية ، إذ ان نسبة المسيحيين ٨٪ فقط ، ولهذا لا مكان للمسيحيين بين المسلمين . ومن المعروف أن المسيحيين قاسوا كثيرا خلال الحكم التركى . واكثر من هذا فان العرب المسلمين لا يعتبـرون العـرب المسيحيين عربـا حقيقيين ، فالعربى الحقيقى هو المسلم ولا شىء اخر .. وهذا واضح فى الادبيات العربية .

وإذا ما قدر للمسيحيين ان يقعوا تحت الحكم اليهودى فلن يكونوا افضل حالا مما لو وقعوا تحت حكم المسلمين . ولكن المتصور ان اليهود لن يقتلوا المسيحيين ، لانهم لو فعلوا ذلك فسوف يجدون من يقول لهم «.. انكم لتفعلون ما كنتم تقاسون منه فى اوربا» . ولكن اليهود قد يحرمون المسيحيين من حقوقهم .

وعندما ساله كارل موندت عما يجب عمله إزاء هذه الاوضاع .. قال الاخ انطونى انه ليس سياسيا ، ولكن إذا كان عليه ان يكون كذلك فهو سينظر الى الموضوع من زاوية ان العربى غير قادر على حكم نفسه بنفسه ، وان كان لا يعرف الوضع بالنسبة لليهودى . فقد ظل العربى خاضعا لقوى اجنبية فترة طويلة من حياته : للاتراك لمدة سبعمائة سنة (لعله يضيف فترة الحكم المملوكى ايضا) ، ثم للبريطانيين بعد الاتراك . وبالتالى فليس هناك تجربة مر بها فى حياته الطويلة . وكثيرا ما يقارن الاخ انطونى العربى بالزنجى الامريكى فى بساطته ، وقلة درايته بشئون الحياة ، وعدم ادائه الاعمال على وجهها الصحيح .

فلو فرضنا جدلا ـ كما يقول انطونى ـ انه قد تقرر قيام حكومة عربية مستقلة (اسلامية) فى اول ديسمبر ١٩٤٥ فان اول شىء سوف يفعله العرب هو طرد اليهود او قتلهم . وبعد ذلك ياتى دور المسيحيين . وهذا هو ايضا شعور المسيحى (العربى) المثقف الذى لا يظهره علانية ، وإنما يقوله سرا وفى اضيق الحدود» «.. سوف يكون سيئا بالنسبة لنا اقامة دولة عربية مستقلة» .

وعلى هذا فهو يقترح وجود حكومة دولية فى فلسطين تمثل الامم المتحدة كنوع من الوصاية حيث تتقاسم الحكومتان الامريكية والبريطانية الاعباء مناصفة مع استبعاد روسيا . ووجود هذه الحكومة يعد مطلبا ضروريا لمنع انفلات زمام الامور بين العرب واليهود .

اما بالنسبة للهجرة اليهودية الى فلسطين فقد اشار الاخ انطونى الى ضرورة ايقافها ، والعمل على ان يتقبل العرب العناصر اليهودية التى وفدت حتى الآن والتى تعيش فى المنطقة .

حكومة عربية

اما فيما يتعلق بالبيان الذى القاه عونى بك عبد الهادى رئيس حزب الاستقلال (٨)) امام لجنة الكونجرس فقد ركز على تفنيد ادعاءات اليهود فى فلسطين من حيث وجودهم فى فلسطين منذ الفى عام قائلا : ان العرب حكموا اسبانيا لاعوام طويلة ، ومع ذلك فهم لا يدعون اليوم اية حقوق على اسبانيا . اما اضطهاد اليهود فى كل مكان وسوء معاملتهم فلا يصح ان يتحمل عرب فلسطين نتائج ذلك .. فليذهبوا الى اى مكان اخر ، لان فلسطين ليست ارضا خالية من السكان . ثم يعرب عونى بك عن دهشته من ان اليهود لا يريدون العيش فقط فى فلسطين وإنما يريدون تكوين دولة يهودية ، يكون العرب فيها تحت حكمهم . وليس من العدل إذن ان يتشرد العرب على حساب حل مشكلة اليهود .

ثم يذكر عونى بك ان اقامة دولة يهودية فى فلسطين يعنى قيام الحرب والصراع الدموى فى المنطقة ، لان العرب لن يفرطوا فى حريتهم وفى حقوقهم ، وهذا الصراع ايضا لن يكون فقط مع اليهود ولكنه سوف يكون مع بريطانيا نفسها . ثم تساءل قائلا : اين يذهب عرب فلسطين وعددهم مليون وثلاثمائة الف فى حالة اقامة الدولة اليهودية .. ليس هناك دولة عربية واحدة تقبل اعدادا فوق طاقاتها البشرية والاقتصادية .. فهل يذهبون الى الصحراء ام الى فرنسا او امريكا .. وهل فى هذا عدالة ؟

ثم يفند المقولة الخاطئة بان السبب فى اضطرابات فلسطين منذ ١٩٢٨ يرجع الى القيادات الوطنية وليس الى الشعب نفسه قائلا ان اصحاب هذه المقولة ينتهون الى ان «شراء» هذه الزعامات بالمال سوف ينهى المشكلة من اساسها . (٩) وقد قال فى ذلك ان تقارير المراسلين عن تلك الاضطرابات تثبت ان الشعب نفسه يفجر المواقف ، لانه يحس بالخطر دون حاجة الى زعامة تحركه

وبعد كثير من الاستطرادات حول هذه النقطة انتهز كارل موندت (رئيس لجنة الكونجرس) قول عونى بك عبد الهادى بضرورة إيقاف الهجرة اليهودية الآن اكتفاء بمن دخل فلسطين من اليهود ، وساله عن امكانية التعايش السلمى بين العرب واليهود فى حالة ايقاف الهجرة (الآن) ، فاكد عبد الهادى مشددا بامكانية ذلك . وقال ان العرب واليهود عاشا معا قرابة الالف عام كاخوة قبل الحركة الصهيونية فى ١٩١٧ ، ولم تحدث بينهما اية حوادث بسبب اختلاف العنصر أو الجنس «ولسوف يقبل العرب من وصل منهم الآن ليتوحدا معا فى المستقبل» .

ومن خلال الحوار مع عبد الهادى ينتهى الى القول انه يهدف الى التحرر من الانتداب البريطانى ، واقامة حكومة عربية يشغل اليهود فيها بعض وظائف هنا وهناك وفى هذا ضمان لعدم قيام الاضطرابات .

واراد كارل موندت الاطمئنان على مدى انتشار هذه الآراء بين سائر الاحزاب الفلسطينية ، فسال عونى بك عبد الهادى عمن يختلف معه فى الراى حول معالجة القضية ، فقال له انه لا توجد اية اختلافات بين الاحزاب الفلسطينية الستة الموجودة حول هذه المبادىء ، وان هذه الاحزاب الستة اختارت موسى العلمى ليمثلها فى جامعة الدول العربية .

ثم لفت عبد الهادى نظر كارل موندت الى ان الولايات المتحدة تؤيد اليهود تاييدا غير عادل . فقال له موندت إن هذا عيـب العرب لانهم لم يهتموا بارسال احد يتكلم باسمهم فى الولايات المتحدة ، كما لا توجد لهم منظمات تعبر عن ارادتهم . فلما تعلل عونى بك بان العرب فقراء ولا يمكنهم الانفاق على ذلك ، قال موندت ان الفقر لا يجب ان يحول دون ذلك خاصة وان جلسات الاستماع التى عقدتها لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس لم تظهر فيها بحال وجهة النظر العربية .. ولهذا

أول لجنة أمريكية في فلسطين

ونظراً لنقص الدعاية العربية الكافية ، فان اقل من ١٠٪ من الامريكيين يفهمون القضية تماما والباقى لا يعرف عنها شيئا .. والامريكيون يعولون دائما على الاغلبية . وقد اعترف عونى بك عبد الهادى بان العرب يتصورون ان مشكلتهم واضحة وعادلة ولا تحتاج الى دعاية ، ولعل فى ذلك كما يقول هو قدر من الحماقة .

تصريح بلفور ووعود الانجليز

كان اليعازر كابلان ، وبرنارد جوزيف اخر من تحدثا امام لجنة الكونجرس التى عقدت جلستين يومى ٢٧ ـ ٢٨ سبتمبر ١٩٤٥ . (١٠)

وقد قال برنارد جوزيف ان الوقت قد حان الآن لحل مشكلة اليهود ، وللوصول الى قرار بشان مستقبل فلسطين ومستقبل الشعب اليهودى الذى دفع الكثير من جراء عدم حل هذه المشكلة .. وان اليهود ليشعرون أن الوقت قد حان للمرة الاولى وربما الاخيرة لوضع نهاية لهذا الموقف ، ولمساعدتهم فى أن يعيشوا حياة عادية مثل بقية الشعوب الاخرى ، «واننا لمقتنعون ان الطريق الوحيد لحل المشكلة هو فتح ابواب فلسطين امام اليهود الذين هم فى حاجة فعلية الى فلسطين ، أو الذين تحدوهم رغبة الحضور ليعيشوا فى حرية واستقرار» ، وهم يبلغون الآن فى اوربا وحدها فيما عدا روسيا مليونا وثمانمائة الف ، بينما نجح حوالى مليونان فى الهروب من أوربا .

وهو يذكر لجنة الكونجرس بان كل اليهود الذين يعيشون فى فلسطين الآن (١٩٤٥) يرحبون ترحيباً كبيراً بقدوم اى يهودى لاجىء ، وان الاجيال الاولى منهم قد قدمت على اساس ما جاء فى تصريح «بلفور» ووعود الانجليز بتاسيس «الوطن القومى لليهود» فى فلسطين ، وما يصحب ذلك من تقديم التسهيلات اللازمة لهجرة اليهود واستقرارهم فى فلسطين . ويذكر اللجنة ايضا بان الولايات المتحدة وحوالى اثنان وخمسون دولة اعضاء فى عصبة الامم قد وافقوا على تصريح «بلفور» عندما وافقوا على نظام الانتداب البريطانى فى فلسطين الذي جاء فى مقدمته : ان الغرض الرئيسي من الانتداب ، الاعتراف بالروابط التاريخية للشعب اليهودي بفلسطين ، وإعطاؤه الفرصة لاعادة بناء حياته القومية فى هذا البلد .

ومنذ توافد اليهود على فلسطين فى اعقاب تصريح «بلفور» اثبتت اعمالهم ـ كما يقول جوزيف ـ رغبتهم وقدرتهم فى إعادة بناء فلسطين مع الاحتمالات القائمة فى اعادة بناء حياة اقتصادية متميزة للشعب اليهودى هناك . إذ فى عام ١٩١٨ مثلا كانت فلسطين «صحراء» كما كانت قبل خمسمائة عام .. فليست فيها طرق مرصوفة ولا يعرف ساكنوها المياه العذبة او الكهرباء وسائر مرافق الحياة الحديثة .. والفلاحون يستخدمون الوسائل البدائية فى الزراعة ، فالجمال تجر السواقى للرى ، والثيران تجر المحراث الخشبى واحيانا الحمير .. مع «ان التوراة حرمت استخدام الحيوانات بهذا الشكل ...» .

ثم طفق برنارد جوزيف يعدد «المآثر» التى قدمها اليهود للمنطقة منذ بدايات هجراتهم اليها من حيث رفع المستوى الصحى ، ومحاربة الامراض حتى بين العرب انفسهم ، ورفع المستوى الاقتصادى لكل السكان لدرجة أفضل من مستوى الدول العربية المجاورة «المستقلة» ، وخاصة شرق الأردن التى هى اساسا جزء من فلسطين . وهذا يعنى أن اليهود قد احضروا الرخاء معهم الى فلسطين . اما الارض التى اشتروها من العرب ـ كما يقول جوزيف ـ فقد دفعوا فيها مائة ضعف لما يدفع فى ارض مماثلة بانجلترا ، فضلا عن انها ارض متروكة لا يحتاجها العرب .. ومع ذلك فاذا ما سالت احد العرب عن رايه فى كل هذا الرخاء والتقدم سيقول لك «.. إن هذا الرخاء لا يعنينا فى شىء ، ونحن لا نريد ان نتخلى عن استقلالنا فى مقابل الرخاء ...» . ويعلق جوزيف على ذلك بقوله : «.. إن العرب مطمئنون لهذا المنطق .. إذ انهم يتركوننا نعمل فى تحسين وسائل الحياة وهم جلوس اعتماداً على ان كل هذا سيعود اليهم يوما ما ...» .

ثم يقول جوزيف مؤكدا «.. إننا لا نريد طرد اى عربى من فلسطين ، ولسنا نريد ان نعمل لصالحنا وعلى حساب العرب .. وكل ما نقوله ان هناك فرصة فى الحياة لكل عرب فلسطين ، ولكل يهودى يريد الحضور لفلسطين .. وان المستعمرات التى اقمناها والجهود الاقتصادية التى بذلناها تمت كلها بالجهود الذاتية دون ان يقدم العرب لنا اية مساعدات لكنهم يستفيدون فقط من كل ذلك ...» .

وفى تاكيده لهذا المعنى طلب من اللجنة أن تعود الى التقرير الذى كتبه القاضى ويب Webb بتكليف من حكومة الانتداب لدراسة ما يقال من ان اليهود اجبروا العرب على التخلى عن أراضيهم حيث ذهب الى ان ذلك لم يحدث ، لان اليهود ـ كما يقول جوزيف ـ اتبعوا سياسة شراء الأراضى من كبار الملاك الذين «يؤجرون» الارض لبعض المزارعين ، أو من العرب الذين لا يريدون الاستمرار فى حياة الفلاحة ويودون الانتقال الى المدينة للعمل بالتجارة او باعمال اخرى وقد عاونهم اليهود على أن يبدأوا مشروعاتهم الجديدة فى المدينة .

اما بخصوص محاولة توطين اليهود فى اماكن اخرى غير فلسطين ، فان جوزيف ذكر ان هذه المحاولات فشلت سواء فى الارجنتين بجهود البارون هيرش Hirsh فى تسعينات القرن التاسع عشر ، او فى كندا حيث لم ينجح اليهود فى ان يكونوا مزارعين . وهى حقيقة تنسحب على اليهود حتى فى الولايات المتحدة رغم وجود نسبة ضئيلة جدا منهم يشتغلون بالزراعة . اما فى فلسطين فالموقف يختلف ـ كما يقول ـ فالجميع ـ رجالا ونساء ـ يبذلون النفس والنفيس فى سبيل استصلاح الارض وزراعتها لانهم يعلمون ان فلسطين «وطنهم التاريخى القديم الجدير بكل التضحيات» .

اما اليعازر كابلان فقد اكد فى شهادته ما ذهب اليه برنارد جوزيف ، ثم اشار الى الامكانيات الاقتصادية الهائلة فى فلسطين من حيث استصلاح الاراضى الزراعية ، ومن حيث اقامة الصناعات المختلفة بما يسمح للآلاف من اليهود من العيش فى فلسطين .

اما بخصوص المشكلات السياسية التى قد تنجم عن هجرة اليهود الى فلسطين ورد فعل ذلك عند العرب ، وهى نقطة اثارها كارل موندت (رئيس لجنة الكونجرس) ، فان جوزيف قد اجاب على ذلك بان جماهير العرب قادرة على العيش مع اليهود فى سلام طالما ان ليس هناك إثارة من جانب السياسيين ، لان العرب يعيشون بالفعل هكذا منذ سنوات

دون شعور عدائى متبادل ، ولان العرب واليهود قادمون من اصل واحد .. لكن على العرب أن يدركوا ان فتح ابواب فلسطين لليهود هو الحل الأول والاخير للمشكلة اليهودية ، وان على دول العالم ان تتعهد بالضمانات الكافية بان العرب لن يضاروا بطريقة او باخرى من جراء الهجرة اليهودية ، وان كل حقوقهم ستبقى مصونة دون اعتداء .. فلهم حق الحياة كما يحلوا لهم ، وحق المساواة امام القانون .

ولما سئل جوزيف عن رايه فى مقالة دكتور جودا ماجنيس بخصوص دعوته لان يتساوى اليهود والعرب فى فلسطين ثم اقامة حكومة تحت وصاية الامم المتحدة يمثل فيها الطرفان .. قال انه لا يجب باى حال من الاحوال تحديد عدد المهاجرين اليهود وبصرف النظر عن ذلك فان دعوة ماجنيس غير قابلة للتنفيذ ليس من قبل اليهود فقط ولكن من قبل العرب الذين لم يظهر اى سياسى منهم استعداده لقبولها ، رغم ان ماجنيس مايزال يتكلم حول هذه الدعوة وينشر مقالات فى الصحف البريطانية والامريكية .

● ●

ولعل الانطباع الذى خرجت به اللجنة الفرعية للكونجرس من خلال حوارها مع الأطراف المعنية فى فلسطين من يهود وعرب (مسلمين) ومسيحيين ، هو امكانية التعايش السلمى بين الجميع فى إطار وصاية الامم المتحدة ، وفى ظل المساواة التامة فى الحقوق والواجبات ، دون سيطرة فئة على فئة اخرى . وان كان كل من هذه الأطراف قد أبدى تحفظا وتخوفا إزاء محاولة كل طرف ان يتفوق على الآخر . كما خرجت اللجنة أيضا بانطباع عن امكانية ان تستوعب فلسطين اعدادا هائلة من اليهود وفق إمكاناتها الاقتصادية الهائلة .

د. عاصم الدسوقى

الجزء السادس والأخير العدد القادم

هوامـــش

(١) من شهادة ايمانويل نيومان (المنظمة الصهيونية الأمريكية) امام لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس جلسة استماع بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٤٥ .

(٢) عميد كلية الحقوق بجامعة بنسلفانيا وكان يشغل من قبل مدير ادارة الهجرة والجنسية ثم اصبح مندوب امريكا فى اللجنة الدولية المشتركة لشئون اللاجئين . وقد قال ايمانويل نيومان فى شهادته المشار إليها إن المنظمات الصهيونية لم تطلب ايفاده ولم تعرف بذلك اصلا ، وان هذا الامر كان تصرفا فرديا من الرئيس ليحصل على معلومات موثوق بها .

(٣) كما وضح من رسالة السفير البريطاني فى امريكا فيما بعد إلى وزير الخارجية الامريكي فى ١٩/١٠/١٩٤٥ .

(٤) في دور الانعقاد رقم ٧٩ للكونجرس الامريكي لعام ١٩٤٥/١٩٤٦ حدث تغيير فى العضوية عند الديموقراطيين والجمهوريين عما كان عليه الحال في دور الانعقاد السابق (٧٨ لسنة ١٩٤٣/١٩٤٤) والذي حدثت فيه مناقشة مشروع القرار رقم ٣٥٠ ، ٣٥٢ . وكان التغيير فى عضوية الديموقراطيين اكثر منه عند الجمهوريين . ففي الحزب الجمهوري دخل لورنس سميث (ويسكونسون) ، وشيستر ميـــرو Merrow (نيوهمبشير) مكان كل من فوستر سيرفر (نيوهمبشير) ، واندرو سخيلفر (فرجينيا الغربية). اما فى الحزب الديمقراطي فقد دخل لجنة الشئون الخارجية خمسة اعضاء جدد هم : اميلي تافت دوجلاس (الينوي) ، وجيمس ترمبل Trimble (اركنساس) ، وهيلين جاجان دوجلاس (كاليفورنيا) ، وجوزيف رايتر Ryter (كونكتيكت) ، ودانييل فلود Flood (بنسلفانيا) ، وذلك مكان كل من : هيرمان ايبرهيوتر (بنسلفانيا) ، وهوارد مكمـــوراي (ويسكونسون) ، وويل روجرز (كاليفورنيا) ، ووليام فولبرايت (اركنساس) ، وجيمس رايت (بنسلفانيا) ، ومن الملاحظ فى هذا التعديل خروج النائب الديمقراطي ويل روجرز صاحب مشروع قرار الكونجرس رقم ٣٥٠ ، ٣٥٢ المشار إليه .

(٥) لقد تاسس هذا الحزب فى مارس ١٩٣٥ وقد ارتبط بعائلة الحاج امين الحسيني مفتى فلسطين حيث كان ابن عمه هو الرئيس الفخري للحزب . ومنذ انحياز المفتي الى المحور خلال سنوات الحرب أصبح الحزب ساكنا لا نشاط له ، ثم استعاد نشاطه فى ابريل ١٩٤٤ على يد السياسيين من اسرة الحسيني وبرئاسة اميل الغوري وهو عربي من الكنيسة اليونانية الارثوذكسية وكان اميل الغوري قد درس الصحافة فى الولايات المتحدة خلال الثلاثينات . وعند قيام الحرب ذهب مع المفتي الى العراق حيث اعتقلته السلطات البريطانية فى ايران فى ١٩٤١ ولم يسمح له بالعودة الى ممارسة نشاطه السياسي إلا فى ١٩٤٤ . وهذا الحزب يمثل المبدا العربي الذي يرفض هجرة اليهود الى فلسطين وتملكهم للارض هناك وتحويل فلسطين إلى دولة عربية ذات سيادة . وفى الوقت الذي كانت اللجنة تستمع فيه الى اراء اميل الغوري كان حزبه قد نجح فى تنظيم إجتماعات شاملة تطالب باعادة مفتى فلسطين من مهجره ، وكذا اعادة جمال الحسيني الذي كانت السلطات البريطانية تحتجزه فى روديسيا .

(٦) تنص المادة ٧٦ على مايلي : ان الاغراض الأساسية لنظام الوصاية تمشيا مع اغراض الامم المتحدة المنصوص عليها فى المادة الاولى من ميثاقها هي : (أ) تحقيق السلام والأمن الدوليين . (ب) تحقيق التقدم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي لسكان المناطق الخاضعة للوصاية ، والعمل على تقدمهم نحو الحكم الذاتي او الاستقلال حسب ظروف كل شعب فى التعبير عن رغباته ، (ج) احترام الحقوق الانسانية والحريات الأساسية للجميع دون تمييز بسبب العنصر او الجنس (النوع) او اللغة او العقيدة ، وتشجيع اعتماد الشعوب على بعضها البعض ، (هـ) ضمان المعاملة المتساوية فى الأمور الاجتماعية والاقتصادية والتجارية لكل اعضاء الامم المتحدة ولكل شعوبها ، وضمان المعاملة المتساوية لهذه الشعوب فى الأحكام القضائية دون اخلال بالاغراض السابقة ، وتقديرا لبنود المادة (٨٠) .

(٧) كان تيرا انطوني معلما بكلية سانكتا فى القدس وهي كلية غير لاهوتية تحت اشراف طائفة الفرنسيسكان الامريكيين . وربع تلاميذ هذه الكلية من اليهود ، والنصف من المسيحيين الممثلين بالتساوي تقريبا بين المذاهب المسيحية الثلاثـــة (الارثوذكسية ، والكاثوليك الرومان ، والبروتستانت) ، والربع الباقي من المسلمين .وقال انطوني فى حوار إنه حضر الى القدس عام ١٩٢٠ .

(٨) كان عوني بك عبد الهادي قريبا من الامير فيصل فى دمشق عند نهاية الحرب العالمية الاولى . ثم عمل سكرتيرا خاصا له فى ١٩١٩/١٩٢٠ . كما انه كان محاميا بالقدس ، وكان احد إثنين وقعا معاهدة فرساي نيابة عن ملك الحجاز ، ثم اصبح نشطا فى الحركة الوطنية الفلسطينية بعد ذلك بقليل . وتقوم سياسة حزب الاستقلال على معاداة الانجليز وتشجيع اهالي المدن من الموظفين واصحاب المهن المختلفة للالتفاف حول قيادته وذلك فى اطار المنافسة بين الحزب وبين جماعة امين الحسيني . وفى ١٩٤٢ اصبح عوني بك عبد الهادي عضوا فى مجلس ادارة البنك العربي الاهلي الذي يشارك فى جريدة « فلسطين » الجريدة العربية الرئيسية فى البلاد . ثم اسس الحزب « الصندوق العربي » الذي ناضل ضد تملك اليهود للأراضي وضد الاخلال بقواعد نقل الملكية المعمول بها .

(٩) يبدو ان عوني بك عبد الهادي يشير إلى مقابلة تمت بين ويزمان ولويد جورج وارثر بلفور ووينستون تشرشل في ٢٢ يولية ١٩٢١ . وقد كتب ويزمان تقريرا عن هذه المقابلة نشر لاول مرة عام ١٩٥٩ فى يوميات ريتشارد ميترتزيجان Meinertzhagen حيث نسب إلى لويد جورج اقتراحه برشوة العرب لضمان اذعانهم للخطط الصهيونية . ومن الواضح ان هذه الواقعة لم تكن معروفة يقينا لعوني بك عبد الهادي اثناء الادلاء بشهادته فى ذلك الوقت (١٩٤٥) ، ولكنها كانت من قبيل الشائعات التى كانت تتردد بين العرب انذاك .

(١٠) كان كابلان ودافيد بن جوريون وموشى شيرتوك يمثلون الماباي (حزب العمال) في المجلس التنفيذي للوكالة اليهودية بفلسطين . وكان الماباي اقوى التجمعات السياسية فى الوكالة واكثرهم سيطرة على مقاليدها لدرجة بعيدة . وينتمي برنارد جوزيف الى نفس هذه المجموعة ، وكان اول حاكم عسكرى اسرائيلي للقدس ووزير العدل فى اول حكومة اسرائيلية .

بقلم: محمد عبد الملك

الشمس.. في يوم غائم

إنجـــاز أدبي باهـــر في الروايـــة العربيـــة المعاصـرة



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكاتب الروائي السوري حنا مينه

واليوم الغائم هو تاريخ : تاريخ شعب يرزح في الظلام.« واليوم الغائم ليس له امتداد او نهاية.اذ ان نهايته لم تقترب بعد.قلت « لأنه تاريخ ».لكن الشمس هي الوجود الذي يبقى ، مادام هناك شمس فالغيوم رهينة واسيرة اللحظة التي يتحرر فيها شعاع الشمس من وراء الغيوم ذهبا حقيقيا ، حياة حقيقية للملايين بلا فروقات اجتماعية ، ولا اكواخ وأقبية وحروب ولا أحقاد ، الغيوم هي الضيف الراحل لكنه ضيف حالك السواد جثوه يبدو ابديا ، ضيف ثقيل يرزح على صدور الوطن العربي ، اي وطن ، اختر ما شئت من الأوطان العربية ، في أي أرض عربية سترى الشمس غائبة ، أو خلف الغيوم في الانتظار ، والغيوم في الوجه في الصف الاول ، إن الوانها تتغير من الأبيض الى الرمادي الى الأسود الزيتي الثقيل لكنها موزعة في لحظة حضارية راهنة ، هي واقع تاريخي لا مفر منه ولا مرد له ، لكنها غير أزلية وغير ثابتة لأن الحياة في حركة ، ولكن الغيوم مهما طال مداها فالشمس تحرقها في النهاية ، وتشع مضيئة ذهبا ، ساعتها سنبصر جميعا كل الأشياء الجميلة الغائبة عن الأذهان ، كل الأشياء التي تخفيها الغيوم . ونحن نقرا لكاتب من مصر وسوريا،او العراق،او المغرب العربي فنشعر بوحدة مناخ المأساة الحضارية ، وحدة ضراوتها ، هذه الضراوة التي تمتد حتى إلى حروف الكاتب فنعرف ان ما قاله هو نصف ما يريد قوله وان ما تبقى منه كثير ، لكن (حنا مينه) يمتحن هذه الحرية .

و (حنا مينه) ككاتب يبقى على راس قائمة الكتاب الملتزمين فى الوطن العربى . يكتب الرواية بنفس الشمس عند هجوم شعاعها على الغيوم ، وبنفس اندفاعــــه (الطروسى) لمواجهة العاصفة وحده من اجل فعل الرجولة . الرجولة كلمة كثيراً ما تتردد عند الكاتب ونحن لا يجب ان ناخذها بلفظها القاموسى ، فليس كل ذكر برجل . و (حنا) يعنى بالرجولة كل افعال الشهامة والوطنية والتضحية وقيم الصداقة والود والأفعال العظيمة الخارقة ومواجهة القدر والطبيعة ـ الشراع والعاصفة ـ (حنا مينه) يشرِع، صوته مثل الخنجر ، ومثل راقص بارع فى لغته الشعرية وتوتير الجملة وبترها ومزجها حتى تواكب الايقاع والرقصة التى يريدها فى الرواية ، وهذه الاستاذية فى الرقص تبدو فى تركيب الرواية . (حنــا) ملتزم وهو يصنع الجرح ويحمل الجرح.هذا شىء لابد منه ، وما عداه هروب ـ ويغيب فى الألم ، ويحمل فى راسه هموم غد الملايين. وهناك كتاب اخرون يحملون هموم الملايين لكنه اكثرهم ضراوة وان كنت ابالغ فهو اكثرهم قدرة على التعبير والوصول الى قاع البئر التى نسقط فيها جميعاً ونرفع فيها اصواتاً باهتة ، وربما استمد كاتبنا قدراته هذه من حياته القاسية وتقلبه فى الدنيا ، وربما من وعيه المبكر بالحقيقة ، لكنه اختار فى البداية الا ينهزم ، الكثيرون ينهزمون ، الكثيرون يمتنعون عن الكتابة فى زماننا لأنها تشبه مغامرة (الطروسى) بطل الشراع والعاصفة . الكتابة اصبحت نوعاً من المراهنة على الموت والحياة ، والوقوف فوق ضفتى حـــد السيف . او اى نصل حاد قاتل . هناك كثيرون يكتبون لكنهم يدجنون انفسهم وحروفهم ، يصبحون رجالا بلا كبرياء ، يمارسون الكتابة مثل عادة النوم والمشى والموت انهم مباعون وبرخص المال او الخوف ، او رعب الصدام ، هذه حالة اشد انتشارا فى الصحافة العربية ، الغيوم والشمس بعيدة تلتهم الجميع ، تصبح غولا رهيباً يكبل الأفواه وبئراً عميقة تسقط فيها الرأس قبل القدم ، وهناك روائيون وقصاصون وهناك موتى وصمت فى الشمس فى يوم غائم . اذن فحنا مينة لم يختر العنوان جزافاً ، وليست حال هذا العنوان متفردة احادية فى ارض عربية ما ، انها حالة عامة فهو من هذا المنظار يدخل أفق الأدب التاريخى ليس بصفته التسجيلية لكننا كما نفهم روح فرنسا وعقلها وتوثبها فى فترة ما فى روايات بلزاك يوسعنا ان نقرأ تاريخنا المعاصر عند قرائنا لروايات حنا . لماذا حنا

بلزاك

مينه بالذات ؟ . ربما اكون قد اجبت على هذا السؤال قبل قليل.حنا ينادى « متى فقد الأديب الرجولة الشخصية فادبه مخصى .. نعم مخصى » ويقولها فى الايام القائمة. ونحن نستطيع ان نستلهم من هذه الجملة ماذا تعنى الكتابة عند حنا مينه ، انها نوع من الكفاح والصمود والتصدى لأجل الخير والحقيقة كما يفعل الطروسى بوعى او بغير وعى ، لكنه لا يقول لنا كل المعانى فى تقرير انه ككاتب متفائل فى الايام القائمة يمد لنا عبر عوالم بعيدة جسوراً من الحلم والأسطورة والرمز والواقع . لا يهمنا بالدرجة الأولى ما يمس هذه الجسور من تلاحم وامتزاج ، وكيف يتم التلاقى بين الحلم والأسطورة والواقع ، ان كل ما يهمنا ويستحوذ على شعورنا هو ان بساط الحياة الكبيرة فى روايته ياتى ليجسد كل الواقع عبر الرمز والأسطورة والشعر .

« كان الخياط قد روى لى انه قبل الاف الأعوام فى الزمن غير المسطور فى كتاب..كان معبد ، وكانت صورة فى معبد وفتى يهوى الصورة التى فى المعبد . لقد راها منقوشة على الجدار الصخرى فيما كان يقدم نذراً ويحرق بخوراً مبتهجاً بشفاء والدته المريضة ، لم تكن غريبة عنه ولكنه لم يتذكرها ، عاد إلى المعبد ليلا ومعه سراج وراح يحدق فى الصورة ويتامل صاحبتها التى التقاها يوماً واحبها يوماً ولكنه لا يعرف اين ومتى ، وسمع الفتى وهو راكع امام الصــــــورة كبوذى مترهب نغمــاً انسيابياً خيل اليه انه يعرفه ايضاً وانه عاشه ورقص له وكانت صاحبة الصورة فى الحشد المتعبد ترى رقصته وتبتسم له فنهض عن الأرض وفتح ذراعيه ودار على نفسه وانطلق يرقص ويرقص والنغم ينداح وهو يواصل الرقص ثم رفع رأسه فجاة فراى الصورة تخرج من الصورة ، راها تبرز وتتشكل وتتجسد امراة لا حد لفتنتها،لا شبه لشفافية وبياض بشرتها وعلى ثغرها ابتسامة مضيئة كماسة على قماش عندمى » .

« كان عسيراً عليه ان يصدق ان ما راه لم يكن الا وهما . كان واثقا ان الصورة خرجت من الصورة وانه راها وانه لو رقص لها فستخرج اليه ثانية . فتح ذراعيه واخذ يرقص ويرقص ، وينحنى على الصورة فيقبلها ويتوسل اليها ويناجيها ولكن الصورة ظلت صورة فاقام فى المعبد ورفض باصرار مغادرته ولم تفد فيه تضرعات امه ولا دموعها » ...

« وقيل انه جن فقيدوه بالسلاسل ولم يلبث ان مات وحلت روحه فى ابدان الراقصين من جيل الى جيل حتى يومنا هذا » .

هناك فى جانب اخر والفتى بطل الرواية يتذكر حكاية الخياط والصورة التى خرجت من الصورة راح يدق الارض بين الاقبية والازقة وبيوت الفقراء والخياط يصيح له «اعنف» .. «هيا يا فتاى» وكان قد قال له الكثير ، علمه الكثير اكتشف طوايا روحه «الخياط وحده فهم مشكلتى هو الذى اكتشف نفورى من الرتابة وحاجتى الى الحركة » ... « انت ماهــر فى الرقص يا ولدى وجسمك رشيق مطواع وفى داخلك شىء يريد ان يخرج كانه النقمة او الغضب مع انك لا تشكو شيئا وعائلتك غنية وكل ما تريده موفور ولست على خلاف مع اهلك » لكن هذا ما لم يصب فيه الخياط فالفتى على خلاف مع اهله وخلاف بحجم الخندق العميق الذى يفصل بين الخير والشر والاكواخ والقصور والا فلماذا جاء ليرقص رقصة الخنجر ويستبدلها عن التانغو التى يرقصونها فى الكازينو انه فى خلاف مع اهله لكنه ـ هذا الخلاف ـ لم يظهر على السطح ، انه قابلية ، نوع من الشعور بان شيئا ما فى عائلته الكبيرة المالكة غير طبيعى ومع وجود هذا « الغير طبيعى » فان الحياة تمضى غير طبيعية . فالحياة الاجتماعية كلها واحدة ويقف انجازها وحركتها على قانون المسببات والنتائج . ان الرتابة غير الحركة وسكان الأقبية وجيران الخياط

ARCHIVE
http://Archive.Sakhrit.com



الشمس في يوم غائم

يحبون الحركة لانهم يريدون الانعتاق من الرتابة انها موتهم البطيء اما الملاك والد الفتى وامه ورئيس القلم خطيب اخته فهم يحبون الرتابة لان البحر ساكن هنا حيث ترسو سفن سعادتهم وتظل هزهازة في سعادة تشبه سعادة طفل نائم نوما عميقا وقال الفتى سارقص « وعندما بدا العزف ودوى التصفيق شعرت برجفة في يدي » ورقصة الخنجر هي غير رقصة التانغو لكنه اقدم عليها لانه يكره الرتابة وصورة جده وسيرة العائلة وظلم الفلاحين،ويحب سكان الاقبية الذين التفوا من حوله ، الفتى المدلل يرقص رقصة خطرة . صارت حلقة ، كبرت .

ابن القصور بدا يدق الارض ايضا مع الملايين التي تــــدق لايقاظها . وهنا تتوقف ماساته او تتحرك في شكل افقي لا ينتهي الا عند الحد النهائي للرواية وربما لا ينتهي بمنتهاها . انه يرقص ها هنا رقصة الخنجر الحقيقية بين الفقراء والخياط،يقول صــــفقوا بقوة ! .

البحث عن الحقيقة

ان علينا ان نرجع الى الرواية ، وتطور عنصر الصراع فيها ، الصراع النفسي الداخلي في ذات الفتى بين اسرته وشعب الاقبية ، وبين شعب الاقبية واسرته .

لماذا اختار حنا مينه الخياط ليكون معلمه ومحرضه وموجه حياته ؟ لا نعلم ، لكن الخياط لم يكن خياطا وكان يعلم الناس اشياء كثيرة ، يكره كل ما هو قبيح



وبشع ، ويحب الفقراء ، ودق الارض ويعلمهم رقصة الخنجر انها لعبة خطرة يجيد الخياط تعليمها . الخياط يحب رقصة الخنجر ، يعلمها ، والشاب بطل القصة يكره التانغو ، رقصة التانغو التي يرقصونها في الكازينو ، جميعهم يرقصونها تلك الاسرة الاقطاعية التي ينحدر منها بطل حنا مينه ترقصها في الكازينو ، انها بطيئة مملة مثيرة لاشمئزازه وتقززه . ترى ايضا لماذا اختار حنا مينه بطل قصته الاول من وسط عائلة اقطاعية كبيرة هل ليضع كامل مجهره هنا ليعري عمق تفاهتها كما فعل تولستوي في رواياته وهو « تولستوي » .. ابن الاسرة النبيلة التي عاش وسطها ، واكتشف سام حياتها وفراغها الروحي ، ام ان الرواية انطلقت عنده على سجيتها كما تفعل عنده غالبا وعند الكثيرين ممن يكتبون الرواية ، لا يهم ، كل هذا ليس راس المسالة ، ان المسالة هي وقوفها فوق اجسادنا جميعا ، نحن جميعا دون استثناء ، ان حنا مينه الكاتب الكبير وفي الايام القائمة يعرينا جميعا ، وينادي ان على الكاتب الا يفقد الشجاعة ، الا يكون مخصيا ، الا يكبو ، وان كبا فانه لا يسير وحده ، فالركب كبير والشمس في اليوم الغائم لا تحجب عن بطل الرواية والمراة التي عشقها في القبو ، والخياط ، وضارب الايقاع ، انها تحجب نفسها عنا جميعا ، بطل الرواية يسام ثرثرة اهله في القصر الكبير ، تشعره بالاشمئزاز ، صورة جده استسلام امه ، ضعف شخصية ابنة عمه ذات العوينات ، الكازينو ، رقصة التانغو ، الحديث عن قتل الفلاحين ، « انت زهرة في حقل من الشوك ... نعم انت زهرة في حقل من الشوك .. » هكذا يخاطبه الخياط في اول لقاء لهما ، وهو يعلم ، يكتشف ان جسده قادر على التعبير اكثر من انامله وصوته . جسده كله بما فيه القدم والساقان والذراعان ، ان في داخله شيئا يريد ان يخرج ، الرقص ، الرقص ، العنيف رقص الموت ففي الموت تكون الحيــــاة ، لا تكون الحياة بلا مغامرة ، وبالخنجر بالذات وكما يرقصها الشركس « هيــــا يا فتاي .. » رائع ، راح الفتى المنحدر من قصور الاقطاع والكازينو والتانغو يرقص في الزقاق بالخنجر وفي الرقص وجد نفسه اكتشف شيئا ما بداخله يخرج . لكننـــا لا نفعل شيئا بلا هدف ، لا نرقص بلا هدف والا ضاع كل شيء هباء ، راى الفتى امراة القبو التي عشقها ، شــــاهد عينيهـــا السوداوين وكما الهمته واهدته الرقصـــة المجنونة كانت هي السبب في طعنه



تولستوي

بالخنجر ، راى عينيها وغاب ففعل العجب وراى عينيها وغاب فجرح ساقه ، لكنه ظل قانعا بما فعل ، انه يعيش ، يفعل ما يريد ، يلتقي بالناس ، يكتشف ما في هذا العالم من متعة وسعادة والم ، هناك في القصر ثاروا والولد يرقص بين الفقراء مثل الغجر ، ابن الباشوات يرقص في الزقاق ، وتخوم الاقبية كالغجر ، الفتيات في القصر فتنتهم الرقصة ، لم يروها لكنها فتنتهم ، راوه ممددا فوق سريره ، والحمى تاكله ، انها رقصة الفرسان والفتيات يحببن الفرسان ، هل سيرقصها بعد ان يشفى ؟ لم يهمه كل هذا ، كان يفكر في الخياط وامراة القبو ذات العينين السوداوين الجسورتين ، انها نقيض لابنة عمه ذات العوينات الهادئة المستسلمة ، انها شيء اخر ، اقوى منه ، يشعرها اقوى منه ، ورغم نظرة الاعجاب التي بادلته اياها فهي لم تتنازل عن كبريائها ، انه ابن السراي والقصور وهي تكره السراي والقصور ، جسورة هي مثل الخياط الذي يحبها رغم ما تمارسه من مهنة ملعونة ، عشقها الفتى ، عشقها ، كانت السبب في شج ركبته بالخنجر ، حين حدق في عينها انحرف بشكل ما واخطا الضربة لكنه لم يغضب عليها ، شيء ما يجمعهما ، وشيء ما يفرقهما ، فكيف تنتهي النهاية ، ان حنا مينه لا يقول لنا حدوتة ، او حكاية تبدا وتنتهي ببداية ووسط ونهاية وان لم يخل بتوازن روح الرواية بدليل تنامي شخصيات الرواية وتنامي احداثها ، لكنه لا يشرح لنا التنامي ، انه يحكي لنا الازمة الابعد غورا في الماساة الاجتماعية . المراة ، امراة القبو معذبة ، تحب وتكره ، والفتى معذب يحب ويكره ، واخته تعي الاشياء وتجهلها ، والارض ابنة الكلب نائمة ، ولحظة اليقظة مجهولة ، ولحظة التجدد .. مجهولة حتى كيفية تحدد



يوسف ادريس

المصائر مجهولة ، نحن فعلا نعى امراة القبو تحب الفتى وتكرهه ، ونعى تمزق الفتى بين اسرته الاقطاعية وشعب الاقبية والزقاق ، لكن المسالة لا تقف عند هذا الحد فالكاتب ياخذنا الى الاغوار الابعـد : لماذا يعيش الانسان هذا التناقض والبؤس المادى والروحى· ؟ لماذا تكون الحياة جميلة ورهن ايدينا ·؟ السعادة رهن ايدينا والشقاء رهن ايدينا لماذا ؟ » انا اتحدث عما هو خارج القدر » هذا السؤال هو الذى يلح من اول باب الرواية حتى نهايتها ، البحث ، البحث عن الحقيقة ، عن الاكتشاف فى الايام الغائمة ، لكن دائما هناك لا يظل الغور العميق الفاصل بلا سبب ولا يظل الغور العميق بلا حل للمعضلة ، لذا لم افهم لماذا كان سقوط الظلام بين الأب الاقطاعى قاتل الخياط وبين الفتى هو النهاية ، هل كان يعنى ذلك الانفصال التام ·؟ ربما لكن فى قناعتى ان تنامى الرواية وصلت عند حد قناعة الفتى ان اباه الاقطاعى الملاك قاتل قبل ان يصرخ فى وجهه » انت قاتل قاتل » . لكن هل هـــذه الصيحة تعنى كل شىء ام انها بداية صراع حقيقى بين الفتى والأب ، ام وهذا تفسير ثالث واخير هو الانفصال الاخير ، انضواء الفتى مع من يدقون الأرض ، لحاقه بالخياط الذى علمه ان يكون للحياة معنى ، هذا جانب لم يرق لى فى الرواية او فى نهايتها بالتحديد ، فالقناعة وصلت عند الفتى حد الأشباع ، والأب قام بمجازر لا عد لها واول ضحاياه كان هو قبل الفلاحين ، وامه واخته هكذا اكتشف بوعيه ومن خلال الخياط فلماذا اكتفى حنا مينه بسقوط الظلام بين الأثنين ·؟ هل تفاديا لتقريرية الأحداث وسامه من النهايات التراجيدية المفتعلة·؟ ربما ، لا اعلم لكن التنامى وصل إلى حد انه يجب على الفتى بعد ان تعلم الكثير واجتاز مرحلة الشعور بالماساة الى مرحلة الوعى بها ، كان عليه ان يتخذ موقفا اكثر حسما ، الفتى فى لحظة رهيبة ، والخياط الذى يحبه شعب الاقبية والفتى ، الخياط الذى يمثل الفضيلة مات بطعنة كان من ورائها ابو الفتى فهل اجل فتى الرواية المواجهة الى مرحلة اخرى·؟ ام انه سيراجع نفسه من جديد·؟ يبقى ذلك مجرد سؤال فالسكون فى النهايات يظل سلبيا كالهياج فيها ، قلت خيوط الرواية لدى كاتب ملتزم يقف فى الصف الاول بين كتاب الرواية الملتزمين لابد وان تتماسك من حيث ربط الاشياء بالمسببات الواقعية بالحياة ، وللصراع اسباب ويمتد هذا الصراع عند ابطال حنا مينه من خلال او فى داخـــل الافراد ذاتهم او فيما بينهم كقوة جديدة صاعدة ، الخياط وامراة القبو والفتى والأب وزوجته ورئيس القلم ، ورجال الدرك والذين يقفون من ورائهم . ولذا فالرواية حين تكتب بوعى فهى تمسك بخيوط الحقيقة ، من خلال الواقع والرمز . ان موت الخياط الفرد ليس موت شعب الاقبية ، سيظل هناك من يعلم ايضا ، لقد علم هو الكثيرين ، علمهم كيف يضربون الارض ، ويرقصون بالخنجر ، والرقص هنا عند حنا يختلف عن رقص زوربا . إن اعماق الرقص هنا ابعد ، حدوده غير ذاتية ، انه هوس جماعى لتجسيد فكرة واحياء وجودها ، فكرة لا تجلب راحة للنفس فحسب لكنها تمدها بالقوة لمواصلة الصمود ، المعنى هنا كثير الابعاد . لا يربط حنا خيوط الرواية ربطا تقليديا كما نقرا فى الكثير من الروايات ، ان البعض يرى فى ذلك تقريرية من الكاتب ، لكنه فى الحقيقة نمط تشكيل الرواية ان التدخل بين المنلوج الداخلى للشخوص والرمز والاسطورة والحدث المعاش جاء ليخدم المحتوى الذى اراد الكاتب قوله او احتضانه .

ناتى ونحن هنا نتحدث عن تكتيك الرواية الى لغتها الشعرية ، وموسيقاها ، وعباراتها الصغيرة المقطعة . انها وتيرة فى السرد تختلف وتتشابه مع سرد القاص يوسف ادريس السريع اللاهث ، انت لا تشعر بالكسل والغفلة لحظة طوال قراءتك للرواية ، دائما تلهث وراء الجملة ، والحدث ، والحوار ، ثم هناك الرمز والشاعرية وإضفاء الابعاد الرمزية على الحكايات الشعبية . لا نريد ان نقول ان هذا يضيف حقيقة اخرى لسنا بصددها الآن » اقتراب الكاتب من روح الشعب » لكننا فنيا نجد ان توظيف الحكايات الشعبية يأتى متناغما مع الحدث والموقف ثم هناك المنلوج الداخلى الذى يسقط فى الرواية من اعماق الفتى وهو يتذكر ما يقوله الخياط ويردده خلال الرواية .

الغيوم .. والواقعية

الشمس فى يوم غائم من الروايـــات القليلة التى تقرا اكثر من مرتين لاننـــا لانكتشفها » كلها » من القراءة الاولى وهكذا فعلت ، وتوصلت إلى يقين ان حنا مينه قد اعطانا رواية خالدة ستبقى . ولذا اكتب وحين ترددى فى الكتابة عنها اجبت فى الحال » لن تكون الاخيره » فالرواية من الانجازات الكبيرة فى الادب العربى المعاصر وما كتب عنها اقل من حجمها فى الكم والكيف . القناعة الاخرى التى توصلت اليها ان حنا مينه هو بين قلة من الكتاب لم يقبل ان يكون غلاما فى قصر الحياة العربية حتى ولو رصعوه بالذهب لانه اراد مثلما الطروسى ان يصمد فلا يكتب ادبا مخصيا ، خائنا مذعوراً . ورغم الغيوم التى تغطى السماء العربية قال حنا ان لم تخنى الذاكرة فى مقابلة قراتها له فى العام الماضى اجرتها له احدى الصحف العربية : » ان المناضل اليـــوم هو من لا ييأس » اجل فى الايام الغائمـة يكون اليأس سيد الكون والبشر والزمان ، لكن من يملكون رؤيا تاريخية ــ صحيحة للاشياء وحركة الواقع لا يغمضون اعينهم عن ذلك الشعاع الطفيف الذى يهبط حزينا يتعشق عيونهم الشجاعة العطشى ، وهناك ايضا ما يؤكد ضمن سياق هذه الرواية حقيقة مسار الحركة الادبية فى عموم الوطن العربى ، اننا جميعا نقرا قصائد مجنونة وروايات مجنونة ، وقصصا قصيرة اشد جنونا ، اننا نقرا كل يوم ونرى انحلال القصيدة والقصة القصيرة وتحولها الى خواطر وطلاسم وتهويمات سحرة ، واننا نشهد ان هذا المد المترسب فى لحظة الاغتراب الحضارى يحاول ربط جسوره باتهام الواقعية بالجمود والكسل والموت ، وعدم مواكبتها للعصر المعقد الشديد التعقيد ، الشمس فى يوم غائم والكاتب الروائى الكبير فى هذه الرواية يكشف لنا كل الحقيقة بواقعيـــة عملية جدا حيث اصبح الاقناع النظرى للجنون المغامر شبه مستحيل ، انه يكشف ببساطة وقوة افاق الواقعية وطموحاتها التى لم تمت ولم تذبل انه يقول بطريقة غير مباشرة » كل ما فى الامر انكم عاجزون عن اكتشافها » .

محمد عبد الملك ــ البحرين

شاعر أسباني يتغنى بأصله العربي

مانويل ماتشادو

بقلم : عبد اللطيف عبد الحليم

لا احد يمثل تيار الحداثة فى الشعر الغنائي الاسباني كما يمثله مانويل ماتشادو (١٨٧٤ ـ ١٩٤٧) ، شقيق الشاعر الكبير انطونيو ماتشادو ، واولهما اكبر من الثاني بعام واحد . اشبيلي المولد ، فرنسي التكوين ، عاش في مدريد بعد قفوله من باريس حتى مات سنة ١٩٤٧ .

رجل من ذوى النفوس البسيطة ، التى لا تثيرهــا ، ولا تكربها ارتجاجات القلق والحيرة التى تعصف بنفوس من طراز اخر مثل الشاعر ميجيل دى اونامونو ، فان صاحبنا ماتشادو راض الحياة كما راضته ، واستسلم لها فى خدر لذيذ ، على نمط يذكرنا باسلافنا من شعراء الاندلس الذين شربت ارواحهم خلاصة طبيعة الأندلس ، بما فيها من ليال حالمة بعطر الموسيقى ، تنبعث من اوتار عود ينوح حين يشدو ، ومن حنجرة عميقة ، يتجاوب صداها فى ابهاء القصور العربية ، فترددها نوافير المياه ، وزهر البرتقال الغافي فى الامسيات الرطيبة .

لم يسلك مانويل مسلك اخيه انطونيو فى الانسلاخ من جذوره الأندلسية الأشبيلية ، والارتباط بقشتالة والتغنى بها ، والانطواء على نفسه ، لذا كان انطونيو من شعراء جيل الثمانية والتسعين ، الذى كان صوت اسبانيا انذاك ، والذى احس بعمق الكارثة التى احدقت باسبانيا بعد ضياعها لمستعمراتها . بل سلك مانويل اتجاه الحداثة الذى تزعمه روبين داريو شاعر نيكاراجوا الاكبر ، ذلك الاتجاه الذى حل محل الرومانسية بعد جمودها وافلاسها ، وإن كان لم يتخل عن بعض غنائمها واسلابها ، بعد اضفائه عليها صبغة خاصة ونفحة شخصية ، وقد اطلع مانويل اثناء اقامته فى باريس على التيارات التى كانت تموج بها العاصمة الفرنسية ، وصادفت البرناسية والرمزية هوى فى نفسه وامتزج كل هذا المحصول فى نفسه امتزاجا عميقا خرج منه هذا النتاج الخصب ، بعد ان اراق عليه وهج نفسه ، وعبق روحه ، ولون عينيه ، وغدا شاعر الاندلس بحق .

أشبيليـــات

السيجيريـا (١) الغجرية
هي موشحة الليالي الاسلامية

عيون ســود ، وضيـــاع
تحيــا الموشحـة دائما من الحـب والموت
هي صـوت القلب ، اسير الأسى والحـــظ ..
بكائيـة الهوى العميقـة

• • •

بيد أن موشحة ضياء الفردوس الاندلسي
المجنحـة الربيعيـة
الثرثــارة ، العذبة
التى تغنيهـــا كل اشبيليـّـة
هي السيجيريـا الأشبيليــة المرحــة
المليئـة باشعة الشمــس ، وخفة الظــل

• • •



والغريب ان الاندلس بعد العصر الاسلامي مازال ـ حتى الآن ـ أرض الشعر ، ومنبع الالهام ، فمعظم الشعراء الاسبان ولدوا فى جنوب اسبانيا (الاندلس) . الاخوان ماتشادو ، غرثيه لوركا ، الكسندري ـ الفائز بجائزة نوبل عام ١٩٧٨ ـ خوان رامون خمينيث ـ نوبل ١٩٥٦ ـ . وغيرهم كثير ، اصبح الامر ظاهرة حتى لدى الاسبان انفسهم ، مما دفع بالشاعر الكبير رفاييل البرتي الى نظم قصيدة عنوانها « الشعراء الاندلسيون » وصارت القصيدة يتغنى بها الآن ، وتباع ـ ملحنة ـ على اشرطة التسجيل .

استاثرت الاندلس وتراثها الشعبي بنصيب ضخم من قصائد مانويل ماتشادو ، فقد استغل الموضوعات الشعبية الاندلسية ، وانتزع من نمط الغناء « الكانتي خوندو » او الغناء العميق منجما لا ينفد ، وغدت القيثارة الاندلسية ، واغاني البحر ، والفلامنكو ، وذكريات التاريخ العربي ، تاريخ اسلافه واسلافنا تشكل كل هذه الاشياء وغيرها خطوط لوحته الشعرية ، ولا ينسى ابدا ان يغمس ريشته فى نبيذ الاندلس المعتق .

لم يكن مانويل ماتشادو غزيرالانتاج إذا قيس بشقيقه انطونيو، نذكر من ابرز انتاجه مايلي : « صور اشبيلية ، كتبت نثرا ، وست مسرحيات اشترك فيها معه شقيقه . اما شعره فبرز منه دواوينه : « روح » ١٩٠٠ ، « نزعات » ١٩٠٥ ، « العيد القومي » ١٩٠٦ ، « اشبيلية وقصائد اخرى » ١٩١٨ ، الى جانب بعض الدواوين الاخرى

تطفر فى شعره نزعة حسية اقرب الى الابيقورية ، لكنما يكبحها شيء من الحزن المغلف بالحنين الغامض ، وشيء من التطلع الى التنفس فى الاحلام ، ويلوح بين الحين والحين سحابة تشاؤم ، لكنه ليس تشاؤم النفس المغلقة الكنود ، لا ترى النور، ولا يشوقها ان تراه ، ليس تشاؤم النفس الناضبة من العطف والشعور ، إنما هو تشاؤم النفس المفطـورة على العطف، ليس بينها وبين النور او الحب حجاب صفيق من الصمم والبلادة والانانية ، تشاؤم يجد سلواه فى حضن الطبيعة ، وعزاؤه فى ملاذ الحياة ، إنه تشاؤم محب للدنيا ، متعلق بحبالها ، يزهد فيها لياخذ نصيبه الاكبر من حلوى الحياة .

اما طريقة التعبير عند مانويل ماتشادو ، فقد رسمتها موضوعاته القريبة ، واغراضه البسيطة . جاء التعبير مساوقا لطبيعة هذه التجربة بسيطا ، يتدفق فى سلالة عذبة . لكنها البساطة العميقة ، او السهل الممتنع ـ كما يقولون ـ او هو السهل الذى يمتنع على كثيرين ممن يروضون القول ، ويصرفون الكلام ، يتانق الشاعر كثيرا فى التعبير ، لكنها الاناقة التى لا تحس انها اثقلت العمل الفني باوزار التكلف والصناعة التى يقع فيها كثيرون من اصحاب الاناقة ، تشعر ـ حين قراءته ـ انه كان يلقى بباله الى الكلام فيطاوعه ، وجاءته سهولته هذه من سهولة الشعور عنده وبساطته ، وقد اسلم مقاليده للفن ، فاسلم اليه الفن مقاليده ، وتبرز القافية عنده بروزا معجبا رائقا ، فكانك تغني حين تقرا القصيدة ، التى تهز اعطافك قسرا للموسيقى السارية فى تضاعيف كل كلمة منها ، إنها موسيقى شجية بما تحمله من شحنة عاطفية تدع فى نفس المتلقي شعورا لا عجا حزينا ـ ربما اضاعته الترجمة النثرية ، وارجو ان اترجم هذه القصائد شعرا فيما بعد .

ورجل هذه طريقته فى التعبير ربما يقع فى السطحية والمباشرة السلاجة ، لكن صاحبنا كان فى الاعم الاغلب بنجوة من هذا المنزلق الوعر . وكثيرا ما يستخدم الشاعر بعض الكلمات فى نطقها العامي فتزيد اسلوبه ملاحة ، وتحل محلها المحتوم .

شعره ـ فى ايجاز ـ صورة حية لنفسه ، ولليالي الاندلس الساهرة ، وانعكاس لصور الحياة كما تراءت فى صقال نفس هذا الشاعر المرهف الفرد ، الذى نحيي فيه مزاجه العربى الأندلسي ، ونرد له تحيته التى حيا بها اسلافنا واسلافه العظام .

الدّلفى

إنني مثل اولئك الناس
الذين قدموا الى ارضى هذه
من جنس عربي ،
جنـس صديق قديم للشمـس
اولئك الذيـن غنمـوا كل شيء ،
وخسروا كل شيء

وقـد نبتـت روحي
من عبـق الناردـين الاندلسي

• • •

ماتت ارادتي ذات ليلة مقمـرة
كان من الرائـع فيها الا نفكـر ،
والا نحـب

وكل ما احلم به ان استلقى خليَّ البـال
بين حيـن واخـر

• • •

ليـس لروحي شقيقة الأصيل تخوم
والزهـرة الرامـزة لشوقي الوحيـد
هي زهـرة ليـس لها نفـح ،
ولا شكل ولا لون
تولد من اراضي مجهولـة

• • •



قبـلات ، بيد انها غير ممنوحـة ،
امجاد يدينون لي بها !
كلهـا مثل نسيم مضيء يسري من اجلـي !
فلتجيءْ بيَ الامـواج ،
ولتذهـبْ بيَ الامـواج
ولا تجـبرني ابدا على اختيـار الطريـق

• • •

طموح ؟ ليس لدي . حب ؟ ما شعرت به
لم احترق ابـدا بنار اليقين ،
ولا بنـار الشـكر
كان لدي عشـقٌ غـامـضٌ للفـن ،
والآن اضعتـه
لا يفوتني الفجـور ، ولا اعبد الفضيلة

• • •

لا يرتـاب احد في عراقة محتـدي
فالمأثرة والعراقـة تورث ولا توهـب
بيـد ان رمز بيتي وشـعـاري
مثل سحابة حائـرة تكف الشـمس المغرورة

• • •

لا انشد منكم شيئا ..
ولا اشعر نحوكم بحب ولا ببغض
ودعوني افعل من اجلكم
ما تستطيعون فعله معي
ولتبذل الحياة ما في وسعها لموتي
فانني لا ابالي بان احيـا

• • •

ماتت إرادتي ذات ليلة قمـراء
كان الرائـع فيها الا نفكر والا نحب
وبين حين واخـر قبلة بدون رغبـة
قبلة كريمة ، ولا ينبغي ردها بمثلها .

(٦) الأسى
« من اغاني الفجر »

إن اسـاي من نـوع رديء
لانـه اسى لا اود ان ابرا منـه

• • •

لقـد جاءني دون ان ادري مـن ايـن ،
مثلمـا تجـري الميـاه الى البحـر ،
والزهـور الى شهر مايـو
والريـاح الى الغابـة

• • •

جاءني ، وخـيَّم في فـؤادي
كمـرارة القشرة الخضـراء
في الليمـون الاخضـر

• • •

مثل جـذور اللبـلاب
يتغـذى الأسى في فـؤادي
وعـروقي بالـدم

• • •

لسـت ادري من اين يلتـف بجسـدي
ذلك الحبـل ، ولا مـن ايـن لم يلتـف
لسـت ادري ..

(٧) إبنة صاحب الخـان

«كانت البنية تصمت ، ومن حين لاخر
كانت تبتسم» ثيرفانتس . دون كيخوتي
صمت إلهي
وبسمـة عذبـة
لمـاذا تمثـلان في ذاكرتي ؟

• • •

الخـان خـالٍ
وابنـة صاحب الخان (٢) تغمـز
بعيـون وسنى
وصاحبـة الخـان تغـزل
وحضـرة صاحـب الخـان عند الباب
يترقـب إذا ما كان احد قادمـا ..
فالريـح تكتسـح الريـف
... وبجانـب النـار
تجلـس البنيّـة
تحلم بكتب الفروسيـة —
تنظر بعيونها الزرق الأصيل
الذى يموت وراء الأفق

• • •

بنية جافية أرض لا منْشَـا
تغـوص في ليلـة باردة

عبد اللطيف عبد الحليم/مدريد

---

(١) يقال إن هذه الكلمة ذات أصل عربي ، معناها صغيرة من الصغر ثم تحولت هذه الصيغة الى صورتها الحالية في اغاني الفجر .

(٢) في الأصل Maritornes وتطلق على البنية التي تخدم في الخان ، وقد اخذها الشاعر من دون كيخوتي . المترجم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في مهرجان

شوقي .. وحافظ

شعر: فتحي سعيد

شَوْقِي أَمِيرَ القَوَافِي وَالْعُلَا نَسَبُ
مَا بِالْقَلِيلِ عَلَيْكُمْ ذَلِكَ اللَّقَبُ
فِي يَوْمِ عِيدِكَ جِئْنَا يَزْدَهِي الْحَسَبُ
مَا بِالْكَثِيرِ عَلَيْنَا ذَلِكَ الْحَسَبُ
إِنْ كُنْتَ يَوْماً أَمِيرَ الشِّعْرِ أَصْغِ لَنَا
نَحْنُ الصَّعَالِيكُ لا عَرْشٌ وَلَا رُتَبُ
نَحْنُ الصَّعَالِيكُ نَمْشِي فِي مَنَاكِبِهَا
نَعْدُو وَنَشْدُو .. وَقَدْ حَاقَتْ بِنَا النُّوَبُ
هِمْنَا بِفَنِّ الْقَوَافِي دُونَ بَادِرَةٍ
أَوْ بَدْرَةٍ لِأَمِيرٍ .. شَاعِراً .. يَهَبُ
كَمْ كُنْتَ تُسْقَى بِكَأْسٍ حَفَّهَا الحَبَبُ
وَنَحْنُ نُسْقَى بِكَأْسٍ حَفَّهَا السَّغَبُ
وَأَنْتَ لَاهٍ بِهَا غَافٍ بِكَرْمَتِهَا
وَلَيْسَ فِيهَا لَنَا كَرْمٌ وَلَا عِنَبُ
فاهبط إِلَيْهَا ... وَحَدِّقْ فِي حدائقنا
أَحْفَادُ شِعْرِكَ أَنْدَادٌ إِذَا نُدِبُوا
عِصَابَةٌ مِنْ بَقَايَا اللَّيْلِ أَدْرَكَهَا
أَلْبَدْءُ وَالْمُنْتَهَى والْحَرْفُ والكُتُبُ
شُمُّ الأُنُوفِ .. كِرَامٌ قَدْ أَظَلَّهُمُو
اللَّيْلُ لَمَّا سَجَى .. لا الْخَمْسَة السُّحُبُ !

●●

يَاشَاعِرَ النِّيلِ .. مَنْ كَالنِّيلِ يَنْسَكِبُ
وكم عطاشى به مروا وما شربوا
ظُلِمْتَ حَيّاً وَمَيْتاً فى صَحَائِفِهَا
إِذْ قَارَنُوكَ بِنَجْمٍ دُونَهُ الشُّهُبُ
لستَ المصلّى بها في شوط حَلْبَتِهَا
أنت المجَلِّي بها والرأسُ .. لا الذنبُ

غَنَّيْتَ لِلشَّعْبِ ... مَنْ كَالشَّعْبِ أُغْنِيَة
يُشْدَى بِهَا .. وَشُدَاةُ القَوْمِ قَدْ نَعِبُوا

عَرِّج علينا .. تجدنا دون سِدْرَتِهَا
أنداء صِدْقٍ .. بعصر كلّهُ كَذِبُ
يُغْدَى بِنَا ويراحُ الدهر كوكبةً
مَرُّوا عُجَالى .. فلما وُثِبُوا .. وَثَبُوا !

●●

الله اكبرٌ كم في الفتح من عجب
الله اكبر .. لا فتحٌ ولا عجبٌ !
ضاعت فلسطينُ من يبْكي قضيتَهَا
قُضاتُها العورُ .. أم ابناؤها العربُ ؟
دمٌ تلَظَّى على استار كعْبَتِهَا
سالت مداداً به الأشعارُ والخطبُ ..

بيروتُ لا تينها حلوٌ ولا العنبُ
بيروت لا قرطها توتٌ ولا رطبُ
فانظر اميرَ القوافي مهْدَ رحلتها
واطرب لجارةِ واديكَ الذي اغْتَصَبُوا .!

متى يضاء النور الأخضر لتطوير الموسيقى العربية؟

بقلم : مريم آل سعد

- **مازالت الأمية الموسيقية تسيطر على الكثيرين من أهل العلم والرأى !**
- **لماذا أصبحت دراسة فن الغناء محدودة المناهج وترتكز على الارتجال ؟**
- **هل من الضرورى إيفاد الطلبة إلى معاهد أجنبية لدراسة الموسيقى ؟**

بدعوة من وزارة الاعلام فى دولة قطر ، انعقدت اجتماعات لجنة التربية والثقافة الموسيقية المنبثقة عن المجمع العربى للموسيقى ـ جامعة الدول العربية ـ فى الفترة من ٢٢ إلى ٢٨ نوفمبر ١٩٨٢ م .

وشارك فى هذا الاجتماع عشرون باحثا ومؤلفا فى التربية الموسيقية من معظم الدول العربية ، على رأسهم أمين المجمع العربى للموسيقى منير بشير ..

وقد ناقش المشاركون فى هذه الندوات من خلال الجلسات الصباحية والمسائية ، والدراسات المقدمة من قبل أعضاء اللجنة والسادة المراقبين ، منها « دليل العمل فى المسوحات الميدانية » وبحث « الطيور والحيوانات فى لعب واغاني الأطفال » اللذين عرضهما ممثل الجمهورية العراقية حسين قدورى ..

كما قدم عبد الحميد بن موسى ـ الذى مثل الجمهورية الجزائرية فى هذه الاجتماعات عرضا لكتاب « دليل المعلم للتربية الموسيقية » .

ولقد نظرت اللجنة مجددا فى قرارات وتوصيات الدورة الأولى المنعقدة بالجزائر خلال شهر فبراير ١٩٨١ ، وأكدت على أهمية الملاحقة التنفيذية ، والتركيز على مبدأ العمل بالأولويات مع مراعاة الامكانات المادية للمجمع العربى للموسيقى .

قرارات وتوصيات

ورأت اللجنة ان يبدأ المجمع بتنفيذ مشروع طبع الألبوم الخاص بمجموعة الأسطوانات المحتوية على الاغاني الشعبية ، بمعدل أغنيتين من كل قطر عربى .

وبناء على الاقتراح المقدم من قبل ممثل الجمهورية العراقية والداعي إلى عقد لقاء لمديري المعاهد والمدارس الموسيقية الموجودة فى اقطار الوطن العربى بغرض البحث فيما بينهم حول أمور مناهج التربية الموسيقية وأساليب ووسائل تدريسها أوصت اللجنة بأن يضم وفد كل دولة احد مديري المعاهد الموسيقية او من ينوب عنه من المعنيين بشؤون الموسيقى ، علما بأن هذه التوصية تنسحب على المؤتمر الثامن للمجمع والذى سوف يعقد فى بغداد فى شباط « فبراير » ١٩٨٣ م .

كما أوصت اللجنة بطبع البحوث والدراسات التى قدمت أثناء اجتماعها الثاني هذا فى المجلة الموسيقية التى يصدرها المجمع العربى للموسيقى ، وذلك وفق رؤية رئاسة التحرير .

كما قررت اعتماد طبع كتاب « الطيور والحيوانات فى لعب وأغانى الأطفال الشعبية فى القطر العراقى » لمؤلفه حسين قدوري .

وذلك اضافة إلى أن لجنة التربية والثقافة الموسيقية المنبثقة عن المجمع العربى للموسيقى ـ جامعة الدول العربية ـ قد طالبت اجهزة الاعلام الرسمية من اذاعة مسموعة ومرئية وشركات الاسطوانات والاشرطة المسجلة بالعمل على تنفيذ ما تم اقراره فى مجال التربية الموسيقية بصفة عامة ، ومن ذلك عدم انتاج او بث الاغاني والمقطوعات الموسيقية التى لا يقصد منها الا التهريج !

بين التبعية والأصالة

يجمع المؤرخون على أن الفترة الذهبية

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



احد اجتماعات لجنة التربية والثقافة الموسيقية فى مدينة الدوحة ، وهو الذي شارك فيه ٣٢ باحثا ومؤلفا فى التربية الموسيقية من معظم الدول العربية .



عبد الحميد حسين نعمة – قطر
عبد الحميد بن موسى – الجزائر
احمد عاشور – تونس
فتحى زغندة – تونس
د. مكي سيد احمد – السودان
سامي حمزة – قطر

ARCHIVE http://Archive.Sakhrit.com

للموسيقى العربية تقع فى بداية العصر العباسى حيث ازدهرت الفنون والاداب ، وقصد بغداد كل ماهر فى ادب او صناعة اوفن ، يقول عبد الرحمن بن خلدون فى مقدمته « وما زالت صناعة الغناء تتدرج إلى ان كملت ايام بنى العباس عند ابراهيم بن المهدى وابراهيم الموصلي وابنه اسحاق وابنه حماد .... » . لكن بعد افول نجم الدولة العباسية سنة ١٢٥٨ ميلادية نزل ستار كثيف على الحياة الفنية فى معظم البلاد العربية الاسلامية ، فاختلطت الموسيقى العربية بالموسيقى الفارسية والتركية ، ومن بين ما نتج عن ذلك مثلا دخول كلمات عديدة من الفارسية والتركية فى الغناء العربى مثل « يادوست » و « جانم » و « بيرم » وتسمية الفرق ، مثل تسمية الفرقة العراقية « بالجالغي » بعد ان كانت تسمى بالنوبة !

اما بالجزائر فان شيوخ الفن شعروا بخطر ضياع فنهم خلال القرن السابع عشر وذلك بتخلى خيرة ابناء الشعب عن ممارسة هذه الصناعة وتركها بين ايدى العوام الذين تغلب عليهم الامية واكثرهم من غير المسلمين .

ويتابع الاستاذ احمد عاشور ، مدير المعهد الوطني للموسيقى والرقص فى تونس من خلال بحثه « التربية الموسيقية بين التبعية والأصالة » فيقول :

ـ وقد زاد الغزو الغربى فى بداية هذا القرن الامور استفحالا ، حيث عمد المستعمر الى مسخ الشخصية العربية بتركيز الثقافة الفنية الغربية .

ويشرح مدير المعهد الوطنى للموسيقى والرقص التونسي التجربة التى طبقتها تونس وسارت عليها منذ اربع سنوات ، حاولت من ورائها التوفيق بين تعليم الموسيقى الغربية وبين امتداد روحها من التراث العربى الاسلامي والتراث الموسيقى التونسي .

مشاكل موسيقية فى تونس

ويتحدث فتحى زغندة ، رئيس قسم الموسيقى بوزارة الشئون الثقافية فى تونس ، عن أبرز مظاهر التربية الموسيقية فى تونس باعتبار ذلك مدخلا الى واقع التربية الموسيقية فى العالم العربى كله ، وكيف ان الجهود التى يبذلها الموسيقيون فى تونس ، تعتبر نموذجا لما يبذله اشقاؤهم ـ فى بلدان الوطن العربى ـ او ما سبق أن مروا به من تجارب .

واوضح أن الموسيقى التونسية لم تكن ـ فى الماضى ـ تدرس فى المعاهد او المدارس ، بل كانت تعتمد على الطرق التقليدية المعروفة ، اي التلقين او التواتر ، فالتلاميذ الموسيقيون يتعلمون عن طريق الاستماع والحفظ لا عن طريق التدوين . ويعتبر المعلمون شيوخا لهم قدم راسخة فى حفظ التراث ومشهود لهم بحسن الأداء وضبط القواعد الأساسية لفنهم .

ويعتبر اطار هذا التعليم : الحلقات والطرق والزوايا والجمعيات والنوادى والفرق والعائلات .

ومن ابرز الشيوخ الموسيقيين فى تونس فى هذا القرن احمد الوافي وخميس ترنان والهادى الشنوفي وعبد العزيز الجميل وغيرهم .

ومن خصائص التعليم الموسيقى على الطريقة التقليدية تمكين التلاميذ من الأداء الأصيل الذى يطبع الموسيقى العربية

متى يضاء النور الأخضر لتطوير الموسيقى العربية؟

بمختلف لهجاتها المحلية ويخلق تجاوبا فنيا بين الشيخ وتلاميذه . ويعاب على هذه الطريقة اعتمادها على الحفظ مما قد يدفع التلميذ او الناقل الى تحريف ما حفظه عن شيوخه ، سواء اكان ذلك عن قصد أو غير قصد ، مما يغير التراث من جيل لآخر .

وإلى جانب هذا التعليم الموسيقى التقليدي الذى مازال قائما فى معظم البلدان العربية ، فقد شهد القرن الحالي ظهور التعليم الموسيقى النظامي ، الذى أوجدته الهياكل الحكومية .

ويدرس هذا التعليم بالمدارس والمعاهد المختصة او الجمعيات التى تمولها المؤسسات الرسمية وهو يعتمد غالبا على طرق وبرامج منقولة عما يجرى فى البلاد الأوربية او مستوحاة منها . فالمعلومات التى تلقن للتلاميذ منوعة وتتضمن عادة النظريات الموسيقية والترقيم والقراءة الغنائية وإملاء النوتة الموسيقية والعزف بالاعتماد على الترقيم ، ويتضمن فى المراحل المتقدمة احيانا علم توافق الأصوات والتحليل ودراسة الاشكال الموسيقية الغربية والتاريخ وغيرها من المواد التى تلقن فى المعاهد باوروبا وامريكا وسائر البلدان المتقدمة .

أهداف التربية الموسيقية

ويقول الحفناوي امقران مدير المعهد الوطني للموسيقى بالجزائر فى بحثه « إن التربية الموسيقية عامل هام فى تنمية الانسان » ، فللموسيقى ثلاثة اهداف ترمي للوصول إليها :

● « تكوين الانسان الكامل » ..

وفى هذه النقطة ينتقد وضع المدرسة الحالية ، لأنها تعطى دائما الاسبقية للمعرفة الصرفة دون الاهتمام بالجوانب الهامة فى شخصية الانسان وعواطفه وخياله ، فبفضل الموسيقى تنمو الفضائل الانسانية التى تعتبر ضرورية إلى جانب التعبيرات الفنية الأخرى .

● « الانصهار الثقافي والاجتماعي » ..

ويوضح مدير معهد الموسيقى الجزائري كيف ان الطفل عندما يتقبل تراث الماضي يكون ادماجه مع مجتمعه ميسورا وعلاقاته مع غيره تكون مرتكزة على قاعدة اصيلة .

وبهذا يكتسب حاسة خاصة تمكن له بعد ذلك معرفة انواع موسيقية اخرى وتذوقها لتنمية ثروته الثقافية المتاصلة فيـه .

● « التكوين الفني والاخلاقي » ..

تنمي التربية الموسيقية عند الطفل حب الجمال وتدفعه إلى التذوق والبحث عن المشاعر التى تثري افكاره ، وتبعث في نفسه الدفء العاطفي وتجعله يسمو بفكره إلى مستوى عال متجرد عن كل طابع مادي نفعي متحجر .

المدرس والتربية الموسيقية

وفي بحث عن « الاغاني والاناشيد ودور المدرس » تحدث « د. فاروق عمر » المدرس بمعهد الموسيقى القطري عن التربية الموسيقية باعتبارها جزءا من التربية الجمالية التى تحتل منزلة هامة في الحياة الاجتماعية ، واشار إلى ان فهم الموسيقى وحبها والافادة منها بالغناء والعزف والاشتراك فى الفرق الموسيقية وفرق الكورال يدخل فى نطاق الثقافة العامة .

وفي رأيه ان التربية لم تعد قاصرة على حشو عقول الأطفال بقدر كبير من المعلومات النظرية فقط ، بل اصبح من الضروري ايضا ان تعني بالنمو العقلي والجسمي والوجداني عناية كاملة . حتى تهيىء للطفل ـ مستقبلا ـ شخصية متزنة متعادلة .

وتحدث د. فاروق عمار عن مدرس الموسيقى ووصفه بانه من أهم العناصر التى تعتمد عليها المدرسة الحديثة فى رسالتها واهدافها ، لذا فمن الواجب إعداده وتزويده بقسط وافر من الثقافة التربوية والاجتماعية ليكون ايجابيا فى فهم رسالة المدرسة واهدافها فى التربية والتثقيف

المشاكل في العالم العربي

وعن « الموسيقى ومشاكلها فى العالم العربي » كان البحث الذي قام باعداده د. عبد الرحمن ابراهيم الاستاذ بالمعهد الموسيقي بدولة قطر .

ودعا فيه إلى السعي الى تطوير الفن الموسيقي بعد ان اصبح الجميع يحسون بانه اصبح غريبا على تذوقهم ، وان كيانه لا يساير كيانهم ، وإلى ان عنصر التجديد والتطوير فيه يجب ان ينبعث من الادراك الواعي للذاتية الفردية والجماعية .

ويتساءل الباحث : ماهي فائدة هذا الكم الهائل من المواهب التى يزخر بها شعبنا العربي ، مادامت لا تجد من ياخذ بيدها الى الطريق الصحيح .. ؟

ويُرْجِع اسباب مشكلة هذه الاصوات الموجـودة بوفـرة إلى دراسـة فـن الغنـاء المـرتكزة على الارتجـال دراسة فن الغناء المرتكزة على الارتجال .. وإلى محدودية المناهج بالنسبة لهذا النوع من الفن فى الغناء العربي ، وربما لا يوجد فى بعض المعاهد قسم خاص لتعليم وتدريس هذا الغناء ، بينما يوجد للغناء الغربي مناهجه الخاصة وطرق تدريسه ، واقسامه القائمة بذاتها فى كل المعاهد الموسيقية بالعالم ..!

وفي نهاية هذه الدراسة قدم الباحث بعض النقاط التى يرى أن من شـانها المساهمة في حل مشكلة التربية الموسيقية والتعليم الموسيقي وهي :

● نشر الوعي الموسيقي بين الجمهور بكافة الطرق التى تملكها الدولة مثل تدريس الموسيقى بمدارس الدولة ابتداء من المراحل الأولى للتعليم . والعناية بتكوين فرق موسيقية عديدة بنوعيها الشعبي والعام ، كذلك نشر الثقافة الموسيقية الرفيعة سواء العربية او العالمية بجهازي الاذاعة والتليفزيون .

● الاهتمام بانشاء مسرح بكل معهد ليكون حقل تجارب عملية للفنان . والاهتمام بالقائمين على أمر هذه المعاهد والمشتغلين فيها من اساتذة الموسيقى والتربويين .

● أن تعمل كل الهيئات في رعاية طلاب هذه المعاهد واتاحة الفرصة للطلبة بالتواجد فى المواعيد المحددة لهم .

الموسيقى ووسائل الاتصال

وقدم الاستاذ «سامي محمد سعد حمزة» رؤية حول المؤثرات فى التربية والثقافة الموسيقية ، ونوه بسرعة الاتصال الحضاري الهائلة في عالمنا المعاصر واهمية ذلك من خلال عوامل عديدة تساعد على امتزاج الفكر والتطور الانساني العام.

واشار إلى ما اضافته المبتكرات الحديثة فى مجال وسائل الاتصال من امكانيات كثيرة وطرق هامة لمجال الثقافة والتربية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الموسيقية التى لاشك في مساهمتها الفعالة فى تناقل الفكر الموسيقي ومعالجة الكثير من مشكلات التعليم الموسيقي .

واشار الباحث إلى اعتماد الوسائل التعليمية فى التدريس على لوح الطباشير الذي يعتبر اقدم هذه الوسائل دون استخدام الوسائل الاخرى كالسبورات المغناطيسية ولوحات النشرات والعرض ومصورات التخطيطات والملصقات ، وايضاً السبورة الصوتية التى يقوم نفس الباحث بدراسة تحويل امكانية عملها إلى اصوات الموسيقى العربية ، بالاضافة الى جهوده في تصنيع السبورة ذات لوحة المفاتيح .

بين التصور والتطبيق

ومن جمهورية السودان الديمقراطية – المجلس الوطني للموسيقى – كان «للدكتور مكي سيد احمد» وجهة نظر حول التربية والثقافة الموسيقية بين التصور والتطبيق .

وقد تساءل الدكتور مكي في مقدمة بحثه عن ما هو الاصلح ليكون الموضوع الذي يخوض فيه . اهو اعداد ورقة ، او كتابة تقرير حول التربية الموسيقية ؟ أم انه من الأفضل الرجوع إلى ما كتب – خاصة – فى مجال القرارات والتوصيات لمعرفة الحجم الحقيقي للانجازات التى تحققت ، وللكشف عن أهم المعـوقات وطـرح الحلـول والاقتراحات للتغلب عليها .. وهذا ما حدث .

وقد أشاد الكاتب بالخطوة الايجابية التي دعا إليها المؤتمر السابع للمجمع الموسيقي الذي كان مقره مدينة الجزائر – العاصمة – عندما رفع توصية الى المجلس التنفيذي للاعداد لعقد ندوة عربية موسعة تتخصص فى التربية الموسيقية ، وتعقد فى احد الاقطار العربية وتشارك فيها الخبرات العربية والدولية لوضع منهجية موحدة للتربية الموسيقية لمراحل التعليم العام ومعاهد التخصص ، وذلك فى منتصف عام ١٩٨٢ وتشرف عليها لجنة التربية والثقافة الموسيقية فى المجمع . وقد تحققت هذه الافادة بما تحمل من دفع لجهود المجمع الموسيقي ، وما تثمر من مناخ جيد لنشر وزرع التربية الموسيقية فى نفوس المواطنين العرب .

التربية الموسيقية فى قطر

عن التربية الموسيقية فى قطر كان بحث مدير المعهد الموسيقى بقطر «عبد الحميد حسين نعمة» عن «انشودات والعاب الاطفال» ، وقد قدم عبد الحميد نعمة بحثه اثناء اجتماعات لجنة التربية الموسيقية التى انعقدت فى الجزائر .

وتحدث رئيس الوفد القطرى فى هذه الاجتماعات عن التربية والثقافة الموسيقية فى قطر ، وقال انه حديث شيق يحتاج الى صفحات كثيرة . خصوصا وأن هذا الجانب لازال جديداً لم يتناوله الباحثون بالشكل الواسع والدقيق .

وفى حديثه القى الضوء على مرحلتين وذلك لتحديد مسار التربية الموسيقية فى قطر .

(مرحلة ما قبل ظهور النفط) اى المرحلة القديمة متمثلة فى اغانى العمل فى البحر والسمر والصوت والموال ، والفجرى بانواعه البحرى ، والعدسانى ، والحدادى الخولقى ، والحساوى .

كذلك اغانى الميلاد والختان واغانى الأطفال والزواج والعمل فى البر . هذا الغناء المسمى «بالفلكلور» الذى يحمل فى طياته حياة هذا المجتمع وتقاليده وعاداته ومعتقداته الشعبية .

واشار عبد الحميد نعمة الى ان كتاب الاغنية الشعبية فى قطر من تاليف (محمد طالب الدويك) قد احتوى على تفصيل وشرح واضح لكل هذه الانواع من الاغانى والاناشيد . (وقد قامت وزارة الاعلام القطرية بطباعة هذا الكتاب) .

نحو الارتقاء بالموسيقى

أما المرحلة الثانية فى مسار التربية الموسيقية فقد قسمها الباحث إلى فترتين :

أولا : المدرسة التى بدات التربية الموسيقية فيها من خلال حصص الاناشيد والانشطة الموسيقية والنشاطات الكشفية .

ثانيا : الاذاعتان المرئية والصوتية ، اللتان انشاتا لجنة مراقبة للنصوص والموسيقى فى كلتيهما ، كما حرصتا على حفظ التراث من خلال تلك التسجيلات التى اجريت مع هؤلاء الفنانين للمحافظة على هذا الفن العريق .

وقد كان لانشاء المعهد الموسيقى فى قطر فى الاول من اكتوبر عام ١٩٨٠ (الذى يعتبر اليوم العالمى للموسيقى والموسيقيين) أثره فى الارتقاء بالموسيقى العربية ، والاتجاه بها اتجاها قوميا يرعى تراث البلاد ، ويتدرج فى مبدا تطبيق التربية الموسيقية .

المعهد الموسيقى القطرى

وقد شـرح مدير المعهـد الموسيقي القطـري دور المعهـد الذي يجمـع بين عدة مراحل للتربية الموسيقية ، منها المرحلة الثانويةالتى تبدا الدراسة فيها بعد الحصول على الشهادة الاعدادية مباشرة ، ولمدة ثلاث سنوات يحصل بعدها الطالب على الشهادة الثانوية الموسيقية والتى تعادل الثانوية العامة ، وقد تكفلت الدولة بارسال المتخرجين الى الخارج للحصول على البكالوريوس ثم الدراسات العليا .. ثم طلاب الدراسات الحرة المسائية للكبار ، الذين يقبلون على اساس المامهم بالقراءة والكتابة دون التقيد بسن معينة ، ويعد لهم منهاج تربوى تثقيفى كالتذوق والتاريخ الموسيقى والقواعد العامة والصولفيج ، ومادة الغناء الشعبى والعربى كالفلكلور القطرى الخليجى والعربى بصفة عامة كالموشحات والادوار بالاضافة الى عزف الالة .. وفى نهاية الدورة يحصل هؤلاء – المنتسبون على شهادات تقديرية فى المواد التى درسوها مع التقدير العام .

وايضا هناك دور هام جدا يؤديه المعهد لطلاب المرحلتين الابتدائية والاعدادية عن طريق الدروس المسائية .

وهذه المرحلة المؤثرة فى بداية تكوين وصقل المواهب قد اعد لها منهاج خاص لذلك ، حيث يتم التركيز على القواعد الموسيقية و «الصولفيج» وعزف الالات المختلفة والغناء الشعبى والعربى بصفة عامة

ولقد وفرت الدولة لتحقيق مثل هـذه الأهداف ، وانجاح هذه الخطط ، الكتب والالات الموسيقية المجانية علاوة على صرف مكافاة شهرية تشجيعية للدراسات الصباحية وللاطفال . وقد تم ايضا توفير المواصلات لنقل الطلاب من المعهد الى المنزل وبالعكس .

واخيرا .. تبقى قضية الموسيقى والموسيقيين قضية عامة ، لا يمكن ان نلقى باعبائها على المجمع الموسيقى – وحده – أو على بقية الوفود المشاركة فى هذه القضية .

انها قضية قومية تحتاج الى جهود واسعة حتى نصل بها الى الحل الواعي السليم .

مريم آل سعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حوار مع الفائز بجائزة نوبل للآداب هذا العام

جابرييل جارسيه ماركيز

أجرى الحوار : بلينيو مندوزا
ترجمة عن الأسبانية : ماهر البطوطي

في ٢١ اكتوبر ١٩٨٢ ، منحت الاكاديمية السويدية جائزة نوبل للآداب لعام ١٩٨٢ للكاتب الكولومبي جابرييل جرسيه ماركيز ، وقالت في اسباب منحها له إن ذلك « من اجل رواياته وقصصه القصيرة التي يجمع فيها بين العنصر الوهمي والواقعي ، في عالم من الخيال المركب الثري الذي يعكس حياة قارة وصراعاتها » . وقال اعضاء الاكاديمية ان رواياته تذكرهم باعمال فوكنر وبلزاك العظيمة .

وقد ولد ماركيز في بلدة « اراكاتاكا » في شمال كولومبيا في مارس ١٩٢٨م ، ودرس الحقوق ، وعمل كاتبا ومراسلا صحفيا في عدة صحف اقليمية قبل ان يتفرغ تماما للكتابة الروائية والقصصية ، متنقلا بين المكسيك واسبانيا وفرنسا . ظهرت اولى قصصه القصيرة عام ١٩٥٥ ، ولكن شهرته لم تبدأ إلا مع روايته الشهيرة « مائة سنة من العزلة » عام ١٩٦٧ . ومن مؤلفاته الاخرى : « الخطاب المنتظر » (١٩٥٨) ، « جنازة الام العظيمة » (١٩٦٢) ، «في ساعة نحس » (١٩٦٢) ، « خريف البطريرك » (١٩٧٥) ، « قصة موت معلن » (١٩٨١) . وقد ترجمت جل رواياته وبعض قصصه القصيرة إلى اللغة العربية . وهو قد منح الدكتوراه الفخرية من جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة .

وهذه المقابلة الادبية اجراها معه صديقه الكاتب بلينيو مندوزا ونشرت في كتاب بالاسبانية عنوانه « رائحة الجوافة » في ابريل ١٩٨٢ .

● كيف بدأت الكتابة ؟

– بدأت الكتابة صدفة ، ربما لكي اثبت لاحد أصدقائي أن بامكان جيلي ان يخرج ادباء وبعد ذلك وقعت في فخ الاستمرار في الكتابة عن حب ، ثم الى درجة أن لم يعد هناك شيء احب لدي في الدنيا من الكتابة .

● لقد قلت إن الكتابة لذة .

وقلت ايضا انها عذاب . اي الرايين تتبنى ؟

– كلاهما حق . حينما كنت مبتدئا مازال استكشف مهنة الكتابة ، كانت تمثل لي عملا بهيجا ، يكاد يكون غير مسؤول . اذكر في تلك المرحلة انني بعد انتهاء عملي في الجريدة حوالى الساعة الثانية او الثالثة فجرا ، كان بامكاني ان اكتب اربع او خمس ، بل حتى عشر صفحات كاملة ... وفي إحدى المرات ، كتبت قصة قصيرة في جلسة واحدة .

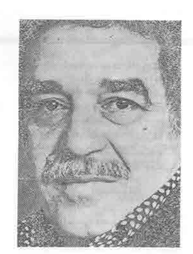
● والآن .

– الآن اعتبر نفسي محظوظا إذا استطعت كتابة فقرة جيدة في يوم كامل . لقد تحولت الكتابة عندي مع مرور الوقت إلى عذاب .

● لماذا ؟ في وسع المرء ان يعتقد انه مع زيادة سيطرتك الآن على المهنة بما اكتسبته من الخبرة ، ينبغي ان تصبح الكتابة لديك اكثر سهولة .

– إن ما يحدث حقا هو ان الشعور بالمسئولية يزداد ، إذ ان المرء يشعر ان كل حرف يكتبه له اثر اكبر الآن ، إذ يؤثر على عدد اكبر من الناس .

● ربما كان ذلك نتيجة للشهرة . هل تكره الشهرة ؟



الكاتب الكولمبي : جابرييـــل جرسيـــه ماركيـــز

ـ إنها تزعجنى . إن اسوأ ما يمكن ان يحدث لانسان غير مؤهل للنجاح الادبى ، فى قارة غير مؤهلة لان يكون لديها كتاب ناجحون ، هو ان تباع كتبه كما تباع الحلوى الرائجة . إننى اكره ان اتحول الى مشهد عام . إننى اكره التلفزيون والمؤتمـــرات والمحـــــاضرات والموائد المستديرة .

● والمقابلات الصحفية .

ـ ايضا . كلا ، إننى لا اتمنى النجاح لاحد ، إذ يحدث للمرء حينئذ ما يحدث لمتسلقى الجبال الذين يجاهدون للوصول الى القمة ، وبعد ذلك ، ماذا يفعلون ؟ الهبوط ، او محاولة الهبوط بحذق ، باكبر قدر ممكن من الكرامة .

● حينما كنت فى مقتبل العمر تجاهد فى الحصول على الرزق من مهن اخرى كنت تكتب ليلا وتدخن كثيرا .

ـ اربعون سيجارة يوميا .

● والآن ؟

ـ الآن لا ادخن ، ولا اعمل إلا نهارا من التاسعة صباحا حتى الثالثة بعد الظهر ، فى حجرة بلا ضوضاء وذات تدفئة جيدة . ان الاصوات والبرد يزعجانى .

● هل تزعجك الورقة حين تبقى بيضاء ؟

ـ اجل ، إن هذا اكثر الأشياء إيلاما بالنسبة لي بعد الخوف من الاماكن الضيقة . بيد ان هذا الالم انتهى بالنسبة لي بعد ان قرات نصيحة لهمنجواى مفادها انه ينبغى عدم التوقف فى الكتابة إلا عند نقطة يعرف المرء عندها كيف يمضى قدما فى اليوم التالى .

● وفى حالتك كيف تكون مثل هذه النقطة ؟

ـ اى صورة مرئية . اعتقد ان الكتاب ، لدى غيرى من المؤلفين يولد من فكرة ، من مفهوم . اما انا ، فانى انطلق دائما من صورة . لقد انبثقت قصة «غفوة الثلاثاء» التى اعتبرها افضل قصصى القصيرة ، من رؤيا عن امراة وطفلة تتشحان بالسواد وتمسكان مظلة سوداء ، تسيران تحت شمس لافحة فى قرية مهجورة . ورواية «الأوراق الذابلة» من صورة شيخ يصحب حفيده الى ماتم . اما نقطة الانطلاق فى «الخطاب المنتظر» فهى صورة رجل ينتظر قاربا فى سوق قرية «بارانكيا» ، انتظار مع نوع من الهم الصامت . وبعد ذلك بسنوات وجدت نفسى فى باريس انتظر خطابا ، وربما حوالة مالية ، بنفس اللهفة ، وتوحدت مع ذكرى ذلك الرجل .

● وما هى الصورة المرئية التى كانت نقطة الانطلاق لروايتك «مائة سنة من العزلة» ؟

ـ شيخ يصطحب طفلا ليرى الثلج الذى يعرض كاعجوبة فى السيرك .

● اكان ذلك جدك ، الكولونيل ماركيز ؟

ـ اجل .

● هل اخذت ذلك من الواقع ؟

ـ ليس مباشرة ، ولكنه مستلهم منه . اذكر اننى عندما كنت طفلا صغيرا فى «اراكاتاكا» حيث كنا نعيش ، اصطحبنى جدى لرؤية جمل فى السيرك . ومرة اخرى ، حينما قلت له اننى لم ار الثلج ابدا ، اصطحبنى الى معسكر شركة الموز الأمريكية ، وامر بفتح صندوق من الفاكهة المثلجة جعلنى اضع يدى فيه . وقد انبثقت رواية «مائة سنة من العزلة» من هذه الصورة .

● إذن فقد جمعت بين ذكريات فى الجملة الأولى من الرواية . ماذا كان نصها ؟

ـ «بعد ذلك بسنوات عدة ، امام كتيبة الاعدام ، كان على الكولونيل «اورليانو بويندیا» ان يتذكر ذلك الاصيل القصي الذى اصطحبه فيه والده لاكتشاف الثلج» .

● إنك تعلق اهمية كبرى بصفة عامة على اول جملة فى الكتاب . وقد قلت مرة ان كتابة تلك الجملة تكلفك من المشقة اكثر مما يكلفك كتابة بقية الكتاب لماذا ؟

ـ لان الجملة الاولى يمكن ان تكون المختبر الذى يعمل على تحديد عناصر كثيرة للاسلوب وللبناء الروائى بل وحتى يحدد مدى طول الكتاب .

● هل تستغرق منك كتابة رواية ما وقتا طويلا ؟

ـ كتابتها فى حد ذاتها ، كلا ، بل إنها عملية اقرب الى ان تكون سريعة . فقد كتبت «مائة سنة من العزلة» فى سنتين او اقل . بيد اننى امضيت افكر فيها خمسة عشر او ستة عشر عاما قبل ان اجلس لكتابتها امام الآلة الكاتبة .

● لقد امضيت فترة مماثلة تفكر فى رواية «خريف البطريرك» ولكن قل لي ، كم انتظرت قبل ان تكتب «تاريخ موت معلن» ؟

ـ ثلاثون عاما !

● ولماذا كل هذا الوقت ؟

ـ حين وقعت احداث هذه الرواية ، فى عام ١٩٥١ ، لم تكن تثير اهتمامى بوصفها مادة لرواية بل كريبورتاج صحفى . ولكن هذا النوع الصحفى لم يكن منتشرا فى كولومبيا فى تلك الفترة ، وكنت صحفيا فى جريدة اقليمية لم تكن تعنيها هذه الحادثة ثم بدات افكر فى ذلك الحدث كحبكة ادبية بعد ذلك بسنوات عدة ، ولكنى كنت احسب دائما حساب الثورة التى يمكن ان تثيرها فى نفس امى مجرد فكرة رؤية كل هؤلاء الأصدقاء ، بل وبعض الأقارب ، فى كتاب الفه احد اولادها . ورغم ذلك ، فاننى اعترف ان الموضوع لم يجتذبنى بعمق إلا حين اكتشفت ، بعد سنوات من التفكير ، العنصر الجوهرى فى الحادثة : وهو ان كلا القاتلين لم يكونا راغبين فى ارتكاب الجريمة ، وفعلا كل ما فى استطاعتهما كيما يمنعهما احد ، بيد انهما لم يفلحا فى ذلك . وهذا فى المحصلة الأخيرة هو الشيء الجديد الحقيقى فى تلك الفاجعة الشائعة باستثناء ذلك ، فى كل امريكا اللاتينية .

● ذكر همنجواى ان المرء ينبغى الا يكتب عن موضوع لا متعجلا ولا متاخرا جدا . الم يصعب عليك الاحتفاظ بقصة سنوات طويلة فى ذهنك دون الشروع فى كتابتها ؟

ARCHIVE
http://archive.sakhrit.com

ـ فى الواقع ، لم تثر اهتمامى ابدا فكرة لا تصمد امام مر السنوات وهى تختمر فى رأسى . فاذا كانت الفكرة جيدة الى درجة تصمد معها السنوات الخمسة عشرة التى انتظرتها «مائة سنة من العزلة» او السنوات الستة عشرة التى مرت على رواية «خريف البطريرك»، او السنوات الثلاثين التى اختمرت فيها فكرة «وقائع موت معلن» ، فلا يبقى امامى مناص من كتابتها .

● أو تكتب ملاحظات عن الرواية ؟

ـ مطلقا ، عدا بعض نقاط العمل . لقد علمتنى التجربة انه عندما يحتفظ المرء بملاحظات عن رواية يؤلفها ، ينتهى به الأمر الى التفكير فى هذه الملاحظات وليس فى الرواية .

● وهل تصحح ما تكتب كثيرا ؟

ـ لقد تغير عملى فى هذا المقام كثيرا ، فحينما كنت فى مقتبل العمر ، كنت اكتب فى انطلاق ، وانتهى من كتابة صفحات ثم اعود لتصحيحها . اما الآن فانى امضى مصححا سطرا بسطر اثناء الكتابة ، بحيث انه عند نهاية اليوم يكون عندى صفحة كاملة دونما تصحيحات او شطب ، تكاد تكون جاهزة للمطبعة .

● وهل تمزق اوراقا كثيرة ؟

ـ كمية هائلة ، فمثلا ، ابدا فى كتابة صفحة على الآلة الكاتبة .....

● دائما على الآلة الكاتبة ؟

ـ دائما ، الة كاتبة كهربائية . وحينما اخطىء او لا تعجبنى الكلمة المكتوبة ، او لمجرد وقوع خطا مطبعى ، فانى اطرح الورقة كلها جانبا ، وابدا ورقة اخرى . ويمكن احيانا ان استهلك خمسمائة ورقة كيما اكتب قصة من اثنتى عشرة صفحة . وهذا يعنى اننى لم استطع ان اتغلب على الهاجس الذى يجعلنى أؤمن ان خطا مطبعيا يبدو لي خطا فى الابداع .

● ثمة كثير من الادباء لديهم حساسية ضد الآلة الكاتبة الكهربائية . وانت ، الست كذلك ؟

ـ كلا ، إننى على درجة من الوفاق معها الى حد لا استطيع معه إلا الكتابة عليها . وبصفة عامة ، اعتقد ان المرء يكتب افضل حين تتاح له وسائل راحة تامة . لا أؤمن بالأسطورة الرومانسية التى تقول ان على الكاتب ان يجرب الجوع والحرمان والبؤس كيما ينتج . إن المرء يكتب افضل حينما ياكل جيدا وحينما يكتب على الة كاتبة كهربائية .

● نادرا ما تتحدث فى مقابلاتك الصحفية عما تكون بصدد تاليفه . لماذا ؟

ـ لان ما اكون بصدد كتابته يكون جزءا من حياتى الخاصة . والحقيقة اننى لا اتعاطف مع الادباء الذين يقصون فى مقابلاتهم الصحفية حبكات كتابهم المقبل ، فهذا دليل على ان الأمور لا تجرى على هواهم ، فيتعزون بان يحلوا فى الصحافة المشاكل التى لم يستطيعوا حلها فى القصة

● ولكنك فى مقابل ذلك معتاد على التحدث كثيرا عن كتبك التى فى مرحلة الخلق مع اصدقائك المقربين .

ـ اجل ، فاننى حين اكون بصدد كتابة شىء اتحدث كثيرا عنه ، فهذه طريقة لاكتشاف مواطن القوة والضعف فيه ، طريقة الجأ اليها لاسترشد الطريق فى الظلمة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

● انك تتحدث عنه كثيرا ، ولكنك لا تعرضه ابدا على احد .

ـ مطلقا . إننى اتجنب ذلك الى حد التطير . اننى اؤمن ان المرء فى مجال العمل الأدبى ، يكون وحيدا دائما ، كما لو كان غريقا فى وسط البحر . اجل ، إن الكتابة اكثر المهن عزلة فى العالم ، فلا احد بامكانه مساعدة المرء فى كتابة ما يكتب .

● اى الأماكن بالنسبة اليك هو المكان المثالى للكتابة ؟

ـ جزيرة مهجورة فى الصباح ، ومدينة صاخبة فى الليل . ففى الصباح احتاج الى الهدوء ، وفى الليل قليل من الشراب والأصدقاء المقربين لتجاذب اطراف الحديث . إننى احس دائما بالحاجة الى التواصل مع الناس فى الطرقات ، وان اكون مطلعا باستمرار على الأحداث .

● فلنتحدث عن جانب الصنعة فى مهنة الكتابة . هل تستطيع ان تذكر لي تجربتك فى هذا الميدان ومن كانوا ذوى فائدة لك ؟

ـ بادىء ذى بدء : جدى ، فقد كان يحكى لي اشد الأشياء هولا دون اى انفعال ، كما لو كانت اشياء راها لتوه . واكتشفت ان هذه الطريقة الهادئة وذلك الثراء فى التصوير هما اكثر ما يسهم فى اضفاء طابع الواقع على حكاياته . وقد استخدمت نفس طريقة جدى فى كتابة «مائة سنة من العزلة» .

● هل كانت تلك الطريقة هى التى دعتك الى اكتشاف انك ستصبح كاتبا ؟

ـ كلها ، لقد جاء ذلك من «كافكا» ، الذى يقص الأشياء بنفس طريقة جدى . وحين قرات فى السابعة عشرة من عمرى قصته «المسخ» اكتشفت اننى ساصبح كاتبا . فحينما رايت ان بالامكان ان يستيقظ «جريجورى سامسا» من نومه ذات صباح ليجد نفسه وقد تحول الى خنفسة هائلة ، قلت لنفسى : «لم اكن اعرف انه يمكن كتابة مثل هذا . ولكن ، إذا كان الأمر كذلك ، فالكتابة شىء يهمنى» .

● لماذا لفتت هذه القصة انتباهك الى هذا الحد ، امن اجل الحرية فى ابتكار اى شىء ؟

ـ ذلك اننى ادركت انه يوجد فى ميدان الأدب امكانيات اخرى غير العقلانية الأكاديمية التى كانت كل ما اعرف انذاك من كتب المدرسة لقد كان الأمر كما لو اننى تخلصت من قيد على حريتى . ورغم ذلك فقد اكتشفت بمر الزمن انه ليس بامكان المرء اختراع او تخيل اى شىء يتوق اليه ، لانه يخاطر فى هذه الحالة بكتابة اكاذيب ، والأكاذيب اخطر فى ميدان الأدب منها فى ميدان الحياة . ففى نطاق الخيال والابتكار ، هناك قوانين . وفى إمكان المرء ان ينزع عنه ورقة العقلانية ، على شريطة الا يقع فى الفوضى فى اللاعقلانية التامة .

● فى الفانتازيا .

ـ اجل فى الفانتازيا . إننى أؤمن بأن الخيال ما هو إلا اداة لكشف تفاصيل الحقيقة . بيد ان نبع الابداع هو الواقع اولا واخيرا ، او الحقيقة . والفانتازيا ، او الاختراع الكامل التام ، على طريقة «والت ديزنى» ، دون اى سند من الواقع ، هى اشد الأشياء مقتا فى الأدب . اذكر ذات مرة انى اعتزمت تاليف كتاب لقصص الأطفال ، وارسلت اليك قصة «بحر الزمن المفقود» كمثال ، وانك ذكرت لي بصراحتك المعهودة

انها لم تعجبك ، ربما لأن الفانتازيا لا تنجح فى نقل اى شيء اليك . ولكن تلك الحجة هدمت مشروعى ، ذلك لأن الفانتازيا لا تعجب الأطفال ، وإنما ما يبهرهم حقا هو الخيال ، والفرق بين الاثنين هو الفرق بين الانسان وبين الدمية الناطقة .

● وبعد كافكا ، ممن استفدت فى مهنة الكتابة ؟

ـ همنجواى .

● رغم انك لا تعتبره روائيا عظيما .

ـ أجل ، بيد اننى اعتبره قصاصا ممتازا وممتازة هى نصيحته بان القصة ينبغى ، مثلها مثل جبل الثلج فى المحيط ، أن تستند على الجزء غير المرئى من الجبل : فى الدراسة ، والتامل ، والمادة المجموعة وغير المستخدمة مباشرة فى القصة . أجل إن همنجواى يعلم المرء كثيرا من الأشياء ، بما فى ذلك معرفة الكيفية التى تدور بها القصة فى احد المنعطفات .

● وقد تعلمت أيضا من جراهام جرين ، اليس كذلك ؟

ـ أجل ، لقد تعلمت من جرين كيف افك رموز الاماكن المدارية واسرارها . فمن اشق الأشياء على المرء الفصل بين العناصر الجوهرية من اجل الخروج بتركيبة شعرية فى جو يعرفه اكثر من اللازم ، لأنه فى هذه الحالة يعرف كثيرا إلى درجة لا يعرف معها اين يبدأ ، ويكون لديه الكثير مما يقول حتى ينتهى به الأمر إلى عدم القدرة على قول شيء . وكانت هذه هى مشكلتى مع الأجواء المدارية . لقد قرأت باهتمام شديد خريستوف كولومبس وبيجافيتا ، وغيرهما من مؤرخى جزر الهند الغربية ، ممن لديهم رؤيا اصيلة ، وقرأت سالجارى ، وجوزيف كونراد ، وغيرهما من الكتـــاب « المداريين » فى اوائل هذا القرن ممن تحلوا بمقاليد الحداثة ، وغيرهم كثيرين ، ووجدت أن هناك مسافة كبيرة جدا تفصل بين رؤياهم وبين الحقيقة . فالبعض يقع فى شرك تعداد الاشياء ، والآخر فى شرك البلاغة والخطابة . وقد حل جراهام جرين هذه المشكلة الادبية ببراعة : بعناصر قليلة متفرقة ولكن يجمعها تماسك ذاتى دقيق وواقعى . وبهذه الطريقة ، يمكن إخضاع لغز المدار كله لعبير الثمار .

● هل افادتك الصحافة فى عملك الادبى

ـ أجل ، لقد علمتنى الصحافة طرقا ووسائل لاضفاء الشرعية على قصصى . ومثال ذلك : قيام الاب « رينا » باحتساء فنجان من الشيكولاته الساخنة قبل ان يرتفع عشرة سنتيمترات من على سطح الارض فى رواية « مائة سنة من العزلة » ، فهذا من أثر التدقيق الصحفى ، وهو نافع جدا فى السرد الروائى .

● لقد كنت دائما من المتحمسين للفن السينمائى ، فهل افادك فى عملك الروائى ؟

ـ فى حالتى ، كانت السينما نعمة ونقمة فى ان واحد . أجل ، لقد علمتنى أن أرى عن طريق الصور . بيد اننى ادرك الآن ان هناك فى جميع كتبى السابقة على « مائة سنة من العزلة » نهجا غير متوازن من التشخيص المرئى للشخصيات والمشاهد ، بل وحتى هوسا بايضاح وجهات النظر والاطارات .

● انك تقصد دون شك رواية « الخطاب المنتظر » .

ـ أجل ، إنها رواية يماثل اسلوبهـــا السيناريو السينمائى . ان حـــركات الشخصيات كأنما وراءها كاميرا سينمائية وحين اعود إلى قراءة الكتـــاب ، أرى الكاميرا وراءه . واليوم ، أرى ان الحلول السينمائية تختلف عن الحلول الادبية .

● لماذا لا تعلق أهمية كبيرة على الحوار فى رواياتك ؟

ـ ذلك لأن الحوار يبدو زائفا فى اللغـــة الاسبانية . لقد ذكرت دائما أن هناك فرقا شاسعا فى تلك اللغة بين الحوار الشفوى والحوار المكتوب . فالحوار الجيد فى الحياة الواقعية لا يلزم ان يكون جيدا فى الروايات ، ولذلك فاننى لا الجأ إليه الا قليلا .

● قبل أن تشرع فى كتابة رواية ما هل تعلم تماما ما سيحدث لـــكل شخصية من شخصياتها ؟

ـ بطريقة عامة فحسب ، ففى سياق الكتابة ، تقع احداث غير متوقعة . فمثلا ، كانت أول فكرة كونتها عن شخصية الكولونيل « اورليانو بوينديا » فى « مائة سنة من العزلة » ترسم شخصية محارب قديم فى حروبنا الأهلية مات وهو يبول تحت شجرة .

● ذكرت لى زوجتك انك تألمت كثيرا حين ماتت تلك الشخصية فى روايتك

ـ اجل ، كنت اعلم انه ينبغى أن أجعله يموت يوما ما ، ولم اكن اجرؤ على ذلك . كان الكولونيل قد هرم بالفعل وهو مشغول بصنع اسماكه الذهبية . وقلت ذات اصيل « الان اجل ، قد انتهى بالفعل ! » كان على ان اجعله يموت . وحين انهيت ذلك الفصل صعدت وانا ارتجف إلى الدور العلوى حيث كانت زوجتى . وأدركت هى ما حدث من مجرد النظر الى وجهى ، وقالت : « لقد مات الكولونيل » . اما انا فقد رقدت فى السرير وطفقت أبكى ساعتين .

● ما هو الالهام بالنسبة إليك ؟

ـ إن الالهام كلمة افقدها الرومانسيون معناها . إننى لا انظر إليه على أنه حالة من حالات التجلى ولا نسمة إلهية ، بل على أنه توفيق مع الموضوع عن طريق العناد والسيادة عليه . حين يود المرء أن يكتب شيئا ، ينشأ نوع من التوتر المتبادل بينه وبين الموضوع ، بحيث يستحثه الموضوع فى نفس الوقت . وثمة لحظة تنهار فيها كل العوائق ، وتبتعد فيها كل الصراعات ، وتقع للكاتب احداث لم يحلم بها ، وحينئذ لا يكون هناك فى الحياة افضل من الكتابة . هذا هو ما أدعوه بالالهام .

● هل يحدث لك أحيانا أن تفقد تلك الحالة فى سياق وضع كتاب من الكتب؟

ـ اجل ، وحينئذ اعود لانظر فى كل شيء منذ البداية . إنها تلك الأوقات التى أدور فيها فى البيت باحد الأزاميل اصلح به الأقفال ودوائر الكهرباء ، وادهن الأبواب باللون الأخضر ، ذلك ان العمل اليدوى يساعد احيانا على قهر الخـــوف من الحقيقة .

● أين يكمن العيب فى العمل الأدبى ؟

ـ إنه يكمن بصفة عامة فى البناء .

● هل يصبح احيانا مشكلة خطيرة ؟

ـ خطيرة إلى درجة ترغمنى على البدء من جديد . لقد اوقفت العمل فى « خريف البطريرك » فى المكسيك عام ١٩٦٢ بعد أن انتهيت من كتابة حوالى ٣٠٠ صفحة ، ولم ابق بعد ذلك على أى شيء منها سوى اسم البطل . وقد استانفت كتابتها فى عـــام ١٩٦٨ فى برشلونة ، وعملت فيها كثيرا خلال ستة اشهر ثم أوقفت العمل فيها مرة ثانية لأن بعض جوانب القيم الأخلاقية للبطل لم تكن واضحة تماما . وبعد ذلك بسنتين ، اشتريت كتابا عن الصـــيد فى افريقيا لأن المقدمة التى كان قد كتبهـــا همنجواى للكتاب أثارت اهتمامى . ولم تكن

المقدمة بذات شان . ولكنى مضيت قدما قرأ الفصل الخاص بالافيال ، وكان يكمن فيه حل الرواية . لقد كانت بعض عادات الأفيال تفسر تماما القيم الاخلاقية للبطل .

● هل صادفت مشاكل اخرى عدا تلك المتعلقة بالبناء الروائى ونفسية الشخصية الرئيسية ؟

ـ اجل . لقد مر على وقت اكتشفت فيه شيئا خطيرا ، فقد عجزت عن اشاعة جو الحرارة فى المدينة التى اصفها فى روايتى. كان ذلك خطيرا ، لان الأمر كان يتناول مدينة من مدن البحر الكاريبى تسودها حرارة خانقة .

● وكيف حللت تلك المشكلة ؟

ـ الحل الوحيد الذى خطر لي هو السفر مع أسرتى بكاملها إلى الكاريبى . ذهبت اتنقل هناك حوالى سنة دون ان افعل شيئا وحين عدت إلى برشلونة حيث كنت اكتب الرواية ، زرعت بعض النباتات ، واشعت بعض الروائح ، ونجحت اخيرا فى ان اجعل القارىء يحس بحرارة المدينة . ثم انتهيت من الرواية دون مزيد من العثرات .

● ماذا تفعل حين يكون الكتاب الذى تسطره على وشك الانتهاء ؟

ـ أفقد اهتمامى به كلية . وكما قال همنجواى ، إنه يكون حينذاك كالأسد الميت .

● قلت ذات مرة ان كل رواية جيدة هى تحويل للواقع .

ـ اجل ، إنى أؤمن ان الرواية تصوير رمزى للحياة ، نوع من النبوءة . والواقع الذى تعالجه الرواية يختلف عن الواقع فى الحياة ، رغم انه يستند إليه ، كما يحدث فى الاحلام .

● لقد اطلق النقاد على معالجة الواقع فى كتبك ، خاصة فى «مائة سنة من العزلة» و « خريف البطريرك» ، اسم الواقعية السحرية . وإني أعتقد أن قراءك الأوربيين يشعرون بسحر الاشياء التى تقولها بيد انهم لا يرون الواقع الذي يلهمها ..

ـ هذا صحيح ، لان عقلانيتهم تمنعهم من فهم ان الواقعية لا تكمن فى أسعار الطماطم أو البيض . إن الحياة اليومية فى امريكا اللاتينية ترينا ان الواقع ملىء بالاشياء الخارقة للعادة . ومن عادتى فى هذا المقام ان اشير الى المكتشف الامريكى « دى جراف » الذى قام فى اواخر القرن الماضى برحلة عجيبة فى عالم الامازون ، رأى اثناءها مرة نهرا تغلى مياهه ، ومكانا يؤدى صوت الانسان فيه إلى سقوط أمطار غزيرة وقد حدث مرة فى الطرف الجنوبى الأقصى من الارجنتين ان أطارت الرياح القطبية سيركا بحاله فى الهواء ، وفى اليوم التالى كان الصيادون فى تلك المنطقة يستخرجون بشباكهم جثثا للنمور والاسود ! وفى قصتى القصيرة « جنازة الأم العظيمة » احكى قصة رحلة مستحيلة للبابا إلى ضيعة فى كولومبيا ، واذكر اننى تعمدت ان اصف رئيس الجمهورية الذى استقبل البابا على أنه اصلع وربع القامة حتى يكون مختلفا تماما عن رئيس كولومبيا فى ذلك الوقت وكان نحيلا طويلا . وبعد مرور احدى عشرة سنة على القصة ، ذهب البابا إلى كولومبيا وكان رئيس الجمهورية الذى استقبله ربع القامة كما فى القصة ! . ويكفى الاطلاع على الصحف لاثبات ان ثمة احداثا خارقة للعادة تقع بيننا كل يوم وانى اعرف اناسا ريفيين بسطاء قراوا « مائة سنة من العزلة » بسرور وتفهم عظيمين ، دون اى استغراب من احداثها ، لانى لا اقص فيها اى شىء غريب عن الحياة التى يعيشونها بالفعل .

● إذن فكل ما تضع فى كتبك له اساس فى الحياة الواقعية ؟

ـ لا يوجد في رواياتي سطر واحد لا يستند إلى واقع .

● أأنت متاكد من ذلك ؟ فى رواية «مائة سنة من العزلة» تقع أحداث خارقة تماما . فمثلا هناك «ريميديوس» الجميلة التى تصعد إلى السماء ، وهناك الفراشات الصفراء التى تحوم حول « ماوريسيو بابيلونيا » على الدوام .. الخ .

ـ كل ذلك له أصل فى الواقع .

● مثلا ؟

ـ مثلا : « ماوريسيو بابيلونيا » . فى بلدة « اراكاتاكا » ، حين كان لدى من العمر خمس سنوات ، حضر إلى منزلنا مرة كهربائى لتغيير العداد . اننى أذكره كما لو كان بالأمس ، لأن طريقته فى ربط نفسه إلى العواميد حتى لا يقع بهرتنى . وقد عاد إلى منزلنا مرات عديدة . وفى مرة من هذه المرات ، وجدت جدتى تهش فراشة بقطعة من القماش وهى تقول : « دائما حين يأتى هذا الرجل الى البيت تأتى معه هذه الفراشة الصفراء » . وكان ذلك نواة تلك الشخصية .

● نعود مرة اخرى إلى المؤثرات إنك تذكر دائما تأثرك بعدد من الكتب منها «أوديب ملكا» لسوفوكل

ـ « أوديب ملكا » ، و « أماديس الغالى » و « لا ثاريو دى تورمس » و « يوميات الطاعون » لدانييل ديفو و « اول رحلة حول الأرض » لبيجافتا .

● ومن من الكتاب تعيد قراءة أعمالهم بصفة مستمرة ؟

ـ جوزيف كونراد وسانت اكسبرى .

● وماذا عن تولستوى ؟

ـ لا احتفظ بشىء منه ، غير اننى مازلت أؤمن ان افضل رواية كتبت قاطبة هى روايته « الحرب والسلام » .

● بيد ان احدا من النقاد لا يكتشف اثر هؤلاء الكتاب فى مؤلفاتك .

ـ لقد حاولت فى الواقع الا ابدو اي احد . وبدلا من ان اقلد ، احاول دائما ان اتفادى الكتاب الذين احبهم أكثر .

● ولكن النقاد يرون دائما ظل فوكنر دائما فى أعمالك .

ـ ان النقاد يحددون المؤثرات بطريقة لا افهمها . وفى حالة فوكنر ، اعتقد ان التشابه هو فى الأماكن الجغرافية عنه فى الطرق الأدبية . لقد اكتشفت فوكنر بعد مدة طويلة من كتابة اولى رواياتى ، حين كنت ارتحل عبر جنوب الولايات المتحدة . ان ما رأيت من القرى الحارقة المفعمة بالاتربة ، والناس اليائسين ، يشبه المناظر التى ارسمها فى قصصى .

● وعكس حالة فوكنر معك هو اثر فرجينيا وولف ، فليس هناك غيرك من يعترف بهذا الأثر .

ـ ما كنت لاصبح الكاتب الذى انا عليه الآن لو لم أقرأ منذ عشرين سنة عبارة فى رواية فرجينيا وولف « مسز دالواى » حولت تماما شعورى وفكرى عن الزمن .

● ومن هم البقية فى قائمة مؤلفيك المفضلين ؟

ـ ارثر رامبو ، وفرانز كافكا ، وشعراء القرن الذهبى الاسبان ، ثم موسيقى الحجرة من شومان إلى بيلا بارتوك .

● ونيرودا ؟

ـ بالطبع ، نيرودا ، الذى أعتبره أعظم شاعر فى القرن العشرين وفى كل اللغات .

ترجمه عن الأسبانية

ماهر البطوطى

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● شخصية الأستاذ شهاب ● ● العبقرية والوراثة والجنون ● ● ● العامية والعربية: الفاظ صحيحة ، فلماذا لا نستعملها؟● ● ● تبسيط اللغة الانجليزية واهتمام الانجليز بنشرها .

شخصية الأستاذ شهاب

هو عبد السلام بن حسنين بن شهاب ابن شامة البشبيشي . واصل الدراسة فى الأزهر الشريف حتى اشرف على امتحان العالمية فتكاسل عنه . والتحق بفرقة تمثيلية يؤلف لها الأغاني والأناشيد ، وكان جمهور هذه الفرقة خليطاً من النـاس ذوي المشـــارب المتباينة والاذواق المختلفة ، فكانوا جميعاً يجدون ما يرضون عنه فيما كانوا يسمعون . ثم شارك حلاقا فى صالون ، لعبا براس ماله في «اليانصيب» فلم تصبهما ثروة ، فالتقطه واحد من اصحاب المجلات الاسبوعية كان يدير تجارة إلى جانب المجلة فعمل الاستاذ شهاب في التجارة وفي المجلة حتى رأى صاحبه يسلمه يوماً لواحد آخر من اصحاب المجلات الاسبوعية ، ولم يعلم انه باعه له بالمـــال إلا بعد زمن طويل ، وانتقل من المجلة القديمة إلى المجلة الجديدة يكتب فيها شعراً وزجلا ونثراً مما يعيه الشعب ويفهمه ويتلذذ به ، وهو ماكث في «الادارة» لا يخرج منها ، يعمل وياكل وينام على المكتب ... ثم طرا له ان يخرج يوما فخرج وغاب ولم يعد ، فدار صاحب المجلة يبحث عنه فى الاقسام والمستشفيات وهو يتلهف عليه ، يقول : يا عالم إنه لا يعرف الطرق ولا الشوارع. ولكنه كان قد عرف الطرق والشوارع ومن بينها شارع الأمير قدادار ، وهو الطريق إلى دار الهلال التى يعمل فيها الآن محررا لاحدى المجلات التى تصدرها ، يكتبها بعد ان يجمع له المندوبون معلوماتهم ، من اولها إلى اخرها .

وهو ازهد من رايت في الجاه والشهرة ، واقدر من رايت في الحكم على النفوس ، واقوى من رايت في إقامة الحق إذا اراد إقامته ، وفي إزهاقه إذا اراد إزهاقه ، واشد من رايت استسهالا للعبث بعقول الناس ، فهو يبدا يقص عليك القصة ، فلا تلبث بعد ان يقطع معك مرحلة طويلة فيها ان تفيق فتجد نفسك قد سمعت كلاما كثيرا مرتبطة اجزاؤه بعضها إلى بعض ، ولكنه ذاهب إلى حيث لا تدري : فاذا احببت ان تعود ادراجك إلى بدايته لم تعرف كيف تروح معه ولا كيف تجيء .

يشترط عليه الأستاذ إميل بك زيدان إذا اراد ان يحادثه في امر ان يمتنع عن مناقشته فيه ، لا لشيء ، إلا لانه جرب مرات ومرات أن مناقشة الأستاذ شهاب تنتهي عادة بان تقر دار الهلال نقيض ماتريده ، وما تكون قد اعدت العدة له .

من ارائه أن اللحم سيد الطعام ، وأن اسعد الناس هم سكان التكايا ؛ وأن الاستاذ محمود حسن اسماعيل شاعر قبطي بدليل الرهبان والصلبان والاجراس التى ترن فى شعره كثيرا ، وان طلبة كلية التجارة يجب عليهم ان يقضوا مدة للتمرين فى المذبح ، وعند ابي ظريفة وغيره من تجار الفول ، على ان لا تزيد مدة التمرين هذه على ثلاثة شهور يعطى الطلبة بعدها دبلوم التجارة ليغزوا هذين الميدانين من ميادين التجارة القومية الرابحة ربحا مؤكداً ومركبا ايضاً ؛ وغير ذلك له اراء كثيرة كم اختلستها منه ونشرتها منسوبة إلي في (الرسالة) ، فاعجبت من قراها .

عزيز احمد فهمي
١٩٤٠

ملحوظة :

عزيز احمد فهمي كاتب عربي مصري لامع توفى منذ اكثر من عشرين سنة بائسا يائسا فقيرا رغم مواهبه اللامعة أما عبد السلام شهاب فقد توفى منذ سنوات قليلة ، وقد قادته رحلة الحياة الادبية والصحفية إلى العمل المستقر كمحرر فى جريدة الأهرام ، وانتهت حياته بعد ان تمكن من بناء بيت صغير فى مدينة الصحفيين فكانت نهايته أسعد من عزيز احمد فهمي من الناحية الشخصية ... اما من الناحية الادبية ، فعزيز فهمي وعبد السلام شهاب معاً لا يختلفان فى أن أثارهما الادبية ضائعة مبددة لم تجمع حتى الآن .

العامِّيَّة والعربيَّة

ألفاظ صحيحة فلماذا لا تُستَعمَل؟

بقلم: إبراهيم عبد القادر المازني

يتوهم كثيرون من الناس ان اللغة العامية ليست من العربية فى شىء ، ولهذا يحرصون ، حين يكتبون ، على الفرار من الفاظها ، ويذهبون يتكلفون ، فتكون النتيجة الإغراب والمباعدة ما بين الكاتب والقارىء ، ومن اجل هذا استفاض الاعتقاد بان لغة الكتابة غير طبيعية ، ومن هنا ظهرت الدعوة إلى اتخاذ العامية فى الكتابة ، ليفهم الناس بغير مشقة ، ولو ان العامية دُرِسَتْ لما كان لهذا كله محل ، وقد سمعت ان المرحوم احمد تيمور باشا وضع معجما للغة العامية ردها فيه إلى اصولها العربية ، ولكنه لم ينشر ، ولا علم لى بما كان من أمره .

وقد عثرت فى مطالعاتى على مئات ومئات من الالفاظ العربية يستعملها العامة وإن كانوا يحرفونها قليلا فى النطق ، وساورد فى هذا الفصل طائفة منها بلا ترتيب على سبيل التمثيل ليرى القراء ان اللغة العامية جديرة بالعناية وان اتقاء الفاظها كلها خطا ، او جهل ، وقد جريت فيما اكتب ، على استعمال الصحيح من الالفاظ العامية ، واكتفيت بذلك.ولكنى أرى الآن أن التنبيه واجب مخافة ان يعتقد بعض القراء ان هذا منّي عن خطا لا عن عمد .

فمن الفاظ الطعام وما إليه :

الدُقَّة ـ الملح مع ما خلط به من الأبزار او الملح المدقوق .

العُجَّة ـ الدقيق المعجون بالسمن ثم يشوى او يقلى ، والعامة على عجة البيض .

الكَباب ـ اللحم المشرح .

الوجبة ـ الاكلة .

السُّفرة ـ المائدة .

القصعة ـ الجفنة .

السُّخام ـ السواد الذى يكون على آنية الطبخ من فعل النار .

الطاجن ـ إناء من خزف يقلى فيه الطعام .

العصيدة ـ طعام معروف فى مصر ، من دقيق وسمن .

البرمة ـ والبرام ـ قدر،وهو مشهور .

عقد السكر ـ طبخه حتى ثخن .

الشريحة ـ اللحمة المرققة .

الهبرة ـ من اللحم البضعة لا عظم فيها ، وَهَبَرَ اللحم اقتطع منه قطعة كبيرة .

التسميط ـ فى راس الخروف وغيره كَشْط الشعر عن الجلد لطبخه فى الماء .

اللَّهْوَجَة ـ لهوجت الطعام لم تنضجه . والعامة تستعمل اللفظ مجازيا .

شاط الطعام وشاطت انية الطبخ ، احترق . سغسغت الطعام اوسعته دسما واكثرت من السمن فيه .

سلق اللحم ـ طبخه فى الماء .

طبخ ومشتقاته معروفة .

وهذه كلها الفاظ عربية ، يستعملها أعرق الناس فى العامية . ومن قبيلها ايضا فى غير هذا الباب :

الحُلوان ـ ما تجعله للرجل من الاجر على عمل يؤديه لك .

المصوصة ـ الفتاة المهزولة .

الزغزغة ـ الدغدغة .

الزعر ـ قلة الشعر ، فهو أزعر ، ويستعمل للذيل عند العوام .

صوفة القفا ـ الشعر السائل فى نقرته

الشعر المفلفل ـ إذا كان شديد الجعودة .

المدرِك ـ الغلام بعد الاحتلام

فروة الراس ـ الجلدة .

لَبَّد شعره ـ الزقه بشىء .

تكرش الوجه ـ تقبض جلده .

العمش ـ ضعف البصر ، والرجل أعمش .

عظمة اللسان ـ ما فوق اصله

الحنك ـ سقف اعلى الفم .

الوِرْك كالوَرِك ـ معروف .

الحُق ـ مغرز راس الفخذ فى الورك .

الركبة ـ ملتقى الساق والفخذ .

تَشَيْطَنَ الرجل ـ فعل فعل الشياطين

الديوث ـ الذى يغضى على ما يرى من هنات اهله .

الدردبة ـ الجرى الذى فيه دَبٌّ .

الموالسة ـ المخادعة .

المذَّاع ـ الكذاب ، والعامة تستعملها بالزاي .

البرطمة ـ كلام الغضبان .

البرجمة ـ غلظ الكلام .



الدندنة ـ الكلام او الغناء بصوت خفيض .

الدبدبة ـ صوت كوقع الحوافر على الصلب من الارض .

الطقطقة ـ الاسم من طق ، حكاية لصوت الحجر .

بجم ـ سكت من عى او فزع او هيبة

فَرْشح الرجل ـ أصله آن يثب وثبا متقاربا ، وصار يستعمل للمباعدة بين الساقين .

نهج ـ تتابع نفسه من الاعياء والتعب .

السكة ـ الطريق .

اكتنّ الرجل ـ صار فى كُن .

تَرَبَّعَ ـ جمع قدميه فى جلوسه ووضع احداهما تحت الاخرى .

السلفتان ـ امراتان تتزوجان اخوين

تَفَرْعَنَ ـ صار ذا فرعنة ، اى نكر .

جهاز العروس ـ ما تحتاج إليه فى زواجها .

العَزَبة ـ التى لا زوج لها .

سَبَّعَ ـ اقام سبعا .

الخيش ـ نسيج خيوطه غلاظ ، ويكون من مشاقة الكتان ، والمشاقة ايضا صحيحة .

تلفح ـ بمعنى تلحف ، والتفع ايضا والعامة تستعمله على حقيقته وعلى المجاز .

العباية ـ كالعباءة تماما .

اللاذة ـ تكون من الحرير ، والعامة تستعملها للقطعة من الحرير يلفونها على الراس .

الكنار ـ للثوب شقة منه تكون فى طرفه .

القطيفة ـ هى المخمل .

الملاءة والملاية ـ الريطة التى تستتر بها المرأة فى خروجها .

البرنس ـ ما يلبسه المرء بعد الاستحمام .

الفوطة ـ وجمعها فوط ، معروفة .

المنديل ـ معروف ايضا .

الطُرْطور ـ القلنسوة الطويلة .

التكّة ـ رباط السراويل ، وجمعها تكك .

قَوَّرَ القميص ـ جعل له جيبا .

الدرابزين ـ للسلم ، معروف .

البطانة ـ للثوب خلاف الظهارة .

الخياطة ـ للثياب .

الشل ـ الخياطة الخفيفة ، فى اول الامر .

كفّ الثوب ـ خاط حاشيته .

الكُفّة ـ ما استدار حول الذيل .

ثوب مهندم ـ مضبوط .

الهدم ، والجمع هُدوم ـ الاكسية .

دعك الثوب ـ الان خشونته ، والعامة تستعمله على المجاز .

السخّتيان ـ جلد الماعز .

القبقاب ـ نعل من خشب ، والعامة تضم اوله .

الصندل والصندلة ـ شبه حذاء ، والفعل تصندل .

الشىء المسيخ ـ الذى لا حقيقة لطعمه .

الفطور ـ ما يفطر عليه المرء فى العادة او بعد الصيام .

القرن ـ ناحية الهامة .

المفرطح ـ العريض .

السُقط ـ الولد يوضع لغير تمام .

الطلق ـ وجع الولادة .

الاجرد ـ الذى لا شعر عليه ، والعامة تقول الاجرود .

نَسَل الشعر والصوف والريش وغيره ـ سقط .

البعبعة ـ تتابع الكلام فى عجلة وبصوت اجش .

الصُفّارة ـ كالزمارة .

كركر ـ وقرقر ـ رفع صوته بالضحك

هاها ـ قهقه .

● ● ●

وهناك الاف من الالفاظ اهملتها لانه لا خلاف، على صحتها ، مثل المرود ، والمكحلة ، والمشط ، والضفيرة ، واللحاف ، والزر ، والعروة والكم ، والابرة ، الخ الخ ، وقد أهملت هذا الضرب لانى اردت ان اسوق الالفاظ التى يتوهم الناس انها غير عربية ، وساورد طائفة اخرى فى فصل غير هذا، ولو عنى رجال المجمع الملكى للغة العربية بمثل هذا البحث لاراحوا انفسهم من عناء شديد يكابدونه ، ولكان هذا اولى مما يعالجونه من النحت وما اليه وليسروا الامر على الناس ..

ابراهيم عبد القادر المازني
١٩٣٥

العبقرية والوراثة والجنون

إن ابناء العباقرة هم في الغالب مخلوقات عادية ، بل اقل من العادية . ويقول ج. مورو دوتور : (إن الملاحظة العامة ترينا ان غالبية ابناء الرجال العباقرة ليسوا فقط اقل من ابائهم ، بل هم كسائر الناس العاديين) ، وقد اكد الكسندر تاسوني Alexandre Tassoni احد كتاب القرن السابع عشر انه كثيرا ما يحدث ان ينجب اباء عباقرة ابناء عظيمي الغباوة، واباء شديدو الغباوة ابناء علماء . واستشهد على النوع الاول بابناء افريكان الكبير وانطوان وشيشرون ومارك اوريل وسقراط . ويعتقد اوسوالد الكيميائي الالماني الشهير ان ابناء الرجل العبقري لابد ان يكونوا اقل منه .

وذكر تاسوني راي احد العلماء المعاصرين له ، وكان يفسر النقص في كثرة ابناء الرجال العباقرة بقوله : (فى الرجال العظام تتجمع معظم القوى الحيوية في المخ كيما تقويه وتبعث الحياة والعنف فى القوى الفكرية . ولهذا يكون الدم والخلية باردين ضعيفين . والنتيجة ان يكون ابناء اولئك الرجال وخصوصا الذكور اغبياء) .

وهناك حقيقة اخرى هامة فيما يختص بوراثة العبقرية ، وهي أن هناك ظواهر من الجنون والاضطراب العصبي تحول دون وراثة هذه العبقرية . ذلك أن العبقري تصحبه غالبا أنواع خاصة من الأمراض النفسية . وكثيرا ما يلاحظ المرض العقلي عند سلف وخلف الرجل العبقري . ومن المعلوم ان الجنون ينتقل غالبا وبكثرة شديدة فى الاجيال القريبة . وحالات الجنون الوراثي في ثلاثة اجيال متعاقبة عديدة جدا . وكان الجنون فيها فى الغالب من نوع واحد ، والآن ، اليس هنا تشابه ـ وإن لم يكن كاملا ـ بين وراثة العبقرية ووراثة الجنون ؟

وقد ذكر مورو دوتور أن بين طبقات المجتمع التي تحوي اكبر عدد ممكن من الرجال الممتازين بذكائهم الشديد ، يوجد ايضا اكبر عدد ممكن من المجانين وقد لاحظ كل علماء النفس ان هناك عددا من المجانين لهم اقارب يتميزون بذكاء تتفاوت درجاته . من ذلك اوليمبيا ام اسكندر الاكبر التى كانت امراة فاسدة الخلق ظاهرة الوضاعة ، وكان اب الاسكندر داعرا إلى اقصى حد . وكان الاسكندر نفسه مصابا بحالة عصبية في كوعه . وكان شقيقه اريدوس ـ الذي قتل بامر اوليمبيا ـ ابلها معتوها .

وكان ابن برناردين دوسانت بيير ، وإحدى بنات فكتور هوجو ، ووالد واشقاء فيلمان ، وشقيقة الفيلسوف كانت ، وشقيقة هيجل ، وغيرهم وغيرهم كانوا جميعا مجانين . وكانت شقيقة ريشليو تتصور ان ظهرها من البللور ، وكان شقيقه معتوها . وكان والد الموسيقى بيتهوفن مدمنا الخمر، وكان الشاعر بودلير نفسه نصف مجنون . وقد كتب يقول : (إن والدى اللذين كانا إما معتوهين او مجنونين قد ماتا ضحيتى جنون فظيع) وكان والدا الشاعر الأمريكي الشهير ادجار بو شديدي الادمان لتعاطى المشروبات الروحية .

وكانت تحدث لشاتو بريان حركات تشنجية فى ذراعه ، وكان دائم التفكير فى الانتحار ، وكان اخوه نصف مجنون وكان والد بلزاك غريب الأطوار ، وكذلك كان بلزاك نفسه . وكانت جورج صاند شديدة الانقباض والحسرة وهى فى السابعة عشرة من عمرها ، وقد حاولت الانتحار فيما بعد عدة مرات . وقد كان والدها يشبهها من هاتين الناحيتين . وكان كثير من اقارب هوفمان مجانين . اما هوفمان نفسه فقد اصابه الخوف لطول استسلامه للشراب ، وكان يتصور امام عينيه اشباحا ويصيبه من جراء ذلك الرعب الشديد . فيطلب من امه ان تجلس بجانبه . وكانت خالة هيرثر مجنونة واخته شديدة الكابة ، وقد جن ابنها .

وكان اثر الوراثة المرضية بارزا فى لورد بيرون . إذ كان أبوه رجلا فاسد الخلق وقحا . وكانت امه غريبة الاطوار متكبرة طائشة . كذلك كان شوبنهور وارثا لما كان عليه من غرابة الميول واضطراب الاعصاب . فقد كانت خالة جدته وجدها مجنونين . وكان ابوه تنتابه نوبات قوية من الغضب المتزايد والهم الدفين الذى يكشف عن نفسيته المريضة .

وكانت اسرة الفيلسوف رينان ـ الذى كان يعذبه اضطراب اعصابه ـ تسودها انواع مختلفة من الجنون ، وكان عمه مافونا . وقد قضى حياته فى التصعلك حتى وجد ذات ليلة ميتا على قارعة الطريق . وكان جد رينان شديد الوطنية عظيم الاخلاص ، ولكنه فقد عقله عام ١٨١٥ م نتيجة هم الم به . وقد اصبحت بلدة تريجوبير التى ولد بها رينان ممتلئة بالمجانين وانصاف المجانين نتيجة إكثار اهلها من زواج بعضهم ببعض .

ARCHIVE http://Archive.Sakhrit.com

فمما ذكرنا يظهر ان العبقرية ليست محدودة . وانها لا تمتد إلا لأفـــراد مخصوصين ، فلابد اذن من ان نعرف ان هناك شيئا اخر غير الوراثة المجردة، ان العبقرى يظهر فى الأسرة فى لحظة معينة ولا يمكن ان يظهر قبل ذلك . كذلك قد يتبعه وقد لا يتبعه عباقرة اخرون . والأب العبقرى قد يكون له ابن عادى . وقد يكون هذا الابن غبيا . وإذا استمرت الأسرة فى إنتاج عباقرة كثيرين فان هذه الظاهرة تقف بعد بضعة اجيال كان الطبيعة قد نالها الرهق والضنى . واخيرا كثيرا ما يحدث ان يحل الجنون محل العبقرية ويكون ذلك راجعا إلى نوع خاص من الوراثة متاثر بعوامل غير وراثية .

وقد قال البعض : إن الوراثة والبيئة يتعاونان معا بنشاط على إيجـــــاد العبقرى ، إذ ان (الوراثة) لا تنتج فى الرجل إلا (ما يمكن ان يكون) وليس ما سيكون ، اما آثار الوسط وحدها فهى قادرة على تحويل الاحتمال إلى أمر واقع . على ان (الوسط) لا يكون تاثيره بعد الولادة فقط ، بل إنه يؤثر فى الشخصية المستقبلة قبل الولادة ، وذلك بطرق مختلفة .

ولقد عملت ابحاث فى جلاسجو عن علاقة عدد المواليد بالذكاء فظهر أن عدد المواليد يزيد عند الرجال الأقل ذكاء ، كذلك الأسر يتكاثر عددها كلما قلت الكفاءة العقلية عند أعضائها .

« عن مجلة الشهر الفرنسية ١٩٣٥ »

تبسيط اللغة الإنكليزية واهتمام الإنكليز بنشرها



يبدى الانكليز فى الوقت الحاضر اهتماما خاصا بنشر اللغة الانكليزية ، ويحاولون بمختلف الوسائل ان يجعلوا منها لغة دولية عامة ، كاللغة الفرنسية فى الشؤون والمعاملات الدوليـــة والتجارية ، ويرجع هذا الاهتمام إلى ما بعد الحرب الكبرى إذ اتسع نطـــاق الامبراطورية البريطانية اتساعا عظيما وضُمت إليها شعوب وأمم جديدة ، وزاد نفوذ انكلترا الدولى تبعا لذلك ، واتسع نطاق تجارتها اتساعا عظيما ، والانكليز قل الامم اهتماما بدرس اللغات الأجنبية ، وقد حاولوا أن يتلافوا هذا النقص بفرض لغتهم على الشعوب التى تنضوى تحت لوائهم ، ولكنهم يرغبون اليوم فى التقدم خطوة اخرى ، وذلك بالعمل لجعل اللغة الانكليزية لغة دولية اختيارية . وقد رأوا أن انجع وسيلة لتحقيق هذه الغاية هو تبسيط اللغة الانكليزية إلى ابعد حد ، وانتهوا فعلا إلى عمل هذه التجربة ، فقام الأستاذ اجدن احد أعضاء المعهد اللغوى بجامعة كامبردج باختيار الألفاظ الانكليزية التى تعبر عن اكبر عدد من المعاني المطلوبة ، وانتهى إلى حصرها فى ٨٥٠ كلمة تكون وحدها لغة انكليزية جامعة وافية بالتعبير عن كل ما يرغب ، ويكفى لدرسها وحفظها ثلاثون ساعة ، وليس فيها اى تضارب ولا تعقيد ، وليس فيها من الافعال سوى ١٨ فعلا ، وقد سميت هذه اللغـــة « بالانكليزية الأساسية » . ويعلق الانكليز على هذا التبسيط المدهش للغة تبلغ كلماتها عشرين الفا امالا كبيرة ، وتنوه الصحف العلمية بهذه المناسبة بان أحب الكتاب الانكليز إلى الشعب الانكليزى هم أبسطهم لغـــة وبيانا مثل سويفت وبرنارد شو ، ومن ينحو نحوهما فى التعبير الجزل البسيط الذى لا يتخلله حشو ولا ترادف ولا تعقيد .

١٩٣٥

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● طائرة الجيب ●

هي اصغر طائرة عمودية انتجت حتى الآن إذ يبلغ قطر هيكلها ٦٠ سنتيمترا ولا يزيد وزنها عن ٣٦ كيلوجراماً . كما انها لا تحتاج الى طيار لقيادتها ، وإنما توجه لاسلكيا من الارض . وتستطيع هذه الطائرة الصغيرة الطيران لمدة ساعتين ونصف ، وتبلغ سرعتها القصوى ١١٠ كيلومترات في الساعة . وهي تحلق وتهبط مثلها مثل اي طائرة عمودية كبيرة .

وبالرغم من صغر حجمها فهي متعددة الاستخدامات إذ يمكن تزويدها بعدد لا نهائي من الأجهزة للاغراض العسكرية والمدنية على حد سواء . فهي تستطيع حمل كاميرا تلفزيونية مثلا مزودة بعدسات مقربة للتصوير على ارتفاع ٣ الاف متر .

ونظرا لصغر حجمها يصعب رؤيتها . وهي لذلك تعتبر مثالية للاغراض العسكرية لصعوبة رصدها بالرادار فهي لا تحدث صوتا كما انها لا تنتج كمية كبيرة من الحرارة بحيث لا تتمكن اجهزة الرصد التي تعمل بالأشعة تحت الحمراء من اكتشاف وجودها .



طائرة الجيب الأمريكية

● الشاحنة الموسيقية ●

لا داعي لشراء جهاز لتشغيل الاسطوانات بعد الآن فان هذه الشاحنة الصغيرة تغنيك عنه . اذ يكفي وضع الاسطوانه على سطح مستو مثل مكتب او طاولة ، ووضع هذه الشاحنة فوق الاسطوانة لتنطلق على الفور أنغام الموسيقى الحالمة . فالشاحنة الموسيقية تقوم بعمل جهاز تشغيل الاسطوانات إذ انها مزودة بقطعة ياقوت وخلية كهربية ومكبر للصوت ولذلك فعندما تبدأ الشاحنة في الدوران على خطوط الاسطوانه فانها



الشاحنة الموسيقية

تقرا ما تم تسجيله عليها من الحان وأصوات .

ولا يزيد ثمن هذه الشاحنة الموسيقية عن ٢٥٠ ريالا وهي أرخص بكثير من اي جهاز بيك ـ اب .

● الليزر يعيد للوجه شبابه ●

تعددت استخدامات اشعة الليزر في مختلف المجالات ابتداء من الصناعة الى الطب الى الاسلحة والحرب . ولكنها تغزو اليوم مجالا جديدا وهو مجال جراحة التجميل .

فان أشعة الليزر تعيد النشاط والحيوية الى عضلات الوجه وتزيل التجاعيد بدون الم ولا جراحة .

ولقد بدات هذه الطريقة المبتكرة في الاتحاد السوفيتي وانتشرت منه الى أوروبا وهي تستخدم شعاع ليزر ذا طاقة منخفضة بحيث يوجه الشعاع الى مواضع التجاعيد او اماكن الترهل وارتخاء العضلات غير المستحب ، وبعد عدد من الجلسات يتراوح بين ١٠ و ١٦ جلسة تختفي كل آثار لهذه الشوائب التي تعكر صفاء البشرة ويعود للوجه شبابه ورونقه وتبلغ تكلفة هذا العلاج الف دولار فقط !!

ويقول الذين اتبعوا هذه الطريقة في العلاج انها أشبه بتدريبات رياضية لعضلات الوجه تعيد له لياقته وحيويته .

● حقن لعلاج الحول ●

توصل فريق اخصائيي العيون في سان فرنسيسكو الى علاج للحول دون اللجوء الى الجراحة او لاستخدام النظارات الطبية ويعتمد العلاج الجديد على حقن المصاب بكمية ضئيلة جدا من دواء يعمل على إلغاء النشاط العضلي الشاذ المسبب للحول .

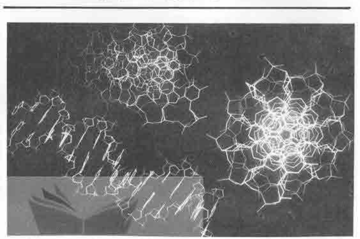
ويتم الحقن في العين تحت تخدير موضعي ويستطيع المصاب بالحول مغادرة المستشفى بعد ذلك مباشرة . ويتحقق الشفاء بعد حقنتين فقط .

ولكن هذا العلاج لاينفع إلا في حالات الحول الافقي كما يستخدم في علاج حالات الحول التي لم تنجح الجراحة في اصلاحها

ويتيح الغاء النشاط العضلي غير العادي للعين استعادة توازنها العضلي واعادة تدريبها على الرؤية الطبيعية ولازال العلاج في مرحلة التجربة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

● صناعة دواء بدون مواد كيماوية ●



زوايا مختلفة لجزيء الحامض النووى كما تظهر على شاشة الكمبيوتر

انتقل مكان عمل الصيدلى من المعمل الى شاشة الكمبيوتر . فلم يعد فى حاجة الى معايرة المواد الكيماوية ومزجها ثم دراسة خواصها وتاثيرها على الخلايا الحية . أو مزارع الميكروبات والبكتريا المختلفة . فالكمبيوتر بامكانياته الجبارة يوفر عليه كل هذا الجهد .

ولايبقى أمام الباحث فى مجال العقاقير سوى إدخال المعادلات الكيمائية والمركبات الدوائية المعنية الى ذاكرة الكمبيوتر ليقوم الأخير بعرض جزىء الحامض النووى الذى يعتبر جوهر الحياة فى الخلية على شاشة وحدته الطرفية .

وبدوران هذا الجزىء الحيوى أمام الباحث لكى يراه من ثلاث زوايا مختلفة يتمكن من التعرف على تفاعل الدواء الجديد مع الحامض النووى للخلية الحية

ومن ثم يستطيع الباحثون ابتكار التركيبات الدوائية وبحث وتجربة تاثيرها على الخلايا الحية دون التحرك من أمام شاشة الكمبيوتر .

ARCHIVE
http://archive.sakhrit.com

● تنظيم الحمل عن طريق الأنف ●

لقد نجح استخدام رش للانف فى تنظيم حمل ٨٠ سيدة كندية حيث يحتوى المحلول تركيبا اصطناعيا لمادة يفرزها المخ تجعل الغدة النخامية تفرز هرمونا يدفع بدوره المبايض لتكوين البويضة إلا أن الهرمون الاصطناعى فى نقط الأنف يوقف تكوين الهرمون الطبيعى نظرا لأنه أقوى منه ، كما أن مفعوله يستمر لمدة أطول ومن ثم فان استخدام هذه النقط الانفية مرة يوميا يوقف عملية التبويض من أساسها .

ويعتقد الأطباء أن نقط الأنف أفضل الطرق لتناول هذا الهرمون الاصطناعى لأنه يمتص على الفور من الخلايا الطلائية المبطنة للأنف دون إزعاج للجهاز الهضمى .

كما تجرى ابحاث على نفس النقط لاستخدامها كمنظم للحمل بالنسبة للذكور أيضا ، حيث توقف افراز هرمون الذكور وبالتالى تتوقف عملية تكوين الحيوانات المنوية . وهى تستعمل حاليا فى علاج حالات سرطان البروستاتا نظرا لان ارتفاع نسبة هرمون الذكور يزيد من تدهور حالة المريض . ولقد نجحت نقط الأنف من تفادى اللجوء الى الجراحة التى كانت تمثل من قبل الحل الوحيد أمام الأطباء .

● محطة منزلية للارسال التلفزيونى ●

تفتح إحدى شركات الالكترونيات البلجيكية مجالا خصبا أمام هواة التلفزيون لاعداد وبث ما يريدون من برامج وذلك عن طريق جهاز ارسال تلفزيون حجمه أصغر من حجم كتاب الجيب .

وتتكون محطة الارسال المنزلى من جهاز ارسال ومحول وهوائى ارسال واستقبال اذا ما وصلت هذه المحطة المتنقلة بكاميرا فيديو يمكن الارسال مباشرة على الهواء من أى مكان لأن تشغيلها لايحتاج إلا لـ ١٢ فولت ومعنى ذلك انها تسمح بالارسال من السيارة .

كما يستطيع أى شخص تسجيل المادة التى يريدها على جهاز الفيديو وبثها بعد ذلك بتوصيل الجهاز بمحطة الارسال المنزلى .

أما بالنسبة للاستقبال فبامكان أى جهاز تلفزيون استقبال هذا البث الخاص شريطة أن يكون مزودا بهوائى استقبال وبمحول ويبلغ مدى الاستقبال عدة كيلومترات قد تصل الى خمسين كيلومترا فى المناطق الخلوية .

وبالرغم من صغر حجم جهاز الارسال فان ارساله لايقل جودة عن ارسال الشبكات الرسمية إذ يقوم المحول بالتحكم فى وضوح ونقاء كل من الصورة والصوت .



جهاز الارسال التليفزيوني المنزلي



بقلم: رؤوف توفيق



• رومي شنايدر • النجمة الفرنسية التي رحلت عام ١٩٨٢م .



• ماريا شنيدر • بطلة فيلم عن الارهاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نظرة على سينما ٨٢

هل تعود الأفلام السياسية لتحرك الركود؟!

توارى العنف قليلا فى الافلام السينمائية .. وبدات تطل الرؤية السياسية ، لتعمق المسائل ، وتحدد الزوايا ، وتبرر الأسباب .

لم يختف العنف تماما .. ولكن اصبح للعنف دوافعه ! .

فرؤية الدم المتدفق .. وشج الرءوس ..وفقء العيون .. لم تعد هي الوسيلة المضمونة عند صناع السينما العالمية ، لجذب انتباه المشاهدين ، وكسر حدة الملل عندهم .. بل اصبح عليهم ان يحددوا هويتهم السياسية .. ويقولوا كلمتهم .. ويضيئوا شعاعا من النور ينير الطريق امام المشاهدين ، الذين هم في النهاية ، ضحايا قوى سياسية متصارعة ، تؤثر فى حياتهم اليومية .. ابتداء من لقمة العيش إلى الاحساس بالآمان والحرية .

فضراوة الازمة الاقتصادية ، التى تطبق على انفاس العالم الآن .. وازدياد معدلات البطالة مع الارتفاع الجنونى فى الأسعار .. ونظم الحكم الديكتاتورية .. كلها مسائل لا تحتمل الاسترخاء والكسل ، وهدهدة الغرائز ! !

ومن هنا .. قرر بعض مفكرى السينما ان يلعبوا دورهم بوضوح وشجاعة .

وتسجل سينما ٨٢ .. ان مهرجان كان السينمائى لعام ٨٢ ساهم بقدر شاسع فى القاء اضوائه الساطعة على السينما السياسية .. واعطى اهم جوائزه لثلاثة افلام سياسية .. لتصبح هذه الأفلام من اهم معالم سينما ٨٢ .



انجريد برجمان .. رحلت فى عام ١٩٨٢

« سالي فيلد » .. الصحفية فى فيلم « غياب مالبس »



لقطات من فيلم « البؤساء » .. اغلى فيلم فرنسي حتى الآن

● «الطريق» .. من تركيا

واوضح مثال على ذلك .. الفيلم التركى «بول» ـ أو الطريق ـ والذى اخرجه المخرج التركى « يلماظ جيونى » الذى ينتقل من بلد لآخر فى اوربا تحت حراسة خاصة من اصدقائه ومعاونيه ..

هذا المخرج عمره خمسة واربعون عاما .. قضى اغلب سنوات شبابه فى السجون .. حتى بلغت مدد العقوبات التى يجب ان ينفذها حوالى مائة عام ! !

وقد استطاع الهرب من سجنه عام ١٩٨١ بعد ان قضى به عشر سنوات .. كتب خلالها سيناريو فيلم «الطريق» .. وقام احد مساعديه «شريف جورين» بتنفيذ اخراج الفيلم فى تركيا .. بينما هو يتابع مراحل الاخراج من منفاه .. ويسجل ملاحظاته على الاجزاء المصورة ، ويطلب التعديلات .. وعندما يتمكن مساعده من تنفيذ ملاحظاته يرسل له من جديد ما تم تصويره .. وهكذا .. حتى تم اخراج الفيلم بالصورة التى ارادها دون ان يقبض عليه !

واستطاع الفيلم ان يقتحم مهرجان «كان» .. ليصبح أهم احداث المهرجان واكثرها إثارة ودلالة على قوة السينما حينما تريد ان تقول رايها .

والفيلم يتتبع خروج خمسة معتقلين من احد السجون التركية .. كل منهم فى طريقه الى قريته .. وكل منهم له قصة وحلم .. وينسج الفيلم ببراعة شديدة ، خيوط هذه الرحلة .. وكيف تتكسر الأحلام على صخور الواقع الشديد القسوة .. حيث الفقر .. والمطاردة .. والضياع ..

انها رحلة من العذاب والألم والاحباط المستمر .. صاغها المخرج فى بانوراما



مليئة بالتفاصيل الانسانية والاشارات الذكية .

وفى حوار صحفى مع المخرج «يلماظ جيونى» سالوه قبل ان يسافر لمهرجان كان .. ليفجر الضجة الكبرى من حوله : هل تستطيع الاستمرار فى عملك من المنفى ؟ .. هناك مخرجون يستطيعون العمل خارج بلادهم ، وبعيداً عن جذورهم الحقيقية .. ولكن هناك اخرون ـ ويبدو انك واحد منهم ـ عملهم مرتبط اساسـاً بجمهورهـم وثقافتهم ؟!

اجاب المخرج فى حسم وتحديد : «فى هذه اللحظة اننى ابحث ثلاثة احتمالات .. اولا .. ان اتوقف عن العمل طالما اننى بعيد عن جذورى الحقيقية .. ثانيا .. ان اصنع افلاما عن تركيا من داخل بلاد اخرى ، مثلا عن مشكلة العمال المهاجرين .. وهكذا .. ثالثا .. ان اعمل افلاما عن اشياء مختلفة تماما ، وغالبا ما ستكون افلاما رديئة ، ولكن لكى احصل على النقود .

«وفى الحقيقة اننى ارفض الحلول الثلاثة .. فهناك اشخاص مثلى فى كل انحاء العالم .. فى امريكا الجنوبية .. فى اسيا .. وحتى فى فرنسا .. وانا لست متشائما ، وساكون مستعداً اكثر للاجابة على هذا السؤال عندما ابدا فى التصوير .. فانا حاليا اكتب فيلمى الجديد» !!

وهكذا اختصر الاجابة .. ليعلن انه سيواصل العمل .

وقد فاز الفيلم التركى الطريق بالجائزة الكبرى لمهرجان كان .. مناصفة مع الفيلم الأمريكى «مفقود» .

● «مفقود» .. من أمريكا

وفيلم «مفقود» للمخرج الفرنسى «كوستا جافراس» فى أول فيلم له بامريكا ، يدين السياسة الامريكية ، والتورط فى الانقلابات الاستعمارية وياخذ مثلا لذلك ما حدث فى شيلى عام ٧٣ ، اثناء الانقلاب الذى اطاح بالسلفادور الليندى وحكومته .. وقد اثار الفيلم ضجة كبرى فى اثناء عرضه بامريكا .. وانتقلت الضجة الى حيز اكبر فى مهرجان كان (راجع دراسة عن الفيلم فى الدوحة ـ عدد يوليو ٨٢) .. وفاز ممثله «جاك ليمون» بالجائزة الأولى فى التمثيل ..



« فانيسا رد جريف » تقدم فيلمها « فلسطين المحتلة »

وتفرغت الصحافة السينمائية تحلل وتقيم هذا الفيلم الجرىء ..

● «ضوء القمر» .. عن بولندا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويجىء الفيلم الثالث «ضوء القمر» للمخرج البولندى «جرسى سكوليموفسكى» والمقيم حاليا فى لندن .

والفيلم انتاج انجليزى ، بتمويل انجليزى ، وتم تصويره بالكامل فى لندن .. وبالرغم من ذلك فموضوعه عن بولندا ، وما حدث اخيرا من فرض الاحكام العسكرية .

فالفيلم يحكى عن اربعة عمال بناء بولنديين ، يسافرون الى لندن لاعادة تجديد شقة احد الاثرياء البولنديين ، فى مدة محددة بشهر واحد .. ولكن فى هذا الشهر تقع احداث بولندا ، وتاتى الحكومة العسكرية لتفرض احكامها وسيطرتها على الحياة البولندية ، وسط الاضطرابات التى نعرفها جيداً .. ولكن ما حدث لا يصل لثلاثة من هؤلاء العمال الذين يتولون تجديد الشقة .. بسبب ان رابعهم وهو رئيسهم ، يفرض عليهم نوعا من التعتيم ، والسيطرة ، حتى لا تتسرب اليهم اية معلومات تكون نتيجتها توقفهم عن العمل .. مستغلا فى ذلك اجادته للغة الانجليزية والتى لا يعرفون منها اى كلمة !! .. وهكذا يحاصرهم ، ويتولى ادارتهم ، والانفاق عليهم .. وايضا يقوم بالسرقة من محلات «السوبر ماركت» لتخزين المعلبات والملابس وتوفير النقود لحسابه الخاص !

حتى يحين موعد الرحيل .. وفى الطريق داخل المطار يخبرهم بحقيقة ما حدث فى بولندا .. لينفجر الموقف .. وينهالون عليه ضربا وركلا .. وتتناثر الحقائب .. وتتدحرج علب المعلبات فى رنين يعلن نهاية كل شىء .. وتثبت الصورة .. وينتهى الفيلم الذى يحمل اكثر من معنى داخل اطار من الكوميديا السوداء .

وقد فاز هذا الفيلم بجائزة السيناريو ، والـذى كتبـه المخـرج « جيرسى سكوليموفسكى» .. واعتبر هذا الفيلم من اهم معالم سينما ٨٢ .. فى الوقت الذى فرضت فيه السلطات البولندية رقابة صارمة على السينما البولندية .. حتى أن المخرج البولندى الكبير «فايدا» سافر الى فرنسا ، ليخرج فيلمه الجديد هناك !

● فلسطين المحتلة

وبنفس الحماس الذى استقبلت به هذه الافلام الروائية الطويلة .. جاء الفيلم التسجيلى الطويل «فلسطين المحتلة» الذى انتجته الممثلة البريطانية ، الشهيرة بمواقفها السياسية «فانيسيا رد جريف» .. ليفجر هذا الفيلم الخطير ، قضية الحق الفلسطينى امام القوة الصهيونية الغاشمة وعجرفة حكام اسرائيل .

وقد اثار هذا الفيلم ، ردود فعل قوية .. تشهد له بجرائته البالغة فى تصوير الواقع المؤسف الذى يشكل عار البشرية فى القرن العشرين .

وفيلم «فلسطين المحتلة» يتناول خلال ساعة ونصف تحقيقا وثائقيا من داخل الارض المحتلة .. حيث يقدم لقاءات مع الفلسطينيين ، وهم يحكون وقائع التعذيب والتشريد والاضطهاد والقتل الجماعى الذى تقوم به السلطات العسكرية فى اسرائيل .. وينتهى الفيلم بمظاهرة فلسطينية ضخمة مع صوت شاب فلسطينى يحدد القضية بقوله : «المستقبل الذى نناضل من اجله .. هو الحياة على أساس الاحترام المتبادل» .

وهذا الفيلم الجرىء المدهش .. اخرجه المخرج الامريكى «ديفيد كوف» .. ولولا ايمان الفنانة «فانيسيا رد جريف» بحق الشعب الفلسطينى ، ولولا سمعتها كمناضلة سياسية .. ما كان لهذا الفيلم ان يحقق هذا الانتشار ، وهذه القوة فى التاثير .. والتى احدثت ردود فعل عنيفة لدى انصار الارهاب الاسرائيلى .. الى الدرجة التى اصبحوا يهددون فيها الممثلة «فانيسيا» فى كل مكان تعمل به ، بمخطط شرس لعزلها وتجويعها !!



لقطة من فيـــلم « غرفـــــة في المدينـــــة » بطولـــة « دومينيـــك ســـــاندا » .

● الصحافة .. والسياسة

وفى مجال السينما السياسية ، يعود المخرج الامريكى «سيدنى بولاك» ليقدم فيلم «غياب ماليس» عن الصحافة الامريكية وتاثير السلطة السياسية عليها .. ومحاولة الصحافة كشف فضائح السياسة ، مما يعرض الصحفية الشابة (تلعب الدور سالى فيلد) الى نهاية ماساوية .

وقد شارك فى بطولة الفيلم الممثل الامريكى «بول نيومان» .. واستقبلت عودة المخرج «سيدنى بولاك» بنوع من الترحيب .. وان كان فيلمه لم يحقق اصداء قوية .

وشهد عام ٨٢ .. استمرار نجاح فيلم «حمر» للمخرج الممثل «وارن بيتى» والذى فاز بجائزة اوسكار احسن اخراج واحسن تصوير واحسن ممثل دور ثان .. والفيلم يدور فى خلفية سياسية بين ردود فعل الكتاب والمثقفين الامريكين اثناء نشوب الثورة السوفيتية .. من خلال قصة الصحفى الامريكى «جون ريد» صاحب الكتاب الشهير «عشرة ايام هزت العالم» .

وقد بدا عرض هذا الفيلم داخل امريكا مع نهاية عام ٨١ .. ولكن عندما انتقل الفيلم مع بداية عام ٨٢ الى اوربا واسيا .. اثار ردود فعل قوية لبراعة العمل الفنى ومدى الامانة التى ناقش بها الاحداث والافكار التى ارتبطت بهذه الفترة .

وخلال عام ٨٢ شهدت خريطة السينما العالمية بعض الظواهر السينمائية التى تستحق التوقف عندها بالتامل من هذه الظواهر فى السينما الامريكية :

● هذا النجاح الجماهيرى الساحق الذى حققه المخرج الامريكى الشاب «ستيفن سبيلبرج» .. ففى عام ٨١ قدم فيلمه «غزاة القوس المفقود» واستمر عرضه لعام ٨٢ محققا ارقاما قياسية فى الايرادات .

وفى عام ٨٢ .. قدم المخرج الشاب فيلمه الجديد « E. T » او (مخلوق الفضاء فى مغامرته على الارض) .. وقد عرضت تحليلا كاملا لهذا الفيلم فى «الدوحة» عدد اغسطس ٨٢ .. وفى هذا المقال الذى نشر قبل عرض الفيلم عالميا تنبات بالنجاح الكبير الذى سيحققه وكيف ستستغل المؤسسات التجارية الامريكية نموذج هذا المخلوق الفضائي الذى ظهر فى الفيلم ، ليصبح من اهم الشخصيات الخيالية التى ستطبع صورها على الملصقات والملابس والشارات .. وستصنع منه نماذج مجسمة باحجام مختلفة كدمى للاطفال !

وبالفعل .. تحقق كل ما تنبات به .. ضرب الفيلم الارقام القياسية فى الايرادات داخل امريكا .. وظهرت نماذج مجسمة من مخلوق الفضاء لتملا المحلات التجارية .. وايضا فى رسوم على فانلات وقمصان الاولاد والشبان .. ومازالت اوربا تنتظر عرض هذا الفيلم .. وتستعد له نفسيا من الآن بعد كل الضجة التى اثارها ..

والغريب تماما .. ان المخرج «سبيلبرج» صاحب هذا النجاح نافس نفسه .. وغامر بانتاج فيلم بعنوان «الاشباح» عرض فى نفس الوقت مع فيلم مخلوق الفضاء .. واثار فيلم الاشباح ايضا نجاحا ساحقا ، لشحنة الاثارة والغموض التى تملا احداثه !

وهكذا اصبح هذا المخرج «سبيلبرج» ـ ٣٤ عاما ـ ظاهرة فريدة فى السينما الامريكية .

● بينما المخرج الامريكى الشاب «فرنسيس كوبولا» صاحب فيلم «الاب الروحى» بجزئيه .. واخيرا فيلم «نهاية العالم .. الآن» تعرض لاكبر هزة مالية فى مشاريعه الانتاجية .. بعد تعثر فيلم «واحدة من القلب» الذى انتجه بميزانية وصلت الى ٢٦ مليون دولار .. مما اضطره الى بيع الاستديو الذى انشاه منذ عامين فى «لوس انجلوس» حتى يتمكن من سداد ديونه .. وايضا رهن منزله وممتلكاته الخاصة .. واصبح مهددا بالافلاس .

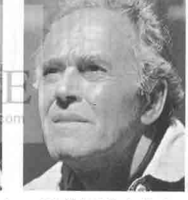
وفيلم «واحدة من القلب» قصة حب بسيطة فى قالب موسيقى .. تلعب بطولتها الممثلة «ناستسيا كينسكى» وقد تم بناء ديكورات لمقاطع كاملة من احياء مدينة لاس فيجاس ، داخل الاستديو الضخم !! .. وكان يتوقع المخرج «كوبولا» ان يحقق نجاحا تجاريا ضخما بهذا الفيلم .. ولكنه كسب رضاء النقاد .. وخسر اقبال الجماهير

● فى نفس الوقت حقق فيلم «روكى» الجزء الثالث .. لممثله ومخرجه «سيلفستر ستالون» نجاحا كبيرا ، حيث يتابع فى هذا الجزء الثالث رحلة الملاكم روكى فى حلبات الملاكمة ومع زوجته وعائلته .

ايضا حقق فيلم «شحم» الجزء الثانى ، نجاحا ساحقا .. وهو تكملة للفيلم الغنائى الراقص الذى لعب بطولته «ترافولتا» ..



المخرج التركي «يلماظ جيوني» يرفع يده بتحية النصر بعد الاستقبال الحافل لفيلمه «الطريق».





هنري فوندا .. ولقطة من اخر افلامه قبل ان يموت .. ثم الممثل «لينو فانتورا» كما ظهر في الفيلم الفرنسي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لاخراجها بعد ان توقف هو شخصيا عن الاخراج السينمائى حوالى عشر سنوات .

يلعب بطولة الفيلم الجديد «لينو فانتورا» فى دور «جان فالجان» .

اما الفيلم الفرنسى الثانى الذى تعلق به اهتمام النقاد .. فهو فيلم «غرفة فى المدينة» للمخرج «جاك ديمى» الذى يعود للسينما بعد غياب تسع سنوات .. وهو المعروف عنه اسلوبه الشاعرى الرقيق ..

و «غرفة فى المدينة» فيلم غنائى يحكى قصة حب ، تدور فى خلفيتها احداث اضرابات عمال الترسانة البحرية عام ٥٥ .. يلعب بطولة الفيلم «دومنيك ساندا» و «ريتشارد بيرى» .

● الذين رحلوا ..

سجل عام ٨٢ السينمائى .. رحيل عدد من عمالقة التمثيل منهم : الممثل الامريكى «هنرى فوندا» الذى توفى بعد شهور قليلة من حصوله على اول جائزة اوسكار فى حياته الفنية ـ والممثلة السويدية الأصل «انجريد برجمان» التى ماتت متاثرة بالسرطان .. والممثلة الفرنسية «رومى شنايدر» التى ماتت فجاة ، وكانت من المع وارق ممثلات فرنسا ، واكثرهن شهرة .. والممثلة الامريكية السابقة «جريس كيلى» اميرة موناكو والتى راحت ضحية حادث سيارة .. والممثل الفرنسى الشاب «باتريك ديفار» الذى انتحر يأسا ، بالرغم من انه كان من نجوم الصف الأول فى السينما الفرنسية .

ومن المخرجين : رحل المخرج الامريكى كنج فيدور ـ والالمانى فاسبندر ـ والفرنسى جاك تاتى ـ والايطالى إليو بترى .

● والسينما مستمرة

ولا تتوقف رحلة البحث عن الجديد والمثير .. حتى تستمر صناعة السينما .

واذا كانت سينما ٨٢ .. بشرت بعودة الأفلام السياسية .. واعطت وثائق النجاح لعدد كبير من المخرجين الشبان .

فان المخرجين الكبار اصحاب التجارب الهامة والخبرة الطويلة .. زادت مسئولياتهم فى البحث عن موضوع يتابعون به تاريخهم الفنى .

وقد شهد عام ٨٢ عودة كبار المخرجين للعمل .. فالمخرج السويدى «انجمار برجمان» يعود الى بلده السويد .. بعد غياب لعدة سنوات .. ويصور فى استوكهولم فيلمه الجديد «فانى والكسندر» انتاج مشترك مع فرنسا .. ويعلن برجمان ان هذا الفيلم سيكون اخر افلامه وسيتفرغ بعدها للمسرح .

والمخرج الايطالى الكبير «اندريكو فيللينى» يعود للعمل بفيلم « .. وتبحر السفينة» والذى يصوره بالكامل داخل استوديوهات روما ..

وايضا يعود المخرج الايطالى «لويجى كومنشينى» للعمل فى فيلم عن الارهاب تلعب بطولته «ماريا شنيدر» .

وبعد خمس سنوات من الغياب .. يعود المخرج الأمريكى «ارثر بن» للسينما ويخرج فيلم «اربعة اصدقاء» عن قصة ثلاثة من الرجال وفتاة تربطهم الصداقة فى السنوات من ٥٠ ـ ٨٠ بامريكا .

وعن امريكا ايضا .. يحقق المخرج «سرجيو ليونى» حلمه الذى طالما انتظر الفرصة لتحقيقه وطال الزمن لعشر سنوات .. ثم واتته الفرصة ليبدا اخراج «كان ياما كان فى امريكا» بطولة «روبرت دى نيرو» .

وبين الام الازمة المالية التى يعيشها المخرج الأمريكى «كوبولا» .. يستعد لاخراج فيلم جديد يداوى به جراحه الخاصة .

وهكذا تمضى الحياة .. ونستقبل عاما جديدا .. نتمنى فيه أن تقترب السينما من حياة الفرد العادى لتقف معه ضد كل ما يواجهه من مشاكل

«رءوف توفيق»

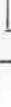


ضحكات الشهر

صلاح الليثي

الأسكيمو وابتسامات أخرى







— « في السجن » !



— سيب هدومي .. هو أنا حطير .. ؟؟



— .. فاكر زمان لما كانت الجريدة فاضية ومفيهاش حاجة .. ؟!

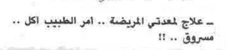


اسكيمو ـ انقذني من هذا الهـم ..
إني ابرد .. ابرد .. ابرد ...!!



« البرد »
واحد ـ خلينـا نشـوفك .. !!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ـ علاج لمعدتي المريضة .. امر الطبيب اكل .. مسروق .. !!



بدون كلام .. !!



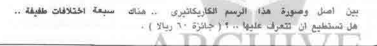

استراحة الدوحة



مجموعة
مسابقات
بالرسوم
بريشة :

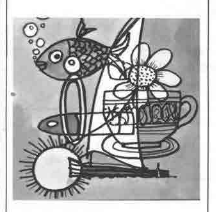
أصل وصورة



بين اصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى .. هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع ان تتعرف عليها .. ؟ (جائزة ٦٠ ريالا) .

لأقوياء الملاحظة فقط!



امامك رسوم لسبعة اشياء متداخلة .. هل تستطيع التعرف عليها ؟ .. إذا عرفت الحل-ارسله الينا ولك جائزة (٦٠ ريالا) .

خيال من ؟



هل تستطيع التعرف على صاحب هذا الخيال ؟ مع العلم بانه لرئيس دولة اجنبية سابق . حاول وارسل الحل الينا .. (ولك جائزة ٦٠ ريالا) .

لعبة الظلال



هل تستطيع ان تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى ؟ .. إذا عرفت .. ارسل الحل (الجائزة ٦٠ ريالا)

هات أجمل تعليق :



حاول ان تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الكاريكاتير لتفوز بجائزة (٦٠ ريالا) على ان تكتب اعلى الظرف . مسابقة اجمل تعليق !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يخلق من الشبه أربعين





الصور الست المنشورة لستة اشخاص يشبهون الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل .. من بين هذه الشخصيات واحدة فقط تشبهه تماما ، وفى البقية اختلافات بسيطة ، إذا استطعت التعرف على شبيه الصحفى الكبير .. ارسله الينا لتحصل على الجائزة (٦٠ ريالا)

المثل يقول



إن هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى .. حاول معرفته وارسله الينا .. ولك جائزة .. (٦٠ ريالا)

أيها الوطن: ماتزال عذباً كالحزن!

بقلم: بشرى ناصر

حينما تغادر الوطن .. تعرف كم هو اليف .. وتحس كم هو قريب .. ينام معك .. ويشرب الشاى معك ..

ولكنه حين يصبح جريحاً .. لا تعرف كم انت موجع .. ولا تستطيع ان توقف ذلك النزف الذى ينزف من اعماقك .. تقف تائها وحائراً عن إيجاد اى طقس يوصلك الى تلك البلاد التى خاصمتها الافراح .. وكادت ان توقف نبضها .. تلك الطغمة الباغية التى جاءت لتسيطر على الارض والغرس ..

تفتح دفترك لتنشد اغنية عن الفرح فتعجز ..

إن الاحباء كلهم .. اولئك الذين تعرفهم ولا تعرفهم باى شكل تاتيهم بمواسم الفرح ؟

تفرد جناحيك بابعد امتدادهما فتعجز .. نبضك مايزال حيا واوجاعك لم تزل بعد لينة ...

استهلكناك كثيراً .. اصبحنا نمتص دمك فى كل لحظة .. فمتى نتوقف عن معاملتك كصبية مراهقة تصحو على كلمات الغزل الرخيص .. وتنام وتحت وسادتها احلام ساذجة ؟

لقد كبرت ايها الوطن وازددت نضجا .. لم تعد بحاجة الى الهتافات .. لم تعد تنطلى عليك حكاياتنا المكررة وامسياتنا الشعرية التى نتخيل انفسنا نرفعك بين ايدينا بينما نحن نمتطيك للحصول على ارضاء ذواتنا ..

كم انت طيب وصبور .. تتحمـــــل كل هفواتنا وزلاتنا ..

نتناسى دائما انك أم وحبيبة .. نغضب منك بقصائدنا العنيدة .. ومرثياتنا التى نسطرها بإسمك .. يقطعون اوصالك ونجلس عند قدميك او راسك نتباكى وننوح كالارامل ..

نستذكر خصالك الرائعة وطفولتك اليافعة .

وحين يجن الليل نسقط برؤوسنا ونحلم .. تمتد اجنحتك فينا ونغادر مع الحلم .. نراك نجمة .. ونراك قصيدة .

ايها الوطن الوردة :

ماتزال جميلا كالبحر .. وماتزال عذباً كالحزن .. فمتى نكف يا صديقى عن معانقة الآمال ، والبحث فى أوراق ذاكرتنا عن ابتسامتك الساحرة ، لنغزل من خيوط احلامنا أزهاراً ؟